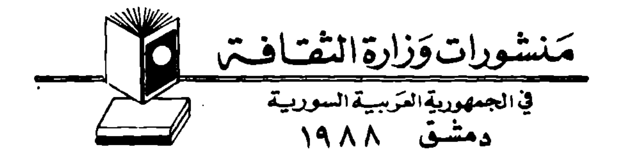
الدكتور علي أبو عسّاف

آثار الممالك القديمة
في سوريّة
٨٥٠٠ ق.م إلى ٥٣٥ ق.م





آثار الممالك القديمة

في سوريّة

دراسات ونصوص قديمة

١

آثار الممالك القديمة في سورية : ٨٥٠٠ ـ ٥٣٥ ق ٠م /
علي أبو عساف ٠ ـ ط ١ ٠ ـ دمشق : وزارة الثقافة ،
١٩٨٧ ٠ ـ ٥٢٠ ص : موضح ، ٢٥ سم ٠ ـ (دراسات
ونصوص قديمة ، ١) ٠

١ ـ ٩٣٢ ع س ا آ العنوان ٣ ـ أبو عساف
٤ ـ السلسلة
مكتبة الأسد

الايداع القانوني ع ـ ٥٠٤ /٥/ ١٩٨٧

القطر العربي السوري داخل هذا الاطار الذي يضم عناوين فصول شاملة للمنطقة ، تتلائم مع تسميات العصور المتداولة في الكتب التـي تعرض لآثارنـا .

والغرض من هذا الكتاب هو وضع مدخل لدراسة آثارنا القديمـة يستفيد منه الباحثون ، ويقيم ويجمع نتائج الدراسات المنشورة عنها في كتب منفردة تناولت نتائج التنقيبات في كل موقع من مواقع التنقيب على حدة ، كما بينت في الفصل المخصص لتاريخ التنقيب عن الآثار في سورية .

وفي الفصول التي تلي هذا الفصل عرضت لبدايات مراحل الاستقرار، ونشوء القرى والمدن ، ثم نشوء الممالك القبلية القديمة في ماري وايبلا ... الخ خلال الالف الثالث ق.م . وتابعت عرض آثار الممالك الكنعانيةالامورية في الالف الثاني ق.م ، والارامية في الالف الاول . وقد افردت فصلا موجزا خاصا بالملكة الآشورية الحديثة لانها هيمنت على بلاد النهرين والشام ، وتحكمت بمقدرات تطورها خلال النصف الاول من الالف الاول ق . م .

ان مادة هذا الكتاب الآثار في القطر العربي السوري ، قادتني الى ان اختصر في عرض المادة التاريخية ، واجعلها متممة للمادة الاثرية .

وبالختام امل ان اكون قد وفقت في ربط حلقات التطور الحضاري في هذا القطر خلال الحقبة الزمنية ٨٥٠٠ ـ ٣٣٠ ق.م . حيث انها الاساس الذي تطورت عنه حضارة العصور اللاحقة .

المدخل

ما اكثر ما نشكو من قلة المصادر العربية التي تبحث في آثارنا ، وما اكثر المصادر الاجنبية التي تبحث فيها . ومع هذا لا يتوفر كتاب باللغة العربية ، او الاجنبية جامع شامل لنتائج التنقيبات الاثرية في سورية ، كما هو الحال في بلاد النهرين ، فلسطين ، تركيا ، شبه الجزيرة العربية ... الخ .

ولا يعود السبب في ذلك لضآلة اهمية آثارنا ، بل لان التنقيبات الاثرية العلمية المنهجية ، التي تتوخى الكشف على جميع مراحل تطور حضارة الانسان منذ البداية ، وحتى عصرنا الحاضر ، قد بدأت متأخرة في قطرنا ، لذا كان من الصعب على الباحثين ، التصدي لمثل هذا العمل الهام والدقيق ، لقلة المادة التي كانت بين ايدينا ، ولان معرفتنا بآثار بلادنا اقتصرت على نتائج بضع مواقع اثرية مثل ماري ، اجاريت ، حماة ، تل عطشانة ... الخ ، التي توضح جوانب من الصورة ، وتلقي الضوء على جزء من تراثنا الحضاري الضخم .

والآن وبعد الاكتشافات التي تحققت في مجالات ما قبل وفجر التاريخ ، وفي الكشف على آثار اسلافنا ممن نعرفهم بالاسم ، اصبح من الممكن انجاز مثل هذا العمل ، الذي لا يخلو من نواقص وفجوات ، طالما ان المطمور في باطن مواقعنا الاثرية اضعاف اضعاف ما استخرجناه ، وطالما ان التنقيبات الاثرية الجديدة تقدم لنا المفاجآت .

ولا يظن احد ان علم الآثار يعالج كافة الآثار حسب تعريفها في قانون الآثار . لا الامر ليس كذلك ! فالتعريف القانوني للآثار شيء ، وعلم الآثار الذي لم يدخل بعد الى جامعاتنا شيء آخر .

الآثار بعرف القانون هي الشواهد الحضارية الثابتة ، والمنقولة التي بناها او صنعها ، او انتجها ، او كتبها ، او رسمها ، الانسان قبل مئتي سنة ميلادية ، او مئتين وعشر سنوات هجرية . فهي كل ما بقي من حضارة الانسان خلال العصور التالية :

١ ـ العصور الحجرية التي تقسم الى :

آ ـ العصر الحجري القديم (باليولتيك) ١٠٠٠٠٠٠ ـ ١٢٠٠٠ ق.م

ب ـ العصر الحجري الوسيط (ميزولوتيك) ١٢٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ ق.م

جـ ـ العصر الحجري الحديث (نيولتييك) ٨٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق.م

وان كنا قد حددنا العصرين الحجريين القديم والوسيط بشكل تقريبي ، فقد حددنا زمن العصر الحجري الحديث بالاستناد الى نتائج تحليل مادة الكربون ١٤ (= C14) . في الاجسام العضوية :

٢ ـ العصر الحجري النحاسي ٥٠٠٠ ـ ٣١٠٠ وقد قسم الى :

آ ـ العصر الحجري النحاسي الاول ٥٠٠٠ ـ ٤٥٠٠ ق.م.

ب ـ العصر الحجري النحاسي الوسيط ٤٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ ق . م .

جـ ـ العصر الحجري النحاسي الاخير ٤٠٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م.

وهنا لابد من الاشارة الى اننا نطلق على هذا الدور الذي يأتي بعد الدور الحجري وقبل الدور البرونزي الذي ظهرت فيه الكتابة ، اسم عصر فجر التاريخ ايضا .

٣ ـ العصر البرونزي : ٣١٠٠ ـ ١٢٠٠ ويقسم بدوره :

آ ـ العصر البرونزي القديم ٣١٠٠ـ ٢١٠٠ ق.م .

ب ـ العصر البرونزي الوسيط ٢١٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

جـ ـ العصر البرونزي الحديث ١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م .

٤ ـ العصر الحديدي ١٢٠٠ ـ ٥٠٠ ويقسم الى :

آ ـ العصر الحديدي القديم ١٢٠٠ ـ ٩٠٠ ق.م .

ب ـ العصر الحديدي الوسيط ٩٠٠ ـ ٧٠٠ ق.م .

جـ ـ العصر الحديدي الحديث ٧٠٠ ـ ٥٣٥ ق.م .

٥ ـ عصر الاحتلال الفارسي ٥٣٥ ـ ٣٣٢ ق.م .

٦ ـ عصر الاحتلال اليوناني ٣٣٢ ـ ٧٠ ق.م .

٧ ـ عصر الاحتلال الروماني / البيزنطي ٧٠ ـ ٦٣٥ بعد الميلاد .

٨ ـ العصر العربي الاسلامي ٦٣٥ ـ ؟

ومع تقدم علم الآثار ، واتساع أعمال التنقيب الاثري ، خلال ما يزيد على قرن من الزمن ، زادت المكتشفات الاثرية ، وتشعبت الابحاث المتصلة بها ، فدعت الحاجة الى التخصص ، وأصبح من الضروري أن يهتم العلماء بآثار منطقة معينة ، وخلال حقبة زمنية محددة . لذا فصلت العصور الحجرية عن العصور التي تليها ، واقيمت معاهد تعنى بدراسة حضارتها، التي يطلق عليها اسم « آثار ما قبل التاريخ » ، أما الآثار التي تعود الى العصور : الحجري النحاسي ، البرونزي ، الحديدي ، فيسميها العلماء الآثار الشرقية القديمة ، تليها الآثار الفارسية والكلاسيكية ، اي اليونانية الرومانية ، واخيرا الآثار العربية الاسلامية . ولكل فرع من هذه الفروع معاهده ومدارسه الخاصة .

يشمل المجال الجغرافي للآثار الشرقية القديمة ، حسب مفهوم معاهد الآثار الاجنبية الغربية ، المشرق العربي بالاضافة الى تركيا وايران . لان تلك البلدان لم تكن متقوقعة ، ولم تتطور حضارتها الواحدة بمعزل عن الاخرى . ومع ذلك توجد معاهد خاصة تعنى بآثار آسية الصغرى ، أو ايران ، أو المشرق العربي التي تندمج ضمن مصطلح آخر هو (آثار بلاد غرب أسية) .

وحسب المفهوم اياه ، تبدأ حقبة الآثار الشرقية القديمة مع بداية الدور الحجري النحاسي عام ٥٠٠٠ ق.م . وتنتهي عام ٥٣٥ ق.م مع

بداية عصر الاحتلال الفارسي للمشرق العربي ، وتأسيس امبراطورية فارس العالمية على يد الاخمينيين .

ومن هذا كله ، يتضح اننا كنا نخرج آثار العصور الحجرية من دائرة الآثار الشرقية القديمة . ولكن ، وبما ان الانسان قد بدأ يستقر في مستوطنات صغيرة ، تحولت الى قرى في الدور الحجري الحديث ، وتطور بعضها الى مدن محصنة في العصر الحجري النحاسي والعصور اللاحقة ، اعتبرنا العصر الحجري الحديث عصرا انتقاليا. شهد ثورة العصر الحجري، التي قلبت اسس حياة المجتمعات البشرية ، وكونت القاعدة المادية التي تطورت عنها الحضارة البشرية فيما بعد ، لذا فاننا ندخلها في اطار دراستنا للآثار الشرقية القديمة . التي تبدأ عام ٨٥٠٠ ق.م بدلا من عام ٥٠٠٠ ق.م ، وتنتهي عام ٥٢٥ ق.م .

لم يدخل علم الآثار الى جامعات القطر العربي السوري ، علما بانه دخل جامعات بقية الاقطار العربية حديثا . والذين تخصصوا بالدراسات الاثرية ، تعلموا في المعاهد الاجنبية ، واخذوا ينحون في ابحاثهم مذهب اساتذتهم الذين تتلمذوا على أيديهم ، أو مذهب المعاهد التي درسوا فيها. وقد اخذنا عنهم مصطلح الآثار « الشرقية القديمة » . ونحن في المشرق ، والآثار آثارنا . فهل يجب علينا استخدام هذا المصطلح ؟

علماء الغرب حددوا مفهومهم لهذا المصطلح زمانيا ومكانيا . وان نحن المختصين جاريناهم ، وقبلنا بالمفهوم المحدد لهذا المصطلح ، بقي واضحا في اذهاننا . ولكنه سوف يختلط على غيرنا . ويتساءلون كيف نسميها « الآثار الشرقية القديمة » ؟ وهي في بلادنا ، وليست الى الشرق منا !!

لذا أرى لزاما علينا الا نقلدهم فيما يسمونه « الآثار الشرقية القديمة » ، ونغير هذا المصطلح ، او على الاصح نستبدله بمصطلح آخر هو « آثار ممالك القبائل العربية القديمة » . وهو مصطلح لم يألفه الناس من قبل . واظن ، او اكاد اكون موقنا ، بأن فريقا من الباحثين سوف يرفضه ،

وآخر سوف يقابله بالسخط ، وثالث قد ينتقده بشدة ، أو بلين . ومع ذلك فقد اخترت هذا المصطلح لاقتناعي به .

وأولئك الذين ينسبون الى سام بن نوح ، اسلافنا صانعي حضارة المشرق العربي قبل الفتح . كانوا قبائل تجوب شبه الجزيرة ، وبلاد الشام والعراق ، ثم استقرت عشائر منهم في بقعة من الارض ، وبنوا فوقها منازلهم ، التي كونت القرى . وكثيرا من هذه القرى تحول الى مدن ممالك تضم كل مملكة المدينة وما يجاورها من الارض ، والمدينة كانت تسيطر على اكثر من مدينة ، وتحاول اخضاع جميع المدن ، وتوحيدها . كما حدث في عهد شروكين (سرجون) الاكادي ٢٣٥٠ ـ ٢٢٩٢ الذي اخضع السومرين ، وقبائل بني جنسه ، لدولة قوية شملت بلاد النهرين ، والاجزاء الشمالية من بلاد الشام . وكانت اول دولة كبيرة في المنطقة .

في بلاد النهرين تذكر قوائم الملوك السومرية اعدادا كبيرة من السلالات، او الاسر الحاكمةفي المدن، منذ الطوفان، وحتى الدور الاكدي. ولهذا السبب اطلق الباحثون في آثار ، وتاريخ بلاد النهرين اسم (Early Dynastic) = فجر السلالات ، على الحقبة الزمنية الممتدة من ٢٨٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م وقد اثبتت الابحاث الاثرية وجود سلالات حاكمة في مدن اور ، اوروك ، لجش ، كيش ، آوما ، شوروباك (فاره) ، أدب (بصمية) وماري وغيرها كثير . وكانت هذه السلالات سومرية فيما عدا سلالات مدينتي كيش وماري فكانت اكدية سميت باسم العشائر التي سكنتها على ما نعتقد .

ولم يكن الامر في بلاد الشام غير ذلك . فهذه وثائق ايبلا تذكر اسماء مدن كثيرة مثل كركميش (قرب جرابلس) ايمار (مسكنة) ارشوم (جازيان تبة في تركية الآن) وخاشوم بالقرب منها في حوض نهر ساجور ، وغيرها كثير لا نعرف مواقعها . ونتعرف من خلال نتائج التنقيبات الاثرية على أسماء اخرى مثل آل الخ بسهل العمق ، اجاريت على الساحل شمالي اللاذقية ، بيبلوس (جبيلا) شمالي بيروت ، وقطنة (قرية المشرفة الى الشمال من حمص) . هذا في الالف الثالث ق.م . اما في الالف الثاني

فتحدثنا وثائق بابل ، ماري ، آل الخ ، مصر ، والحثيين ، عن عشرات الممالك الصغيرة التي انتشرت ببلاد الشام ، والتي كانت تسمى باسماء عشائرها كما نعتقد . كانت كل عشيرة مستقلة ، واحيانا تتنازع مع جارتها ، فتتحد مجموعة عشائر القبيلة الواحدة ضد عشائر قبيلة اخرى، حتى اذا زال الخطر ، عادت كل واحدة الى استقلاليتها ، وقد تتخاصم مع عشيرة من قبيلتها كما سنرى .

واذا ما انتقلنا الى الالف الاول ق.م تصبح الصورة اكثر وضوحا . فنحن لا نعرف حتى الآن ، اية وثيقة ، تنسب الممالك التي سادت ثم بادت في الالفين الثاني والثالث ق.م الى اسم عام يجمعها ، او على الاقل يجمع بعضها (انظر الفصل الثالث) . اما في الالف الاول ق.م فقد تاسست ممالك متعددة مثل مملكة دمشق ، مملكة حماة ، مملكة بيت اجوشي ، مملكة بيت عديني ، مملكة بيت بحياني ... الخ ، نسبت نفسها الى أرام ، الذي هو جدها الاكبر ، او قل اسم القبيلة التي تنتسب اليها . ان هذه العشائر الارامية التي اسست ممالك كثيرة في بلاد الشام ، وبلاد الرافدين ، لم تتحد ، وتشكل دولة قوية ، بل كانت مستقلة بعضها عن بعض ، تتحالف احيانا من أجل الهجوم ، أو الدفاع ، تحت قيادة أقوى ملوك الممالك . واذا زال الخطر ، عادت كل عشيرة ، أو مملكة الى استقلالها وعادت المنازعات الداخلية بينها احيانا .

ومن هنا يظهر لنا بوضوح وجلاء ، ان العنوان « آثار ممالك القبائل العربية القديمة » ، تعريف لواقع كان قائما على اساس قبلي ، أو عشائري، ولا ينبغي لي ان اختتم هذا المدخل دون ان اتطرق الى ناحية هامة جدا من خلال طرحنا السؤال التالي : لماذا نسمي هذه القبائل عربية ؟

في الحقيقة ، يتفق الباحثون ، ان القبائل اياها ، قد هجرت بوادي وصحاري شبه الجزيرة العربية ، وبلاد الشام ، الى الاراضي الخصبة المحيطة بها . وقد اثبت البحث الحديث ، ان لغات تلك القبائل ، واللغة العربية من اصل مشترك . والحقائق الموضوعية ، التي نتبينها من الاكادية

(بفرعيها البابلي والاشوري) ، والكنعانية ، والارامية ، والسبئية ، الحميرية ، وغيرها توضح صلات القرابة ، أكثر من ان تبرز الخلاف والتباين فيما بينها . فالقرابة بينها واضحة وضوح الشمس ، ولا تحتاج الى براهين . وهذا يلزمنا ان نتجاوز الخصائص والميزات التي مردها الى عوامل التطور في كل لغة ، وان ننظر الى اللغة ككل ، من حيث الحروف التي تتألف منها الكلمات والمصدر الثلاثي والفعل وتصريفه في الحاضر والماضي . الاسم واقسامه وعلامات التذكير والتأنيث ، الضمائر ، أسماء الاشارة والموصول ، المشتقات ، الصفات ، . . . الخ . وهذه كلها تشير الى وحدة هذه اللغات ، وان شئت هذه اللهجات ، التي تشكل اللغة العربية المرحلة الاخيرة في تطورها .

ونستخلص من هذا ، انه لا يوجد ما يمنع من ان نعد هذه القبائل عربية . خاصة وانه قد ورد في القرآن الكريم ، الذي يجب أن نلتمس فيه الاسم الحقيقي لتلك الاقوام ، انه قرآن عربي ، أي انه ليس قرشيا ، او قحطانيا ، او عدنانيا ، او حميريا ، او . . . الخ . وقد انزل بلسان عربي . فهو لم ينزل بلسان نوح ، أو ابراهيم ، أو اسماعيل ، أو شعيب ، او موسى . . . الخ . فعربي هو الاسم العام الذي يجمع تلك القبائل ، ويوحدها . واللسان العربي هو الذي تفهمه كلها .

وحيث اننا نتكلم على آثار ممالك القبائل في القطر العربي السوري ، يجب الا نهمل العلماء الذين قاموا بمجهود ضخم في هذا المجال . لذا سنعرض فيما يلي تاريخ التنقيب في سورية .



الفصل الأول

تاريخ التنقيب على الآثار

اهتم الباحثون الآثاريون بآثار الديار المقدسة فلسطين ، وبلاد النهرين قبل أن يهتموا بآثار سورية ، لكن سورية الخطاف الذي يربط بين بلاد النهرين وفلسطين ، ومصر ، وآسية الصغرى ، وشبه الجزيرة العربية . فهي باب البحر المتوسط الى بلاد النهرين ، وما ورائها ، وموقعها على مصلبة الطرق بين حضارات العالم القديم ، جعلها أرض الحضارة كغيرها من أقطار المشرق العربي . فما من بقعة في سوريا الا وفيها خرائب منازل أسلافنا ، طبقات بعد طبقات ، من جهودهم ودنياهم ، تستهوي الباحثين، وتدفع بهم الى التنقيب فيها ، وتقنعهم بالا يمروا فوقها الى بلاد النهرين ، دون الكشف عن خباياها ، والاستماع الى حديثها ، فصورة التاريخ القديم لا تكتمل بدون سورية .

حين بدأ الاهتمام الاوروبي بحضارة العالم القديم ، زار كثير من الرحالة المترفين ، والعلماء الباحثين بلاد الشام ، فتنقلوا بين الخرائب ، ووصفوا الاطلال المنظورة ، وحياة الناس في مدنهم وقراهم ، ولم ينقبوا عن الآثار بالطرق العلمية . ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : البحاثة الدانمركي الشهير كارستن نيبور (Carsten Niebuhr) الذي زار المنطقة عند منتصف القرن الثامن عشر ، والرحالة الالماني بورك هارد (J. L. Burckhardt) الذي تجول ببلاد الشام من عام (١٨٠٥ — ١٨١٢ ، فاعتنق الاسلام) وتنقل بين مناطقها المختلفة تحت اسم الشيخ ابراهيم ، والف كتابا عنوانه :

J. L. Burckhardt, Reisen in Syrien, Palästina und der Gegend des Sinai (1823 / 24) .

ضمنه ملاحظاته ومشاهداته . ولما توفي دفن في مقبرة اسلامية بالقاهرة .

- وفي نفس الوقت (١٨٠٥ ـ ١٨٠٧) ، قام الرحالة الالماني أولريش ياسبر سيت زن ، Ulrich Jasper Seetzen باستكشافات في بلاد الشام ، ونشر الكتاب

U. J. Seetzen, Reise durch Palästina und Syrien (1854).

هؤلاء وغيرهم كثيرون ، تجولوا في البلاد بمفردهم ، فعانوا من المتاعب ولقوا المصاعب في جمع وتوثيق المادة الأثرية . لذا لفتوا الانظار الى ضرورة تشكيل بعثات علمية متخصصة ، فيها عالم اللغات ، والمهندس ، والرسام، حتى تقوم بدراسة الاطلال على اكمل وجه .

ومن هذا المنطلق ، تشكلت بعثة بريطانية ، هي « بعثة بلاد النهرين » برئاسة (F. R. Chesney) ، التي قدمت الى البلاد قبيل منتصف القرن التاسع عشر ، واستطلعت المواقع الاثرية على ضفاف الدجلة والفرات ، وفي الاراضي الممتدة بينهما . ونشرت نتائج ابحاثها في اكثر من مجلد تحت العنوان التالي :

F. R. Chesney, The Expedition for The Survey of The Rivers Euphrates and Tigris I f (1850 f).

في عام ١٨٦٠ جهز الفرنسيون « البعثة الى فينيقية » لمتابعة دراساتهم التي بداوها بمصر خلال حملة نابليون . وصلت البعثة بنفس العام الى ساحل بلاد الشام ، وكانت برئاسة ارنست رينان (E. Renan) . استطلعت ودرست آثار جبيل (جبلا) ، صيدا ، صور ، وارواد . ومن مؤلفاتها : E. Renan, Mission De Phénicie (1864) ff .

في الربع الاخير من القرن الماضي ، وخلال عامي ١٨٨٢ و ١٨٩٤ ، عملت بعثة المانية في موقع زنشرلي على الضفة اليمنى لنهر الاسود . وخلال عام ١٨٨٨ م قام الباحث الالماني فيلكس فون لوشان (Felix von Luschan) بتتبع مصدر لوحات منقوشة عثر عليها مصادفة

في الموقع ، فكشف على المدينة الارامية شمال . ونشرت نتائج التنقيب في المجلدات :

F. V. Luschan, Ausgrabungen in Sendschirli I-V (1893-1943).

اما جريبيس على الفرات ، فقد زارها العديد من الرحالة المستكشفين، وكان من بينهم جورج سميث (Georg Smith) ، الذي وصلها عام ١٨٧٦ وعرف انها هي كركميش القديمة . اهتم المتحف البريطاني بالموقع ، وشكل بعثة تنقيب، بادارة القنصل البريطاني في حلب هندرسون (P. Henderson) عملت من عام ١٨٧٨ – ١٨٨١ ، وكان غرضها استخراج اللوحات المنقوشة والتماثيل ، التي تكسر معظمها . وبعد مرور ٣٠ عاما عادت اليها بعثة انكليزية (١٩٠٨) بادارة البحاثة هوكورت (D. G. Hogarth) . ١٩١١ تسلم ادارة البعثة كمب بل تومبسون (R. Compbell Thompson) ، ثم اعقبه السير ليونارد وولي (C. Leonanrd Wooley) . . توقفت الاعمال عند اندلاع الحرب الكونية الاولى ، وفي عام ١٩٢٠ تابع وولي التنقيبات من جديد ، ولموسم واحد فقط . المنشورات :

Carchemish Part I (1914) , II (1921) , III (1952) .

ان اهم ما اكتشف في كركميش هي الآثار التي تعود الى العصر الحثي الحديث ١٢٠٠ – ٦٠٠ ق.م . ومنها اطلال قصر ومعبد وبوابة .

وكما لفتت جريبيس (كركميش) انظار الانكليز ، جذب تل حلف اليه السياسي الالماني النشيط ، ماكس فراي هرفون أوبنهايم .
(Max Freiherr von Oppenheim) .

وفي عام ١٨٩٩ ، وعندما كان البارون على منابع الخابور ، أخبره المواطنون بوجود تماثيل في تل حلف ، الذي يقع على بعد حوالي ٥ كم الى الجنوب الغربي من بلدة راس العين . فسارع الى الموقع ، وتأكد بنفسه من الاخبار . وفي عام ١٩١١ بدأ العمل هناك ، واستمر حتى عام ١٩١٣ . وبعد توقف دام حوالي ستة عشر سنة ، عاد للعمل في الموقع ، من عام

١٩٢٧ - ٩١٢٩ . دلت التنقيبات على ان الموقع كان مستوطنة مزدهرة في الالف الخامس قبل الميلاد ، ثم اصبح عاصمة الدولة الارامية بيت بحياني عند مطلع الالف الاول ق.م ، وكان اسمه مدينة جوزان . نشرت نتائج التنقيبات في سلسلة المجلدات :

Der Tell Halaf I (1931) , II (1950) , III (1955) , IV (1962) .

جبلة البيضا : اثناء التنقيب في تل حلف ، وفي عام ١٩١٣ ، قام البارون فون أوبنهايم ، باستطلاع جبل عبد العزيز غربي الحسكة . واكتشف بضعة تماثيل في احد اقسام الجبل ، الذي يدعى جبلة البيضاء . وقد تمكن من نقلها عام ١٩٢٧ الى برلين ، ثم نقب في الموقع عام ١٩٢٩ ولم يعثر على قطع اخرى .

U. Moortgat - Correns, Die Bildwerke Vom Djebet El - Beida In Ihrer Räumlichen und Zeitlichen Umwelt (1972) .

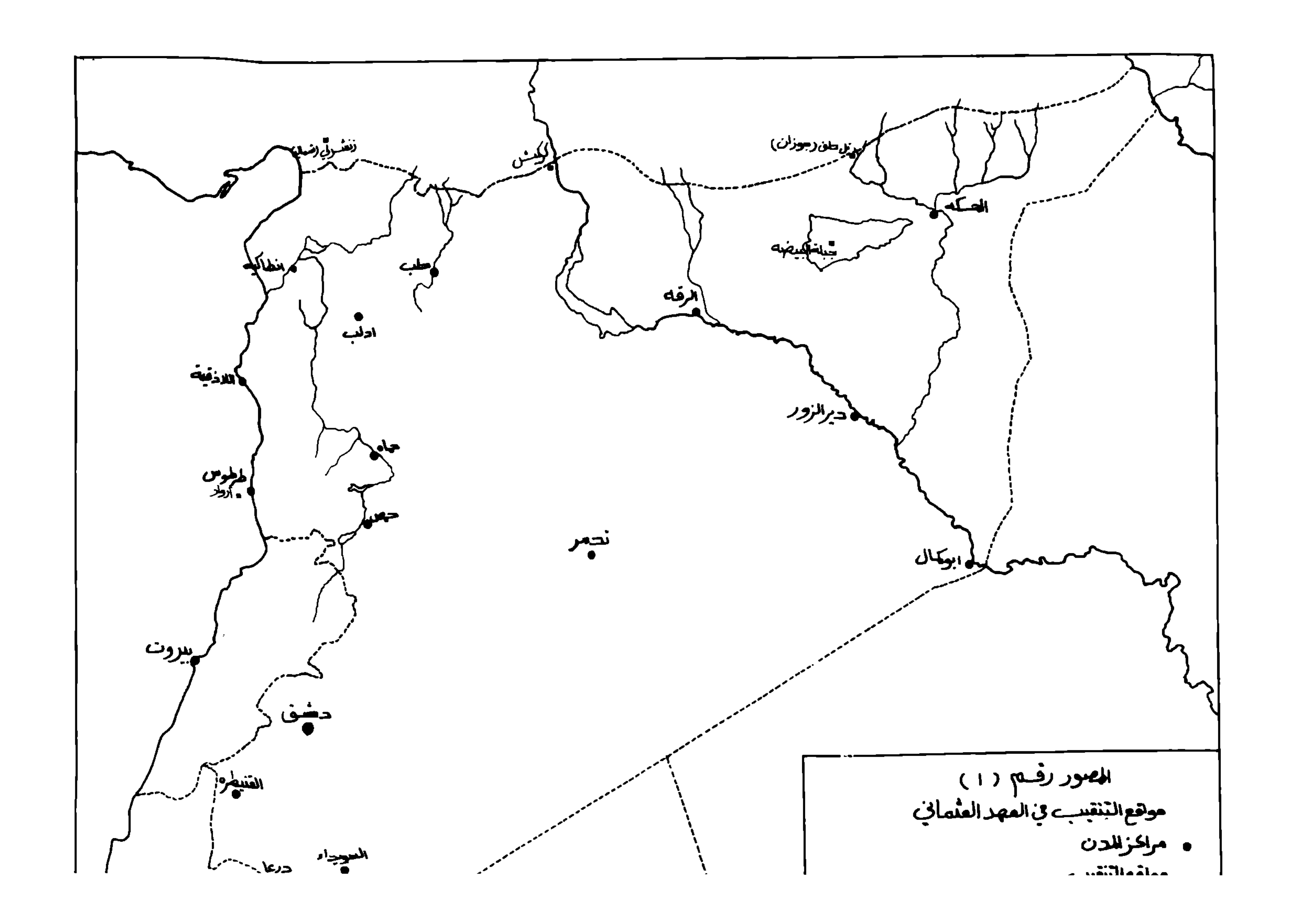
المسح الاثري ، والرحلات الاستكشافية ، هامة جدا ، لانها تهدف الى دراسة الآثار الظاهرة ، وتلفت الانتباه الى ضرورة المحافظة عليها ، وبالتالي توثيقها . كان هذا هدف بعثة جامعة برنستون (Princton) الاميركية ، التي أرسلت بعثة الى سورية مؤلفة من عدد كبير من العلماء بين عامي ١٩٠٤ - ١٩٠٥ ، وعام ١٩٠٩ وتعتبر مؤلفاتها :

Publication of an American Archaeologial Expedition to Syria in 1899 - 1900, 1904, 1905 - 1909, I, II, III, IV ff .

من أهم الدراسات ، التي اجريت على البقايا المعمارية ، والكتابات ، في هذا الوقت . ومن هذا المنطلق قام العالمان الالمانيان ارنست هرتزفلد (E. Herzfeld) وارنست سارا (E. Saara) بعملية مسح اثرية شاملة لآثار حوض الفرات وروافده من عام ١٩٠٧ - ١٩٠٨ ونشرا نتائج دراستهما في اربع مجلدات تحت عنوان :

E. Saara, E. Herzfeld, Archäologische Reise Im Euphrat und Tigris - Gebiet I (1911) , II (1920) , III (1911) , IV (1920).

وفي عام ١٩١٢ تبعهم البحاثة التشيكي الواس موسيل (Alois Musil) الذي قام برحلة اخرى عام ١٩١٥ . واهتم بالمناطق الشرقية من القطر . (مصور رقم - ١ -) .


المصور رقم (١)
مواقع التنقيب في العهد العثماني
مراكز المدن
الحسكة
الرقه
دير الزور
ابوكمال
تدمر
حلب
ادلب
انطاكيه
اللاذقية
طرطوس
حماه
حمص
بيروت
دمشق
القنيطره
السويداء
درعا

تمت هذه الرحلات الاستكشافية ، والتنقيبات الاثرية المحدودة في العهد العثماني . وكانت الابواب مشرعة لهم ، ولغيرهم ممن لم اذكرهم ، لا لان اعمالهم غير هامة ، بل لانها لم تخدم اغراض التنقيب في سورية . وقد اشارت اليها المصادر المذكورة أعلاه .

خلال عهد الانتداب الفرنسي ، بدأ البحث العلمي عن الآثار ، فجرت عمليات مسح اثرية شبه كاملة كان الغرض منها جرد وتسجيل الآثار الباقية في محافظات القطر . وقد ساهم في هذا العمل بعض الانكليز . وكان أول من استخدم التصوير الجوي في الكشف على الآثار البحاثة بواد بار (A. Poidebar) عام ١٩٢٧ ــ ١٩٢٨ . اذ حلق بالطائرة من الضمير نحو الشمال ، والشمال الشرقي ، عبر البادية ، حتى دير الزور على الفرات . ثم تابع رحلته حتى جسر عين ديوار على الدجلة . وكان قصده تتبع مسار خط الحدود الرومانية بما فيه من معسكرات وتحصينات . وقد لفت الانظار الى كثير من التلال الاثرية الهامة راجع :

A. Poidebar, La Trace de Rome dans le désert de Syrie I + II (1934) .

في عام ١٩٢١ باشر الفرنسي السيد بيتزارد M. Pezard تنقيبات علمية في تل النبي مند (قادش القديمة) ، الذي يقع على بعد حوالي ٢٦ كم الى الجنوب الغربي من حمص ، ونشر نتائج ابحاثه في :

M. Pezard, Cadesh (1937) .

وبعده باربع سنوات ، أي عام ١٩٢٤ حضر الفرنسي السيد دي مسنيل دي بوسون (R. du Mesnil du Buisson) الى موقع المشرفة (قطنه القديمة) ، على بعد حوالي ١٨ كم ، الى الشمال الشرقي من حمص ، وبدأ التنقيب . وبعد انقطاع دام ٣ سنوات ، عاد لمتابعة العمل خلال عامي ١٩٢٧ ــ ١٩٢٩ . ثم توقف عن العمل . وبقي الموقع في أمان من ضربات ومعاول ورفوش المنقبين الى يومنا هذا . ونشر نتائج ابحاثه في :

R. Du Mesnil du Buisson, Le Site archéologique de Mischrif - Qatna (1935) .

وفي العامين ١٩٢٦ – ١٩٢٧ نقبت بعثة فرنسية مؤلفة من : كارير (B. Carrier) ، اندريه بارو (A. Parrot) وبـــاروا ســـ(A. Barrois) في موقع النيرب (نيربو القديمة) ، حوالي ٦ كم الى الجنوب الشرقي من حلب . فاجرت اسبارا محدودة ، ونشرت النتائج في :

Syria 7; Revue Biblique (1927) ; (1928) ; E. Dhorme, Revue d'Assyrologie (1928) .

كانت هذه التنقيبات والتحريات بداية لدراسة وتنقيبات اخرى كبيرة منها التنقيب في موقع ارسلان طاش (الاسد الحجري ، نسبة الى الاسود التي كانت تنتصب على جوانب بوابات المدينة في العصر الارامي ، والتي نقل بعضها الآن الى حلب والرقة) ، التي هي مدينة خداتو الارامية على بعد ٩ كم الى الجنوب الشرقي من عين العرب . وقد قامت بعثة فرنسية بـــادارة العـــالـــم الفرنســـي الشـــهير فـــرانســـوا تـــيرو دانجـــان : (F. Thureau - Dangin)ومســاعديه : باروا س (A. Barrois) دونان (M. Dunnand)ودوســان (G. Dussion)بالتنقيب في هذا الموقع عـــام ١٩٢٨ واصدرت الكتاب التالي عن نتائج دراساتها :

F. Thureau - Dangin et, Arslan - Tash (1931) .

انتقلت البعثة اياها الى تل احمر ، على الضفة اليسرى لنهر الفرات ٢٠ كم الى الجنوب من جرابلس ، و ٥ر١ كم جنوبي مصب نهر ساجور بالفرات . تل احمر هو اطلال مدينة تل برسيب ، عاصمة المملكة الارامية القوية بيت عديني ، وكان الرحالة يشاهدون فيه ، كما شاهدوا في مواقع اخرى معاصرة ، تماثيل ولوحات منقوشة لفتت انظار بعثة ارسلان طاش، فنقبت بالموقع عام ١٩٢٩ – ١٩٣١ ، ونشرت نتائج تحرياتها في الكتـــاب التالي :

F. Thureau - Dangin et til - Barsib (1936) .

ومن اقصى الشمال ننتقل الى اقصى الجنـــوب حيث نقبت بعثـــة تشيكوسلوفاكية برئاسة هروتزني (B. Hrozny) عام ١٩٢٤ في موقـــع الشيخ سعد ، على بعد ٦ كم الى الجنوب من بلدة نوى ، و ٣ كم الى

الشمال من تل عشترة ، الذي هو مدينة عشتروت الكنعانية القديمة . اما الشيخ سعد فهو مدينة عشتروت ـ قرنيم القديمة ايضا . وقد كشف فيها على اسد بازلتي من النوع المعروف في المدن الآرامية ببلاد الشام الشمالية وهو الآن بمتحف دمشق . وذكر انه كشف على (نصب لرمسيس الثاني) ، ولوحات حجرية منقوشة ، لا ندري اين هي الآن .

وفي فصل الخريف من نفس العام ، رحل هروتزني وبعثته ، الى الجزيرة بقصد التفتيش على تل يحمل اسم واشاك اي واشوكاني ، عاصمة الدولة الميتانية فلم يجد اي تل بهذا الاسم ، رغم انه زار التلال الواقعة على نهر جغجغ كلها . واثناء تجواله بمنطقة حلب ، زار تلال رفعت، اخترين، وجنديرس ثم استقر بتل رفعت، الذي ظنه مدينة ارفاد الآرامية ، عاصمة مملكة بيت اجوشي . عمل في الموقع خلال عامي ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ ، وكشف على بعض الرقم المخطوطة بالخط المسماري من العصر الآشوري الحديث ، وعلى غيرها من اللقى الصغيرة (راجع ص ٤٤) .

وان كانت اعمال التنقيب في هذه المواقع قد توقفت ، واعطت نتائج جيدة ، فان تنقيبات اجاريت وماري مستمرة .

على اثر اكتشاف مدفن في مينة البيضاء الى الشمال من اللاذقية وراس ابن هاني ، تشكلت بعثة فرنسية للعمل في الموقع ، وبتل راس الشمرا وقد عملت منذ ١٩٢٩ حتى ١٩٦٧ بادارة الاستاذ كلود شيفر (Ci. Schaeffer) ثم تعاقب على ادارتها اساتذة آخرون ، ولا يزال العمل مستمرا . ومن يريد الاطلاع على ثبت واف بأسماء اعضاء البعثات ، وعدد المواسم التي قضتها بالتنقيب ، والدراسات التي نشرتها ، يقدم له كتاب الاستاذ جبرائيل سعادة المعلومات الكافية الوافية :

G. Saadé, Ougarit, Metropole Cannéene (1978) .

هذا في اجاريت على الساحل ، اما في ماري على الضفة اليمنى لنهر الفرات بالقرب من بلدة البوكمال . فقد بدا التنقيب عام (١٩٣٣) ، على

اثر اكتشاف جذع تمثال كبير من الحجر الكلسي ، عندما كان البدو يحفرون قبرا في التل . اخبر الملازم الفرنسي المقيم في البوكمال بالامر فاحضر جذع التمثال ، الذي اصبح يعرف في المصادر العلمية باسم (تمثال كوبلن) نسبة الى الضابط الفرنسي أياه .

منذ عام ١٩٣٣ وحتى عام ١٩٧٤ كان السيد اندريه بارو (A. Parrot) يدير العمل ، ويساعده نخبة من علماء اللغات والمهندسين . وبعد تقاعده آلت ادارة البعثة الى السيد جان مارجيرون (J. Margueron) عام ١٩٧٥ ، ولايزال العمل مستمرا . باشراف نخبة من المختصين باللغات القديمة ، والآثار والعمارة . وكما هي العادة ، نشرت البعثة تقارير أولية عن مواسم الحفريات في مجلة Syria العدد ١٦ وما بعده وكذلك في مجلة الحوليات العربية السورية بعد صدور العدد الاول منها عام ١٩٥٠ . ثم نشرت نتائج التي توصلت اليها حتى الآن في :

A. Parrot, Mission archéologique 1. Série archéologique : I. Le Temple d'Ischtar (1956), II. Le Palias : 1. Archetecture (1958), 2. Peinture murales (1958, 3. Documents et monuments (1959) ; III. Les Temples d'Ischtar et de Ninni - zaza (1967) , IV. les Trésor .

تتحدث هذه السلسلة عن الآثار والى جانبها سلسلة اخرى موازية تتحدث عن الوثائق :

A. Parrot / G. Dossin, Mission archéologique de Marie 2. Série épigraphique, historique et Littéraire, Archiv Royales de Marie I ff (1950) f .

ومنذ عام ١٩٨١ صدرت سلسلة اخرى بعنوان مختلف وهي :

Marie, Annales, De Recherches, Interdisciplinaires 1 - 3 (1981 - 1984) .

ومن التحريات الاثرية الهامة ، ما قام به الفرنسي دي مسنيل دي بوسون في مواقع الى الشمال من حماه مثل خان شيخون ، صوران ، وتل آس ، وذلك عام ١٩٣٠ راجع (Syria 13 - 1931)

اما تل حماه الكبير فقد لفت اليــه انظــار العالم الدانمركي انكولت (H. Ingholt) الذي عمل فيه من عام ١٩٣٢ ـ ١٩٣٨ . بينت التنقيبات على ان الموقع كان ماهولا منذ الدور الحجري الحديث وحتى الآن وقــد نشرت النتائج في :

H. Ingholt, Rapport Préliminaire sur sept Campagnes de fouilles à Hama en Syrie (1940).

وبالاضافة الى هذا التقرير ، اصــدرت ادارة البعثة سلسلة مــن الدراسات عنوانها :

Hama. fouilles et Recherches de La Fondation Carlsberg I - VIII (1948 ff).

وفي عام ١٩٣٥ جهز الامريكيون بعثة اسموها « البعثة السورية ـ الحثية » برئاسة ماك ايفن (G. Mc Evan) . توجهت البعثة التي ادارها بريد وود (R. Braidwood) الى سهل العمق ، حيث عملت خلال عامي ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ على تحري العصور والطبقات السكنية الاثرية بتلال : طعينات ، الجديدة وشطل هويك ومن منشوراتها :

R. J. Braidwood, L. S. Braidwood, Excavations in the Plain of Antioch I (1960).

السير ليونارد وولي L. Wooley ترك مدينة اور الشهيرة لينتقل في عام ١٩٣٦ الى تل عطشانة على الضفة اليمنى لنهر العاصي ، ٢٥ كم الى الشرق من انطاكية . توقف العمل خلال الحرب الكونية الثانية ، تــم عاوده عام ١٩٤٩ . اثبتت التحريات ان الموقع هو مدينة اللالخ (ال الخ التي لعبت دورا هاما بتاريخ بلاد الشام خلال الالف الثاني ق.م كمــا سنرى . ومن منشوراتها الهامة :

D. J. Wissman, The Alalakh Tablets (1953) ; L. Wooley, Alalekh (1955) ; A. Frgotten Kingdom (1953).

اهتم مالاوان (M. E. L. Mallowan) بمنطقة الجزيرة ، وخاصة حوض الخابور في بداية نشاطه الاثاري ، فنقب بتل شاغر بازار (حطين (

بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٧ . وخلال الموسم الثاني قامت البعثة ايامها بتحري موقع تل عربيد ١٥ كم شرقي شاغر بازار ، وتل كرماير ، ٤ كم غربي شاغر بازار . وبما أنه كان قد عثر على تمثال عادي ، أثناء بناء الجسر على الجغجغ بجوار تل براك ، عام ١٩٣٠ ، قامت البعثة الانكليزية عينها ، بالتنقيب في تل براك . انظر مجلة عراق : Iraq III, IV, IX.

ومن حوض الخابور انتقل ملاوان غربا الى حوض البليخ ، حيث نقب في التلال التالية خلال عام ١٩٣٨ : اسود ، مفلش ، جدل ، حمام وصهيلان . راجع : Iraq VIII

بالاضافة الى عمل البعثة الفرنسية في اجاريت ، شهد الساحل السوري نشاطا اثريا ملحوظا قبل الحرب الكونية الثانية : فقد قام الفرنسي فوريه (E. Forrer) عام ١٩٣٤ بتحريات في تلال : قلعة الروس، ١٤ كم الى الجنوب الشرقي من اللاذقية والى الشمال من جبلة ، وتل سوكاس الى الجنوب من جبلة حوالي ٤ كم انظر :

Memoires of the American Philosophical Society XIII (1939).

من ١٤ حزيران ، وحتى ٨ تموز ، من عام ١٩٣٨ قام متبعثة امريكية من معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو ، بادارة السيد بريد وود (R. Braidwood) بتحريات في تل تبة الحمام ، جنوبي طرطوس ، والى الجنوب الغربي من قرية المنطار حوالي واحد كم . فتبين أن الموقع كان ماهولا من الالف الخامس ق.م وحتى عصر الاحتلال الروماني . وبنفس الوقت استكشفت البعثة ايامها تل سميريان ، الذي يقع على بعد ٤ كم الى الشرق من قرية المنطار ، بجوار قرية تحمل نفس الاسم . فتبين ان التل من العصر البرونزي ٣١٠٠ — ١٢٠٠ ق.م ثم استوطن مرة أخرى خلال عصر الاحتلال الروماني .

راجع : Syria 28.

خلال الحرب العالمية الثانية ، توقفت أعمال التنقيب والبحث الأثاري ، باستثناء ما قامت به بعثة أمريكية من تحريات في تل الفخيرية المجاور لبلدة رأس العين . ففي عام ١٩٤٠ ، قدمت بعثة امريكية من

معهد الدراسات الآثارية الشرقية بجامعة شيكاغو ، بادارة ماك ايفن الى راس العين ونقبت مدة قصيرة فيه راجع :

Orientel Institut Publication, LXXXXX (1940) .

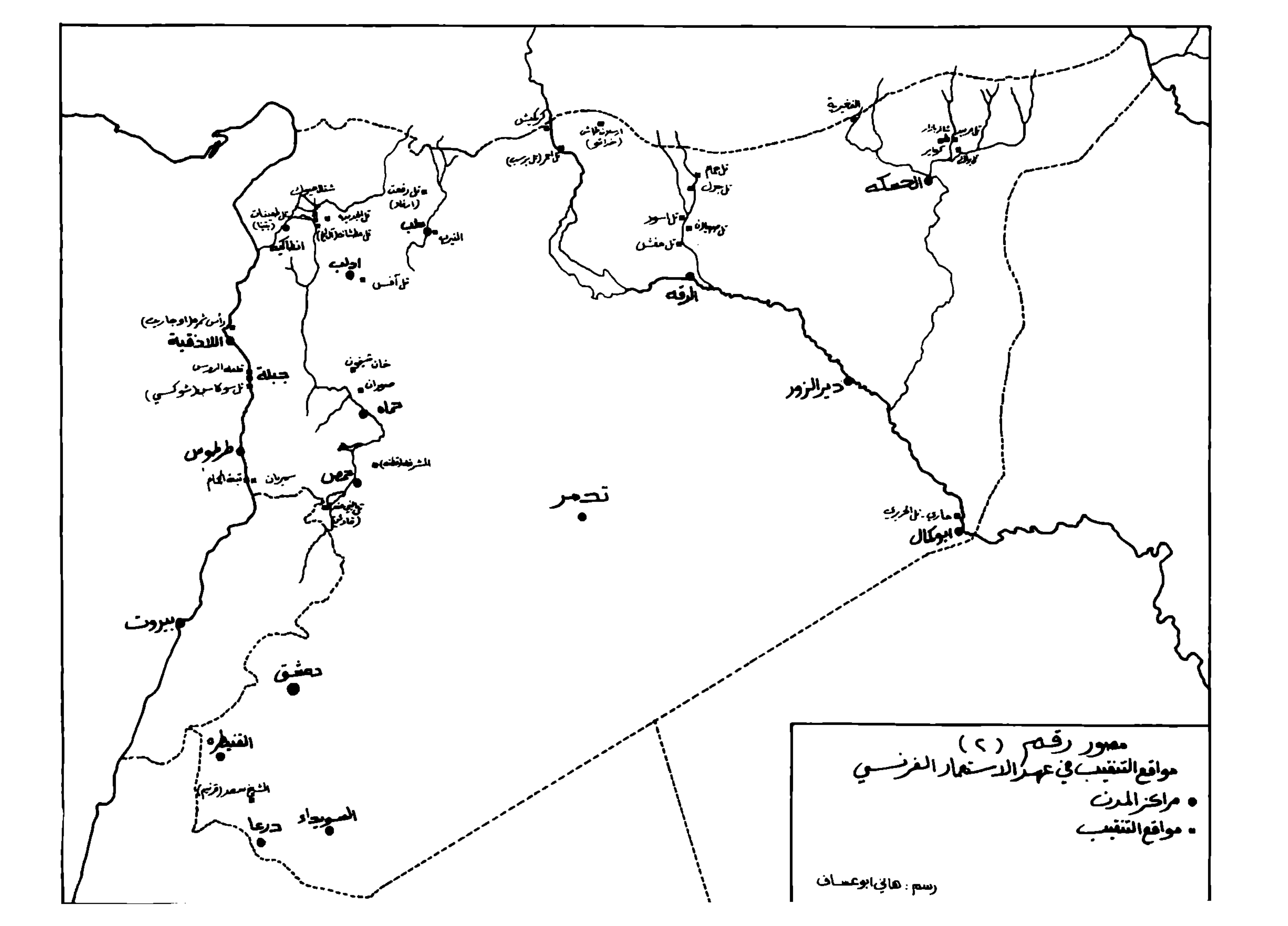
وبهذا نأتي الى ختام عرضنا ، لاهم الاعمال التي تمت في مجال التنقيب والبحث عن الاثار ، في القطر العربي السوري قبل الاستقلال (مصور ـ ٢ ـ) .

ومع بزوغ فجر الاستقلال ، تأسست المديرية العامة للاثار والمتاحف كسلطة وحيدة ، انيط بها الحفاظ على ثرواتنا الاثرية الكبيرة . وبذلك تكون قد وضعت أمام واجبات كثيرة ، مثل اجراء عمليات مسح اثرية في المدن والريف ، تسجيل الاثار الهامة بأكملها . وكذلك التنقيب في المواقع الاثرية الكثيرة حسب متطلبات البحث العلمي عن الاثار ، او القيام بأعمال تنقيب طارئة . والاهم من ذلك كله خلق كادر فني متخصص ، يستطيع تنفيذ هذه المهام ، وبما انه لم يكن لدى المديرية حين انشائها ، متخصصون بعلوم الاثار ، استعانت بخريجي قسم التاريخ للعمل لديها .

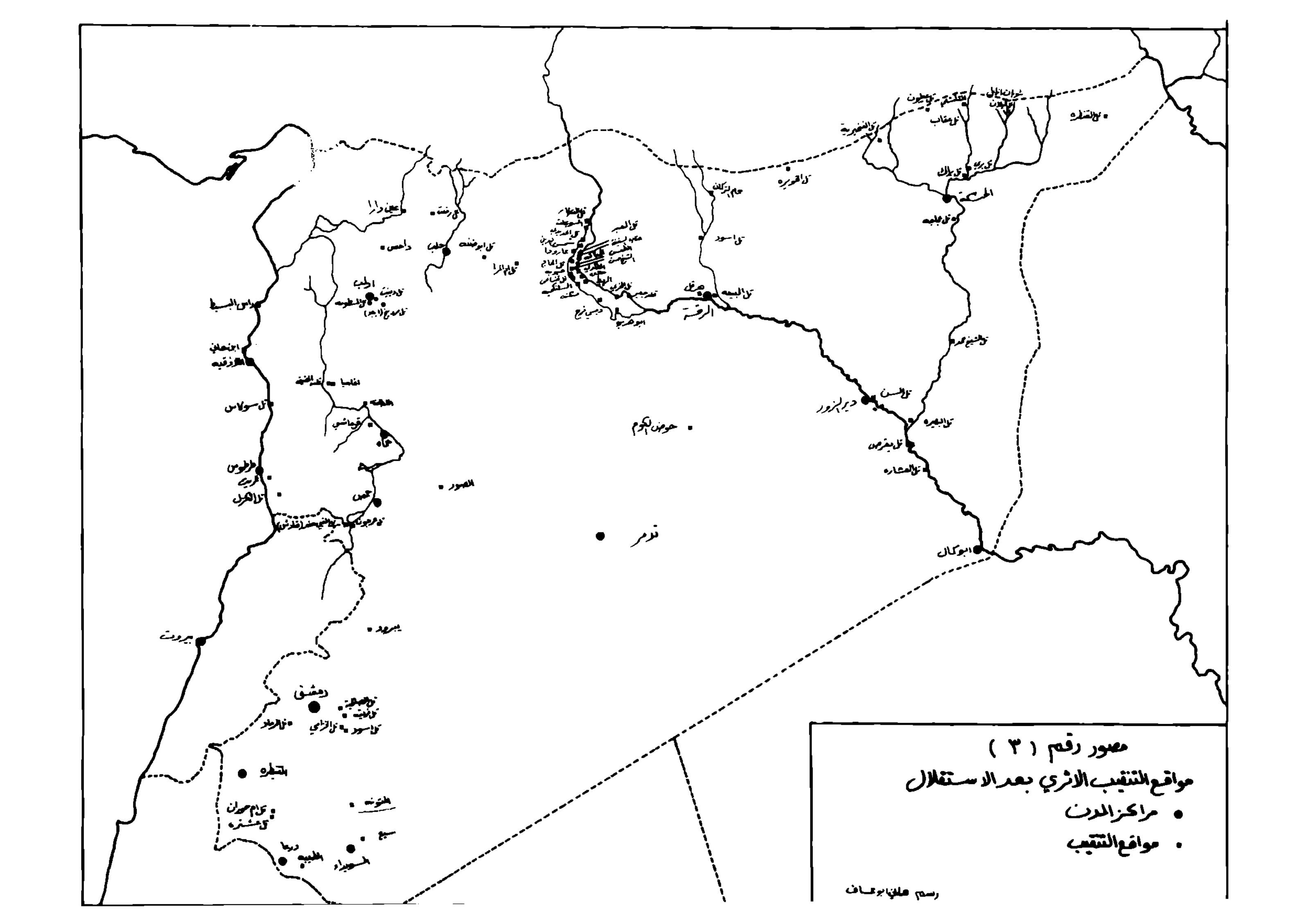
وحتى تستمر عملية التنقيب عن الاثار ، ولتدريب الكادر الفني الوطني ، تعاونت المديرية مع بعثات اجنبية في تنفيذ اعمال مشتركة ، بالاضافة الى استمرار البعثات الاجنبية العاملة في القطر منذ عهد الانتداب بالتنقيب في المواقع المرخص لهم بها .

ومنذ تأسيس المديرية العامة للاثار والمتاحف ، اتبعت منهجا علميا جيدا يخدم فكرة الكشف على تراثنا الحضاري . فشجعت البعثات الاجنبية على العمل في القطر العربي السوري ، وشكلت بعثات وطنية تقوم باعمال التنقيب المنهجية والطارئة .

ولا نبالغ اذا قلنا ، ان العصر الذهبي للكشف على الاثار في سورية ، قد بدأ بعد عهد الاستقلال ، اذ توافدت بعثات اجنبية كثيرة للعمل في القطر الى جانب بعثات وطنية ، وبما ان هذه البعثات لاتزال تعمل ، رأينا استعراضها حسب المحافظات ، حيث توجد مواقع التنقيب الاثرية (مصور ـ ٣ ـ) .



مصور رقم (٢)
مواقع التنقيب في عهد الاستعمار الفرنسي
مراكز المدن
مواقع التنقيب
رسم : هاني ابو عساف
الحسكة
الرقة
دير الزور
ابوكمال
تدمر
حلب
ادلب
انطاكية
اللاذقية
جبلة
حماه
حمص
طرطوس
بيروت
دمشق
القنيطرة
درعا
السويداء


مصور رقم (٣)
مواقع التنقيب الاثري بعد الاستقلال
مراكز المدن
مواقع التنقيب
دمشق
تدمر
حلب
الرقة
دير الزور
ابو كمال
الحسكة
بيروت
حمص
حماه
اللاذقية
طرطوس
رأس البسيط
السويداء
بصرى
يبرود
حوض الكوم
تل البيعة
تل العشارة
تل البقيرة
تل حمص
تل اسود

محافظة السويداء :

التنقيب والبحث عن الاثار ، لازالا في بدايتهما . وقد جرت تنقيبات اثرية بموقعين اثنين هما :

١ ـ **سيع** : مدينة نبطية الى الجنوب الشرقي من بلدة قنوات ، حوالي ٥ كم . تعمل فيها بعثة فرنسية منذ عام ١٩٧٧ ، برئاسة : جان ماري وجاكلين دانتسر Jean Marie et Jacqueline Dantzer

وقد نشرت نتائج موسم التنقيب الاول في الحوليات المجلد ٣٢ (١٩٨٢) .

٢ ـ **المتونة** : تقوم قرية المتونة الحالية فوق مقبرة من العصر البرونزي ، ومن المرجح انها مقبرة القرية الخربة الواقعة الى الشمال من القرية ، وتدعى رجم العيس ، نقب فيها السيد ميشيل مقدسي عام ١٩٨٤ ، وكشف على عدة قبور تعود الى العصر البرونزي الوسيط الثاني وهو يعمل على نشر النتائج .

محافظة درعا :

في محافظة درعا عدد قليل من التلال الاثرية ، لم تستهو الاثاريين ، كما استهوتهم تلال المحافظات الشمالية . وقد جرت تنقيبات اثرية في المواقع التالية :

١ ـ **تل ام حوران** : يقع تل ام حوران بين بلدة نوى وقرية جاسم ، وهو تل طبيعي بركاني ، اقيمت عليه في العصر الروماني مقبرة توسعت فشملت معظم اجزاء التل تقريبا . جرت فيها تنقيبات سرية كشفت على مدفن لامير او محارب بعدته الكاملة ، ومنها خوذتان برونزيتان نادرتان اقتناهما المتحف الوطني بدمشق فيما بعد (١٩٥٤) ، ولما علمت مديرية الاثار بالامر سارعت الى تشكيل بعثة بادارة الاستاذ عدنان البني سبرت

الموقع عام ١٩٥٤ . واهم مكتشفات البعثة قبور تعود الى عصر الاحتلال الروماني ، وقد نشرت النتائج في الحوليات المجلد ٦ (١٩٥٦) .

٢ ـ **تل عشترة :** يقع على بعد ٥ كم الى الجنوب من بلدة نوى ، وعلى بعد ٢٤ كم الى الشمال من درعا ، تل متوسط الحجم . اسـمه مطابق لاسم مدينة عشتروت المذكورة في المصادر المصرية والاشورية . نقبت فيه بعثة وطنية برئاسة الدكتور علي ابو عساف خلال عامي ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ، وكشفت على آثار تعود الى العصر المملوكي والارامي اي الحديدي الثاني والثالث ٩٥٠ ـ ٥٥٠ ق.م والعصر البرونزي الحديث ١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م ، اي العصر الكنعاني المتاخر ، نشرت النتائج في الحوليات المجلدات ١٨ (١٩٦٨) و ١٩ (١٩٦٩) .

٣ ـ **الطيبه :** الى يمين الطريق العام بين درعا وبصرى قرب الحدود الاردنية نظن أن اسمها القديم هو طوبيه او توبيه . كما ورد في حوليات الفرعون تحوتمس الثالث . تل متوسط الحجم ، يعود الى الالف الثاني ق.م . وعلى بعد ٢ كم الى الجنوب الشرقي من الطيبة ، توجد بقايا خربة ، اجرت فيها السيدة ماري كلير كوفان : (M. C. Cauvin) اسبارا كشفت عن الحضارة النطوفية في الموقع الذي يمكن أن يكون مراحا للصيادين يعود الى الالف الثامن ق.م .
الحوليات المجلد : ٢٣ (١٩٧٣) .

محافظة دمشق :

وفي محافظة دمشق ، شروط مناسبة للاستقرار ، التربة الخصبة ، التي يرويها نهرا بردى والاعوج ، وغيرهما من السيول ، سكنها الانسان منذ القدم ، ولا تزال اطلال مواطنه ماثلة أمامنا ، وقد اهتم بعض الاثاريون بها ، وكشفوا على أقدم قرى القطر .

١ ـ **تل الرماد :** يقع الى الجنوب الشرقي مر قطنا وعلى بعد ٢٠ كم الى الجنوب الغربي من دمشق ، نقبت فيه بعثة فرنسية بادارة الاستاذ

هنري دوكانتسون (H. De Contenson) خلال الاعوام ١٩٦٣ — ١٩٧٣ . وكشفت على آثار من العصر الحجري الحديث موزعة على ثلاث طبقات .

الاولى : ٦٢٥٠ — ٦٠٠٠ ق. م. الثانية : ٦٠٠٠ — ٥٨٠٠ ق. م. والثالثة : ٥٨٠٠ — ٥٥٠٠ ق. م. الحوليات المجلدات : ١٣ (١٩٦٣) ، ١٤ (١٩٦٤) ، ١٦ (١٩٦٦) ، ١٧ (١٩٦٧) ، ١٠ (١٩٦٩) ، ٢٠ (١٩٧٠) و ٢٤ (١٩٧٤) .

٢ — **تل اسود** : يستمد اسمه من لونه الاسود الرمادي ، وهو في غوطة دمشق على بعد ٧٠٠ م شرقي قرية جديدة الخاص . نقبت فيه بعثة فرنسية بادارة الاستاذ هنري دوكنتاسيون عام ١٩٧١ و ١٩٧٢ (H. De Contenson) وميزت مستويين سكنيين : الاول من الاعلى : معاصر السوية الاولى في تل الرماد والسوية ٤ آ في المريبط ، وتعود الى الالف الثامن ق. م. اما الثاني ، فمعاصر لفترة ما قبل الفخار ، النيتوليتي وتعود الى الالف السابع ق. م.
الحوليات : ٢٢ (١٩٧٢) ، (٢٧و٢٨) (١٩٧٧ ، ١٩٧٨) .

٣ — **تل الخزامي** : على بعد ٢٥ كم الى الجنوب الشرقي من دمشق ، وعلى بعد ٣ كم الى الشمال الغربي من تل اسود ، اجرت فيه بعثة فرنسية بادارة الاستاذ هنري دوكنتاسيون (H. De Contenson) موسم تنقيب عام ١٩٦٧ ، وكشفت في طبقات التل على بقايا سكنية ، وأدوات صوانية وأدوات حجرية اخرى ، وعظام حيوانات ، وفخار ودمى طينية تعود الى العصر الحجري النحاسي ، للالف الخامس والرابع ق.م . وهي احدث من عصر تل الرماد . الحوليات المجلد : ١٨ (١٩٦٨) .

٤ — **تل غريفة** : يقع على بعد ٣٠ كم الى الشرق من دمشق و ١٥ كم شمال تل اسود ، في وسط سهل من الحقيات الحديثة ، يمتد الى الغرب من بحيرة العتيبة . نقبت في التل بعثة فرنسية بادارة الاستاذ هنري

دوكنتاسيون (H. De Contenson) عام ١٩٧٤ ، تميز فيه طبقتين :
الاولى وهي الاقدم ، سماكتها فوق الارض البكر ٥٠ر٣ م . ووجدت فيها
ادوات صوانية ومساكن ، كانت عبارة عن اكواخ من القصب والطين ،
وتعود الى ٦٧٥٠ ـ ٦٣٥٠ ق. م. الطبقة الثانية ٦٢٥٠ ـ ٦٠٠٠ ق. م.
وهي فوق الاولى ، وفيها نفس الادوات الصوانية ، بالاضافة الى ادوات
الاوبسيدين واستخدام حجر البازلت في صناعة بعض الادوات ، كما عثر
على دمى طينية بشرية وحيوانية ، ويعود تل غريفة كتل أسود الى العصر
الحجري الحديث ، الاول ، الذي سبق صناعة الفخار .

الحوليات المجلد : ٢٥ (١٩٧٥) .

٥ ـ **تل الصالحية** : يقع قرب بلدة النشابية وهو تل كبير
مرتفع . نقبت فيه بعثة سويدية بادارة الاستاذ فوند راوستن
(H. H. Von der Osten)عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ . وقد لفت حجمه
الكبير انظار البعثة اليه بالاضافة الى منحوتة آرامية عثر عليها بالتل ونقلت
الى المتحف البريطاني . اجرت سبرا كبيرا ظهر فيه اثني عشرة طبقة تعود
الى الحقبة الممتدة من نهاية الالف الثالث ق. م. وحتى عصر الاحتلال
الروماني . ويبدو ان الموقع كان مدينة محصنة .

راجع معرض المكتشفات الاثرية لعام ١٩٥٢ .

H. H. Von der Osten / J. Sabeh, Svenska Syrien expeditionen 1952 - 1953 I - Die Grabungen von Tell es - Salihiyeh. Skriter Utgivna av Svenska Institutet i Athen, 4o, IV, 1956.

٦ ـ **يبرود** : اشتهرت مدينة يبرود بكهوفها ، التي تنسب الى العصر
الحجري الوسيط . وقد درسها العالم الالماني الفرد روست (A. Rost)
من عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٣ .

وبعد ذلك باكثر من خمسين عاما ، قدمت بعثة من جامعة كلومبيا
الاميركية ، بادارة الاستاذ رالف سيلكي (R. Solecki) ، وعملت في

الموقع عام ١٩٦٣ – ١٩٦٥ ، وكشفت على آثار من العصر الحجري الوسيط . وفي عام ١٩٦٤ ، كشف احد الفلاحين ، قبراً في موقع خابيه الرشيدي ، الى الشمال الغربي من بلدة يبرود . وعلى الاثر شكلت بعثة بادارة الدكتور علي ابو عساف ، وكشفت تحرياتها على تسعة قبور ، تعود الى العصر البرونزي الوسيط . وفي عام ١٩٦٥ كشفت البعثة على بقايا مساكن ، تعود الى العصر الحجري النحاسي اي الالف الرابع ق. م.

الحوليات المجلدات : ١٦ (١٩٦٦) ، ١٧ (١٩٦٧) و ١٨ (١٩٦٨).
B. Rust, Die Höhlen Funde von Jabrud (1952) .

محافظة حمص :

حظيت محافظة حمص باهتمام الباحثين ، لما فيها من مدن شهيرة ، تردد اسمها في الوثائق المصرية والحثية ، مثل قادش وقطنه ، لذا جرت فيها تنقيبات اثرية مبكرة ، ولا تزال تجرى في عدد من المواقع القليلة جداً .

١ – تل النبي مند (قادش) : بعد التنقيبات الاثرية التي اجرتها بعثة فرنسية خلال اعوام ١٩٢٦ – ١٩٢٧ ، توقف العمل في هذا الموقع الاثري الهام حتى عام ١٩٧٤ ، حيث بدأت بعثة انكليزية برئاسة بتربار (P. J. Parr) التنقيب فيه ، ودلت النتائج على انه ماهولا منذ الالف الثالث ق. م. وحتى الآن .

لم تنشر بحوث حول التنقيب الجديد راجع . (Afo 26 (1978 / 79

٢ – تل عرجون : يقع الى الشمال الشرقي من تل النبي مند ، على بعد ١ كم . وقد اجرت فيه البعثة المنقبة في قادش اسباراً عامي ١٩٧٨– ١٩٧٩ ، وتمكنت من تمييز اربع سويات ، كلها كانت مخربة ، بسبب الحفر والحفريات والمقابر : السوية الاولى : وهي الاقدم فوق الارض لبكر من العصر الحجري النحاسي اي فجر التاريخ ، وفخارها مشابه

لفخار تل حلف والعبيد ، اما السوية الثانية : فتعود الى العصر الهلنستي ، والثالثة والرابعة الى ما بعد هذا العصر .

Afo 26 (1978 / 79) .

٣ ـ **الصور** : يقع على بعد ٤٧ كم ، شمال شرقي حمص ، على الطريق الممتد بين حمص وجب الجراح . في عام ١٩٤٤ زاره السيد P. R. Mauterde وفي عام ١٩٥٣ زارته بعثة برئاسة السيد M. Burckhardt ومعه الاب موريس تالون (Maurice Tallon) وغيره . وفي عام ١٩٥٤ قام الاب تالون Tallon بدراسة اللقى السطحية للتل ، ووصف الموقع . وفي عام ١٩٨٤ قامت بعثة وطنية من دائرة آثار حمص برئاسة الاستاذ ماجد موصلي بالتنقيب في الموقع ، وستنشر دراستها فيما بعد .

الحوليات المجلد : ٦ (١٩٥٦) .

٤ ـ **حوض الكوم** : يقع الى الشمال الشرقي من تدمر حوالي ١٠٠ كم ويضم مجموعة من المواقع الاثرية تقدر بـ ٧٠ موقعا تعود الى العصر الحجري القديم وحتى العصر الحجري الحديث . والتل الرئيسي في قرية الكوم جرت فيه تحريات عام ١٩٦٥ من قبل : فان لون (M. van Loon) ودورنمان (R. Dornemann) ، واثبتت وجود قرية من العصر الحجري الحديث . وبدءا من عام ١٩٧٨ تعمل بعثة فرنسية في المنطقة بادارة جاك كوفان J. Cauvin ويشاركها الدكتور سلطان محيسن واحمد طه وقد نقبت في عدة مواقع بالحوض المذكور .

Archeaology 22 (1969 / 79) ; Chier de L'Euphrate 1 - 3 (1978 ff) .

محافظة حماه :

اشتهرت حماه كعاصمة لدولة آرامية قوية ، هي مملكة حماه ، وبقيت اطلالها ظاهرة للعيان ، على شكل تل كبير يلفت النظر ، لذا قصده

كما قصدوا افاميا الشهيرة ، المنقبون للكشف عليه . وفيما عدا ذلك يمكن القول بأن النشاط الآثاري بهذه المحافظة محدود .

١ ـ **قلعة المضيق** : في سهل الغاب ، شمال غربي حماة ، تقوم فوق التل الاثري ـ الذي هو مدينة نعيبا القديمة ـ قلعة من القرن الثاني عشر ميلادي وبيوت القرية الحديثة ، وقد اجرى السيدان : دومنيك كولون Dominique Collon والاستاذ عبد الرزاق زقزوق تحريات عند نهاية السفح الجنوبي للتل ، كشفت على فخار من عصر العبيد والبرونزي القديم .

D. Collon, Cl. et M. Otte et A. Zaqzuq, Soundages au flanc sud du tell de Qal'at el - Mudiq ; Fouilles d'Apamée de Syrie, fasc. II, 1957 .

الحوليات المجلد : ٢٦ (١٩٧٦) .

٢ ـ **افاميا** : محط انظار العلماء منذ القديم ، وتعمل فيها بعثة بلجيكية بادارة الاستاذ بالتي J. Ch. Balty منذ عام ١٩٦٤ بالاضافة الى بعثة وطنية بادارة الاستاذ عبد الرزاق زقزوق : تتوفر أبحاث كثيرة حول افاميا . نذكر احدثها الذي يحوي ثبت بالمصادر :

Colloque Apamée de Syrie. Billan des recherches archéologiques (1969 - 1971) .

الحوليات الاثرية ٣٢ (١٩٨٢) .

٣ ـ **قرماشي** : تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي ، حوالي ١٥ كم الى الغرب او الشمال الغربي من حماه ، في منطقة جسر النورية . تعود الى العصر الحجري القديم حوالي ٢٠٠٠٠ سنة ق. م. وهو مراح هام ، وجدت فيه ادوات حجرية متنوعة ومتطورة ، ويدل على وجود اكواخ سكنية ، بقايا الاحجار الكبيرة ، التي كانت تسند الاكواخ . نقبت فيه بعثة مشتركة وطنية ـ فرنسية بادارة الاستاذ فرنسيس هور Fr. Hours والدكتور سلطان محيسن عام ١٩٧٩ وعام ١٩٨١ . وقد

اعد الدكتور سلطان محيسن اطروحة دكتوراه تتضمن نتائج التنقيب في قرماشي ، ونشر بحثا عنها في الحوليات ٣٣ (١٩٨٣) .

ـ **اللطامنة** : تقع قرية اللطامنة على نهر العاصي ، ٣٩ كم الى الشمال من حماه ، ويقربها موقع آثري من العصر الحجري القديم . في عام ١٩٦٠ وبالصدفة عثر على عظام فيل بالقرب من القرية . وعلى الاثر تشكلت بعثة بادارة الدكتور عدنان البني والدكتور فان لير (W. J. van Liere) لتحري الموقع .. ثم تعاقبت البعثات على الموقع حتى عام ١٩٦٦ جرت تنقيبات بادارة الاستاذ مودرمن (P. J. R. Moddermen) في الاعوام ١٩٦٠ / ١٩٦١ / ١٩٦٢ . ونقب فان ليري وديزموند كلارك (J. D. Clark) في عام ١٩٦٤ ونقب ديزموند كلارك في عامي ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ .

الحوليات المجلدات : ١٠ (١٩٦٠) ، ١١ (١٩٦١) ، ١٢ (١٩٦٢) ، ١٤ (١٩٦٤) ، ١٥ (١٩٦٥) ، ١٦ (١٩٦٦) .

محافظة طرطوس :

يرجع اهتمام الباحثين بمنطقة طرطوس لرغبة بعضهم بالبحث عن (صمورو) عاصمة المملكة الأمورية القوية التي نشأت في الالف الثاني ق. م. لذا جرت تنقيبات اثرية محدودة قبل عهد الاستقلال . وبعده في هذه المنطقة .

١ ــ **تل الكزل** : يقع تل الكزل ، على الضفة اليمنى لنهر الأبرش ، وعلى بعد ٥ر٣ كم من مصبه في البحر . جرت فيه تحريات أولية عام ١٩٥٦ ثم في عامي ١٩٦٠ و١٩٦١ بادارة الدكتور عدنان البني والفرنسي موريس دونان (M. Dunand) وكشفت على طبقات تعود الى العصور الهلنستية والفارسية ، والعصر الحديدي والعصر البرونزي الاخير .

الحوليات المجلد : ١٤ (١٩٦٤) .

٢ ـ **عمريت** : الى الجنوب الشرقي من طرطوس ، وهي مراتوس في اللغة اليونانية ، وقرت عمروت في المصرية ، وقد لفتت انظار الباحثين عن مدينة صمورو ، اللذين كانوا يتوقعون أن تكون على الشاطيء .

اهم ما فيها التل الاثري الى جانب المعبد ، والقبور ، والمدرج ، التي تعود الى النصف الثاني من الالف الاول ق. م. نقبت فيها بعثة اثرية بادارة العالم الفرنسي موريس دونان (M. Dunand) عام ١٩٢٦ ومنذ عام ١٩٥٤ تجرى تنقيبات بادارة السيد نسيب صليبي واشتراك الاستاذ موريس دونان .

الحوليات المجلدات : ٣ (١٩٥٣) ، ٦ (١٩٥٦) و ١١ (١٩٦١) .

M. Dunand / N. Saliby : Le temple d'Amrith dans la Pérée d'Aradus, B. A. H. 121, 1985 .

محافظة اللاذقية :

بعد ان اكتشفت اجاريت ، المدينة العريقة ، كان طبيعيا ان يزداد نشاط الباحثين الاثاريين في المنطقة فوفدت البعثات اليها ، وجرت اعمال مسح اثرية وتنقيبات في المواقع التالية :

١ ـ **ابن هاني** : يقع ابن هاني على بعد ٩ كم شمال غرب اللاذقية ، شكله مربع ، عليه منارة . يتقدم داخل البحر بـ ٢٥٠٠ م شاطئه الجنوبي رملي في قسمه الشرقي ، وصخري في قسمه الغربي ، شاطئه الشمالي صخري يفصل بين خليجين . كان هـذا التل مدينة هامة في العصر الهلنستي وفي العصر البرونزي الاخير . تنقب فيه بعثة سورية ـ فرنسية بادارة الدكتور عدنان البني وجـان لاغارس (J. Lagarce) ولا تزال الاعمال مستمرة منذ عام ١٩٧٥ ، وفيما يتعلق بالابحاث المنشورة راجع

CRAI (1984) , 398 ff .

الحوليات المجلد : ٢٦ (١٩٧٦) .

٢ ـ **راس البسيط** : يقع على الراس المعروف بهذا الاسم وقد تتمثل فيه مدينة بوزيدايون (Posidion) المذكورة في المصادر اليونانية شمالي مدينة اللاذقية . بدات بعثة فرنسية بادارة الاستاذ كوربان P. Courbin التنقيب في موقع راس البسيط منذ عام ١٩٧١ ولا يزال التنقيب مستمراً . وقد ثبت أن الاستيطان في هذا الموقع مستمر من العصر العباسي نزولا حتى العصر البرونزي الحديث . ويتمثل العصر العباسي بنقود فضية . أما الادوار الاقدم فتتمثل في مبان وأدوات فخارية وغيرها . ونميز في هذا الموقع اواني قبرصية مسينيه مستوردة من بلاد اليونان ، واخرى تقليدا للفخار الهلنستي . ولا بد ان الموقع كان ماهولا قبل العصر البرونزي الحديث بدليل العثور على كسر فخارية تعود الى القرن السابع عشر ق.م .

الحوليات المجلدات : ٢٢ (١٩٧٢) ٢٣ (١٩٧٣) ٢٥ (١٩٧٥) و ٢٦ (١٩٧٦) .

٣ ـ **تل سوكاس** : يقع الى الجنوب من مدينة جبلة على الساحل ، وهو مدينة شوكسي القديمة التي ذكرت في المصادر الاوجاريتية ، ويبدو ان الموقع كان مأهولا منذ العصر الحجري الحديث وحتى الفتح العربي الاسلامي . عملت فيه بعثة دنمركية بادارة الاستاذ ريس (P. J. Riis) منذ عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٧٠ وقد اجرت تحريات محدودة في موقعي عرب الملك وتل جلال . ونشرت تقارير اولية في مجلة الحوليات : ٨ (١٩٥٨) ٩ (١٩٥٩) ١٠ (١٩٦٠) ١١ (١٩٦١) ١٢ (١٩٦٢) ١٣ (١٩٦٣) ثم نشرت الدراسات النهائية في

Publication of the Carlesberg Expedition to Phonicia, P. J. Riis Soukas Iff (1970 ff) .

محافظة ادلب :

خلال الفترة التي سبقت عصر الاستقلال ، كانت التحريات في المنطقة محدودة ، ولولا اكتشاف حوض مزوق بديع في مرديخ عا م١٩٦٣ ، ونقود بتل دينيت عام ١٩٧١ ، لما جرت تنقيبات في المنطقة .

١ ــ تل مرديخ (ايبـلا) : قرب مدينة سراقب على يمين الطريق العام بين حماه وحلب ، ويبعد حوالي ٥٧ كم عن حلب . ظهرت فيه كسر حجرية منقوشة لحوض معبد عـام ١٩٦٣ . تعمل فيـه بعثة ايطالية منذ عـام ١٩٦٤ بـادارة الاسـتاذ بـاولـومـاتيـه (P. Matthiae) ، أهم مكتشفاتها دار المحفوظات ، التي تعود الى نهاية عصر فجر السلالات والعصر الاكدي ٢٦٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق.م .

الحوليات المجلـدات : ١٥ (١٩٦٥) ١٧ (١٩٦٧) ١٨ (١٩٦٨) و ٢٠ (١٩٧٠) بالاضـافة الى منشورات اخرى باللغات الايطالية والفرنسية والانكليزية والالمانية نذكر منها :

Archivi Reali Di Ebla Testi I - VI (1980 - 1985) .

Studi Eblaiti I - IV (1979 - 1981) .

٢ ــ تـل دينيت : يقع الى الشرق ، والجنوب الشرقي من مدينة ادلب ، على بعد ٦ كم منها ، وبسبب هطول الامطار الغزيرة ظهرت نقود كثيرة على سطح التل في عام ١٩٧١ . لذا باشرت بعثة وطنية ، بادارة الدكتور شوقي شعث ، العمل في الموقع منذ عام ١٩٧١ وحتى الآن . ودلت التنقيبات الاثرية على أن تل دِينيت كان موقعا ماهولا في العصور الوسطى .

الحوليات المجلـد : ٣٢ (١٩٨٢) .

٣ ــ داحس : تجاور بلدة سرمدا من الغرب ، الشمال الغربي ، وعلى الطريق العام بينها وبين حارم . تنقب فيها بعثة فرنسية مـن المعهد الاثري الفرنسي ببيروت ، الذي يدرس المدن المهجورة في شمالي سورية ، وداحس واحدة منها وهي تعود الى النصف الثاني من الالف الاول م. وقد هجرت في القرن الرابع عشر م . راجـع :

G. Tate et al. Déhées Syria 57 (1980) .

٤ ـ **تـل المسطومة** : جنوب ادلب حوالي ٦ كم . منذ عام ١٩٨٠ وتنقب فيه بعثة يابانية باشراف السيد ناميو ايغامي **(Namio Egami)** . ويدير البعثة السيد سي ايشي ماسودا **(Sei-Ischi Masuda)** من متحف الشرق القديم بطوكيو . لا تزال الاعمال مستمرة وقد كشفت التنقيبات على آثار من العصر الآرامي ، النصف الاول من الالف الاول ق.م .

N. Egami / S. Masuda, Preliminary Report of Archeaological Reserches in Syria 3 Tell Mastuma : Excavation in Idlib District, Syria (1982) , The Ancient Orient Museum .

محافظـة حلـب :

في المنطقة مئات المواقع والتلال الاثرية ، التي تشهد على صحة ما ذكر من مدن كثيرة في الوثائق القديمة المحلية والاجنبية . لذا قصدها الرحالة والبحاثة لدراستها ، وتحديد هويتها ، ومع ذلك نجد أن التنقيبات الاثرية فيها محدودة ، لولا حملة الانقاذ التي جرت ، للكشف على مواقع منطقة مسكنة ، التي غمرتها المياه الآن :

١ ـ **عين دارة** : في حوض نهر عفرين على ضفته اليسرى حوالي ٧ كم الى الجنوب من بلدة عفرين . في عام ١٩٥٤ اكتشفت منحوتة من الحجر البازلتي لها شكل اسد . ونظرا لاهمية هذا الاكتشاف ، تشكلت بعثة وطنية بادارة الاستاذ فيصل الصيرفي ، عملت في الموقع خلال الاعوام ١٩٥٦ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٤ ، ثم توقفت الحفريات حتى عام ١٩٧٦ ، حيث استأنفت العمل بعثة وطنية بادارة الدكتور علي ابو عساف والاستاذ وحيد خياطه ، واهم المكتشفات الاثرية : معبد يعود الى العصر الارامي ١٢٠٠ ـ ٧٥٠ ق.م .

الحوليات المجلد : ١٠ (١٩٦٠) ١٥ (١٩٦٥) ٣٣ (١٩٨٣) .

٢ ـ **تـل القطار** : على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، حوالي ٣ كم الى الشرق من موقع قشلة يوسف باشا بمنطقة منبج . في عام ١٩٨٢ ،

باشرت بعثة استرالية من جامعة مل بورن ، بادارة السيد توماس مك ليلان (Th. Mc Clellan) ، التحريات بالتل ، ولا تزال مستمرة في اعمالها الموسمية السنوية . وقد كشفت على البوابة الغربية المكسوة بلوحات حجرية كلسية كبيرة تعود الى الالف الثاني ق.م .

W. Culican, Th. Mc Clellan El - Qitar : First season of expedition 1982 , in Abr Nahrain 22 (1983 - 1984) .

٣ ـ **تـل حديدي** : على الضفة اليمنى لنهر الفرات الى الشمال من جبل عارودة يتبع منطقة منبج ، وقد غمر بمياه بحيرة سد الفرات . نقبت فيه بعثة هولندية بادارة الاستاذ هندركون فرنكن (H. Franken) في عام ١٩٧٢ ١٩٧٣ ١٩٧٤ ، ثم تبعتها بعثة اميركية من جامعة مشغن ومتحف ميلوكي بادارة الاستاذ رالف دورنمن (R. H. Dornemann) من عام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨ . وكشفت على آثار هامة تدل على ان الموقع كان ماهولا منذ الالف الرابع ق.م اي في عصر الوركاء . ثم خلال العصور البرونزية من ٣٢٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م حيث انقطع السكن في هذا الموقع حتى العصر العباسي .

Archeaolgy 31 (1978) , 20 - 26. AASO 44 (1979) , 113 - 151 ; Ktema 5 (1980) , 217 - 234 ; BASOR 240 .

٤ ـ **عارودة** : على الضفة اليمنى لنهـر الفـرات بـين الطمس والحديدي ، يرتفع جبل عارودة الى ١٨٠ م فوق السهل المجاور وكانت سفوحه الشرقية والشمالية مسكونة في عصر فجر التاريخ اي في النصف الثاني من الالف الرابع ق.م . وقد خلف لنا اولئك السكان معبدين . بنيا على طراز معابد القناص ، براك والوركاء بالاضافة الى بيوت تتألف من باحة داخلية تحيط بها الحجرات ، وقد عثر فيه على سدادات جرار ممهورة بطبعات اختام مختلفة من نفس العصور .

Djebel Aruda : Phoenix 23 (1977) ; Akkadica 12 (1979) , 33 (1983) .

٥ ـ **تـل الحاج** : يقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، بين موقعي الحديدي وحبوبة الكبيرة ، عملت فيه بعثة سويسرية بادارة الاسـتاذ رالف شتوكي (R. Stucky)خلال عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢ ، فيه طبقـات سكنية من العصور البيزنطية والرومانية والهلنستية ، والحديدية ... الخ . ويبدو أن اقدم طبقة في التل تعود الى عصر فجر التاريخ ومعاصرة لموقع حبوبة الجنوبية ، اما عصر ازدهاره فيعود الى القرن السابع عشر ق.م . اي العصر البابلي القديم .

الحوليات المجلدات : ٢٢ (١٩٧٣) و ٢٥ (١٩٧٥) .
C. Krause et al. Tell el-Hajj in Syrien, Erster Vorläufiger Bericht Grabungskampagne 1971-1972.

٦ ـ **حبوبـة** : تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات بين موقعي قناص في الجنوب وجبل عارودة في الشمال وهو يشمل تلا مرتفعا ، نسميه حبوبة الكبيرة ، ومنطقة سكنية ، الى الجنوب من التل نسميها حبوبـة الكبيرة الجنوبيـة . نقبت فيهـا بعثـة المانيـة مـن جمعيـة المستشرقين الالمان بادارة الاستاذ هنريش والسيدة ايفـا شترومنكر E. Heinirich, E. Strommenger . في حبوبة الكبيرة الجنوبية، كشف على اطلال مدينة من عصر فجر التاريخ ٣٥٠٠ ـ ٣٣٠٠ ق.م معاصرة لمدينة الوركاء في جنوب العراق ، اما في الشمال فقد كشف على بقايا سكنية من العصر البابلي القديم النصف الاول من الالف الثاني ق.م .

الحوليات المجلدات : ٢٠ (١٩٧٠) و ٢٥ (١٩٧٥) .
MDOG 102 (1970) , 103 (1971) , 105 (1973) , 108 (1976) .

حبوبـة كبيرة ترجمة الاستاذ ماجد موصلي وتأليف السيدة ايفاشترمنكر .

٧ ـ **تـل قناص** : يقعُ على الضفة اليمنى لنهر الفرات الى جوار الحبوبة مـن الجنوب . عملت فيهُ بعثـة بلجيكيـة . بادارة الاسـتاذ اندري فينه (A. Finet) منذ عام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٤ بلا انقطاع ، اهـم

مكتشفاتها ، معابد من عصر فجر التاريخ (النصف الثاني من الالف الرابع ق.م) مشابهة لمعابد الوركاء في جنوب العراق ، وعارودة الى الشمال من تل قناص ، وفيه عثر على سدادت طينية مختومة ، عليها صور مختزله ترمز الى كلمات . وهي في مجموعها الوثائق الاقدم لبداية عصر الكتابة .

الحوليات المجلد ٢٢ (١٩٧٢) .

Les fouilles belges de tell Kannâs su l'Euphrate en Syrie (1983) .

٨ ـ **مسكنة (ايمار)** : غنية عن الوصف عملت فيها بعثة فرنسية بادارة الاستاذ جان ماركيرون (J. Cl. Margueron) من عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ ، ثم خلال عام ١٩٧٨ .وكما كانت مسكنه في العصر العباسي مزدهرة وهامة ، وعقدة مواصلات ، بين الجزيرة وبلاد الشام ، كذلك كانت ايمار في الالف الثاني ق.م . كشفت التنقيبات الاثرية على بقايا مساكن وقصور ومعابد ، وعثر فيها ايضا على مجموعة من الرقم ذات الطابع الاقتصادي . بينها رقم كتبت باللغات الاكادية والسومرية والحورية ، تتعلق بامور دينية .

الحوليات المجلد : ٢٥ (١٩٧٥) .

Meskéné - Emar Dix ans travaux 1972 - 1982 ADFF, 1982.

٩ ـ **تل المريبط** : على الضفة اليسرى لنهر الفرات مقابل مسكنة ، عملت فيه بعثة من جامعة شيكاغو الاميريكية بادارة الاستاذ موريس فان لون (M. van Loon) خلال عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، ثم اعقبتها بعثة فرنسية بادارة الاستاذ جاك كوفان (J. Cauvin) من عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٤ ، والموقع مستوطنه من العصر الحجري الحديث شهد اربع مراحل تطوير : الاولى ٨٥٠٠ ـ ٨٢٠٠ ق.م الثانية من ٨٢٠٠ ـ ٨٠٠٠ ق.م الثالثة ٨٠٠٠ ـ ٧٦٠٠ ق.م الرابعة من ٧٦٠٠ ـ ٦٩٠٠ ق.م .

الحوليات المجلدات : ٢٢ (١٩٧٢) و ٢٤ (١٩٧٤) و ٢٦ (١٩٧٦) .
AASOR 44 (1979); J. Cauvin Les Primiers villages de Syrie - Palestine du IX éme au VIII eme millénaire av. J. C. (1978) .

ترجم السيد قاسم طوير الكتاب ووضع له العنوان التالي : الوحدة الحضـ في بلاد الشام بين الالفين التاسع والثامن قبل الميلاد (١٩٨٤) .

١٠ ــ **تـل السلنكحية** : على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، مجاور منعطفه نحو الشرق ، وفي منتصف المسافة بين الحبوبة ومسكنه . عملت فيه بعثة من جامعة شيكاغو الاميركية منذ عام ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧ ، ثم اعقبتها بعثة هولندية من جامعة امستردام وعملت فيه خلال الاعوام ١٩٧٠ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٤ ، وكلاها بادارة الاستاذ موريس فان لون . (M. van Loon) وتعود الطبقات العليا في التل الى العصر الهلنستي ، اما الطبقات السفلى فتعود الى العصر البرونزي الوسيط وفيه مقبرة يعود تاريخها الى العصر البرونزي المبكر الرابع :

الحوليات المجلدات : ١٨ (١٩٦٨) و ٢٣ (١٩٧٣) .

١١ ــ **دبسي فرج** : على الضفة اليمنى لنهر الفرات، بعيدة عن مجرى النهر ، تشرف على حوضه ، نقبت فيه بعثة وطنية بادارة الاستاذ قاسم طوير عام ١٩٧٠ ، ثم حلت محلها بعثة اميركية من جامعتي مشغن وهارفر الاميريكيتين بادارة الاستاذ ريتشرد هارفر (R. Harper) ، حيث نقبت في عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ، وفيها من الآثار قلعة حصينة رومانية حافظ عليها البيزنطيون والعرب بالاضافة الى كنيسة وحمامات .

١٢ ــ **تل رفعت** : على بعد ٣٥ كم الى الشمال الغربي من حلب ، ويظن انه مدينة ارفاد القديمة . زارته بعثة بريطانية بادارة السيدة سيتن وليميز M. V. Seton - Williams عام ١٩٥٠ ، ثم نقبت فيه خلال الاعوام ١٩٥٦ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٤ . وكشف على الطبقات التالية :

الاولى من عصر الاحتلال الهلنستي ــ الروماني .

الثانية من العصر الحديدي الثاني والثالث . كانت المدينة محصنة ، كشفت التنقيبات على بوابتها الشرقية التي تعود الى العصر الحديدي الوسيط أي العصر الآرامي .

الحوليات المجلد : ١٧ (١٩٦٧) . Iraq 23, 1 (961), 29 (1967).

١٣ ــ تل ابو ضنة : يقع على بعد ٢٥ كم الى الشرق من حلب ، وعلى بعد ١٠ كم الى الشمال من سبخة الجبول ، وهو تل كبير مرتفع تنقب فيه بعثة بلجيكية منذ عام ١٩٧٥ برئاسة الدكتور رولاند تفنان (R. Tefnin) وكشفت على الطبقات التالية :

الطبقة الاولى : تمثل تربة صغيرة من عصر الاحتلال الروماني وهي امتداد للطبقة الثانية الاقدم والتي تعود الى بداية عصر الاحتلال الروماني اما الطبقتان الثالثة والرابعة فتنسبان الى العصر الحديدي ١٢٠٠ ــ ٥٣٠ ق.م . يتمثل في الخامسة العصر البرونزي الحديث ، وفي عصر الطبقة السادسة كان الموقع عبارة عن مدينة مزدهرة محصنة تعود الى نهاية العصر البرونزي الوسيط (١٨٠٠ــ١٦٠٠ ق.م) كالطبقة السابعة التي تؤرخ في العصر البرونزي القديم الرابع (٢٢٠٠ــ٢١٥٠ ق.م) .

R. Tefnin Les niveaux supérieurs du tell Abou Danne Chantier A 1977 - 87 SMS 3/3 (1980) .

M. Lebeau La céramique de l'âge du fer II - III à tell Abou Danné ADFF 1983.

١٤ ــ تل ام المرا : يقع الى الشرق الجنوب الشرقي من تل أبو ضنه، بجوار بلدة دير حافر ، وقد نقبت فيه البعثة البلجيكية العاملة في تل ابو ضنه خلال عامي ١٩٧٨ ــ ١٩٧٩ . وميزت فيه الطبقات التالية : الاولى من عصر الاحتلال الروماني ، والثانية تحتها من العصر البرونزي الحديث (١٦٠٠ ــ ١٢٠٠ ق.م) والثالثة معاصرة للطبقة الثالثة في تل مرديخ

٢٠٠٠ – ١٦٠٠ ق.م الطبقة الرابعة تزامن الطبقة الثانية من تل مرديخ IIB1 ٢٤٠٠ – ٢٢٥٠ ق.م

AFO 28 (1981 / 82), 235 - 238.

تعتبر المواقع الاثرية المنتشرة في حوض الفرات الاوسط ، من قشلة يوسف باشا حتى الرقة ، هامة جدا بالنسبة لتاريخ بلاد النهرين ، والاناضول ، وبلاد الشام ، لذا عقدت حلقة بحث ، بمدينة ستراسبورج بفرنسا ، قدمت خلالها بحوث حول نتائج التنقيب الاثري في تلك المنطقة. ونشرت البحوث في مجلد هو مرجع هام لتلك المواقع التي مر ذكرها وغمرتها مياه سد الفرات . لذا اثبته هنا كمرجع لها ولجميع المواقع الاثرية في المنطقة :

Le moyen Euphrate, zone de contacts et d'échanges. Actes du colloque de Strasbourg 10 - 12 mars 1977.

محافظة الرقة :

نالت منطقة الجزيرة ، ما تستحقه من اهتمام ، فوفدت اليها بعثات المسح والتنقيب الاثري ، منذ القرن الماضي ، وحتى هذه اللحظة ، لا تزال موضع اهتمامنا ففي مدينة الرقة ومحافظتها العديد من البعثات العاملة في المواقع التالية :

١ – ابو هريرة (هرايريس) : على الضفة اليمنى لنهر الفرات بعيد عن مجراه نقبت فيها بعثة اسبانية بادارة الاستاذ مارتين الماكرو M. Martin Almagro خلال عامي ١٩٧٢ – ١٩٧٣ كشفت فيه على بقايا معمارية من العصر العربي الاسلامي ، والى الشمال من قرية ابي هريرة عثرت البعثة على بقايا مراح لانسان العصر الحجري الوسيط ، تتمثل بالادوات الصوانية التي كان يستخدمها . وقد استمر الاستيطان فيه خلال العصر الحجري الحديث حيث عثر على بقايا مساكن بسيطة ،

وادوات حجرية ، وعظام حيوانات ، منها الغزال والكلاب والبقر والمعز ، وكلها تعود الى ما قبل الالف السادس ق.م الحوليات المجلد ٢٥ (١٩٧٥).

٢ ـ **تل فري** : على الضفة اليسرى لنهر الفرات الى الغرب من قلعة جعبر . عملت فيه بعثة وطنية بادارة الاستاذ نسيب صليبي عام ١٩٧٢ ، ثم تشكلت بعثة سورية ايطالية بادارة الدكتور عدنان بني وبلولو ماتييه (P : Matthiae) نقبت بالتل عام ١٩٧٣ . وامكن تمييز خمس طبقات سكنية ، تعود الطبقتان الاولى والثانية الى العصر الايوبي ـ العباسي اما الطبقة الثالثة فهي من عصر الاحتلال الهلنستي والطبقة الرابعة هي اهم الطبقات وتعود الى القرن الثالث عشر ق.م . اذ عثر فيها على رقيم يحمل ختم الملك الحثي خاتوشيلي الثالث ومعلونه بودا خيبا . ويبدو ان الطبقة الخامسة من العصر البرونزي الحديث ويستدل من الرقم المكتشفة ان اسم المدينة القديم هو (يخلويشا) .

٣ ـ **حلاوة** : على الضفة اليسرى لنهر الفرات قبالة تل السلنكحية، تجري بعثة المانية من جامعة السار بادارة الاستاذ فن فريدا ورتمن (W. Orthmann) تنقيبات اثرية بالموقع منذ عام ١٩٧٦ . وتدل النتائج التي حصلت عليها البعثة على ان التل كان مدينة مزدهرة في الالف الثالث ق.م . والى جانب الاوابد المعمارية الهامة ، عثرت البعثة على لوحة نذرية من الحجر الكلسي نقش عليها مشهد مائدة ، تعود الى العصر الاكدي ٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ ق.م .

الحوليات المجلد ٣٢ (١٩٨٢) .

Saarb rücker Beiträge Zur Altertumskunde 31 (1981).

٤ ـ **الطاوى** ، تقع قرية الطاوى على الضفة اليسرى لنهر الفرات في الوسط بين تل حلاوة في الجنوب ، والمباقة في الشمال ، وبقربهـا يقع تل جفل ، الذي بقي بعيدا عن مصطول ورفوش المنقبين ، تناولت الحفريات القبور المنتشرة في المنطقة ، والتي تعود الى العصر البرونزي

المبكر ، اذ كشفت خلال الاعوام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨ على اكثر من سبعين قبرا اكثرها كان منهوبا واقلها كان سالما .

Saarbrücker Beiträge Zur Altertumskunde 38 (1980).

٥ ـ **تل الشيخ حسن** : على الضفة اليسرى لنهر الفرات بين موقعي حلاوة في الجنوب ، وممباقة في الشمال . تل صغير ، مساحته حوالي ٣ هكتار نقبت فيه بعثة فرنسية بادارة الاستاذ جاك كوفان (J. Cauvin) ثم بدات بعثة المانية برئاسة الاستاذ يوحنا بوزا (J. Boese) التنقيب عام ١٩٨٤ ، وذكرت البعثة ان في الموقع آثار مشابهة لآثار الطبقة الثالثة في المريبط ٨٠٠٠ ـ ٧٦٠٠ ق.م واخرى من نهاية الالف الرابع ق.م (عصر الوركاء) = عارودة ، وحبوبة الجنوبية .

Les Primiers villages de Syrie - Palistine du IX éme au VIII éme Millénaire av. J. C. (1978) .

٦ ـ **الممباقة** : على الضفة اليسرى لنهر الفرات يقابله موقع الطمس على الضفة اليمنى . بدات بعثة المانية بادارة الدكتور ارنست هنرش (E. Heinrich) التنقيبات عام ١٩٧٠ ، ثم تالفت بعثة المانية اخرى بادارة الدكتور أورتمن (W. Orthmann) نقبت في الموقع عام ١٩٧٣ . وهي نفس البعثة التي كانت تعمل في موقع حبوبه ، ولا تزال بعثة المانية ثالثة برئاسة السيد مخوله (D. Machule) تنقب في الموقع حتى الآن مع فترات انقطاع . يبدو من النتائج التي حصلت عليها البعثة ان الموقع هام ، فيه معابد وحجرات محفوظات عامة وخاصة ، واهم ما كشفته التنقيبات هي البوابة الشمالية للمدينة التي لا تزال قائمة وتعود الى الالف الثانية ق.م .

الحوليات المجلدات : ٢٠ (١٩٧٠) و ٢٥ (١٩٧٥) .

MDOG II6 (1984).

٧ ـ **تل اسود** : في حوض البليخ ، على بعد ٨٠ كم شمالي الرقة ، و ٢٠ كم جنوب تل ابيض ، على الضفة اليسرى لنهر التركمان ، أحد روافد البليخ . نقب فيه العالم الانكليزي مالوان (Mallowan) ثم قامت بعثة فرنسية بادارة الدكتور ج. كوفان (J. Cauvin) بالتنقيب عام ١٩٧١ ، واجرت سبراً من قمة التل حتى قاعدته ، وقسمته الى ثمان درجات ، ولم تعثر في السويات ١ ـ ٦ على مساكن وفخار وعظام حيوانات ، اما السويتان الاخريان ٧ ـ ٨ فحوتا على فخار أسود لامع يعود الى الالف السادس ق.م . علما بأن مالوان (Malloan) كان قد نسب الطبقة العليا من التل الى عصر تل حلف .

الحوليات المجلد : ٢٢ (١٩٧٢) . Paléorient I,2.

٨ ـ **تل العبد** : يقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، الى الشمال من تل المباقة ، ويقابله تل حديدي على الضفة اليمنى ، عملت فيه بعثة وطنية بادارة الدكتور عدنان البني من عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ وكشفت على ثلاث طبقات سكنية ، الاولى : من النصف الثاني للالف الاول ق.م ، والثانية من مطلع الالف الثاني ق.م . اما الطبقة الثالثة : فتعود الى النصف الثاني من الالف الثالث ق.م . الحوليات المجلد : ٢٤ (١٩٧٤) .

٩ ـ **شمس الدين (طنيرة)** : ممتد على الضفة اليسرى لنهر الفرات، قليل الارتفاع اجرت بعثة من الجامعة الاميريكية في بيروت بادارة السيدتين سلمى راضي وهيلغا زيدن (H. Seeden) تنقيبات اثرية في هذا الموقع الذي يعود الى عصر تل حلف ، وهو من أهم المواقع التي تعود لهذا العصر.
Perytus 28 (1980), 29 (1981), 30 (1982).

١٠ ـ **السويحات** : على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، قبالة قرية الرميلة ، فوق هضبة مرتفعة تتحكم بحوض النهر . اجرت بعثة بريطانية من متحف اشمولين بمدينة اكسفورد عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٥ موسمي تنقيب بادارة الاستاذ هولاند (T. A. Holland) ، ودلت النتائج على ان الموقع

كان مدينة محصنة ذات اهمية بالغـة ، خلال النصف الاخيـر من الالف الثالث ق.م. وبعد انقطاع استوطن من جديد في العصر البرونزي الوسيط، وكذلك العصر البرونزي الحديث والحديدي وبقي موقعا عاديا في عصر الاحتلال الهلنستي . وقد قسمت الطبقات على النحو التالي :

الاولى : نهاية عصر الاحتلال الروماني ٣٥٠ — ٤٠٠ م

الثانية : بداية عصر الاحتلال الروماني ٧٥ — ١٥٠ م

الثالثة : عصر الاحتلال الهلنستي ٣٠٠ — ٢٥٠ ق.م

الرابعة : من العصر البرونزي الوسيط ٢٠٠٠ — ١٩٠٠ ق.م

الخامسة : نهاية العصر البرونزي القديم ٢٢٠٠ — ٢٠٠٠ ق.م .

السادسة : العصر البرونزي القديم ٢٤٠٠ — ٢٢٠٠ ق.م .

A F O 26 (1978 / 79).

١١ — هرقلة : تقع هرقلة على بعد ٨ كم الى الغرب من مدينة الرقة على ضفة الفرات اليسرى تنقب فيها بعثة وطنية بادارة الاستاذ قاسم طوير منذ عام ١٩٧٦ . واستهدفت توضيح معالم الموقع الذي يتألف من بناء مربع يحيط به سور دائري . والباقي من هذا الموقع، السور الدائري مع بواباته الاربع . وهي متهدمة . لم يبق منها سوى اساساتها ، والبناء القائم الآن هو المصطبة العاليةالتي من المرجح أن هارون الرشيد قد أعدها لتكون قاعدة لبناء كبير فوقها .

الحوليات المجلدات : ٢٧—٢٨ (١٩٧٧ و ١٩٧٨) و ٣٣ (١٩٨٣) .

١٢ — الرقة : بدأت الحفريات في مدينة الرقة وجوارها عام ١٩٤٤ وفي عام ١٩٥٠ تشكلت بعثة برئاسة الدكتور سليم عادل عبد الحق ونائبه السيد صليبي ، بدأت بالكشف على القصر ب . وفي عام ١٩٥٢ استمر السيد صليبي بالعمل ، وأنهى الكشف على القصر ب ، وبدأ بالكشف على القصر ج في عام ١٩٥٣ ، ثم انتقل للعمل في القصر (د) خلال الاعوام ١٩٥٤ و ١٩٥٨ . وفي عام ١٩٦٦—١٩٦٩ قامت بعثة وطنية برئاسة الاستاذ قاسم الطوير بمتابعة الكشف على القصر (آ) وفي عام ١٩٧٧ بدأت نفس البعثة

بكشف وترميم قصر البنات ولا يزال العمل مستمرا . ومنذ عام ١٩٨٢ يقوم المعهد الاثري الالماني في دمشق بأعمال التحريات الاثرية في منطقة القصور العباسية شمالي الرقة . باشراف السيد ميخائيل ماينيكا
M. Meinicke

١٣ ـ تل البيعة : يقع هذا التل الكبير بجوار مدينة الرقة من الشرق، الشمال الشرقي ، وهو منسوب الى البيعة أي الكنيسة . ويرجح انه مدينة توتول المعاصرة لمدينتي ايبلا وماري . تجري فيه بعثة المانية باسم جمعية المستشرقين الالمان تنقيبات منذ عام ١٩٨٠ . وقد اتضح من نتائجها المعروفة حتى الآن ان المدينة كانت عامرة في النصف الاول من الالف الثالث ق.م وفي العصر البابلي القديم حوالي ١٩٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م . اما في عصر الاحتلال الروماني فقد تضاءلت اهمية الموقع . تدير البعثة السيدة ايفا شترو منكر (E. Strommenger) .
MDOG 113 (1981), 116 (1984).

١٤ ـ حمام التركمان : على الضفة اليسرى لنهر التركمان ، احد روافد البليخ يرتفع حوالي ١١ م فوق الاراضي المجاورة . مساحته ٣ هكتارات . اجري فيه ملوان (Mallawon) تحريات في عام ١٩٣٨ . وتجري بعثة هولندية بادارة الاستاذ فان لون (M. van Loon) تنقيبات اثرية في الموقع منذ عام ١٩٨٢ . (Akkadica 27 (1982) .

١٥ ـ عناب السفينة : يقع الى الجنوب من تل العبد ، يفصله عنه وادي ينتهي الى نهر الفرات . تنتشر على سطح الموقع كسر فخارية من عصر العبيد . وقد كشفت التنقيبات الاثرية على مقبرة من عصر الاحتلال الروماني ـ البيزنطي وكان من بينها ضريح هام نقل الى قلعة جعبر . فيه نقبت البعثة الوطنية التي نقبت في تل العبد .

الحوليات المجلد : ٢٤ (١٩٧٤) .

١٦ ـ **قلعة جعبر** : على الضفة اليسرى لنهر الفرات فوق مرتفع صخري على بعد ١٠ كم الى الغرب من سد الفرات . جرت فيها اعمال ترميم باشراف المهندسين ربيع دهمان ويوسف جبلي وتنقيب باشراف الاستاذ عبد الرزاق زقزوق . وهي من العصر العباسي / السلجوقي .

١٧ ـ **الطمس** : على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، نقبت فيه بعثة هولندية بادارة الاستاذ فرانكين (H. J. Franken) وكشفت على آثار من العصر الاموي (القرن الثامن) ، ومن العصر الايوبي (القرن ١٢ ـ ١٣) بالاضافة الى آثار من عصر الاحتلال البيزنطي .

١٨ ـ **تل الخويرة** : يقع تل الخويرة في منتصف المسافة بين بلدتي راس العين وتل ابيض ، وهو تل كبير لفت اليه انظار الرحالة الذين زاروا المنطقة، ومنهم البارون فراي هر فون اوبن هايم (F. V. Oppenheim) الذي نقب في تل حلف ، وبنى متحفا في برلين اسماه متحف تل حلف ومع الاسف فقد دمر المتحف خلال الحرب العالمية الثانية . وبعد وفاته نذر جزءا من ثروته لاغراض التنقيب على الاثار في الجزيرة ، وكلف بهذا العمل العلمي الهام الاستاذ الدكتور انطون موورتكات (A. Moortgat) الذي قدم على راس بعثة من المانية الاتحادية الى سورية عام ١٩٥٥ ، فنقب بتل الفخيرية ثم انتقل الى تل عيلون عام ١٩٥٧ ، واخيرا استقرت البعثة في تل خويرة وبدات في التنقيب عام ١٩٥٨ ، وبعد وفاته عام ١٩٧٧ ، تابعت عمله زوجته السيدة اورزولا موورتكات كورنس (U. Moortgat - Correns) بالاشتراك مع الاستاذ فن فريد اورتمن (W. Orthmann) ، وكان البحاثة الفرنسي جان لوفرية قد اجرى فيه اسبارا صغيرة عام ١٩٥٥ ، ويبدو ان الموقع قد استوطن في الالف الرابع ق.م واستمر السكن فيه حتى منتصف الالف الثاني ق.م . وهجر منذ ذلك الحين وفيه من الاوابد : معبد يعود الى عصر فجر السلالات ، والاخر يسمى المعبد الشمالي ، يعود الى النصف الاول من الالف الثاني ق.م .

الحوليـات المجلـدات : ٤ (١٩٥٤) و ٥ (١٩٥٥) و ٢٨/٢٧ (١٩٧٧/٧٨) .

كما اصدرت سلسلة من التقارير من عام ١٩٥٨ ـ ١٩٧٦ نشـرت تحت العنوان التالي :

A. Moortgat, Tell Chuera In Norost-Syrien

محافظة دير الـزور :

وجه الباحثون اهتمامهم لمنطقة ديرالزور منذ عشرات السنين ، وقد تركز التنقيب في ماري ثم انتشر الى مواقع اخرى مثل :

١ ـ السن : على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، ويبعد حوالي ١٠ كم الى الشرق من دير الزور . وهو تل كبير ، نقبت فيه بعثة برئاسة الاستاذ اسـعد محمود وكشـفت على بعض القبـور التي تعـود الى القـرن الرابع ميلادي ، والمعروف ان تل السن هو مدينة من العصر البيزنطي . وبعد ان نقبت فيه بعثة بادارة السيد رودن برك (J. J. Roodenberg) عام ١٩٧٨ ، ثبت ان اقـدم طبقات التل مـن العصر الحجري الحديث مثل بقرص

Anatolica 7 (1979 - 1980), 21 - 33.

٢ ـ الشيخ حمد : على ضفة الخابور اليسرى . وفي عام ١٩٧٧ عثر فيه مصادفة على رقم اهتمت بها بعثة المانية استكشافية ، قررت العمـل في الموقع برئاسـة السيد هـارت مووت كينه (H. Kühne) وولف رولش (W. Röllig) ، ولا تزال الاعمال مستمرة في هذا التل الذي كان اسـمه في القديم (دور كتليمو) . الـذي كانت مقرا لوالي آشوري في القرن الثالث عشر ق.م وتبين من المحفوظات والوثائق التي اكتشفت فيه ، وتعود الى عصر الملكين الاشوريين ، شولمانو اشيرد (سلما نصر الاول) ، تيكولتي نينورتا الاول انها كانت مركزا تجاريا هاما

AFO 28 (1981 / 82). 233 - 235.

٣ ـ تل العشارة : هو الاسم الحديث للقرية الواقعة فوق التل الاثري ، الذي كان مدينة ترقا القديمة وذكرت في كثير من الوثائق الابلوية والبابلية وارشيف ماري . تقع ترقا في وسط المسافة بين ماري ومصب الخابور في الفرات . حفرت فيها بعثة فرنسية بادارة العالمين : توروادان جان (Fr. Thiraeu - Dangin) ودورمي (R. P. Dhorme) عام ١٩٢٣ ، وبقيت اطلال ترقا دون مساس حتى استأنف السيد جورجي بوتشيلاتي (G. Buccellati) اعمال التنقيب في الموقع عام ١٩٧٤ ، ولا يزال العمل مستمراً حتى الان ، والمعروف ان ترقا كانت ذات اهمية بالغة في الالفين الثاني والاول ق.م .

الحوليات المجلدات : ٢٧ـ٢٨ (١٩٧٧ ـ ١٩٧٨) و ٣٢ (١٩٨٢)

٤ ـ البصيرة : على الضفة اليمنى لنهر الخابور قرب مصبه بنهر الفرات . وكانت مدينة معروفة من العصر الروماني القيصري ، وتغطي جزءاً منها القرية الحالية . جرت فيها تنقيبات محدودة عام ١٩٧٧ ، كشفت على آثار من العصر الايوبي ، وكانت البعثة المنقبة برئاسة الاستاذ اسعد المحمود ولم ينشر شيء عن نتائج التنقيب بعد .

٥ ـ بقرص : على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، قبالة مصب الخابور به ، ويبعد حوالي ٤٠ كم الى الجنوب من مدينة ديرالزور ، نقبت فيه بعثة فرنسية عام ١٩٦٥ برئاسة السيدين : هنري دوكنتاسيون (H. De Contenson) وفان ليري (W. J. Van Liere) ، ثم بعثة هولندية من جامعات امستردام وكرونينك منذ عام ١٩٧٦ . وهي بادارة السيد فان لوون (M. van Loon)

Collöque « Préhistoire du Levant » (1980). AFO 26 (1978 / 79).

الحوليات المجلدات : ١٦ (١٩٦٥) ٣٢ (١٩٨٢) .

محافظة الحسكة :

وكما ذكرت ، كان اقليم الجزيرة ، ومنه محافظة الحسكة محط

انظار الباحثين الذين توافدوا عليها لاغراض شتى . منها التنقيب الاثري الذي جرى ، ويجري في المواقع التالية :

١ ــ **تل براك** : يقع على الضفة اليمنى لنهر جغجغ الى الشمال الشرقي من مدينة الحسكة ، وهو تل كبير في سهل خصيب ، كانت فيه بحيرة سماها الروماني بحيرة براك ، وقد جذب اليه انظار الباحثين الاثاريين منذ عام ١٩٣٧ كما اسلفنا ، وبعد توقف دام اكثر من اربعين عاما عادت بعثة انكليزية من جامعة لندن برئاسة الاستاذ اوتس (D. Oates) للعمل في الموقع منذ عام ١٩٧٨ . Iraq 39 (1977).

٢ ــ **تل ليلان** : يقع على بعد ٢٥ كم الى الجنوب من بلدة القامشلي وهو تل كبير يلفت الانظار . تنقب فيه بعثة امريكية من جامعة ييل ، بادارة الاستاذ هارفي فايس (Harvey Weiss) منذ عام ١٩٧٨ . وهو مدينة شوبات انليل عاصمة شمشي هدد الاول ملك اشور (١٨١٥ ــ ١٨٧٢ ق.م) ، والموقع ماهول قبل هذا التاريخ اي منذ ٥٥٠٠ ق.م ، واستمر فيه الاستيطان حتى الالف الثاني ق.م .
AFO 28 (1980 / 82) 226 - 229.

٣ ــ **تل الفخيرية** : جوار بلدة رأس العين في الجنوب . تل كبير تغطية المقابر الحديثة والمزارع ، وقد ظن المستشرقون انه مدينة واشو كاني عاصمة الدولة الميتانية ، وتأسيسا على ذلك ، اجرت بعثة اميريكية بادارة الاستاذ مك ايفن (C. M Mc Evan) حفريات في الموقع عام ١٩٤٠ ، ثم قام الاستاذ انطون مورتكات (A. Moortgat) وبعثته بالتنقيب خلال عامي ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ ليحقق حلم البارون اوبنهايم في الكشف على مدينة واشوكاني . ظهر من التنقيبات ان المدينة كانت محصنة وهامة ، وعثر فيها مصادقة على تمثال هدد يسمى ملك جوزن المجاورة لها من الغرب ، وتبين ان اسم الموقع سيكاني . وقد يكون تحريفا لاسم واشو كاني .
A. Moortgat, Archäologische Forschungen Der Max Freiherr von Oppenneim - Stiftung Im N ördlichen Mesopotamien (1956 - 1957).

الحوليات المجلدات : ٦ (١٩٥٦) و ٧ (١٩٥٧) و ٣٢ (١٩٨٢)

٤ ـ تل برى (كحت) : يقع تل برى على الضفة اليسرى لنهر جمجغ الى الشمال من تل براك حوالي ٨ كم ، في عام ١٩٦٦ و ١٩٧٦ عثر فيه على كسرتين من حجر بازلت عليها كتابة لتيكولتي نينورتا الاول ، ذكر فيها انه بنى قصرا في مدينة كحت . ومنذ عام ١٩٨٠ تجري بعثة ايطالية بادارة الاستاذين بيكوريلا وسالفيني (P. E. Pecorella - M. Salvini) تنقيبات اثرية بالموقع .

الحوليات المجلدات : ١١ (١٩٦١) و ١٢ (١٩٦٢)

AFO 21 (1981 / 82).

٥ ـ عيلون : يجاور بلدة الدرباسية من الشمال . وهو من التلال الكبيرة في محافظة الحسكة ، يرتفع الى ٣٥ م فوق السهول المجاورة . عملت فيه بعثة المانية بادارة الاستاذ مورتكات (A. Moortgat) عام ١٩٥٦ وتبين لها ان التل يضم طبقات سكنية متعاقبة تمتد من عصر تل حلف وحتى نهاية الالف الثاني ق.م

A. Moortgat, Archäologische Forschungen der. Max Freiherr von Oppenheimstiftung Im Nördlichen Mesopotamien (1956).

الحوليات المجلد : ٧ (١٩٥٧) .

٦ ـ تل عقاب : يقع الى الشمال من الحسكة في وادي دارة ، والى الشمال من تل شاغر بازار (حطين) . وهو تل صغير يعود الى العصر الحجري النحاسي (اي عصر فجر التاريخ) المتميز بحضارتي تل حلف والعبيد ، والجدير بالذكر ان تتابع الطبقات السكنية في هذا التل مشابه لتل عربجية في العراق ، لم يدم عصر العبيد الا وقتا قصيرا ، بينما امتد عصر تل حلف لعدة قرون ، وبعد عصر العبيد انتهى السكن في هذا الموقع الى الابد . نقبت فيه بعثة انكليزية في عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ برئاسة الاستاذ توماس ديفيد سون . (Th. E. Davidson)

AFO 26 (1978 / 79).

٧ ـ تل عجاجة : يقع على بعد حوالي ٣٠ كم الى الجنوب من مدينة الحسكة ، على الضفة اليمنى لنهر الخابور وكان اسمه حتى مطلع هذا القرن عربان التي تردد اسمها عند الرحالة العرب ، اما اسمه القديم فهو (شادوكاني) المار ذكرها في المصادر الاشورية . اثناء عمل السيا اوستن هنري لايرد (Austen Henry Layard) في النمرود (كلخو تجول في منطقة الجزيرة ، وفي عام ١٨٥٠ وصل الى عربان ، وعلم من السكان بوجود منحوتات في التل فتحرى عنها ، وكشف عليها ، وبقي التل بعيدا عن الانظار حتى عام ١٩٨٢ ، حينما ظهر تمثالان لثور مجنح وثور اخر يقف امام شجرة ومنذ ذلك الحين يتولى السيد اسعد المحمود التنقيب في الموقع .

٨ ـ تل قنيطرة : يقع الى الشرق من مدينة القامشلي ، على بعد ٦٠ كم منها . نقبت فيه بعثة وطنية بادارة الاستاذ اسعد المحمود عام ١٩٧٦ ، وكشفت على اثار من الالفين الثالث والثاني ق.م. لم تنشر النتائج بعد . راجع

AFO 26 (1978 / 79).

وهكذا نرى في هذا الفصل سردا للمواقع الاثرية التي سبرتها جهود المنقبين الباحثين ، واشارات الى اثارها وعصورها دونما تسلسل .

وفي الفصل التالي نحاول ترتيب نتائج التنقيب في عصور زمنية متلاحقة مترابطة ، ونحاول من خلالها رسم صورة واضحة لمراحل تطور حضارة بلادنا عبر اجيال تعاقبت عليها ، فلذ لها السلام والغزو ، التشييد والتهديم منذ ان استقرت قبائلها ، وتجمعت في اماكن استيطان جديدة ، اي منذ العصر الحجري الحديث ، الذي ردت اليه نتائج التنقيبات الاثرية بداية الحضارة ، اي استقرار الانسان ، وارتباطه بالارض وبنائه اول المساكن البشرية بدل للجوء الى الكهوف الطبيعية .

الفصل الثاني

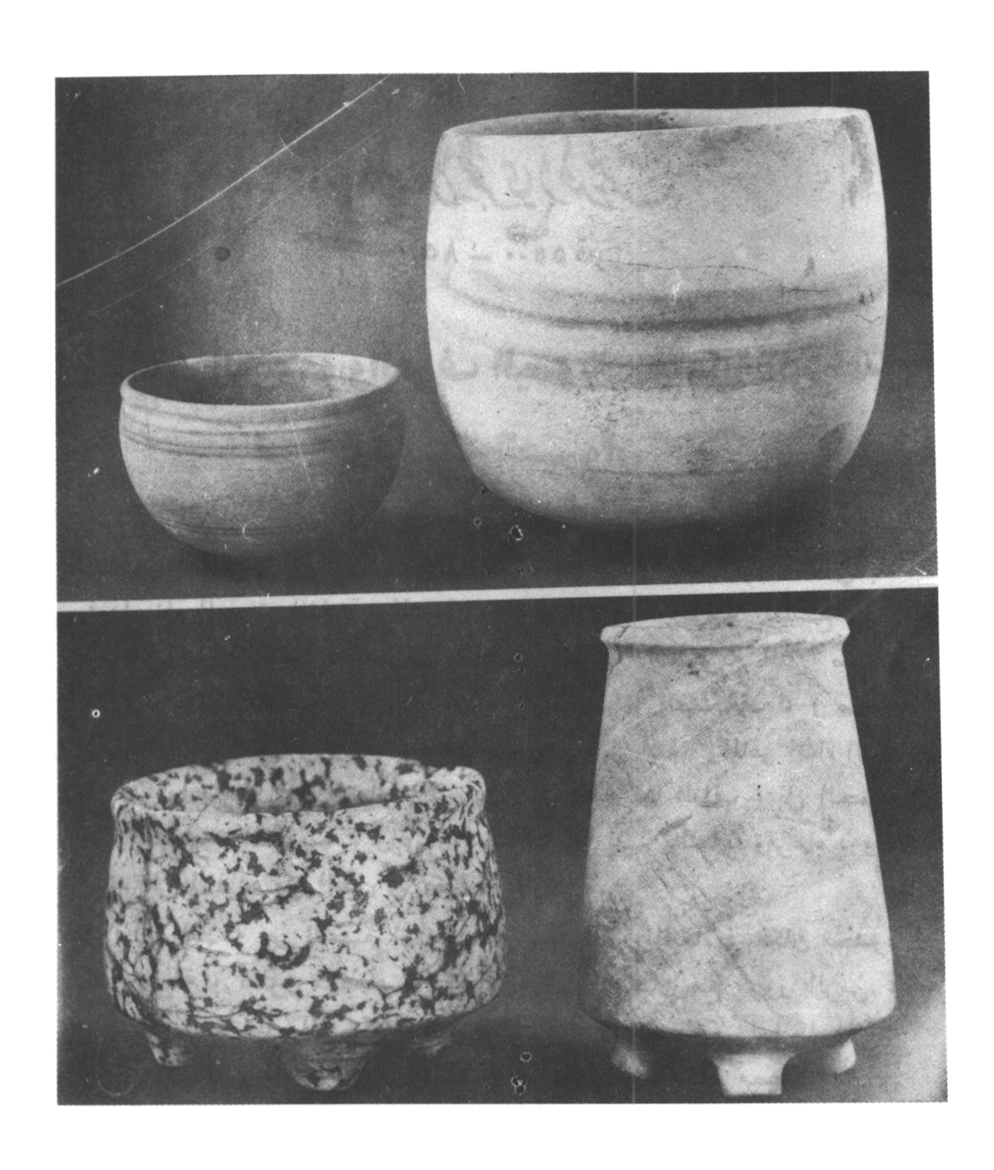
أ- العصر الحجري الحديث

٨٥٠٠ – ٥٥٠٠ ق.م

نشوء القرى ، والحرف اليدوية ، وبداية الزراعة وتربية الحيوان

مر استقرار الانسان بمراحل طويلة ، كان آخرها المرحلة التي بدأ فيها بناء البيوت الثابتة والمتينة ، قبيل منتصف الالف التاسع ق.م ويتميز هذا العصر باستعمال الانسان الاواني الحجرية التي صنعها مثل : **المفارك الحجرية ، الاجران ، القصعات ، الصحائف** ، (صورة رقم ١) . وكذلك في زرب بعض الحيوانات مثل البقر والماعز اثناء الليل ثم يتركها ترعى اثناء النهار ، من دون ان يقدم لها العلف ، بل الحماية من الحيوانات المفترسة . والى جانب ذلك بدأ يهتم بالنبات ويرعاه . ولم يهتد الى الافاده من الطين في صناعة الاواني .

ان العلاقة بين الاستقرار والانتاج سببية . فالبقاء في مكان محدود لمدة طويلة ، تقترن بمصاعب غذائية ، لان الانسان مع مرور الزمن ، يستهلك النباتات والحيوانات البرية المتوفرة في محيطه . لذا كان لزاما عليه الا يكتفي بالصيد ، والتقاط النبات ، بل ايجاد مصادر اخرى تعينه في الحصول على غذائه حتى لا يضطر الى ترك مكانه ، وهجر البيوت التي بناها بجهده ، بما فيها من ممتلكات معقولة . فبدأ بتربية الحيوانات ، وزرع المحاصيل ، وتصنيع الادوات اللازمة لذلك . وقد ادى هذا الانقلاب في حياة الانسان الى تنظيم الحرف . فكان لا بد من



الصورة رقم ١

ان يحترف البعض رعي الحيوان ، والبعض الآخر الزراعة ، وغيرهم تصنيع الادوات ، وقد رافق ذلك توسع في اماكن الاستيطان ، وتحويلها الى قرى كما سنرى . من استعراضنا لمواقع هذا العصر في سورية .

من ضفاف الفرات نبدأ حيث هجرت بعض القبائل ، او العشائر ، حياة التنقل ، واستقرت على ضفاف النهر ، في بقعة يتوفر فيها الماء والغذاء ، ونسميها مراحا تحول مع مرور الزمن الى قرية مثل :

تل المريبط :

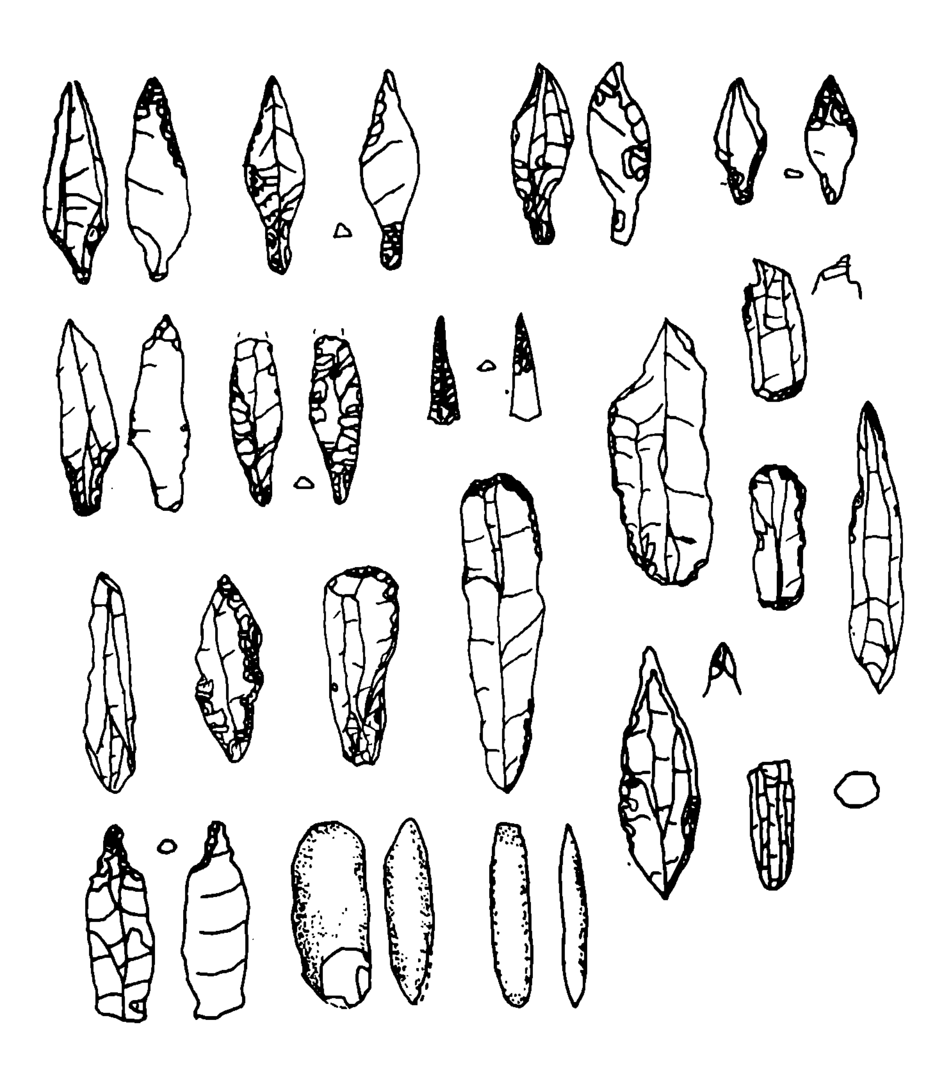
قرية من الدور الحجري الحديث ، اوضحت التنقيبات الاثرية كيفية تطورها على مراحل ثلاث :

ففي المرحلة الاولى : ٨٥٠٠ ــ ٨٢٠٠ ق.م ، سكن الانسان اكواخا دائرية ، نصبت في حفرة ، كسيت جوانبها بالطين ، حتى لا تنهار ، وبنيت من اغصان واعواد الحور والطرفاء ، والقصب ، التي كانت تنبت على ضفاف نهر الفرات ، وتأوي الخنازير والايلة ، كما كانت البادية ، على ضفة الفرات اليمنى المقابلة تأوي الغزال وحمار الوحش ، والثور في مراعيها ، فاصطادها الانسان ليأكل لحمها ، ويلبس جلودها ، ويصنع من عظامها بعض أدواته . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فقد التقط سمك الفرات واصدافه .

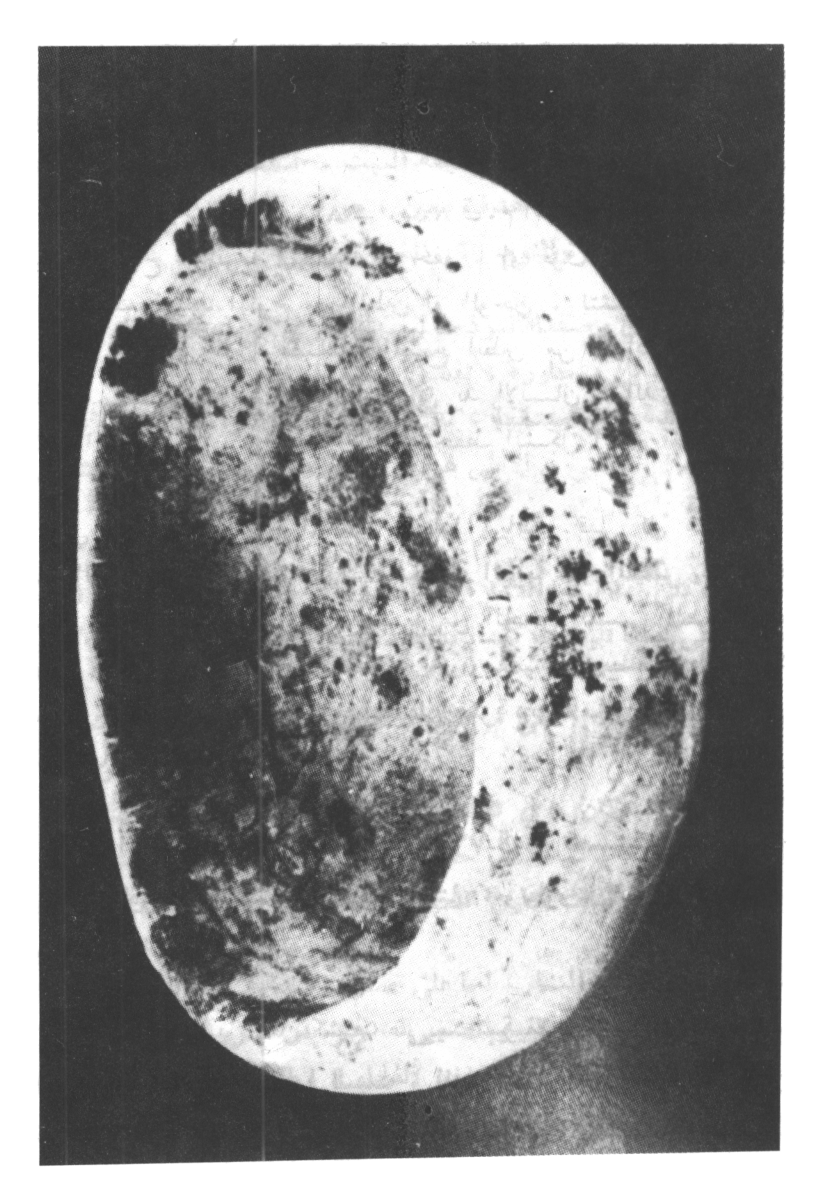
ولم يتغذ من لحوم الحيوانات فقط ، بل من الحبوب والنباتات البرية التي كانت تنبت في السهول الخصبة المجاورة .

لقد كان الانسان صيادا ، ولاقطا ، وحرفيا ، يصنع ادواته الضرورية للصيد ، واللقاط ، والحصاد ، وتحضير الغذاء ، ومواد البناء من الصوان . وغالبا ما كانت هذه الادوات صغيرة وحادة جميلة ، مقابضها عظمية او خشبية . ونميز من بينها المناجل ، المثاقب ، السهام والمكاشط والفؤوس لقطع الاشجار ، والمفارك الحجرية لطحن الحبوب ، والمخارز

لخرز الجلود (صورة ٢) . اما الانية فكانت حجرية معظمها من الحجر الكلسي او البازلتي ، وقليلها من الحجر الرخامي . (صورة ٣)



الصورة رقم ٢



الصورة رقم ٣

تصنيع الحجر حرفة قاسية ، تتطلب مهارة ودقة ، تميز بهـا انسان المريبط ، الذي قطع الحجارة الجيرية والرخامية الى كتل صغيرة وصقلها ، وصنع منها حبات العقود ، كما صنع من الاصداف عناصر مختلفة للزينة .

وفي المرحلة الثانية : ٨٢٠٠ ــ ٨٠٠٠ ق.م استمر تطور هذه القرية ، فبقيت الاكواخ الدائرية منصوبة في حفر ، او فوق الارض . وفي هذه الحالة بنيت قواعد الكوخ من الطين او الوحل . لتثبيت اعمدة الكوخ الخشبية . ومن الان فصاعدا اصبح الطين من المواد الاساسية في العمارة . فالطين مادة طرية طيعة في يد الانسان ، الذي يعمل منها الشكل الذي يريد . وقاسية صلدة تحفظ الشكل الذي اتخذته .

بقي الانسان في هذه المرحلة صيادا ، اهتم قبل كل شيء بصيد سمك النهر ، والتقـاط حبوب النباتات البرية . والفطر عنـد هذا الانسان ، كان تمثالا او دمية بشرية من الحجر الكلسي الطري ، عثر عليها في احد البيوت محاطة بجمجمة ثور ومغموسة بمصطبة طينية لكنها مشوهة ، وقد يكون هذا العمل دليلا على فكرة دينية ما ، واول محاولة قام بها الانسان لتصوير نفسه .

خلال المرحلة الثالثة : ٨٠٠٠ ــ ٧٦٠٠ ق.م تحسنت تقنية البناء . وتوسعت القرية الى مساحة ٢ ــ ٣ هكتار ، وتطورت الحياة الاقتصادية، وتنوعت وسائل الانتاج .

على السفح الغربي للتل ، كشف على بيت كبير مدور ، مبني في حفرة بالسفح جعل جانبها الشرقي جدارا للبيت ، الذي قسم الى خلايا ، وحجرات صغيرة بوساطة جدران مستقيمة . اساساتها من الحجارة المشذبة ، ترتكز عليها اعمدة خشبية ، صفت بينها بالتناوب مداميك من اللوحات الخشبية ، او الحجرية ، والطين المدكوك .

اما الجدار الغربي ، فكان من الطين مدعما من الخارج بأعمدة من خشب الحور . سقف البيت بالعيدان الخشبية والطين (مخطط ــ ١ ــ) .

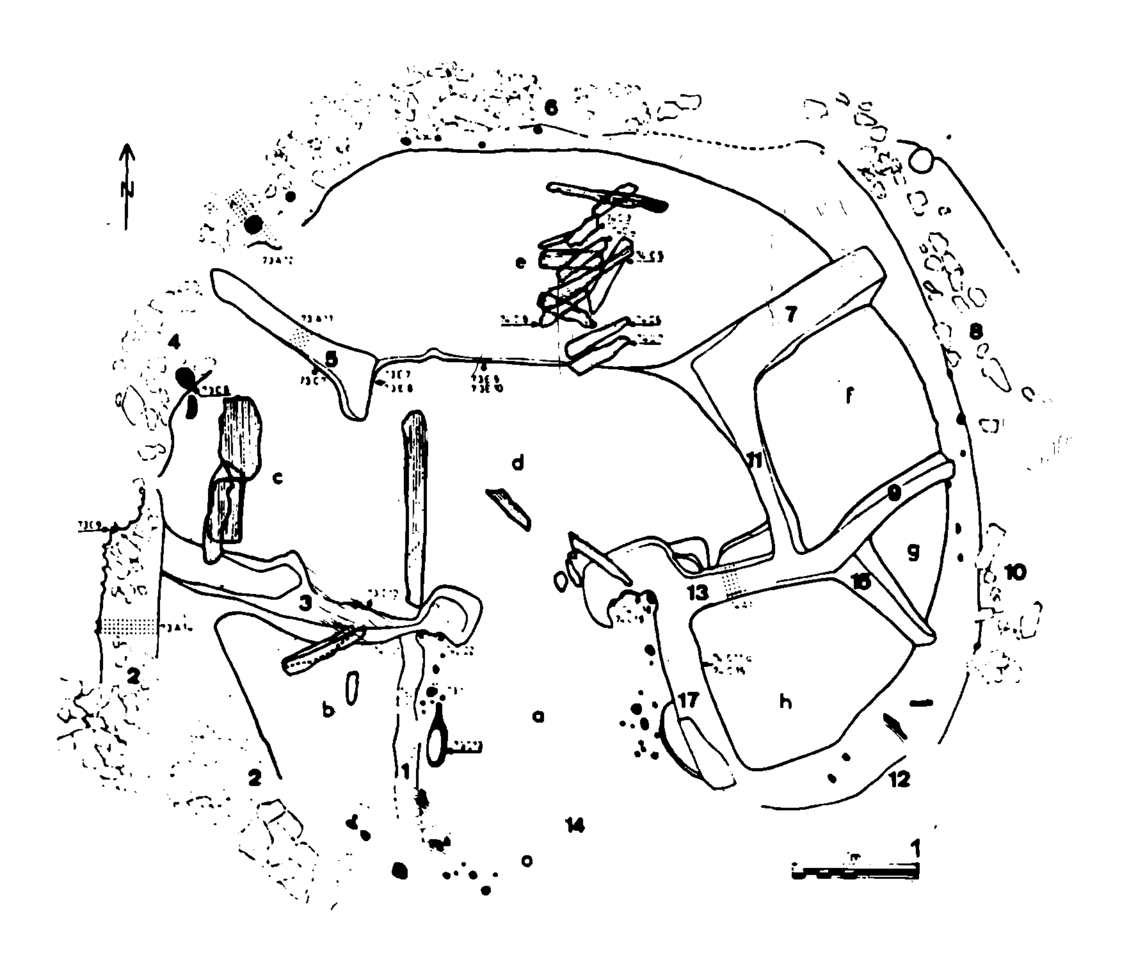
ونستدل من هذا البيت وتقسيماته ، على مدى التقدم الذي احرزه الناس ، والتغير الذي طرأ على وظيفة البيت . فتقسيمه الى حجرات ، لم يحدث عرضا ، بل لخدمة هدف معين ، هو ان يكون في البيت حجرات للعمل والطبخ ، والخزن والنوم ... الخ .

هذا البيت الذي وصفناه نموذجا لبيوت اخرى كونت قرية المريبط . لم تكن متلاصقة ، بل متجاورة ، تفصل بينها باحات عامة وازقة ، ولم تشيد دفعة واحدة ، بل متتابعة ، بدليل أن بعضها كان يقوم فوق بعض (مخطط ــ ٢ ــ) . والتي في الاعلى هي الاحدث ، وكانت مستطيلة الشكل وليست مدورة .

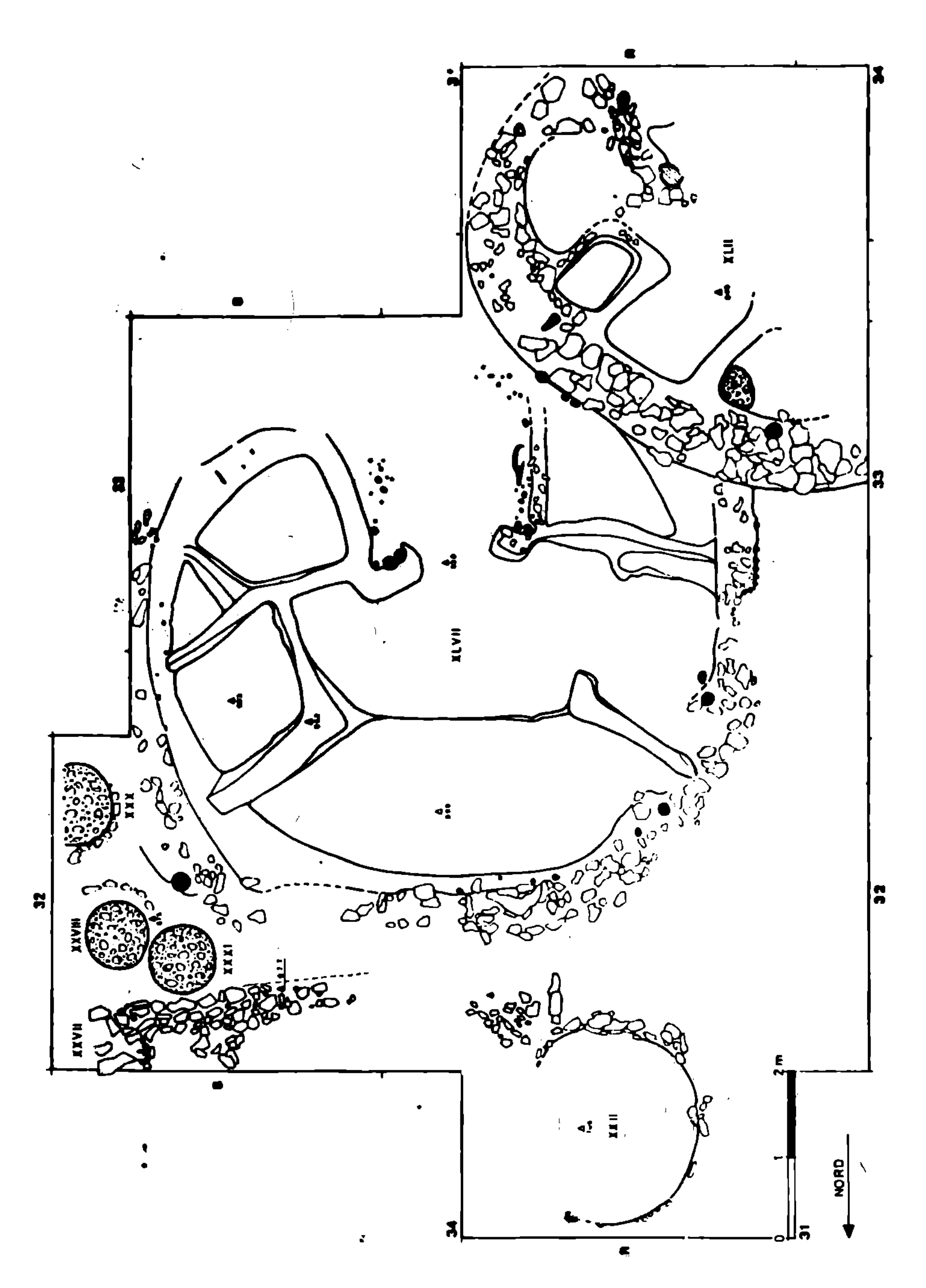
ومما يدل على تقدم فن العمارة هو ادخال الزخارف عليها . ففي أحد البيوت عثر على بقايا تلوينات جدارية هندسية الشكل .

حوت قرية المريبط ، على مرافق عامة مثل الافران ، التي كانت في الساحات العامة خارج البيوت . ليستخدمها اهل القرية كلهم . وهذا يشير الى تعاون السكان ، في تنظيم استخدام مرافق عامة مشتركة ، تحقق الفائدة للجميع ، تماما كما حدث في يرخو على الضفة اليمنى لنهر الاردن جوار أريحا ، حيث تعاون السكان لبناء سور دفاعي لمدينتهم .

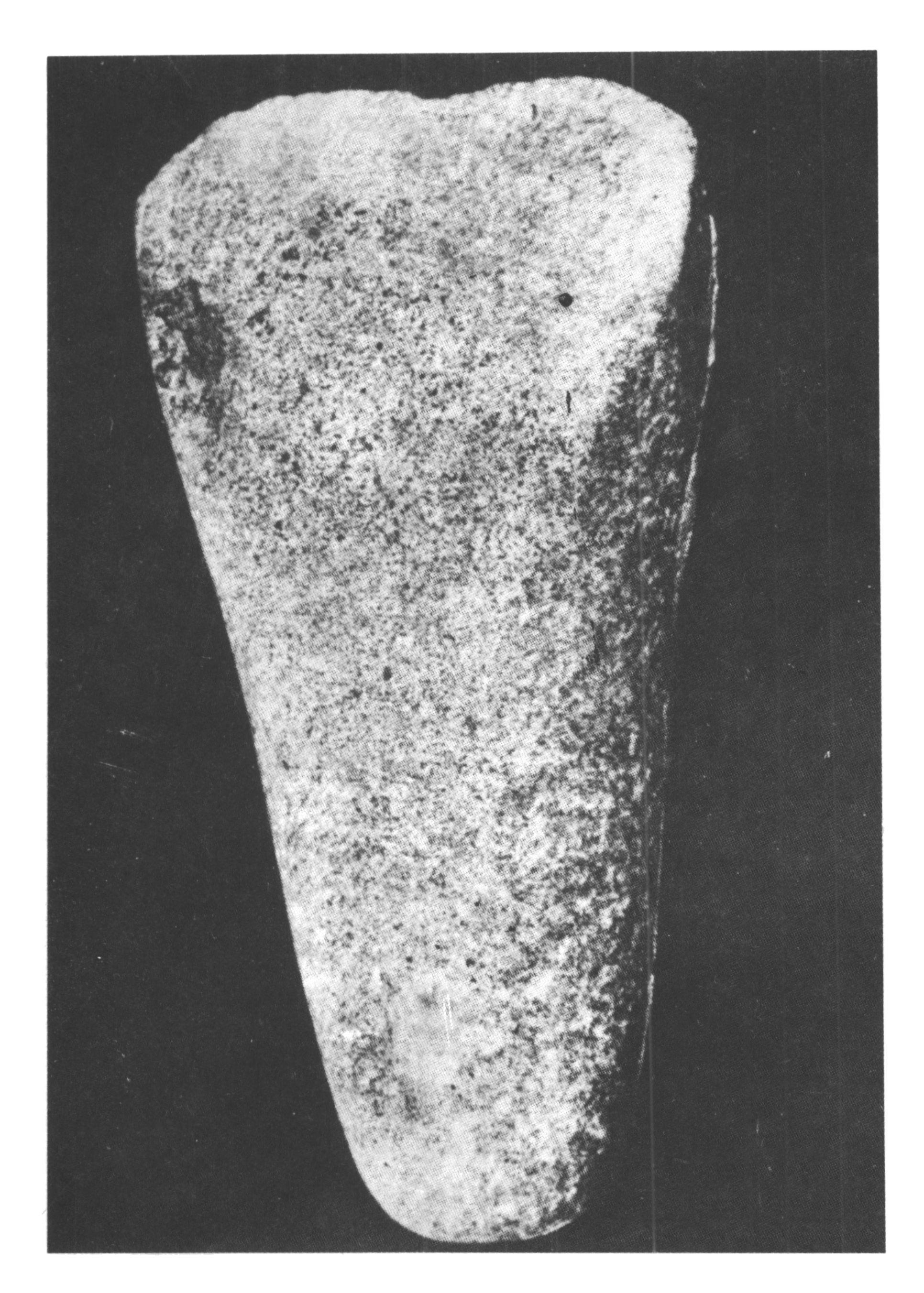
هذا على صعيد فن البناء ، اما على صعيد صناعة الادوات ، فاننا نلاحظ اختفاء الادوات الصوانية الصغيرة ، وتزايد عدد رؤوس السهام ، والمكاشط الضرورية للصيد ، وتحضير الغذاء . وعند نهاية هذا العصر ، انتج الحرفيون فؤوسا مصقولة من الحجر الصلد ، (صورة ٤) . وبدؤوا بصناعة الفخار في البيت . اكتشف المنقبون ثلاث أوان كبيرة ، واثنتان صغيرتان لا تصلح للاستعمالات المنزلية . وقد استخدم طين ناعم في صناعة بعضها . وهذا اكبر دليل على اهتمام الانسان المتزايد بهذه المادة ،



مخطط رقم ١



مخطط رقم ٢



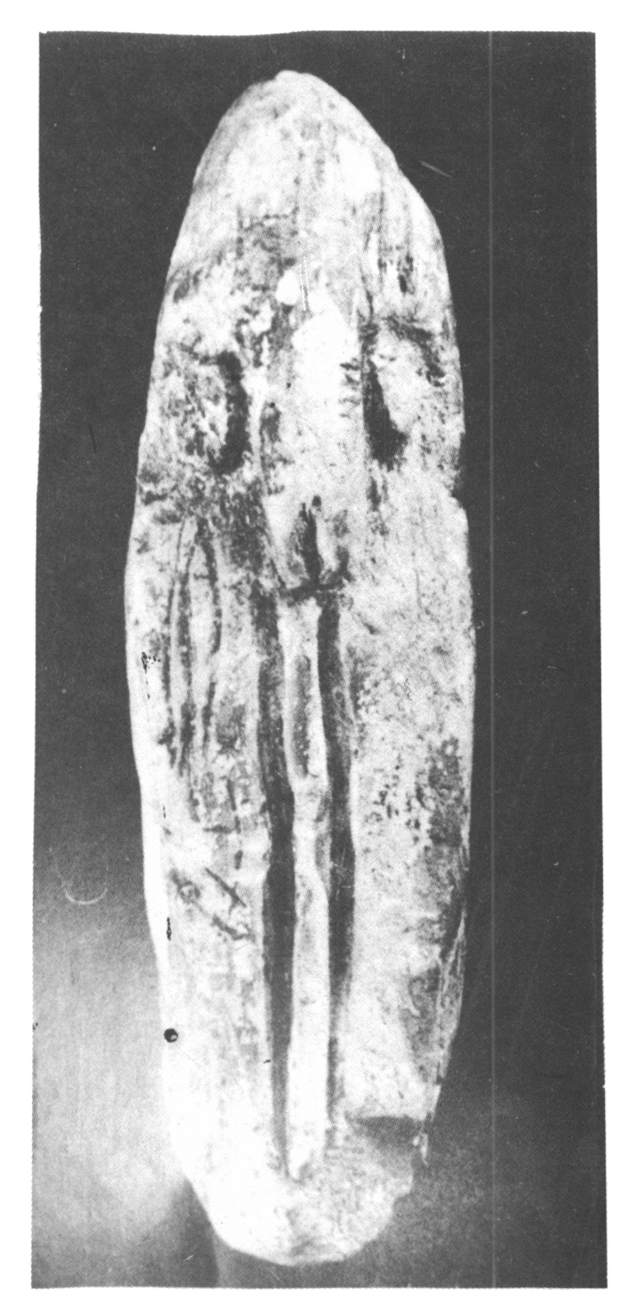
الصورة رقم ٤

واستعمالاتها المختلفة في البناء . وصنع الانية علما بان انتاج الفخار ، لم يبدأ الا بعد عام ٧٠٠٠ ق.م . جنبا الى جنب مع ظهور صناعة الفخار ، بدأ الانسان في زراعة الحبوب البرية بالاراضي المجاورة للقريـة ، وكان هذا فاتحة عهد تربية الحيوان .

وكما رأينا في المرحلة السابقة ، اخذ الانسان في هذه المرحلة يصور نفسه على نطاق اوسع ، وبشكل ادق . ففي المرحلة الاولى عثر على دمية انسان ، وهنا عثر على دميتين اثنتين من الحجر والطين ، ربما تمثلان ربه. واذا كان الامر كذلك ، وقياسا على ما نعرفه من العصور التاريخية من عبادة الانسان للربة الام . نقول أن هـذه التماثيل هي للربـة الام . (صورة ٥ و ٦) .



الصورة رقم ٥



الصورة رقم ٦

المرحلة الرابعة : ٧٦٠٠ ـ ٦٩٠٠ ق.م . وكما قدمنا اصبحت البيوت والمنازل مستطيلة منذ نهاية المرحلة الثالثة وخلال هذه المرحلة ايضا . ويدل هذا على تطور هام في مجال البناء ، رافقه مزيد من العناية بالحيوان، وخاصة الثور ، الذي دجن في هذه المرحلة .

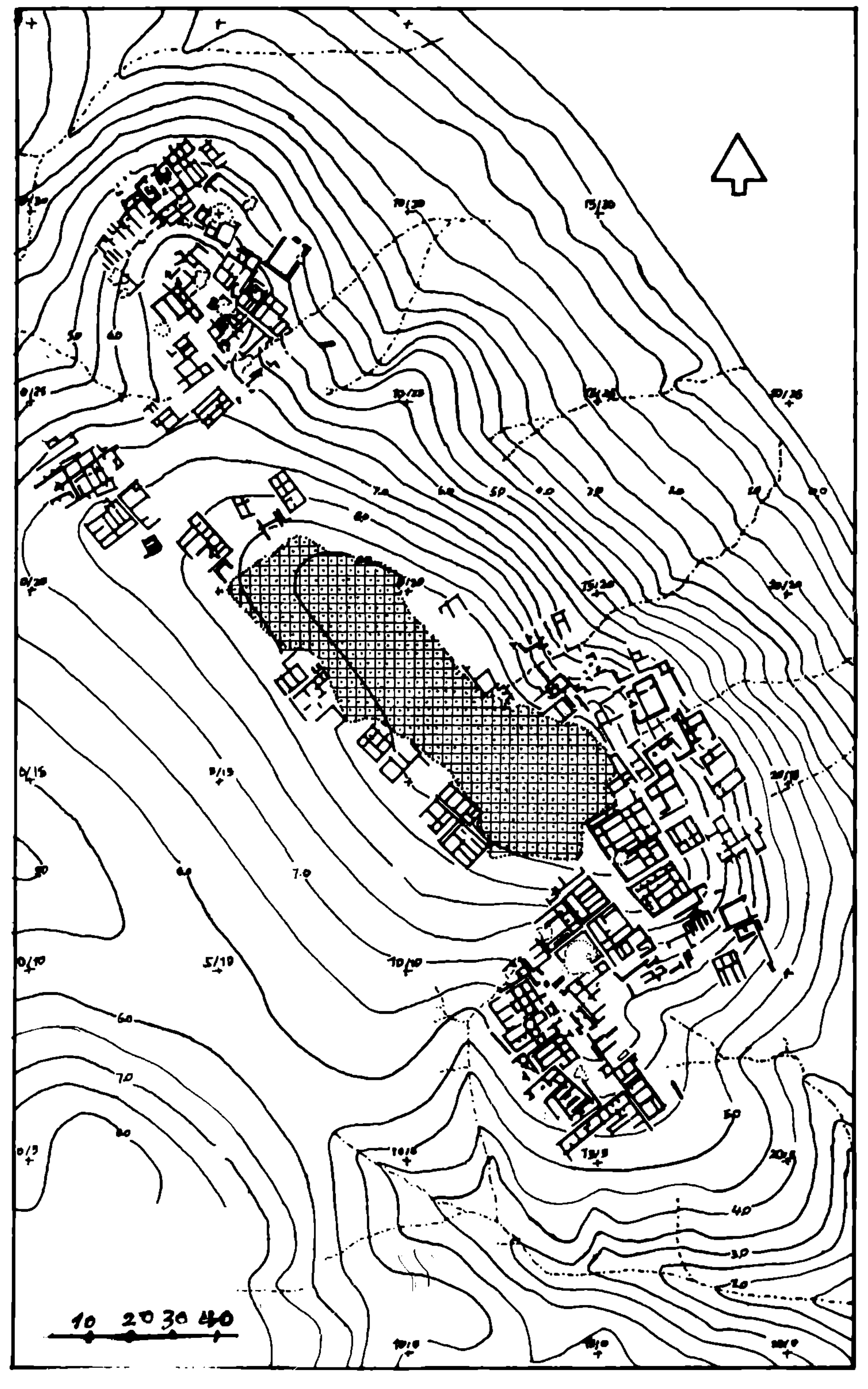
هذا من جهة ومن جهة ثانية ، فان الحقيقة التاريخية الاهم ، هي التشابه بين آثار المريبط (المرحلة الاولى) وآثار النطوف في فلسطين . ويبدو من هذه الحقيقة ان الحضارة النطوفية قد شملت بلاد الشام ، وارسلت بأشعتها الى البلدان المجاورة .

تل بقرص :

نبقى في حوض الفرات ، وننتقل من المريبط على الضفة اليسرى للنهر ، الى بقرص على ضفته اليمنى ، حوالي ٤٠ كم الى الجنوب من دير الزور .

تبلغ مساحة قرية بقرص القديمة حوالي ٣ هكتار ، وارتفاع انقاضها حوالي ٥ م . ودلت التنقيبات على أن بيوتها قد جددت عشر مرات خلال الحقبة الزمنية ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م وشغلت أحدث البيوت ، اي بيوت الطبقة الاولى حوالي ٢٧٥ x ١٠٠ مترا مربعا من الموقع .

تتألف البيوت القديمة من باحة سماوية تحيط بها حجرات مستطيلة الشكل . اما الجديدة ، فقد شيدت وفق نظام بناء محدد وثابت ، ووفق مخطط واحد . ولا تختلف عن بعضها الا بالمساحة . يتألف البيت من ثلاث حجرات متوازية ، ومتلاصقة ، اوسطها اكبرها . وقد تكون صحن الدار . وفي الخلف صف او صفان يحويان من ٤ ـ ٧ حجرات كمستودع ومطبخ . ويحوي البيت عادة موقدا او تنورا (مخطط ٣) . وفي بعض الحالات نجد ان السطوح الداخلية للجدران قد طليت باللون الابيض ، وزوقت باشكال طيور كبيرة اهلية ؟! لونها احمر . كما في البيت رقم ١٧ (صور ٧) . وفي البيت (١٦) كشف على وجه انسان من الطين مصبوغ باللون الاحمر . عيونه من الصدف . كان يزين جدار الغرفة .



مخطط رقم ٣



الصورة رقم ٧

بنيت جدران البيوت بالطين المدكوك او اللبن . وعندما يبني بيت جديد فوق القديم المتهدم ، تشيد الجدران فوق الارضيات القديمة ، وتردم الفراغات بين الجدران القديمة والحديثة حتى ارتفاع معين ثم تفرش ارضية البيت الجديد فوقها. كما على سفوح التل، اما في وسط التل فكانت الردميات بين الارضيات القديمة والجديدة اكثر سماكة .

يتميز البيت ٢٦ عن غيره ، ويبدو كانه مشغل مثل البيوت المجاورة. اذ كان فيه مواد مخزونة ومشغولة. بنيت البيوت بجانب بعضها، أو عمودية على بعضها ، وعلى جوانبها الازقة . وهذا الوضع يدعونا الى الاعتقاد بان القرية كانت قد شيدت وفق مخطط ثابت . واذا لم تكشف التنقيبات الاثرية الجارية على قرية اقدم ، تكون بقرص اقدم قرية منظمة ، وفق مخطط يحدد الازقة وطراز البيوت .

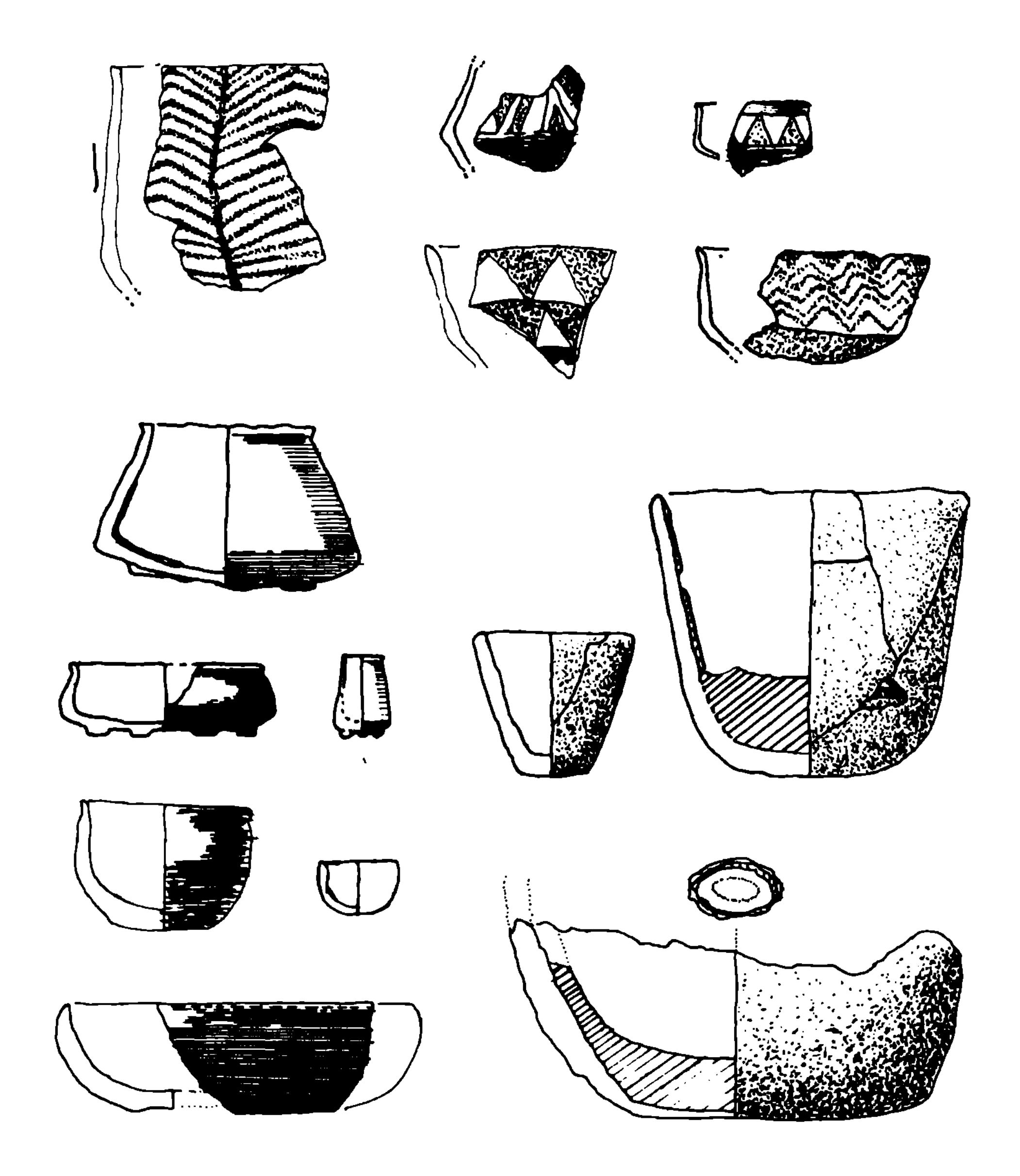
لاتزال الكميات الكبيرة من العظام التي اكتشفت في الموقع قيد الدراسة . ومن بينها عظام غنم وماعز رباها ساكنو بقرص . وقد عثر في انقاض القرية على كميات قليلة من بقايا الحبوب ، مثل الحنطة والشعير التي كان يزرعها السكان بجوار القرية ، وخاصة في الحقول المرتفعة قرب النهر ، والتي لا تتأثر كثيرا بالتملح ، وكذلك في مصب الوادي قرب الموقع . وبغض النظر عن هذه الوقائع ، يبدو جليا أن السكان قد اهتموا بتربية المواشي ، اكثر من اهتمامهم بالزراعة ، وتركوا مهنة الصيد ، الا في حدود ضيقة . حيث اصطادوا الغزلان والثيران . اللقى الاثرية المنقولة كثيرة ومتنوعة ، وتدل على تقدم الحرف والصناعة اليدوية . ففي مجال انتاج الادوات الحجرية ، استفاد الانسان من الحجارة المتوفرة في الهضاب المطلة على حوض النهر ، أو من الحجارة النهرية ، في صنع أدواته وهي : السهام ، المخارز ، المكاشط المثاقب ، الشفرات ، كما ونلاحظ وجود ادوات مصنوعة من حجر زجاجي أسود بركاني (الاوبزيدين) ومن حجر أخضر غير متوفر في حوض الفرات .

لم يعثر المنقبون على أواني ، وكسر اواني فخارية داخل الانقاض ،

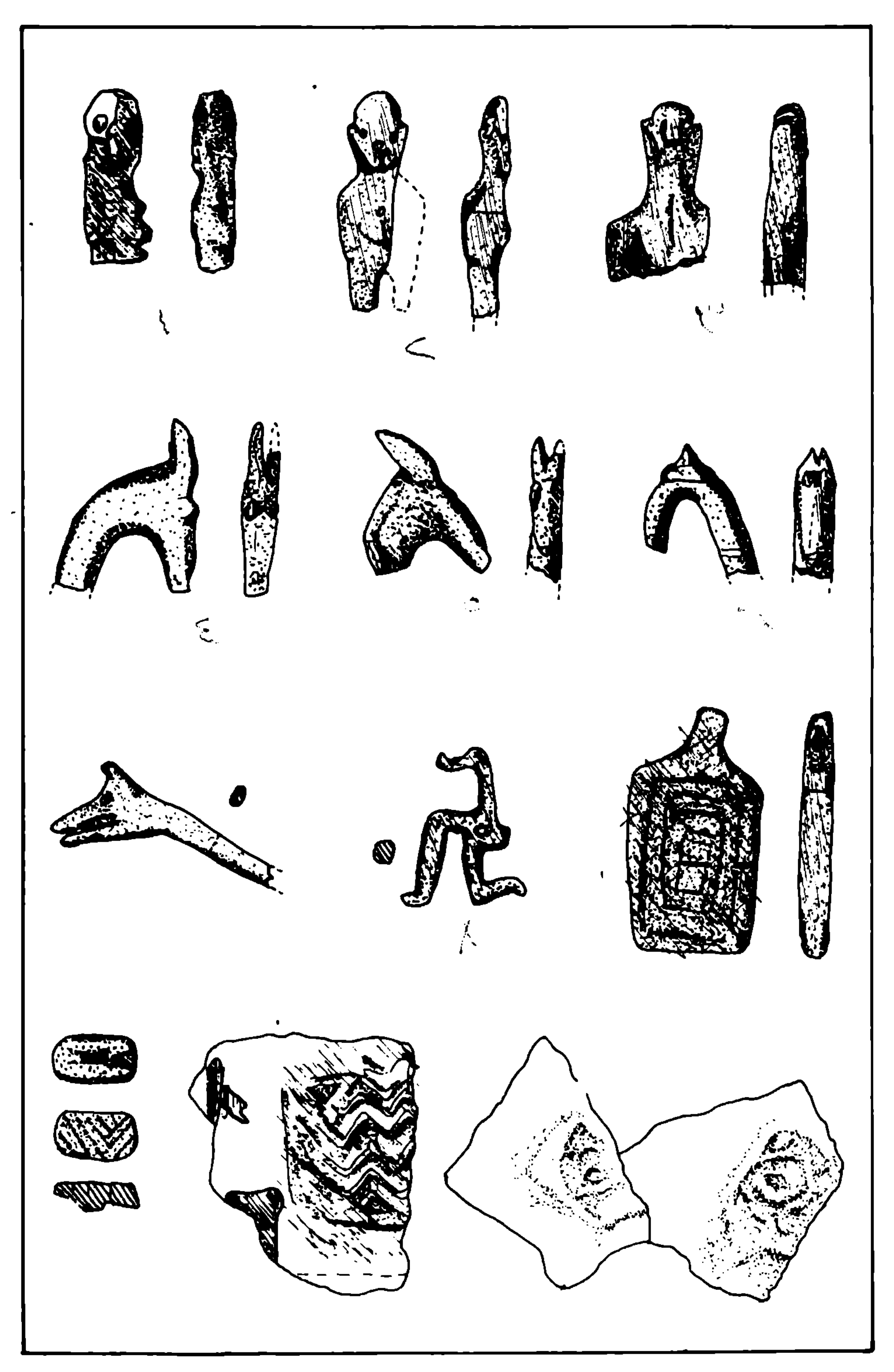
بل على سطح التل ، حيث التقطت كسر من آنية داكنة مصقولة مثل القدور وغيرها ، التي كانت في بعض الاحيان مزوقة بأشكال هندسيةحمراء هي المثلثات ، والخطوط المتعرجة . الى جانب هذه الآنية ، وجدت آنية حجرية كلسية متقنة الصنع ، وآنية اخرى مصنوعة من الجص تسمى « الآنية البيضاء » . عند الآثاريين . (صورة ٨) .

اظهرت نتائج التنقيبات في بقرص ، تقدم الفنون التشكيلية ، ويتجلى ذلك في دمى الانسان والحيوان والتمائم المزخرفة بخطوط هندسية ، والاختام التي وجدت طبعاتها . وتشبه الاختام التي عثر عليها في راس شمرا ، بالطبقة Vc , B ، التي تعود الى العصر الحجري الحديث ، والتي زوقت بخطوط هندسية كاختام بقرص صورة (٩) ، ونخص بالذكر كسرة من الحجر الكلسي تمثل امراة متربعة، صنعتها متقنة. واذا ما قورنت مع الدمية المماثلة من المريبط . فاننا نرى الفرق بينهما . واضحا في ابراز الارداف والصدر والذراعين . وقد اهتم الحرفي حتى بجزء الجسم الذي يستند على الارض ، والذي لا يراه احد ، فجعله طبيعيا بابراز الارداف وعضلات الفخذين (صورة ١٠) . وقد أبدى الفنان مثل هذا الاهتمام عندما صنع راس انسان من الطين فيه اعضاء الوجه (العين ، الانف ، الفم .... الخ) اقرب الى شكلها الطبيعي . وحتى تكون العين قريبة من شكلها الحقيقي ، كانت مصنوعة من مادة اخرى ، لا نعرف نوعها ، لانها فقدت ، وبقي ما يدل على وجودها (صورة ١١) .

ولم يصور الحرفي الانسان فقط . بل صور الحيوان ايضا . فقد صنع بعض آنيته على شكل ارنب ، او قنفذ (صورة ١٢) . كما استخدم العظام في الصناعة ، فصنع منها راس وعنق غزال ، ربما كمقبض لاداة ما (صورة ١٣) . واذا كان الامر كذلك ، فقد اجتاز الفنان في هذه المرحلة المبكرة من التاريخ ،عتبةتزويق الادوات بالالوان الى تزويقها بأشكال حيوانية مصنوعة من مادة اخرى . او منقوشة عليها كما يظهر على احد المفارك الحجرية (صورة ١٤) .



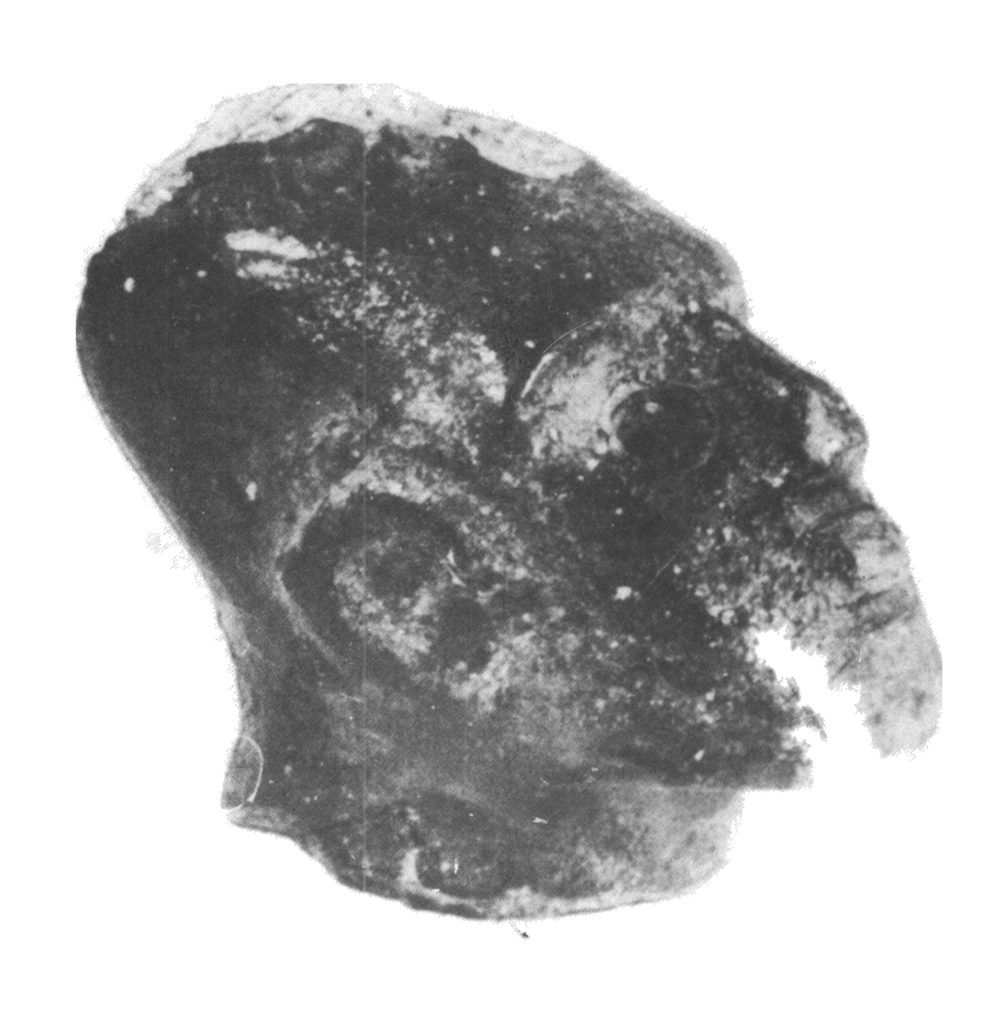
الصورة رقم ٨



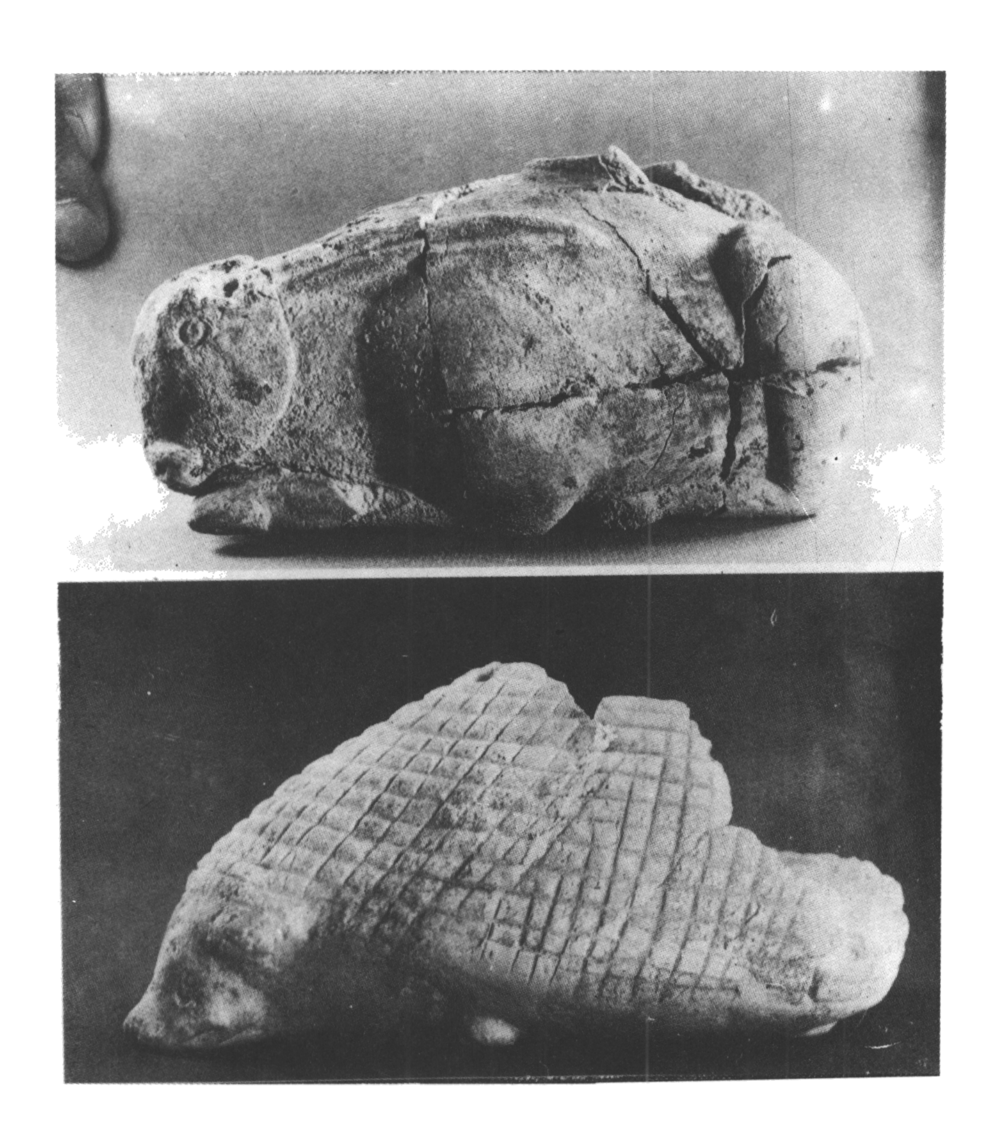
الصورة رقم ٩



الصورة رقم ١٠



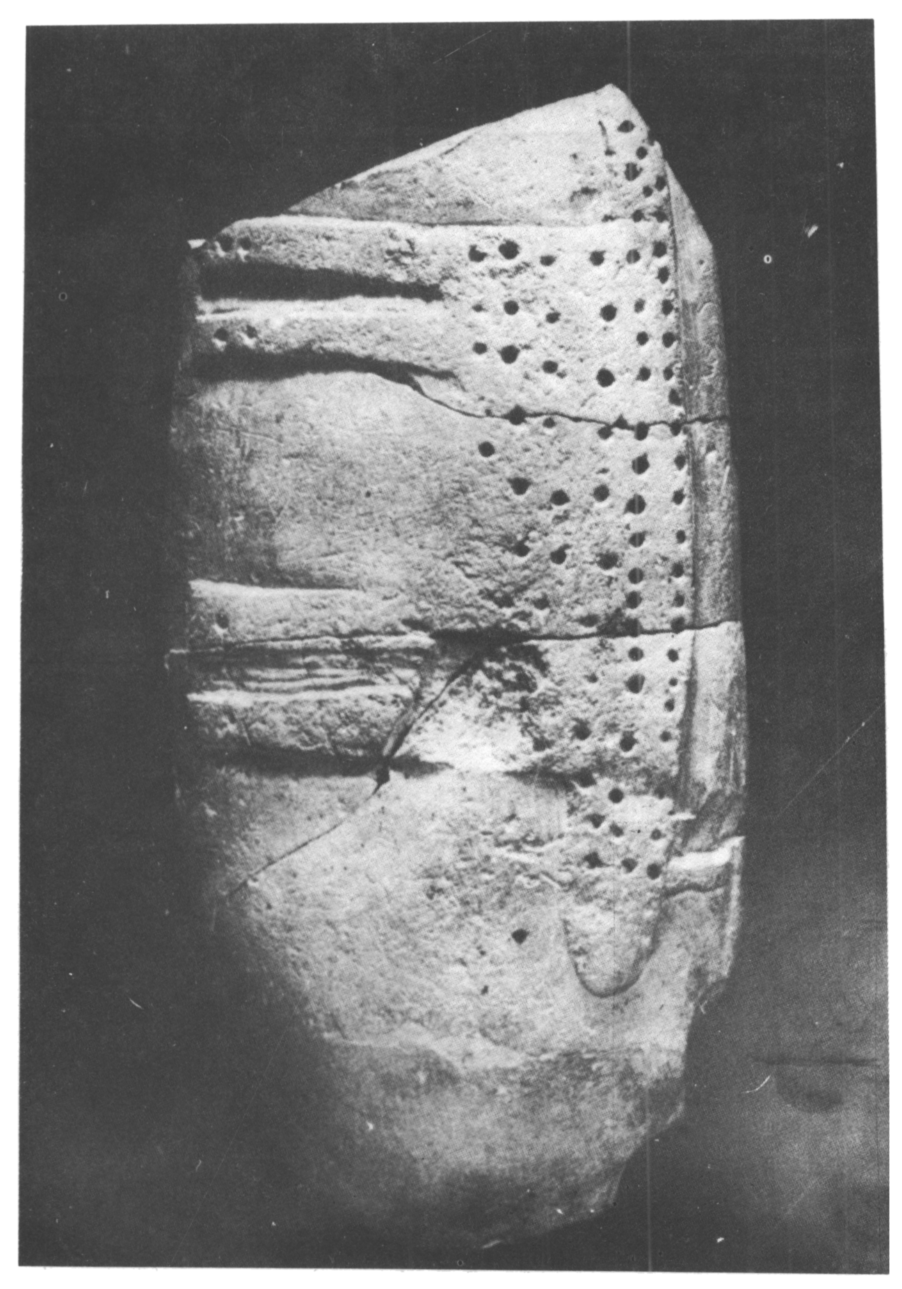
الصورة رقم ١١



الصورة رقم ١٢



الصورة رقم ١٣



الصورة رقم ١٤

تذكرنا التلوينات الجدارية ودمية الانثى الجالسة بمثيلاتها في شتال هويك بجنوب الاناضول ، كما تذكرنا الاواني الحجرية وغيرها من الادوات بمثيلاتها من تل الصوان قرب سمارة وام دباغية غربي الحضر بالعراق .

منطقة دمشـق :

بينما كانت القبائل تستوطن حوض الفرات ، وتهجر حياة التنقل والتصيد ، يشتغل افرادها بالزراعة ، كان الامر نفسه يجري في منطقة دمشق ، على يد قبائل اخرى قد تكون من ارومتها . ولا عجب في ذلك ، فمنطقة دمشق وفيرة المياه ، خصبة التربة ، تساعد على الاستقرار . لهذا استقر فيها الانسان مبكرا ، كما دلت حفريات تل الرماد ، تل اسود ، خزامى وتل غريفة ، ونظرا لغنى تل الرماد بالآثار المنقولة ، سنبدأ به ، ثم نعطي موجزا عن بقية المواقع .

تل رماد :

صغير على ضفة وادي يجري بين قطنا وعرطوز . مساحته ٢٠٠ × ١٥٠ م تعادل مساحة موقع المريبط ، او بقرص . ولا يزيد ارتفاعه على ٥ م كارتفاع موقع المريبط وبقرص ايضا . وقد ميزنا فيه ٣ طبقات ، هي من الاعلى الى الاسفل :

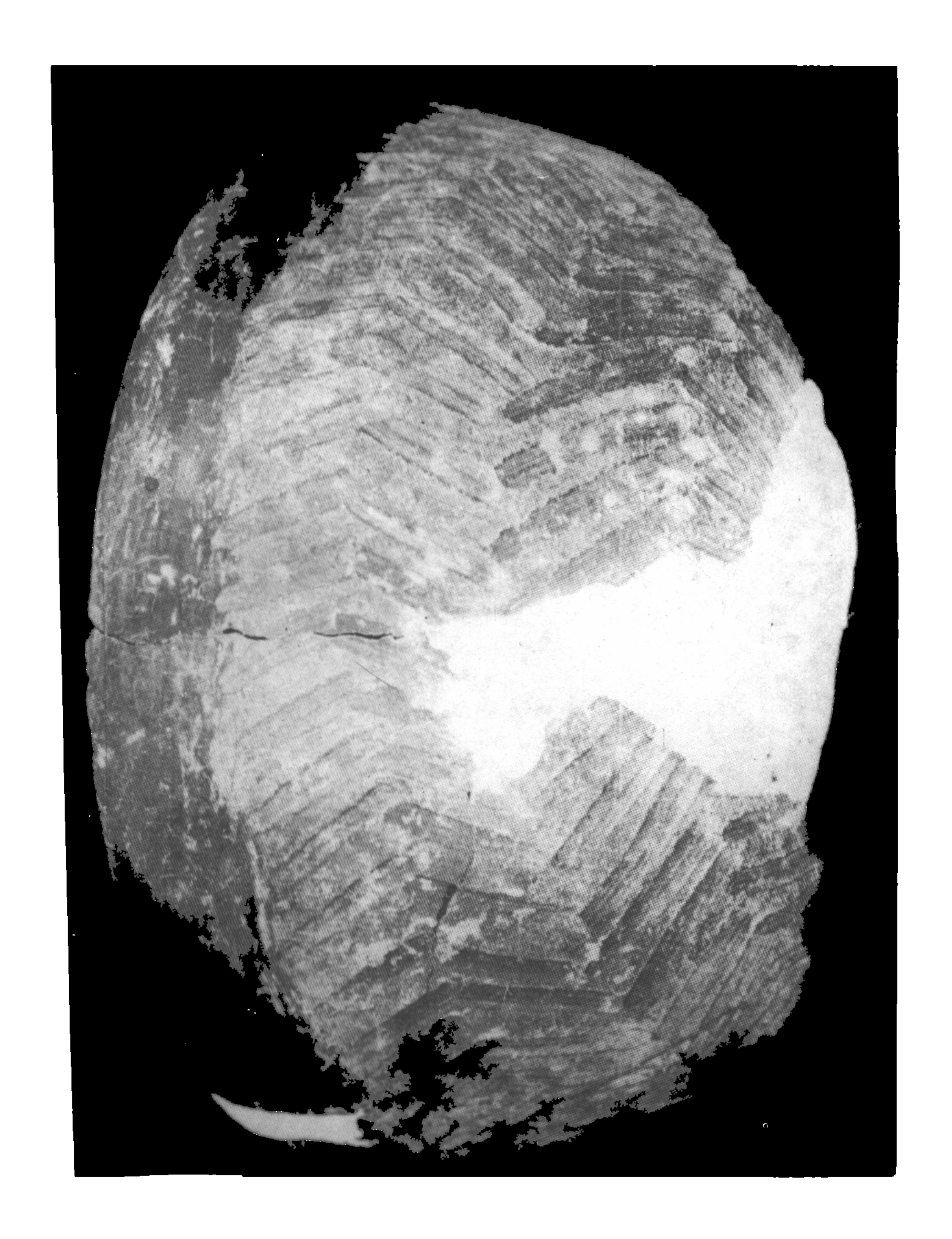
الطبقة ٣ (٥٥٠٠ ـ ٥٨٠٠) ، وهي الاحدث ، وقد بلغت سماكة انقاضها ١ م . وفي عصر هذه الطبقة ، بدأ الانسان في انتاج الآنية الفخارية المشوية جيدا ، والمصنوعة من الطين الداكن . وجهها الخارجي مصقول ـ مدلوك لماع ، ومزوق بخطوط غائرة (صورة ١٥) . هذا النوع من الاواني اقدم انواع الفخار في المشرق العربي ، وقد عثر عليه في سهل العمق الطبقة A ، واجاريت الطبقة VB وبيبلوس . ومن على سطح التل التقطت كسر فخارية ذات طلاء احمر . لها اربة او عروة ، وتذكرنا بفخار مشابه اكتشف في جبيل ، وهو احدث من النوع الاول (الصورة ١٦) . لم يبق آثار لمساكن هذه الطبقة تدل عليها . سوى بعض



الصورة رقم ١٥



الصورة رقم ١٦



صورة رقم ١٦

حفر النفايات ، وهذا ما دعى للاعتقاد ، بأن سكان الموقع ، قد تحولوا في هذا العصر الى بدو مستقرين ، يعتنون بتربية الاغنام ، والماعز ، والبقر والخنازير ويهتمون قليلا بزراعة الحبوب .

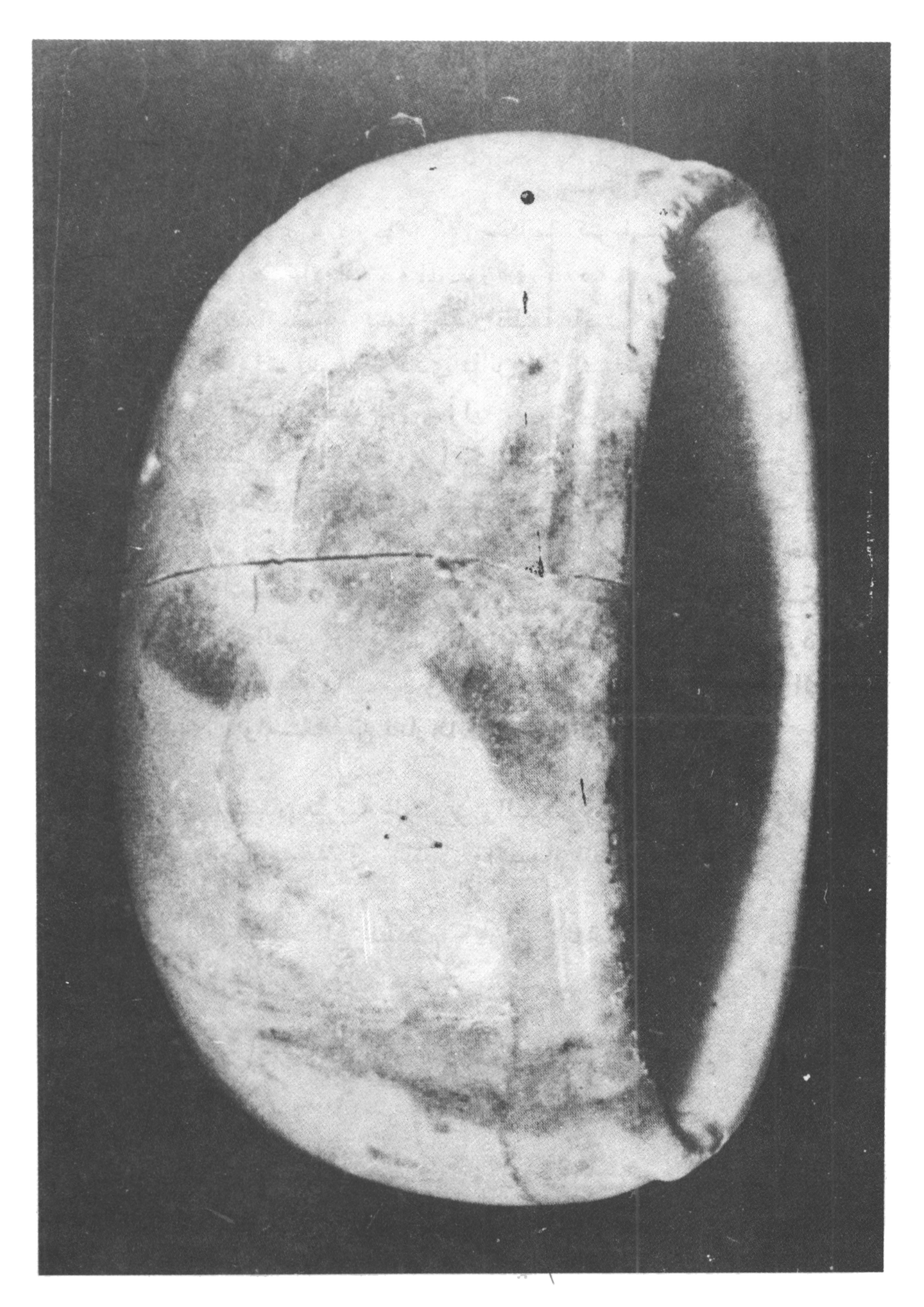
الطبقة ٢ (٥٨٠٠ ـ ٦٠٠٠) كان سكانها اكثر استقرار ممن لحقهم ، وكانت حفر المستوطنة الاحدث ، المحفورة في هذه الطبقة ، مليئة بالرماد ، الذي اكسب الموقع اسمه . تتميز هذه الطبقة بآنيتها المصنوعة من الكلس المحروق والرماد ذات اللون الرمادي المائل الى البياض ، الوجه الخارجي املس ، زوق احيانا بخطوط حمراء . تعرف هذه الآنية بالآنية البيضاء ، وقد عثر عليها في عدة مواقع ببلاد الشام ، نذكر منها بقرص ، اجاريت الطبقة Vb وبيلبوس . شكل البيوت مستطيل ، وقد بنيت بجانب بعضها ، وجددت مرارا . ويتالف معظمها من حجرة واحدة . الاساسات من الحجارة ، والجدران من اللبن الجاف المستطيل الشكل ، اما الملاط فكان من الطين الاخضر . يتبع هذه الطبقة حفر كانت مستودعات للحبوب . مثل الحنطة والشعير والعدس . وعرف من الاشجار التي غرسها الانسان ، واستفاد من ثمارها ، اللوز والفستق الحلبي .

وقد اهتم السكان بتربية الخنزير والبقر . واصطادوا الغزال والايله. ومن بين الادوات المستخدمة ، المنجل والسهام الصوانية .

في الحفر التي تعود الى الطبقتين الاولى والثانية ، عثر على جماجم بشرية مغطاة بطبقة من الطين المخلوط بالكلس . ومطلية باللون الاحمر ، اما العيون فقد طمست بالكلس الابيض .

الطبقة الاولى : (٦٠٠٠ ـ ٦٢٥٠) ق.م ، وهي الاقدم .

تشير الادوات الصوانية المكتشفة في هذه الطبقة الى اهتمام السكان بصيد الغزلان والايلة ، وبزراعة الحبوب التي ذكرناها بالطبقة الثانية . وقد استخدموا آنية من حجر الباتر والجير (صورة ١٧) ، وكانت رحاهم مستطيلة الشكل منحنية .



الصورة رقم ١٧

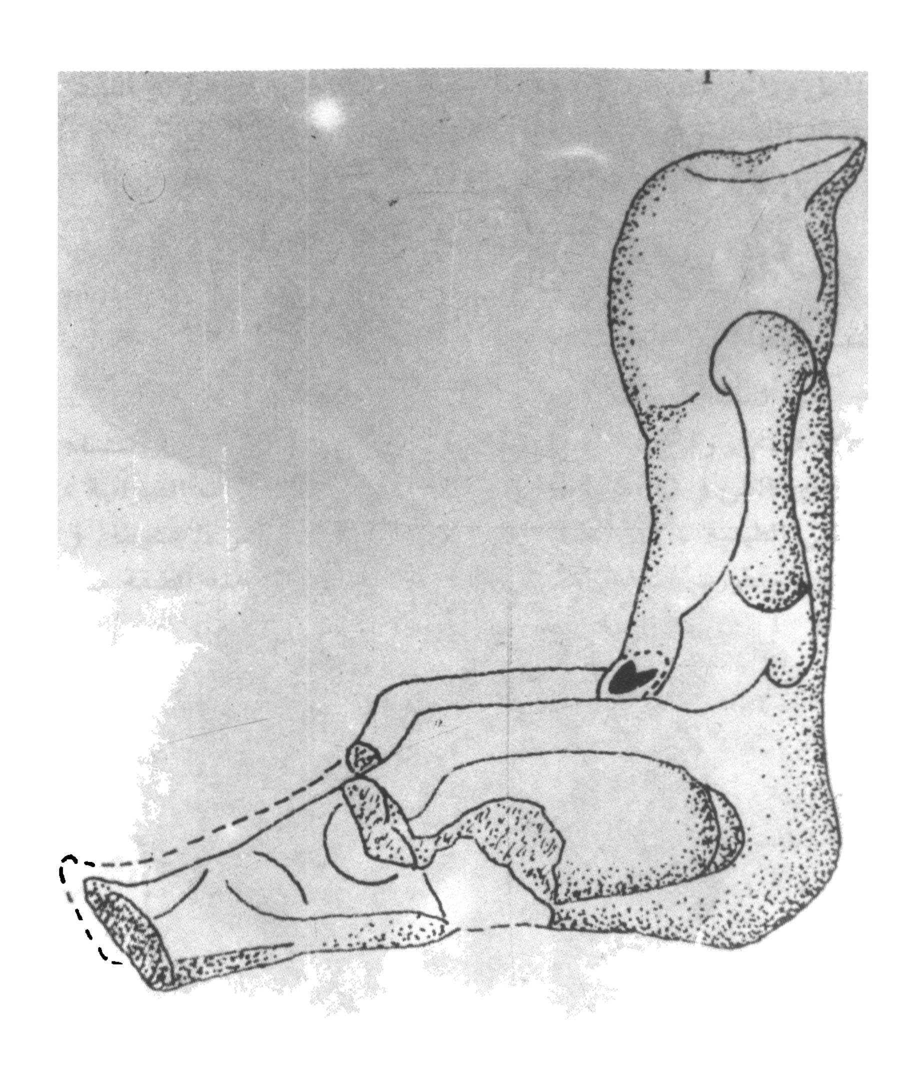
مساكن هذه الطبقة اكواخ بسيطة عادية مدورة ، بنيت في حفر ترتفع حتى منتصفها . كانت الجدران من الطين المدكوك المدعم بالخشب ، وهي شبيهة باقدم المساكن في المريبط . وكما كان عليه الحال في المريبط ويقرص، فقد اهتم سكان قرية الرماد بتشكيل البشر من الطين . اذ عثر بين الرؤس المحنطة ، التي اشرنا اليها أعلاه ، على تماثيل او دمى آدمية من الطين المطلي باللون الابيض والمزوق باللون الاحمر . منها دمية انسان جالس يمد ساقيه ، ويشد قبضة يده اليسرى على خاصرته . ليس لهذه الاشكال رؤوس اذ تعلو الكتفين قطعة اسطوانية محيطها يساوي محيط الجسم وانطلاقا من هذه الحقيقة ، نظن انها كانت قواعد للرؤوس المحنطة ، التي وجدت معها في حفرة واحدة (صورة ١٨) .

تل اسود : يختلف تل أسود عن تل الرماد ، وان تشابه الموقعان باللون الرمادي الداكن او الفاتح . فتل اسود اكبر من تل رماد ، ابعاده ٢٧٠ × ٢٢٥ م ، وارتفاعه عن سطح الارض حوالي ٥ م . وقد جرت فيه أسبار محدودة جدا خلال موسمين ، على عكس تل الرماد ، الذي اجريت فيه عشر مواسم تنقيب . وتدل النتائج المعروفة حتى الآن ، على ان هذه الرقعة من الارض ، كانت مراحا نزل فيه الانسان خلال الفترة الممتدة من ٧٧٩٠ – ٦٦٩٠ ق.م . اي خلال العصر الحجري الحديث الاول ، الذي لم يشهد صناعة الفخار ، كما كان عليه الحال في يرخو بفلسطين ، وموقع البيضة بالاردن ، قرب البتراء (السلع) .

يبدو أن التعيش في هذا المراح كان مرتبطا بالبيئة المجاورة لها . حيث كانت بحيرتا العتيبة والهيجانة ، غنيتان بالاسماك ، التي اصطادها السكان ليتغذوا بها . واستفادوا كذلك من القصب النابت على ضفافهما لنصب الاكواخ . ومما تجدر الاشارة اليه ، كثرة الدمى الطينية البشرية والحيوانية في تل اسود ، ومعظم الدمى البشرية كانت تمثل النساء على نحو يبرز منهن الارداف والصدر ، تماما كما كان عليه الحال في المواقع التي ذكرناها آنفا (صورة ١٩) . هذا عن تصوير الانسان ، اما عن معتقداته ، فكان حين مماته ، يدفن في حفرة عادية بوضعية الجنين ، وحده ، او مع طفل .



الصورة رقم ١٨



صورة رقم ١٨



الصورة رقم ١٩

وفي احدى المرات كشف على حفرة ظهر فيها من الاعلى الى الاسفل : جمجمة منفصلة + هيكل عظمي لطفل ، وتحتها هيكل عظمي تام ، اربع جماجم منفصلة ، منها اثنتين لطفلين ، ومعهم خرزة من الصدف . وابع نصلات مناجل وراسي سهم من الصوان . وتأسيسا على ذلك نفترض ان القبر كان قد استخدم عدة مرات . وقد يعود لاسرة واحدة .

تل غريفة :

ليس بعيدا من تل اسود . يقع تل غريفة ، بالقرب من بحيرة العتيبة . وقد جرت فيه اسبار بسيطة اكملت صورة مراحل نشوء القرى في منطقة دمشق ، كما عرفناها من موقعي الرماد وتل اسود .

تعود الطبقة الاولى ، اي السفلى ، في تل غريفة الى الفترة ٦٧٥٠ — ٦٢٥٠ ق.م . وهي معاصرة للطبقة الثانية بتل اسود (العليا) . والتشابه قوي بين اللقى في الموقعين التي منها بقايا الاكواخ ، والادوات الصوانية ، والدمى الطينية . وفي الطبقة الثانية (العليا) .. استمر الاستيطان في الموقع ، وتطورت صناعة الادوات الصوانية . وتتزامن هذه الطبقة مع الطبقة I في تل الرماد (السفلى) ٦٢٥٠ — ٦٠٠٠ ق.م .

قدمت التحريات الاثرية في المواقع الثلاث ، الرماد ، تل اسود ، الغريفة ، ادلة هامة على تطور السكن في منطقة دمشق ، بدءا من الالف الثامن ق.م ، اي من العصر الحجري الحديث الاول ، الذي سبقه صناعة الفخار ، وامتد حتى الالف الخامس ق.م ، اي العصر الحجري الحديث الثاني ، الذي نشأت فيه صناعة الفخار .

ويستدل من نتائج التحريات الاثرية ، التي اوجزناها آنفا ، ان القطر العربي السوري كغيره من اقطار بلاد الشام ، قد شهد منذ الالف الثامن وحتى الالف السادس ق.م ، انقلابا حضاريا هاما واساسيا في حياة الانسان ، يتمثل في خروجه من الكهوف الى السهول ، ليبني مسكنه في احضان الطبيعة ، ويبدل اساليب التعيش . لقد هجر الكهوف والاكواخ المبنية في الحفر ، التي هي المرحلة المتوسطة بين الكهف والبيت ، فالحفرة هي الشكل المتطور للكهف بينما يمثل الكوخ المبني داخلها المرحلة الاولى

لبناء البيت وفي المرحلة الاخيرة انتقل الانسان الى بيت بناه بشكل مستطيل او مربع ، بعيدا عن الحفر الحاضنة ، التي اصبحت لها وظائف اخرى مثل خزن الحبوب والمؤن ، هذا عن السكن ، اما عن تطور الاساليب المعاشية ، فنرى ان الاستقرار قد دفع بالانسان ، الى ايجاد بديل لمصادر غذاءه من النباتات البرية التي كان يسعى وراءها ، فكان البديل الزراعة وتربية الحيوان على نطاق ضيق .

ومن أعجب الظواهر في هذه الفترة الحفر التي ضمت الجماجم (انظر ما سبق) والتي كان القصد من وراء دفنها شبه محنطة ، وحيدة ، ومع دمى ، وهياكل عظمية ، تقديس او عبادة السلف . وهي لخير دليل على تجسيد الفكر الانساني او معتقده . بهذه الطريقة ، او بطريقة صنع الدمى البشرية والحيوانية ، وخاصة دمى المرأة ، التي هي على ما اظن دمى للربة الام ، التي قدسها الناس في بلاد الشام ، منذ نهاية الالف الرابع ق.م .

ان هذه الحقبة الطويلة من الزمن ، التي امتدت من ٨٥٠٠ ــ ٥٠٠٠ ق.م تقريبا كانت عصر تكوين . فيها وضع الانسان اسس المنجزات الحضارية اللاحقة . والشيء الفريد الذي يلفت النظر ، ويسترعي الانتباه هو ان هذه القرى ، التي ذكرت ، قد هجرت عند نهاية الدور الحجري الحديث . فالى اين ذهب اصحابها ؟ وما هي الاسباب التي دفعتهم لهجرها ؟

قد يخطر على بالنا الجفاف ، كأحد الاسباب الرئيسية ، التي دفعت السكان الى النزوح . لا نظن ان الجفاف ، هو السبب ، لان قرى اخرى قد نشأت بجوار السابقة المهجورة ، وجاءت بعدها مباشرة دون فاصل زمني يذكر . ولو كان الجفاف السبب في نزوح الناس ، لما نشأت هذه القرى . ففي حين هجر الانسان قرية المريبط ، سكن قرية اخرى الى الشمال منها ، تدعى الان تل الشيخ حسن . هذا على الفرات اما في دمشق فنجد الى جوار تل الرماد ، والى الشرق من بلدة قطنا ، تل

السلطان والى الغرب من تل غريفة تل الصالحية على نهر بردى ، غربي بلدة النشابية ، والامثلة على ذلك كثيرة ، لا مجال لذكرها هنا .

وكما استبعدنا عامل الجفاف ، نستبعد عامل الحرب . فلو ان هذه القرى قد دمرت بالحرب ، أو الغزو ، لبقيت آثار افعال الحرب والغزو ظاهرة ، مثل الحريق والهدم المتعمد .... الخ . في الواقع لم يشر المنقبون الى مثل هذه الامور . ومع ذلك يبقى احتمال نزوح السكان عن هذه القرى ، بسبب القلاقل ، والاضطرابات قائم .

ولكن يجب أن لا ننسى عوامل اخرى دفعت بالانسان الى ترك هذه المواقع والتجمع في مواقع اخرى قريبة أو بعيدة عنها . فمجتمعات الصيد ولقاط النبات لا تحتاج الى تعاون الافراد والمجتمعات كما تحتاج اليه مجتمعات الانتاج الزراعي والحيواني ، الذي يتطلب توزيعا للاعمال ووسائل انتاج متطورة ومتعددة يعنى بها حرفيون مهرة . زد على ذلك أن الاستقرار بحاجة الى متطلبات اخرى مثل العمران الذي يحتاج الى مستلزمات كثيرة . ونتيجة لهذا وذاك ظهرت الحرف التي أدت الى تجمع الناس. ونعتقد ان لهذا التطور تأثير في النزول عن تلك المواقع بالاضافة الى بعض الكوارث الطبيعية والاسباب الاخرى المذكورة اعلاه .

في سياق الحديث عن هذه المواقع نوهنا بالخصائص الحضارية المميزة التي تجمع بينها وبين مواقع اخرى في بلاد الشام مثل وادي النطوف ، يركو وموقع البيضة ، بينها وبين بعض المواقع في العراق مثل تل صوان وأم دباغية ، بينها وبين شتال هويك في جنوب الاناضول . وهذا يدعونا الى الاعتقاد بان التعاون بين هذه المواقع ، او على الاصح بين سكانها كان قائما بدليل التشابه الكبير بين كثير من اصناف الادوات في هذا الموقع او ذاك .

ومن المرجح ان هذا التعاون قد تم بين منظومات تتالف من قبائل تنتسب الى ارومة واحدة أو أكثر ولم يرق الى مستوى الادارة أو السلطة الموحدة القادرة على تنظيم كافة الامور ، كما سنرى في العصور اللاحقة .

ب ـ العصر الحجري النحاسي ٥٥٠٠ ـ ٣٥٠٠

انتشار صناعة الفخار على نطاق واسع . تطور القرية الى مدينة تجسيد المعتقدات الدينية ، ازدهار التجارة ، اختراع العربة . استخدام المعادن .

استخدم الانسان المعادن ، ولا سيما النحاس ، منذ الالف الخامس ق.م . ولكنه استعمل ايضا الادوات الصوانية والحجرية التي رافقته عشرات الالوف من السنين حتى تمكن من تصنيع النحاس بشكل جيد ، وعلى نطاق واسع . لذا عرف هذا العصر بالعصر الحجري النحاسي وتصنيع النحاس ، لم يكن بالامر الهين السهل . ففي البداية تم تحضيره وتخليصه من الشوائب بالطرق . ثم اهتدى الانسان الى صهره ، في نفس الوقت الذي شوى فيه الفخار بالنار ، بدلا من تجفيفه بحرارة الشمس . وبما أن الصهر والشي يحتاجان الى حرارة منتظمة ، أوجد الانسان الموقد الملائم خلال هذا العصر .

لا يتمثل التحول ، أو على الاصح ، الانقلاب الحضاري ، من العصر الحجري الحديث ، الى العصر الحجري النحاسي ، باكتشاف النحاس ، والافادة منه في مجالات شتى ، بل ايضا بالتغيرات الاجتماعية التي طرأت على التجمعات ـ القروية الزراعية ، التي قوت من تلاحمها ، واتصالها ببعضها . وقد رأينا في الفصل السابق كيف نشأت القرى ، وتطورت حضارتها على نحو مدهش ، ثم هجرت لا لتسقط الحضارة ، وتتعثر حياة الانسان في هذه المنطقة ، بل لتنهض قرى ، أو تجمعات سكانية أخرى ، يكون بينها ، وبين ما سبقتها ، تفاوت غير قليل . لقد كانت القرى التي ذكرناها على اتصال وثيق فيما بينها . وحين تحدثنا عن تعاونها استندنا الى التشابه الكبير بين مختلف أصناف الادوات المكتشفة فيها . ومن خلال ذلك افترضنا قيام منظومات تجمع بين قبائل من ارومة واحدة او اكثر .

لقد كان التشابه من المعالم الاساسية للعصر السابق . اما في هذا العصر فالامر جد مختلف . فسمة هذا العصر الرئيسية هي انتقال المواد من مكان الى اخر ، وبالتالي قيام تعاون اوثق بين اناسه .

وما كان لانتقال المواد ان يتم لو لم تكن التجمعات القبلية ضمن منطقة ما قد بلغت مرحلة من التقدم قضت بتنظيم امورها على اسس جديدة ، وخضوعها لشريعة واحدة .

واكتشاف المواد نفسها في اماكن اثرية كثيرة ساعدنا على تحديد هذه المناطق ، ولكنه لم يوح لنا بتعيين مركزها . لهذا ، رأينا تيسيرا للدرس ، ان نصطلح على نسبها الى اول موقع اكتشفت فيه ، واطلاق اسم هذا الموقع على المنطقة الحضارية كلها .

وعلى ذلك نحن ننسب حضارة هذا العصر الى موقعين هامين هما : حلف بالقرب من راس العين في سورية ، وتل العبيد في جنوبي العراق غربي مدينة اور الشهيرة . وبتعبير اخر نحن نقسم حضارة هذا العصر الى مرحلتين هما حلف والعبيد ونتكلم على حضارتين هما :

١ ـ **حضارة حلف** : ٥٥٠٠ ـ ٤٥٠٠ نسبة الى تل حلف ، الذي يقع على منابع الخابور بالقرب من بلدة راس العين ، على بعد ٥ كم الى الجنوب منها ، واسمه القديم جوزان (جوزن) . وقد اكتشفت فيه آنية فخارية جميلة متقنة الصنع . مختلفة عما سبقتها وعما اتى بعدها . والفرق بينها وبين الاقدم منها جلي واضح ، لذا ميزنا هذه الحضارة عن سابقتها وسميناها بهذا الاسم الجديد ، لنعرف عصرا يمتد من ٥٠٠٠ ـ ٤٥٠٠ ق.م او من ٥٢٥٠ ـ ٤٥٠٠ او من ٥٥٠٠ ـ ٤٥٠٠ قم

صناعة الفخار :

ما كان لصناعة الفخار أن تبلغ هذه الدرجة من الاتقان ، لولا التقدم الفني الراقي الذي حققه الانسان خلال هذا العصر . اذ عند

بداية صناعة الفخار ، في النصف الاخير من العصر الحجري الحديث ، اعتاد الانسان ، أن يشوي آنيته الرمادية ، أو الحمراء الفاتحة ، في موقد مكشوف يعبق بالدخان . فينتج عن ذلك سطح ذي الوان مختلفة. وحتى يستطيع الانسان جعل سطح الآنية موحد اللون ، عليه ان يشويها في موقد مغلق ، فيه فتحات كافية لخروج الدخان ، يخصص جزؤه العلوي لوضع الآنية . ويجب ان يكون الموقد ذي حرارة مرتفعة منتظمة . ومثل هذا الموقد كشف عليه في كركميش وغيرها .

عثر على الآنية الحلفية ، في كثير من المواقع الأثرية بالجزيرة وبلاد الشام الشمالية والوسطى ، وهذا يدل على الصلات الوثيقة بين هـذه المناطق ، ويدل على ازدهار التجارة وسرعة التنقل ، الذي كان يتم بوساطة العربات وغيرها . فقد وجد وعاء فخاري بتل حلف ، رسمت عليه عربة وحوذي ؟ وبما أن الوعاء مشوه لا نستطيع التعرف على نوع العربة ، وكيف كانت تجر . والشيء المهم ، هو أن الانسان في هذا العصر ، قد اوجد واسطة نقل سريعة ، تحمل كميات كبيرة من البضائع . وهـذا الاتصال السريع بين الناس ، مكنهم من تقليد الفخار الحلفي ، وتبادل الخبرات والمعلومات فيما بينهم . ولا شك بأنه قد رافق كل ذلك تنظيم ما ، قامت به سلطة نجهلها ، ولا نستطيع التكهن بماهيتها .

إن أهم ما يميز حضارة حلف ، هو الأواني الفخارية ، التي صنعت باليد ، مثلما صنعت آنية العصر الحجري الحديث ، وقد صنعت من الطين الناعم ، وشويت بالنار جيدا ، حتى تصلدت . اشكالها متنوعة فمنها الجرار ، والقصعات ، والصحون ، والقدور ... الخ . كعبها مسطح ، وحوافها شبيهة بحافة القمع وليس لها عروات ، او مثاقب لانها مصنوعة باليد .

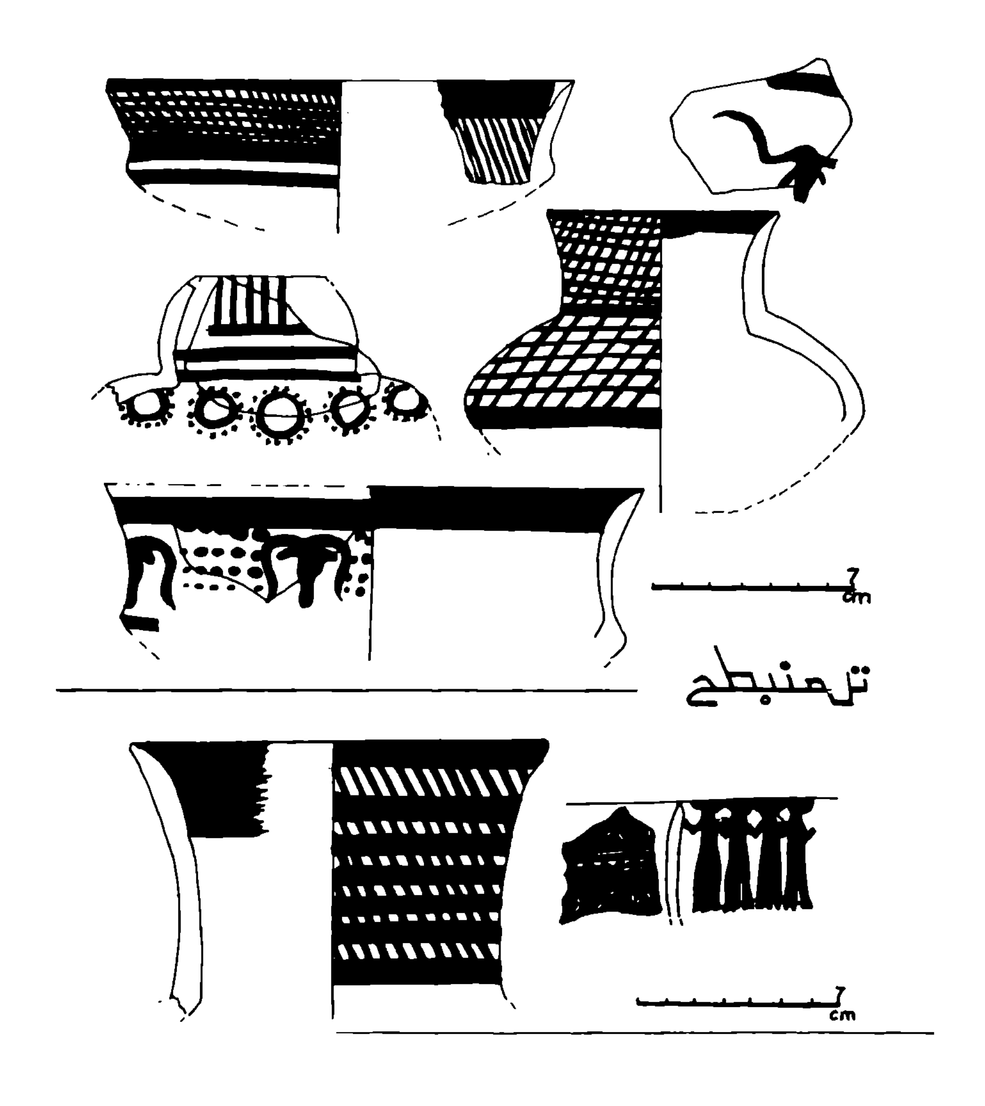
استخدم اللون البني الغامق ، والاسود ، والاحمر ، والبرتقالي ، في رسم الزخارف . وكانت هذه الالوان زاهية براقة ، بفعل الشي الجيد على ما نظن . وغالبا ما رسمت الزخارف بلونين . فقد استعمل

مثلا اللون الاحمر الى جانب الاسود البراق ، أو الاحمر بجانب الابيض . ويبدو أن هذا النوع من الزخارف أصبح محببا عند نهاية عصر حلف .

كانت اشكال الزخارف هندسية منها الخطوط المتعرجة والمستقيمة والمنكسرة ... الخ . المعينات ، المثلثات ، المربعات ... الخ . ومن بين الاشكال الهندسية نميز ما يسمى شكل « الصدفة المفتوحة » ، الذي هو بالواقع الفأس المزدوج ، المشابه لبعض القطع الحجرية الصغيرة ، التي عثر عليها في موقع شاغر بازار ، والتي هي — على ما نعتقد — فؤوس مزدوجة . ونميز كذلك الشكل المعروف باسم الصليب المالطي . ونرجح أن يكون لهذين الشكلين قيمة دينية أكثر من القيمة الفنيـة الزخرفيـة .

ومن أهم العناصر الزخرفية الاشكال الحيوانية وجمجمة الثور ، التي كانت تصور بالشكل الطبيعي أو التجريدي . وفي بعض الاحيان يصبح شكلها غير معروف ، ويشبه قيثارة . ويشير هذا الزخرف الى القدسية التي تمتع بها الثور ، الذي ظل الناس يقدسونه في بلاد غربي آسيا مئات السنين . ولا ندري فيما اذا كانت لبقية الحيوانات قدسية. ولكن من المؤكد أن مجرد وجودها كعنصر زخرفي يدل على اهميتها بالنسبة الى هذا المجتمع الفلاحي . لم يكتف الفاخوري برسم جمجمة الثور ، بل رسم الثور ينام على الارض وكذلك الماعز الجبلي وصفوف من الحيوانات تشبه الخيول ، ومن الطيور صور الرهو والنعامة ، وغيرهم . (صورة ٢٠) . لم يصنع فخار حلف بمكان واحد ، بل في بضعة أمكنة . ففي سهل العمق كشفت التنقيبات التي جرت في موقع تل الشيخ ، الذي يبعد ٣ كم الى الغرب من تل عطشانه ، على فخار حلف المستورد . الذي حاول السكان تقليده ، فلم ينجحوا في بادىء الامر ، فانتجوا آنية اقل جودة ، طينها خشن ، الوانها غير زاهية .

الدمى : رافق صناعة الفخار الحلفي الجميل ، صناعة الدمى الطينية النسائية ، التي تطورت عن صناعة دمى العصر الحجري



الصورة رقم ٢٠



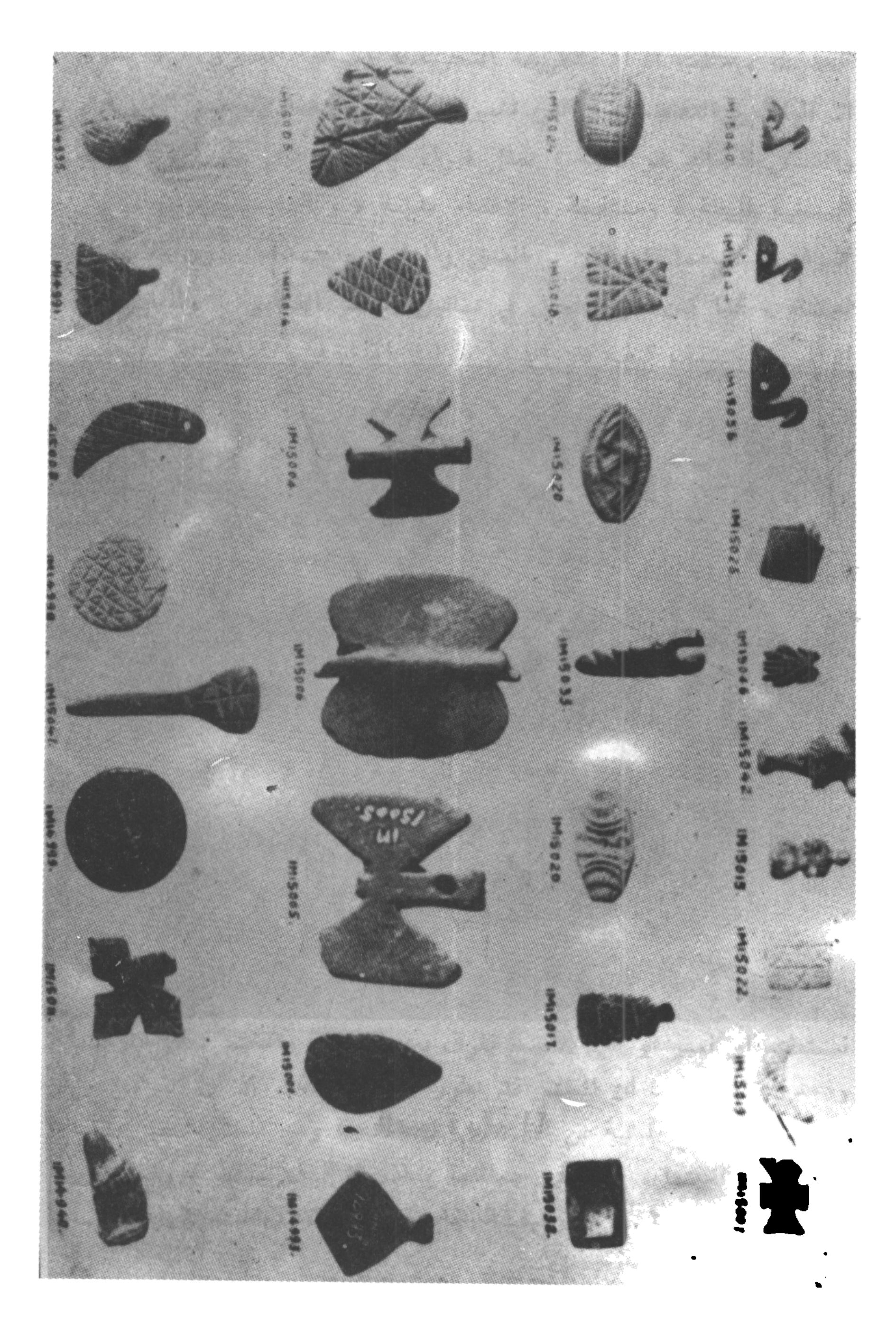
تل زيدان

الحديث ، مثلت المرأة بالطريقة التجريدية وشكلها المختزل ، لا يحوي الا قليلا من التفاصيل ، التي تشير الى بعض أعضاء الجسم الانثوية . والشكل السائد هو دمية ، تمثل امراة جاثية ترتدي مئزرا ، اطرافها السفلية غليظة ، ومنتفخة ، الاقدام مدببة ، وكأنها مبتورة . الثديان كبيران تسندهما اليدان . العنق والراس واحدة ، دون ملامح او اعضاء ، كما كان عليه الحال في تماثيل العصر السابق . والناظر الى الراس ، يكتشف كيف كان الفنان يقولبه بأصابعه . نشاهد على الجسم تلوينات ، او اصبغة على شكل خطوط ترمز الى الثياب . وهذا ما يميزها عن دمى العصر السابق . وفيما عدا ذلك فالتشابه بينهم قوي . وهذا دليل آخر على تقديس الربة الام (صورة ٢١) .

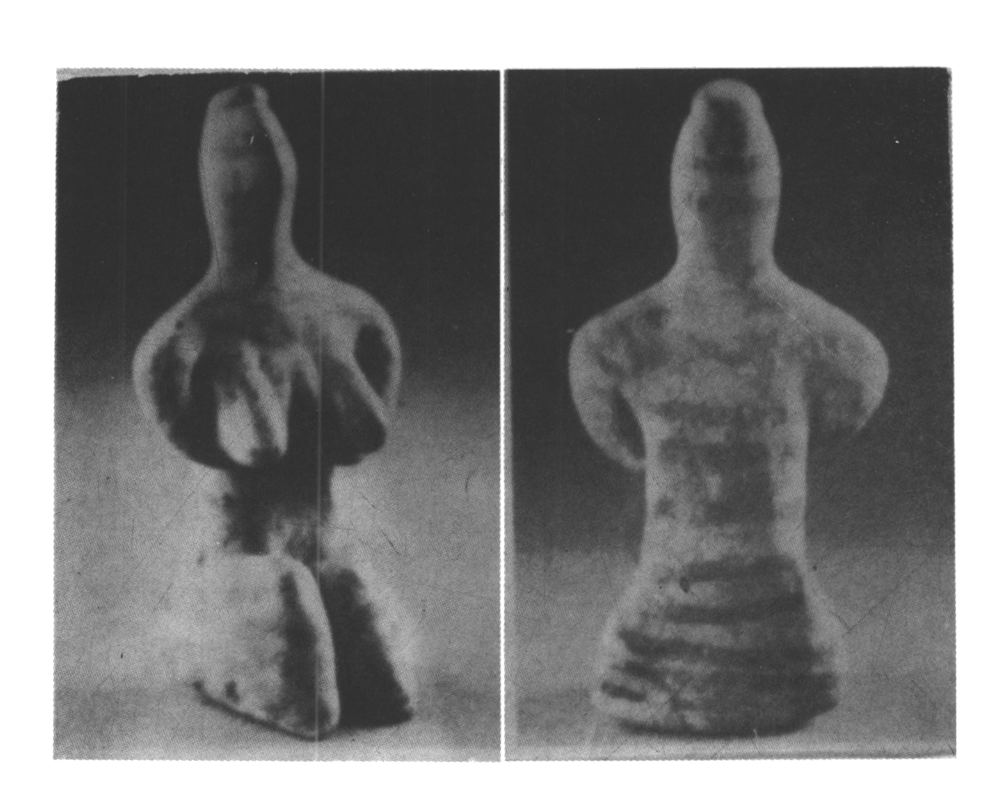
الى جانب هذه الدمى البشرية نجد دمى حيوانية تمثل ابقارا ، اغناما ، خنازير .... الخ . وهي قليلة نسبيا اذا ما قورنت بأعداد الدمى البشرية .

الأختام والتمائم : لم يقتصر التطور الحضاري على صناعتي الفخار والدمى الطينية ، بل تعداه الى مجالات اخرى مثل التمائم والأختام .

لقد راينا في الفصل السابق ، أن المنقبين قد عثروا على طبعات اختام في بقرص وعلى بضعة اختام في اجاريت (راس الشمرا) . لذا لم يعد مجال للاعتقاد ، بأن الأختام ، كانت من اختراع فناني هذا العصر ، والواقع انه لا في العصر الحجري الحديث ، ولا عند بداية هذا العصر ، نستطيع ان نميز او على الاصح نفرق بين التميمة والختم . فزخارفهما واحدة . ولا شك أن الختم قد تطور عن التميمة . اذ ان الغرض من التميمة هو دفع البلية عن الانسان وممتلكاته ، ومن الختم تمييز ملكية الاشياء وعائديتها . وبالتالي حمايتها . اذن لا فرق بينهما ، ومع مرور الزمن اصبح لكل نوع وظيفة خاصة ومجالات استعمال خاصة (صورة ٢٢) .



الصورة رقم ٢٢



الصورة رقم ٢١

شكل الختم ، الذي كان يصنـع من الحجـر الصابوني هرمي ، مخروطي ، موشوري ، منجلي ، مثلثي ، على شكل ريشة او فأس مثقوبة في الطرف المقابل للسطح المزخرف لتعلق بخيط . اما الزخارف فكانت اثلاما دقيقة متقاطعة ، متوازية ، متعرجة ... الخ .

كان هذا شكل الختم والتميمة . وفي هذا العصر عندما ميز الفنان بين النوعين جعل شكل الختم مشابها لشكل زر عادي . مستطيل او مستدير على ظهره ثقب افقي او عروة للتعليق . اما الزخارف فقـد بقيت كما هي .

العمارة : حتى الآن لم يسعفنا الحظ ، ونعثر على موقع أثري من عصر تل حلف فقط ، ثم نقوم بالكشف عليه ، لنتعرف على فن العمارة في هذا العصر . وبانتظار تلك الفرصة ، سنكتفي بما هو متوفر من مواقع مثل : شاغر بازار ، اجاريت وتل اسود على البليخ .

في اجاريت : يقول المنقبون ، ان الاستيطان قد شمل بقعة محدودة من الجزء الغربي للتـل ، وكانت البقايا المعمارية بسيطة ، عادية ، ومتقنة . بنيت جدران البيوت باللبن فوق اساسات حجرية ، وكان شكلها مربع . والى هذا العصر تعود الطبقة الرابعة التي قسمت الى : ٤ آ ٥٢٥٠ ـ ٥٠٠٠ و ٤ ب ٥٠٠٠ ـ ٤٥٠٠ و ٤ جـ ٤٥٠٠ ـ ٤٣٠٠ ق. م.

ومن ساحل البحر المتوسط ، ننتقل الى حوض البليخ ، الى تل اسود على نهر التركمان ، احد روافد البليخ . وفيه كشف على معبد من عصر حلف ، مخططه على شكل صليب . وفي عتبة مدخله عثر على جمجمة ثور ، وضعت في هذا المكان ، أثناء تأدية المناسك . بنيت الجدران بقطع اللبن الصغير ، وكان يربط بين مداميكها ، ملاط طيني جيد ، بينما كسيت من الداخل بطلاء كلسي ابيض . ومما يلفت النظر في هذا البناء الديني الهام . والفريد من نوعه حتى الآن ، وجود مصطبتين صغيرتين

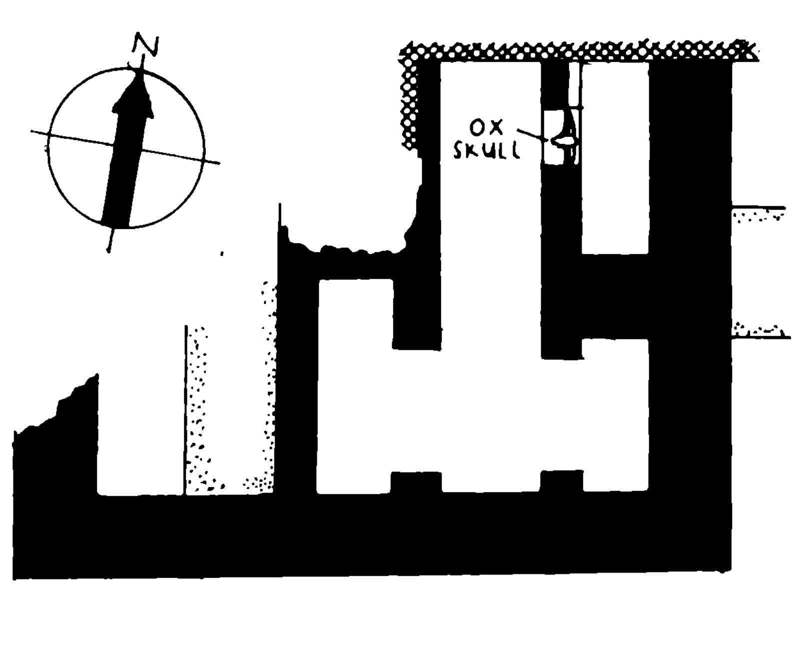
مبنيتين باللبن ، واحدة داخله ، والاخرى خارجه . ابعاد البناء ٦٫٢٥ × ٥٫١ م . ابعاد اكبر حجرة ٣٫٥ × ٠٫٩٠ م كان السقف من عيدان القصب والطين المثقل بالحصى النهرية . وقد عثر على كثير من عظام الخنازير ، الخراف ، الماعز ، البقر ، الجاموس خارجه . (مخطط ــ ٤ ــ) .

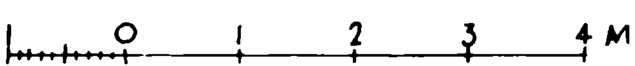
ومن حوض البليخ ننتقل شرقا الى موقع شاغر بازار (حطين) الى الشمال من الحسكة . وقد نسبت الطبقات ٦ ــ ١٤ (من الاعلى الى الاسفل) لهذا العصر بنيت جدران المساكن بقطع صغيرة من اللبن المجفف بحرارة الشمس ، وكان عرضها حوالي واحد متر . وفي الطبقة ٩ كشف على بقايا من البيوت التنورية الشكل (تولوس) وهي تتالف من حجرة مستديرة سقفها قبة يتقدمها ممشى مستطيل الشكل (مخطط ٥) .

لقد عثر على هذا النوع من البيوت في تل العربجية بالقرب من الموصل ، وقد ميزوا منه نوعان : حجرات مستديرة ، وحجرات مستديرة يتقدمها ممشى مستطيل الشكل . بلغ قطر اكبر حجرة مستديرة ١٠ م . وقد ظن بعض المستشرقين ان هذا النوع من البيوت مصدره بلاد بحر ايجي .

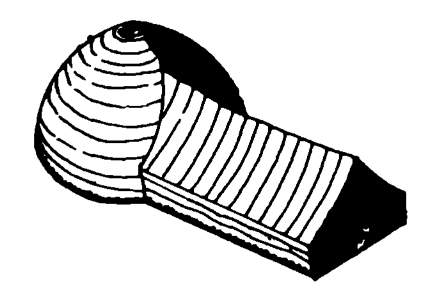
والآن وبعد اكتشاف اساسات البيوت المستديرة في تل الرماد والمريبط ، والتي تعود الى العصر الحجري الحديث واكتشاف اساسات بيوت مستديرة ومستطيلة في موقع شمس الدين طنيره على الفرات الى الشمال من المريبط من هذا العصر . اظن ان البيوت المستديرة ابتكار محلي ، استمر استعمالها عدة قرون ، ولم يأت الى المنطقة من الخارج .

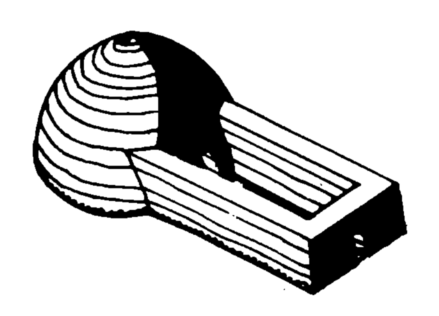
جنبا الى جنب ، ومتزامنين ، كانا فخار حلف ، وسماره ــ نسبة الى مدينة سماره الشهيرة في العراق ــ الذي شاع استعماله في المنطقة الممتدة بين الدجلة ، والزاب الاعلى شمالا ، وحتى الخابور غربا ، اما في جنوب بلاد النهرين . فلم يعثر عليه بعد ، صنع هذا النوع من الفخار

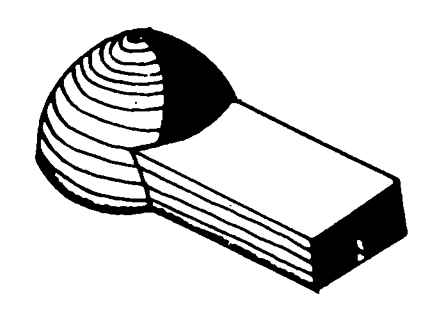




مخطط رقم ٤







مخطط رقم ٥

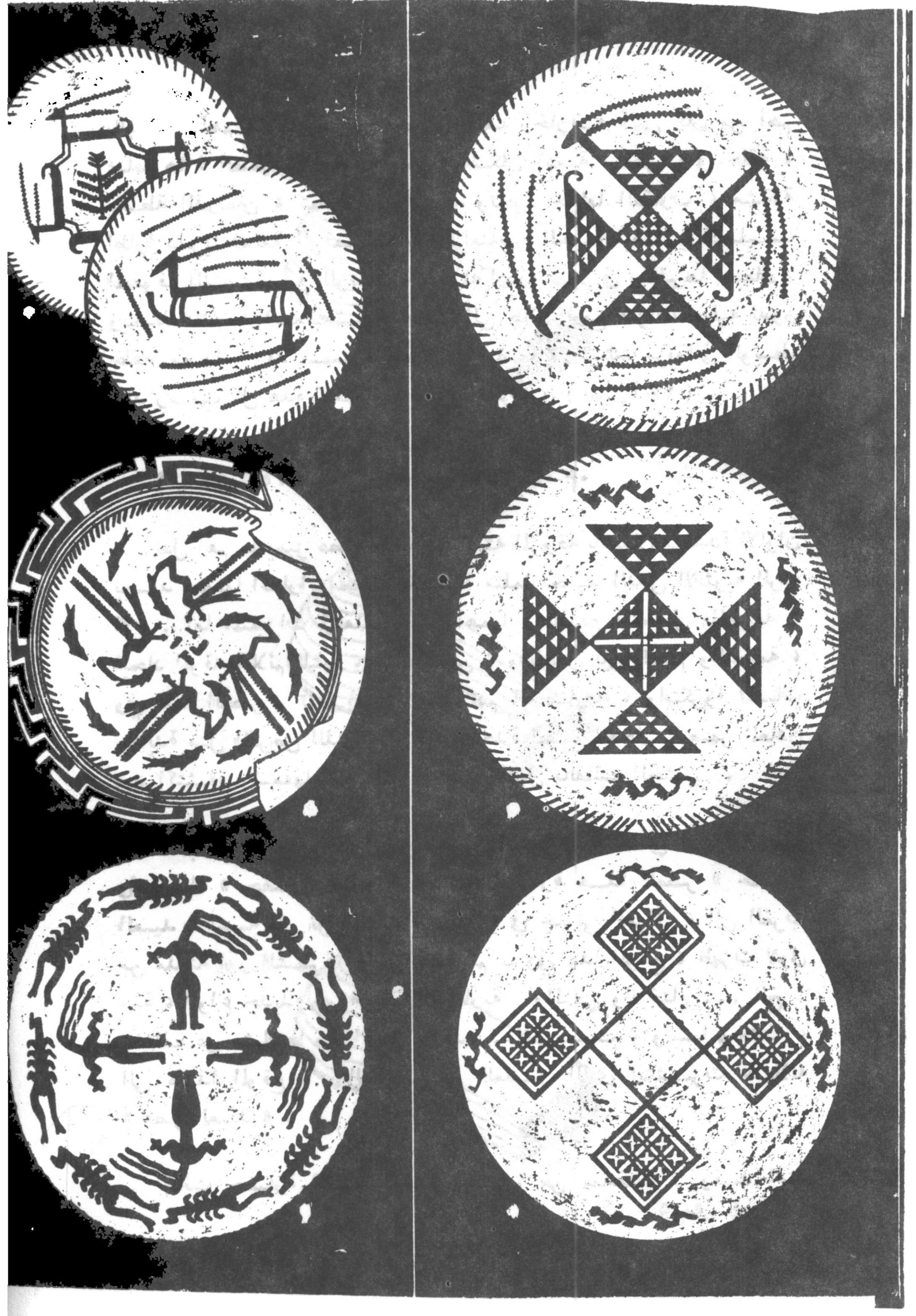
باليد . واهم ما يميزه عن فخار حلف زخارفه التي كان من أهم عناصرها : الصليب المعقوف واربعة اشكال آدمية ترقص ، في حلقة ، باسطة الذراعين ، شعرها يتطاير ، وتحوم حولها العقارب ، مشكلة اطارا دائريا لحلقة الرقص . ومن العناصر المحببة ايضا . الصليب المعقوف الذي رسم في الوسط ، وحوله اربعة طيور في مناقيرها أسماك ، ويحيط بالمشهد اسماك تسبح ، هذا الى جانب اربع عنزات جبلية تدور خلف بعضها . وقد ضمت قوائمها الى بعضها ، فشكلت مربعا في الوسط وقد رسمت كل هذه الاشكال باسلوب تجريدي (صورة ٢٣) .

٢ ـ حضارة العبيد : ٤٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق٠ م٠

لعل اهم ما يميز عصر حلف هو آنيته المزوقة باشكال متعددة الالوان يجسد بعضها افكارا ومعتقدات دينية مثلما تجسد الدمى الانثوية الربة الام . اما المنجزات التقنية فكان اهمها : تطويع النحاس بالمطرقة ، ايجاد الموقد الملائم للشي ، صنع اللبن ، والفصل بين الختم والتميمة ، وفي هذا العصر ، تابع الناس مسيرتهم الحضارية ، وابتكروا تقنيات جديدة مثل القرص الذي يدار بيد واحدة لصنع الفخار ، صهر المعادن بعد اكتشاف ضعفها امام النار ، صنع اللبن بالقالب الخشبي .

نسبنا ، النصف الاول من العصر الحجري النحاسي الى تل حلف واسميناه « حضارة حلف » ونسمي حضارة هذا العصر « حضارة العبيد » نسبة الى تل العبيد الصغير ، في جنوبي العراق ، الى الغرب من مدينة أور الشهيرة حوالي ستة كم . وفي هذا الموقع ، ظهرت لاول مرة ، انواع جديدة من الأواني الفخارية ، والمباني والاختام ... الخ . تختلف عن مثيلاتها من العصر الاقدم . لذا نسبت ، واينما وجدت ، الى هذا الموقع ، وبالتالي سمي العصر الذي انتشرت خلاله « عصر العبيد » .

كانت حضارة العبيد اوسع انتشارا من سابقتها . وقد امتد

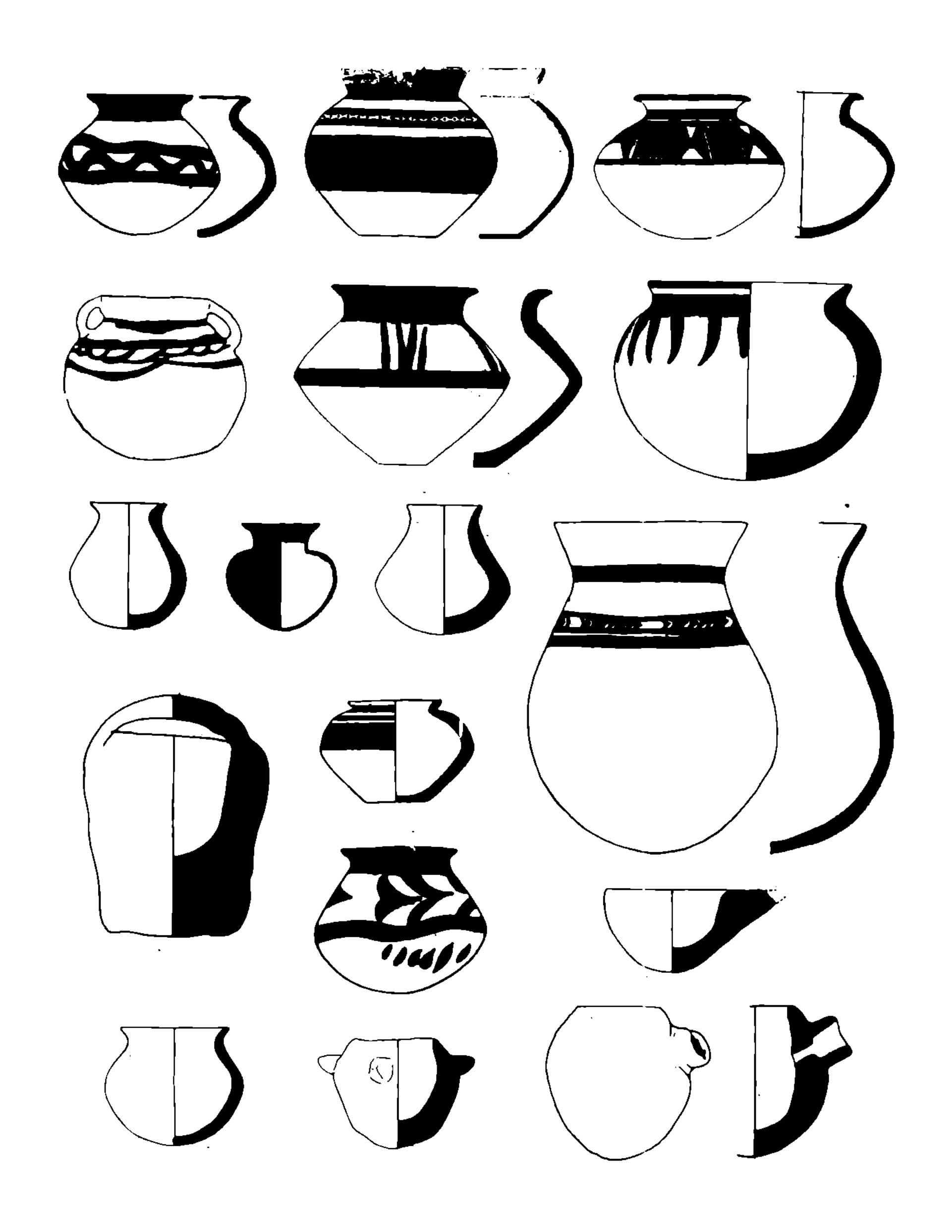


الصورة رقم ٢٣

تاثيرها ، من سواحل شبه الجزيرة العربية المطلة على الخليج ، الى بلاد النهرين ، ليشمل النصف الشمالي من بلاد الشام . ونحن نميز منطقتين عبيديتين : الجنوبية وتشمل السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، والاقليم الجنوبي لبلاد النهرين أما الشمالية فتضم الاقليم الشمالي من بلاد الشام . وقد لاحظنا ان حضارة العبيد الشمالية ليست وثيقة الصلة بحضارة حلف ، وأدنى مستوى منها . فالأواني غير مصقولة ، أو لماعة كالحلفية ، وقد شويت بأفران ذات حرارة عالية مما ادى الى اخضرار سطحها . كانت الرسومات التي تزوقها هندسية الشكل قاتمة اللون . ولم يحاول الفاخوري رسم الاشكال بلونين على اناء واحد . ومع ذلك نجد انه قد ابتدع نماذج زخرفية جديدة غير السابقة حصل عليها من تطوير الاشكال الهندسية وتنويعها .

لم يبال برسم الاشكال الحيوانية او الآدمية . بل ابتكر انواعا جديدة مثل الحقق والاباريق . اضاف اليها المثقب والعروة ، الكعب الحلقي . ويرى المحترفون لصناعة الفخار ان هذه الابتكارات الجديدة دليل على اختراع القرص الدوار الذي مكن الفاخوري من زيادة تنويع انتاجه . ورغم هذا التقدم التقني ، اضحت الأواني مطبخية عادية لا تعبر زخارفها عن افكار ومعتقدات دينية (صورة ٢٤) . في سهل العمق ، وبموقع تل الشيخ كشف على فخار العبيد المستورد والمصنوع على القرص المدار باليد . طلاءه الخارجي ابيض مخضر وعليه زخارف هندسية بلون اسود او بني .

ونتيجة لتبادل الخبرات والبضائع ، بين اقليم بلاد النهرين الشمالي والنصف الشمالي من بلاد الشام ، وخاصة سهل العمق ، أقام سكان تل الشيخ صناعة فخار محلية ، لا تقل جودة واتقان عن فخار الحلف والعبيد . ففي الطبقة ١٠ من الموقع المذكور ، عثر المنقبون على آنية فخارية متقنة الصنع ، تنم اشكالها ، وزخارفها عن ذوق فني رفيع . زوقت الأواني بأشكال هندسية متنوعة تناسب شكل الاناء . الوانها



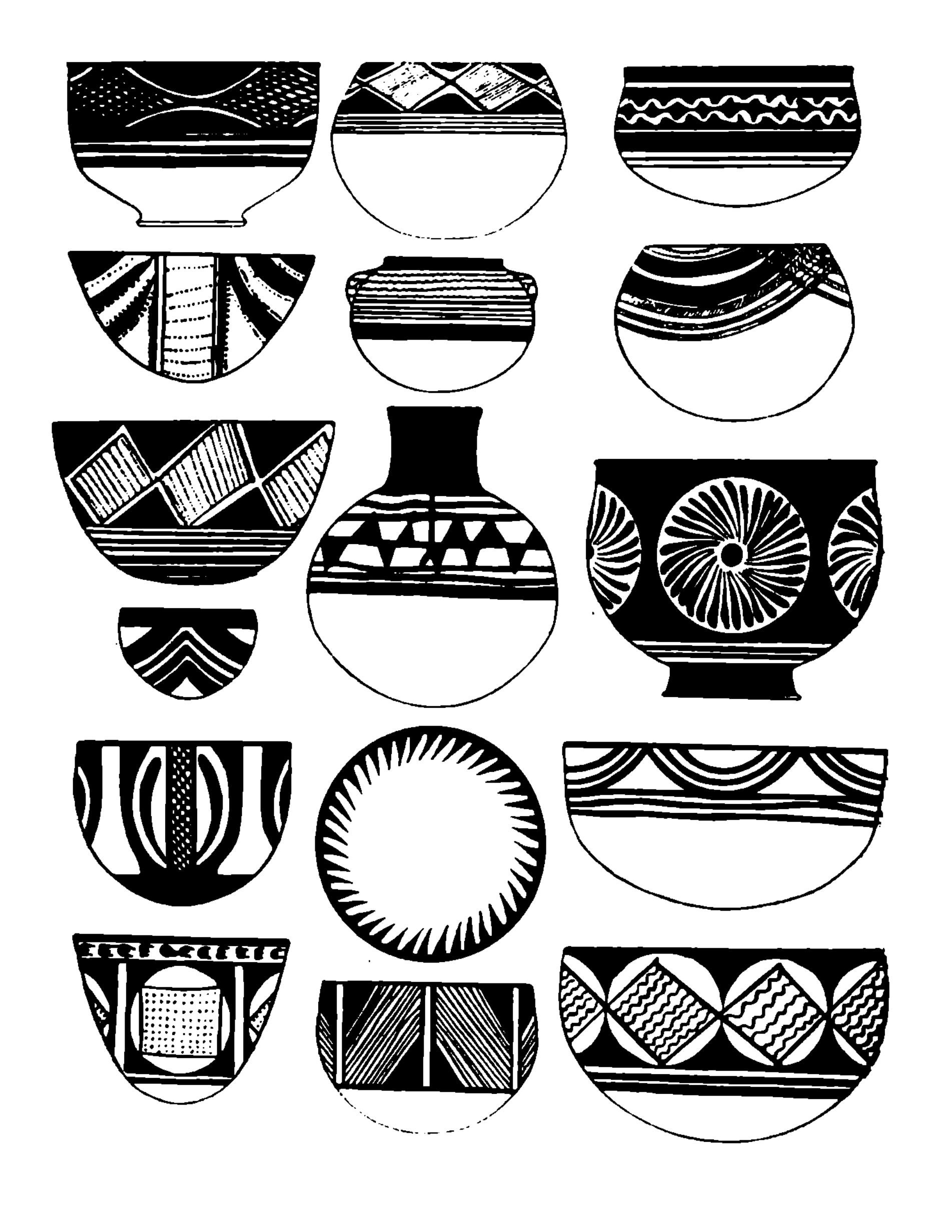
الصورة رقم ٢٤

براقة لامعة وفاتحة . وقد عثر على هذا النوع من الفخار في مرسين بكيليكية ، مما يشير الى تصديره الى الخارج (صورة ٢٥) .

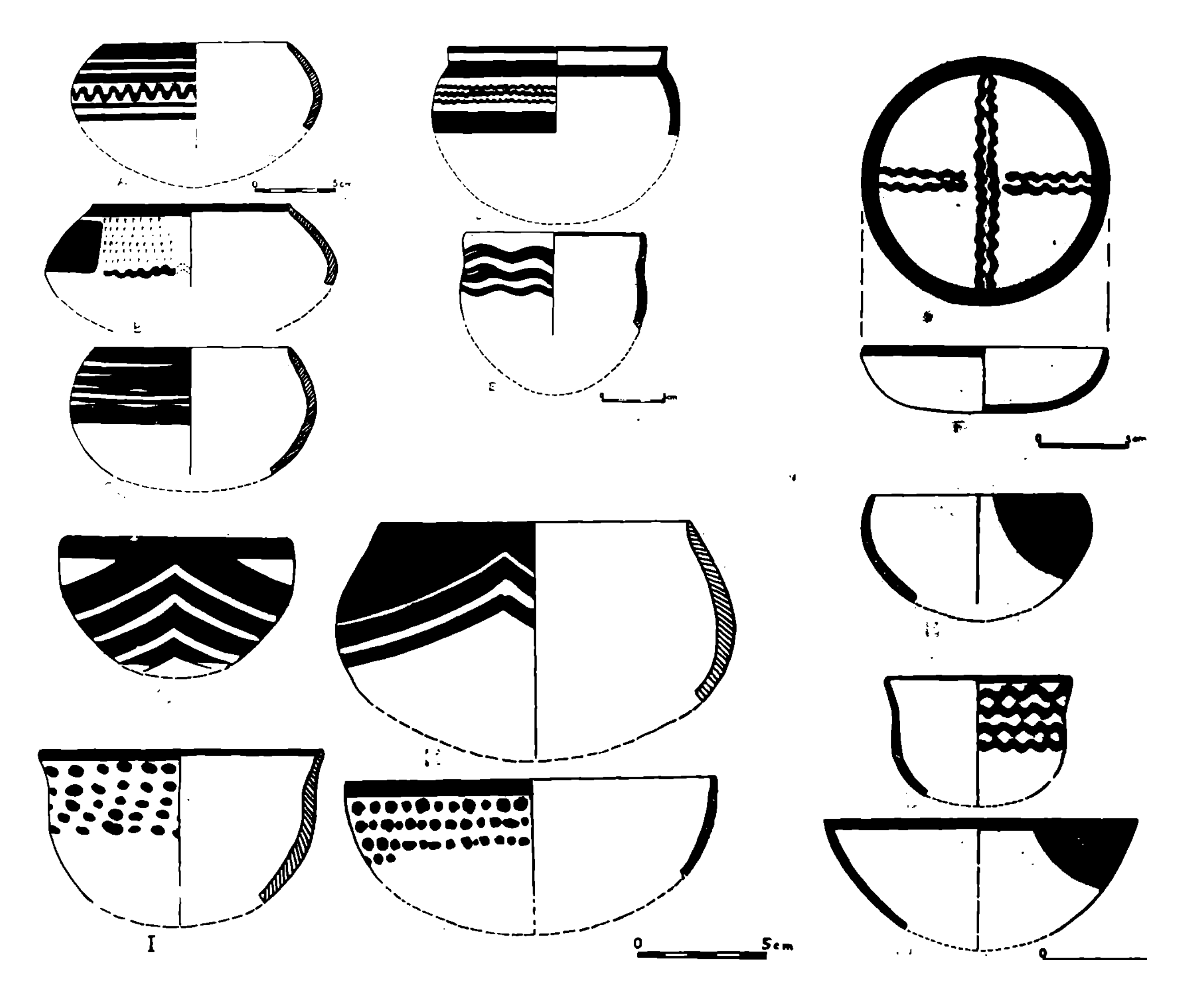
هذا في موقع تل الشيخ ، اما في اجاريت فقد لاحظ المنقبون وجود طبقة متميزة ، تفصل بين حضارتي حلف والعبيد هي الطبقة IIIC = ٣ جـ ٤٣٠٠ – ٤٠٠٠ ق. م.) وتمثل مرحلة انتقالية بين الحضارتين . بقاياها المعمارية نادرة وبسيطة ، وابنيتها ليست مزخرفة، كالآنية الحلقية الاقدم ، أو العبيدية الاحدث ، وتتمثل حضارة العبيد في الطبقة (٣ ب = IIIb ٤٠٠٠ – ٣٠٠٠ ق. م.) التي حوت على فخار عبيدي رقيق مصنوع من الطين الناعم ، ذي اللون الزبدي او الجلدي ، زخارفه هندسية ، بديعة جميلة (صورة ٢٦) .

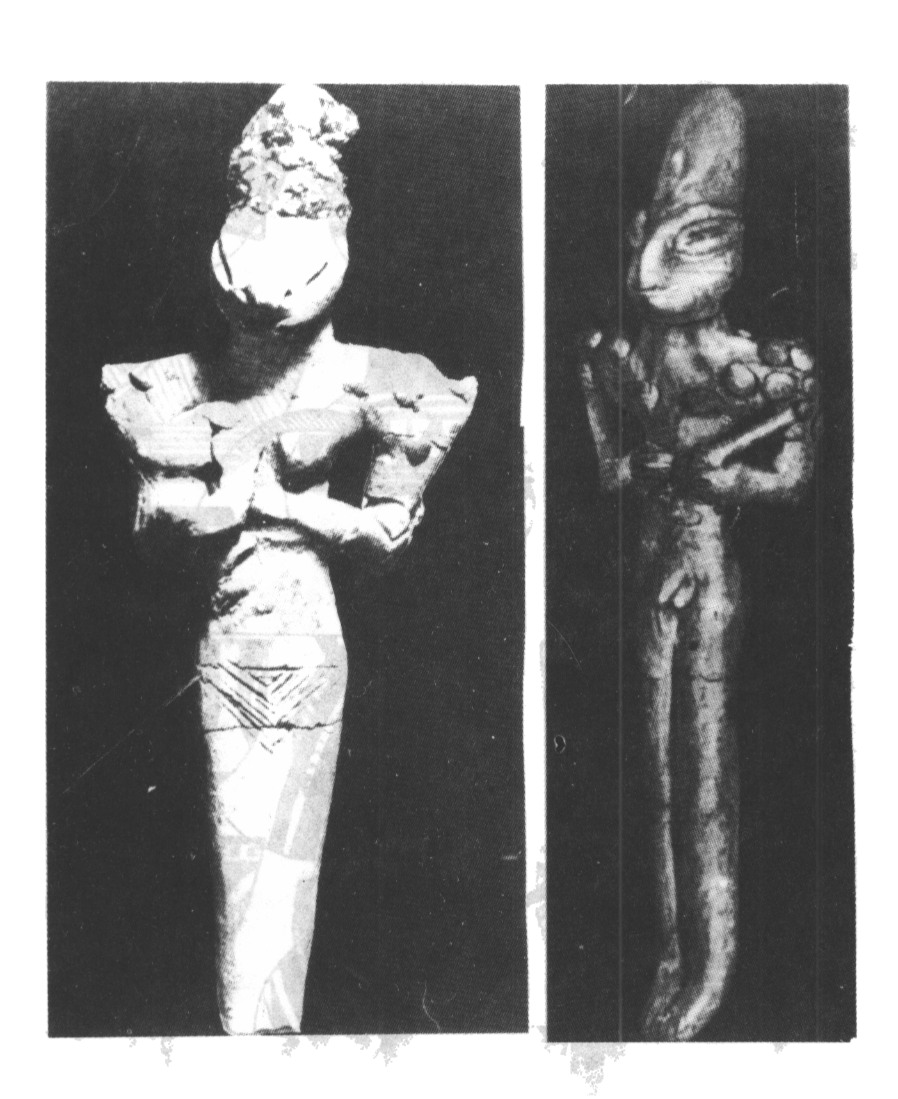
وكما مثلت المرأة العارية بوساطة الدمى الطينية في العصر السابق . استمر هذا التقليد خلال هذا العصر . مع فارق كبير من حيث الشكل والمضمون . فمن حيث الشكل ، لم يعد تجريديا يرمز الى المرأة ، بل اصبح اكثر واقعية . فقد مثلت المرأة منتصبة عارية ، رأسها قريب الى رأس الحيوان (القط ؟) ، فوقه كتلة اسفلتية تشير الى الشعر . هذا من حيث الشكل ، اما من حيث المضمون فقد صورت المرأة وهي تحضن بين ذراعيها طفلا ترضعه تجسيدا لفكرة الامومة والخصب . وغالبا ما كانت هذه الدمى ، مثل الدمى الحلفية الجاثية ، مزوقة بخطوط ملونة تعبر عن الملابس أو الحلي . والى جانب هذه الدمى الانثوية ، وجدت دمى رجالية (صورة ٢٧) وكذلك دمى حيوانية ، تمثل الثيران والاغنام .

لم تقف حرفة صناعة الختم عند الحد الذي عرفناه من العصر السابق ، بل تطورت هذه الحرفة على نحو مذهل ، واصبحت مرغوبة ومعترفا بها . واهم ما يميز اختام هذا العصر ، عن العصر السابق ، اسلوب توزيع الاشكال على سطح الختم . وكما قدمنا اقتصرت زخارف الاختام خلال العصر السابق على خطوط متقاطعة ، نقاط ، وغيرها من



الصورة رقم ٢٥


0
5cm
I



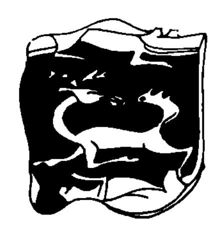
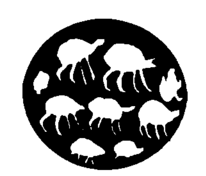
الصورة رقم ٢٧

فصيلتها . اما في هذا العصر فقد اعتمد الحيوان كعنصر زخرفي هام ، ونقش على الختم بشكله الطبيعي ، وليس المختزل ، مما يدل على تحكم الفنان بصنعته . في تبه كورا ، الطبقة ١٦ عثر على ختم دائري ، وزعت على سطحه صور ثلاثة كلاب صيد باوضاع مختلفة تشهد على دقة الملاحظة عند الفنان ، الذي صور حركاتها وانفعالاتها العادية . احدها يلتفت الى الوراء والآخر الى الامام ، الأذنان متهدله او منتصبة ، الذيل مرتفع ، او ممتد الى الوراء (صورة ٢٨) .

استخدم سكان تل الشيخ كغيرهم الاختام التي زوقت بأشكال نباتية ، حيوانية ، وبشرية ، واضحة المعالم دقيقة التفاصيل (صورة ٢٩) .

مع تطور المعتقدات الدينية ، ظهرت المعابد ، بيوت الارباب ، فيها يقيم الناس صلواتهم ، ويعبدون ربهم ، ويتقربون اليه . ودليلنا على ذلك ، ما اكتشف من معابد في مدينة اريدو ، التي تقع في أقصى الجنوب من بلاد النهرين . في هذا الموقع نقبت بعثة وطنية عراقية تحت الزقورة ، وكشفت على ثماني عشرة طبقة ، في كل طبقة معبد صغير بني للرب انكي ، اله الماء . في البدء كان المعبد عبارة عن مصلى مستطيل الشكل في وسطه منضدة لوضع النذور والقرابين عليها . وبعد وقت ليس بقصير ، اضيف اليه محراب ، قبالة المدخل . ثم رفع فوق الارض المجاورة ، بوساطة مصطبة ، بني فوقها المعبد . ومع مرور الزمن كان لا بد من توسيع المصلى ، الذي اصبحت حاجة الناس اليه ماسة لسبب او لآخر . فبني مصلى اكبر من السابق ، شكله بقي مستطيلا . ووضع امام الضلع العرضاني محراب يقابله امام الضلع الآخر المنضدة . احيط المصلى بحجرات ، واصبح الدخول اليه من باب في احد جانبيه . ومن مقارنة هذا الشكل مع اشكال المعابد في العصر اللاحق ، يمكننا القول ان المخطط العام للمعابد السومرية / الاكادية قد رسم في هذا العصر ، وأن وظيفة المعبد الاساسية قد حددت ايضا (مخطط ٦) .

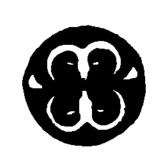
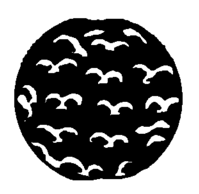


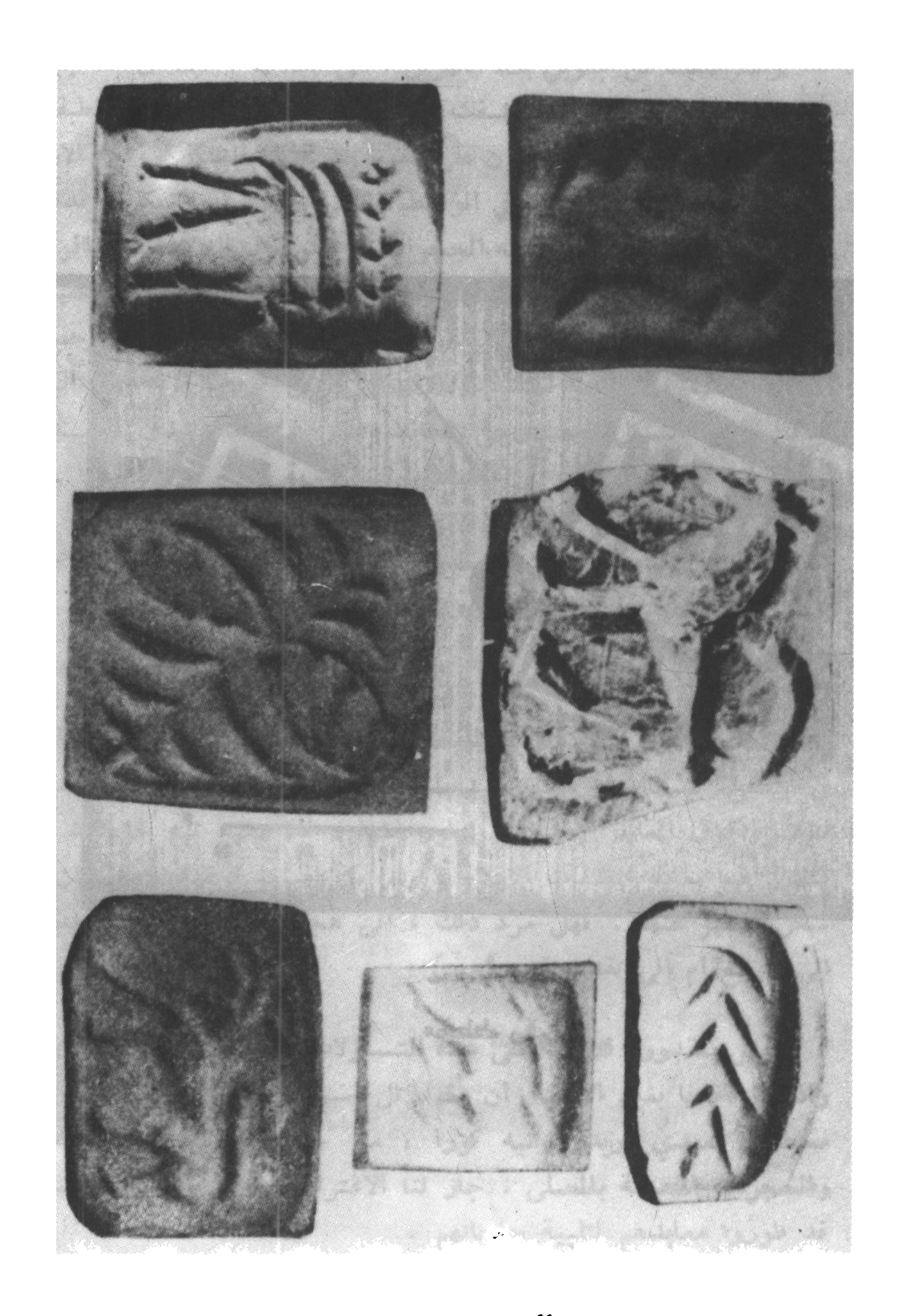




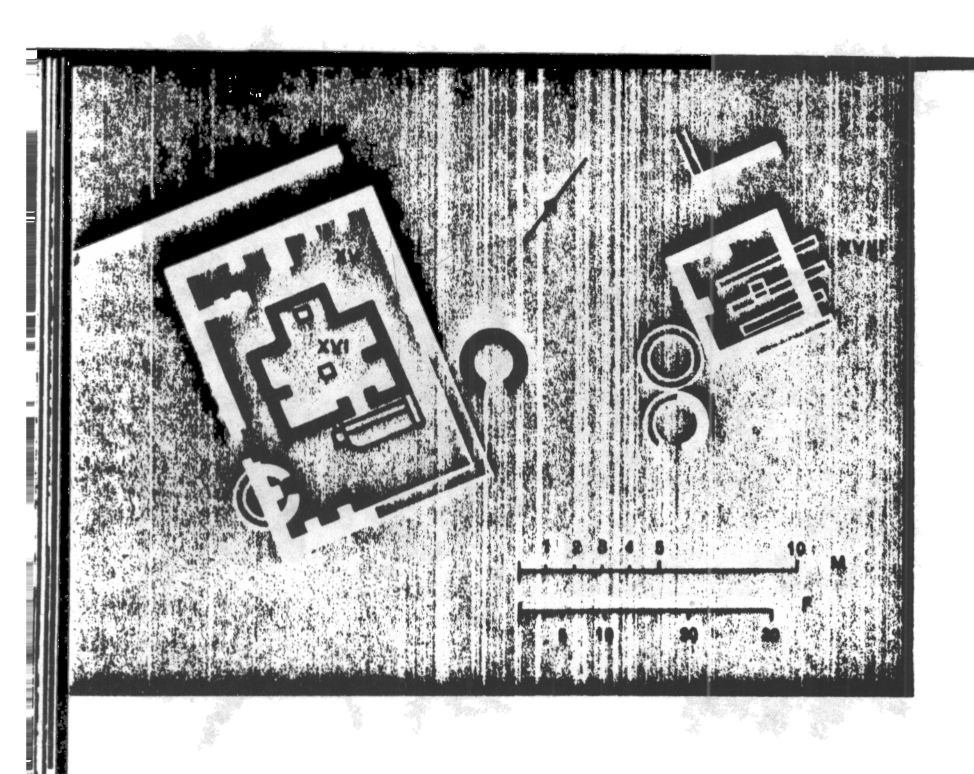


الصورة رقم ٢٨



الصورة رقم ٢٩



مخطط رقم ٦

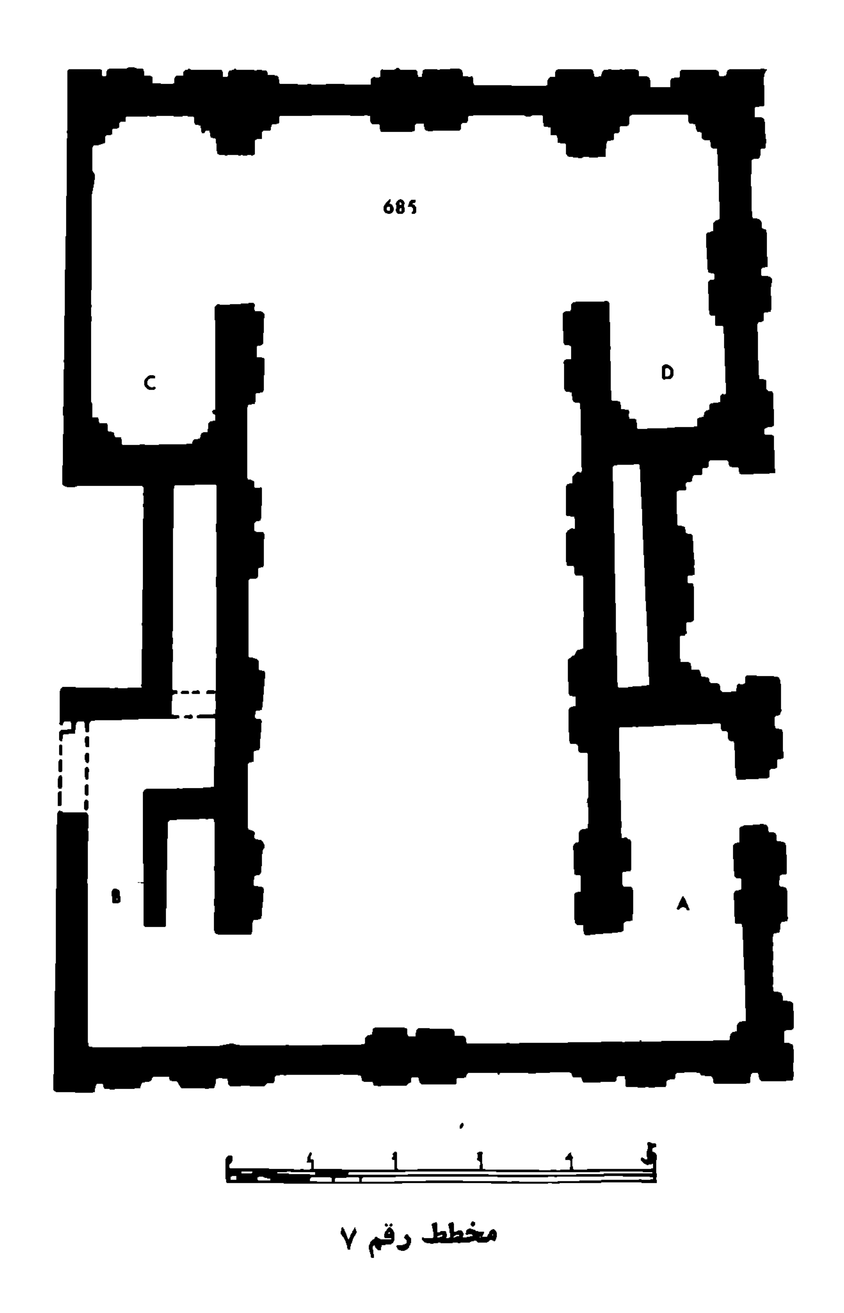
واذا انتقلنا من جنوبي بلاد النهرين ، الى شمالها ، نجد أن التنقيبات الاثرية في تبه جورا ، قد كشفت على بقايا حضارة العبيد في الطبقات ١٧ ــ ١٣ وفي ١٣ عثر المنقبون على معبد مستطيل الشكل زواياه الاربع بارزة ، وكأنها ابراج قلعة ، في الوسط مصلى مستطيل الشكل ، ندخله بوساطة ممر ملتو ، وتحيط به الحجرات . تزين جدرانه دعامات نافرة ، متوازية ، ومتباعدة عن بعضها بمسافات محدودة ، وهي تقليد للاعمدة ، او على الاصح ، للعيدان الخشبية ، التي تربط بين حصير كوخ القصب ، فعندما استخدم الانسان الطين او الوحل ، في البناء حافظ على الشكل الخارجي لحائط الكوخ . فاستبدل العيدان بالدعامات ، التي جمعت بين وظيفتين هما تقوية الجدران وتزيينها .

هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فان الحجرات الجانبية ، قد احتاج اليها كهنة المعبد ، لخزن نذوره ، التي اخذت تزداد يوما بعد يوم (مخطط ٧) .

وبعد هذا الوصف الموجز لمعبدين واحد في اقصى الجنوب ، وآخر في اقصى الشمال . يجب علينا أن نوضح بأن معبد اريدو قد شيد مباشرة فوق المعابد الاقدم ، وتطور عنها . اما معبد تبه جورا ، فلم يتطور عن معابد الطبقات الاقدم ، ولم يكن مبنيا فوقها . بل كان له شكل متميز عنها . فهل مرد ذلك ، الى هجرة عناصر سكانية جديدة الى الموقع ام الى تقدم تقني ؟

ليس بمقدورنا الاجابة على هذه التساؤلات ، لفقدان الدليل المادي . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار أن معبد تل اسود (مخطط ٤) قريب من مخططي معبدي اريدو وتبه كورا ، من حيث المساحة والمصاطب والحجرات المحيطة بالمصلى : جاز لنا الافتراض ، بأن السكان انفسهم قد طوروا معابدهم لتلبية حاجاتهم .

قلنا ان حضارتي حلف والعبيد ، قد شملتا بلاد الشام ، وفي بلاد



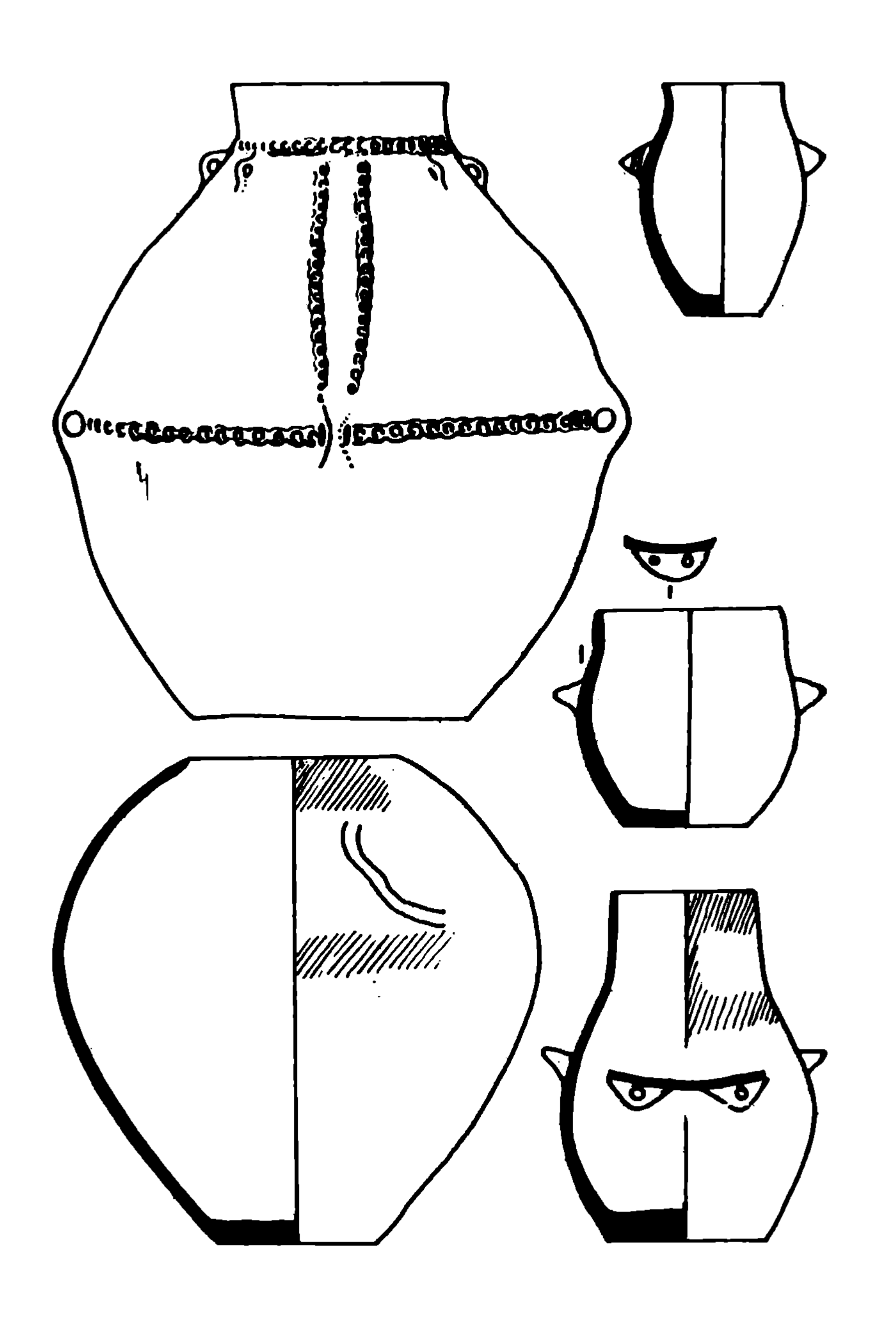
مخطط رقم ٧

الشام الجنوبية ، لم نعثر على نوع من الفخار ـ حتى الان طبعا ـ شاع استعماله في مواقع كثيرة ، حتى نتحدث عن حضارة معينة ، كما تحدثنا عن حضارتي حلف والعبيد . لذا سنعرض الى احد المواقع الهامة في بلاد الشام الجنوبية ، والذي يعود الى هذا العصر ، وهو موقع تليلات غسول ، على الضفة الشرقية لنهر الاردن ، حوالي ٤ كم الى الشمال الشرقي من البحر الميت . هنا نقبت بعثة من المعهد البابوي للدراسات التوراتية في الفترة من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٨ ، وكشفت على أربع طبقات سكنية متتابعة ، قامت كل واحدة على انقاض الاخرى .. بعد أن دمر حريق هائل مساكن الطبقة الدنيا اعيد ترميمها ، واستخدامها . ثم اصلحت ورممت مرتين خلال هذا العصر ، وبعدها هجرت الى الابد .

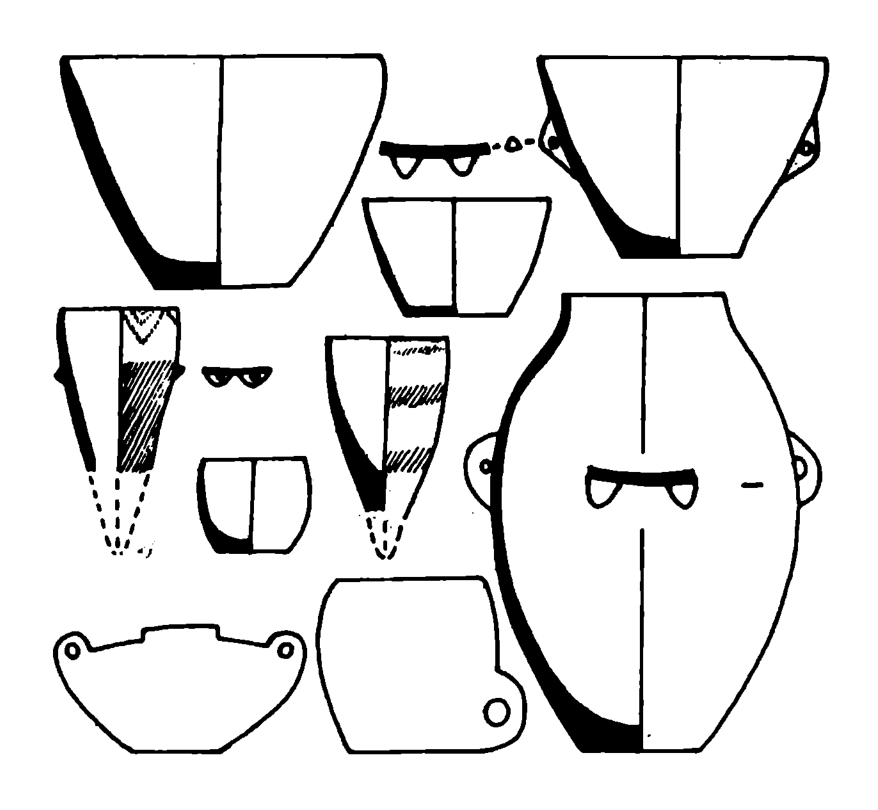
كانت البيوت بسيطة متلاصقة ، ولم تكن محاطة بسور ، شكلها غير منتظم . منها المستطيل ، والمربع ، وشبه المنحرف . اساسات الجدران من الحجر غير المنحوت وجدرانها من الطين او اللبن . عثر في احدها على تزويقات جدارية ، لونها احمر ، تمثل ستة اشخاص اصطفوا رتلا واحدا ، ويتقدمون باتجاه رتل اخر ، مؤلف من ستة اشخاص . ومن الاشكال الاخرى الهامة نجمة ثمانية ، رسمت بالالوان : الاسود ، والابيض والاحمر . ويبلغ طول قطرها ١٫٨٤ م ، (صورة ٣٠) . عثر تحت ارضيات البيوت على حفر مطوية لخزن الحبوب . وفي داخلها على جرار ضخمة لنفس الغرض ، والى جانبها جاروش او رحى . الانية المكتشفة في تليلات الغسول متقنة ، مشوية جيدا . غير سميكة . شكل بعضها يشبه شكل طير . ولها اريتان جانبيتان تشبه جناحين قصيرين لطير ، وعنقها طويل كعنق طير . وربما استعملت لخض اللبن . زخارفها سلسلة من بصمات الاصابع ، او خطوط هندسية بسيطة ، لونها أحمر غامق ، فوق أرضية زبدية اللون (صورة ٣١) . الى جانب الانية الفخارية صنع الانسان اواني حجرية مثل القصعات ، الصحاف ، القدور ، والمعاجن ، ذات الكعب الهرمي ، والاريات المثلثية الشكل (صورة ٣٢) ، ومن أهم المكتشفات في هذا الموقع ، فؤوس نحاسية



الصورة رقم ٣٠



الصورة رقم ٣١



الصورة رقم ٣٢

عادية ، صنعت طرقا ، وتدل على أن هذا الموقع من العصر الحجـري النحاسـي .

تبين من التنقيبات الاثرية في الخضيرة ، على السـاحل الفلسـطيني ، ان فخار الفسـول ، قد استعمل في هذا الموقع ، الذي عثر فيه على مجسم بيت جميل مخططه شبيه بمخططات البيوت التي ذكرت . وقد شاع استعمال فخار الفسول في منطقة وادي غزة ، وفي تل ابو مطر جنوبي بئر السبع ، حيث كشف على بيوت مماثلة لبيوت الفسـول .

يتضح من الادلة التي سقناها ، ان حضارة الفسـول كانت شاملة لمناطق من بلاد الشام الجنوبية ، وكانت دائرتها اضيق بكثير من دائرة حضارتي الحلف والعبيد . وان مناطق بلاد الشام المحصورة بين دائرتي حلف والعبيد في الشمال والفسول في الجنوب لا ننسبها الى هذه او تلك ، لان المكتشفات الاثرية فيها لا تسعفنا بذلك .

تناولنا في الفصل الاول ، عددا من المواقع الاثرية في بلاد الشام ، نسبناها الى حضارة العصر الحجري الحديث ، التي شملت اقاليم واسعة من بلاد الشام ، ولعلها كانت تشملها كلها ، لو ان التنقيبات الاثرية قد امتدت الى كافة مناطقها . وقد شهد هذا العصر ٨٠٠٠ ـ ٥٥٠٠ ق.م نشوء القرى ، زراعة البذور وتربية الحيوان .

اما في الفصل الثاني ، فقد عرضنا الى حضارة حلف ، التي شملت منطقة الجزيرة والمناطق الشمالية والوسطى من بلاد الشام ومن الواضح ان تأثيرها قد وصل تل الخزامي بغوطة دمشق حيث عثر على دمـى طينية انثوية مشابهة لدمى عصر حلف . ثم عرضنا الى حضارة العبيد الجنوبية والشمالية . وقد شملتا سواحل شبه الجزيرة العربية المطلة على الخليج ، وبلاد النهرين ، ثم بلاد الشام الشمالية . واخيرا اشرنا الى حضارة الفسول في الاقليم الجنوبي الغربي من بلاد الشام . وقد تميز هذا العصر ٥٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ باكتشاف النحاس ، وحصر العبادة في اماكن مخصصة هي المعابد .

يدعونا هذا الواقع الى التأمل ، وطرح الاسئلة الكثيرة ، التي لا يمكننا الاجابة عليها بدقة ووضوح ، لعدم توفر البراهين والادلة . وحتى لا نخوض في مستنقع التساؤلات،ونترك للخيال حق الاجابة عليها، نكتفي بالتساؤل التالي :

هل كانت هذه الحضارات ، تختص بأمم معينة ؟ ! ليس لنا من سبيل نسلكه في الاجابة على هذا السؤال ، سوى سبيل الاستشهاد بالواقع التاريخي ، الذي ساد المنطقة عند بداية الالف الثالث ق.م ، اي عندما قامت ممالك القبائل وهي من ارومة واحدة ، كما سنرى فالمشرق العربي ، لم يشهد وحدة سياسية ، الا بعد الفتح العربي الاسلامي ، رغم ان اغلبية السكان الساحقة ، كانت على الدوام من دوحة واحدة .

وتأسيسا على ذلك ، يمكن لنا الافتراض بأن هذه المناطق الحضارية، لم تكن تخص امما ، بل امة متشعبة ، لم يتهيأ لها من الظروف ما يوحدها.والخصائص الحضارية التي ميز بين عصر وآخر يليه ، لم تكن سوى نقلة حضارية في حياة السكان الذين استطاعوا تطوير أسباب معاشهم ، وتنظيم شؤونهم ، بما يتلاءم وتطلعاتهم المستقبلية ، واخيرا : اننا فرقنا بين العصور وميزناها عن بعضها بالاستناد الى المعطيات المادية فقط .

ج ـ فجر التاريخ ٣٥٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م :

يمثل هذا العصر المرحلة الانتقالية من عصور قبل التاريخ الى العصور التاريخية . فهو يعقب الحقب التي استقر فيها الانسان ، وطور مستوطناته ، ومنازله الاولى الى قرى بناها في مناطق ملائمة للزراعة وتربية الحيوان . وقد تحتم على السكان داخل القرية الواحدة توزيع الاعمال فيما بينهم ، ومن ثم انتقلوا الى مرحلة توزيع الاعمال بين القرى . وهذا ما اسعف على تطور الحرف اليدوية ، وخلق نوع من

النظم التي تسهل ذلك . وكنتيجة طبيعية للاستقرار تطورت الوسائل التقنية . ففي مجال صناعة الفخار ابتدع الفاخوري الموقد والقرص الدوار ، مما ساعد في انتاج كميات كبيرة من هذه المادة . لقد استفاد الانسان من الحجارة مذ وجد . وبعد اكتشاف المعدن ، لم يستغن الانسان عن الحجر ، بل استفاد منه في البناء ، وفي صنع التمائم والاختام التي شكلت المادة التي يصور افكاره عليها . ونلاحظ انه مع تقدم صناعة الختم والافادة منه في تجسيد افكار الانسان ومعتقداته ، قل الاهتمام بالاواني الفخارية كمادة صالحة لهذه الغاية . لم يجسد الانسان افكاره بتصويرها على الفخار والاختام فحسب ، بل بصنع الدمى الانثوية ، تجسيدا لعباده الربه الام ، والدمى الحيوانية ليقلد شكل المخلوقات . ومن المحتمل أن عبادة الربة كانت فردية ، بمعنى أن الدمى كانت توضع في البيوت ليعبدها كل واحد على طريقته الخاصة . وقد لاحظ ملوان ، وجود كمية من الدمى ، في بيت واحد ، بموقع العربجية ، مما قادة الى الاستنتاج ، بأن هذا البيت كان للعباده (١) . أما اكتشافات اريدو وتبه كورا فقد اوضحت لنا شكل بيت العبادة كما مر معنا . وهكذا اصبحت المعتقدات الدينية عامة تجمع عنصرين هما المعبود والمكان .

ومن هنا يتضح ان اسس الحضارة المادية قد وضعت في عصر ما قبل التاريخ . وحتى يستطيع الانسان الانتفاع من هذه الابتكارات ، كان عليه ايجاد الوسيلة المحققة لذلك . فكانت الكتابة التي بواسطتها تنتقل الافكار بين الناس ، ومن جيل الى جيل ، وكما عبر الانسان عن افكاره بالصورة ، عبر بالصورة عن الكلمة التي ينطقها ، ثم حول الصورة الى رمز لكلمة ما . وما لبث أن اخضع الرموز لنظام محدد ، فجردها عن الكلمة ، واعطاها صوتا أو لفظا معينا ، من اضافته الى بعضه يتركب الكلم او الكلام الذي بوساطته يلبي احتياجاته الى التدوين والتعجيل . وبما أن أول النصوص المكتوبة كانت اقتصادية تتعلق بتدوين الايرادات الداخلة الى المعبد ، نقول أن نمو التجارة كان من أهم العوامل التي ساعدت على اختراع الكتابة التي بني بوساطتها صرح العلوم جميعا .

وتاسيسا على ذلك نطلق على هذا العصر اسم عصر فجر التاريخ ، لانه شهد اختراع الكتابة . وبالتالي شهد بداية عمليتا التدوين والتسجيل الضروريتين لتحديد تاريخ كل شيء . وحفظه ونقله الى الاجيال اللاحقة . فقد بزغ فجر التاريخ في هذا العصر .

ابتكار الكتابة ، كان اهم ما يميز هذا العصر ، عن العصور السابقة. والى جانب هذا نجد ان المبتكرات الاساسية السابقة ، قد تطورت ، خلال هذا العصر ، تطورا مذهـلا .

ورغم اختراع الكتابة ، لم يترك لنا انسان ذاك العصر اسمه مدونا . لذا ، لا زلنا نجهل اسم اصحاب هذه الحضارة . وجريا على التقليد المتبع ننسب الى حضارة هذا العصر الى موقعي الوركاء وجمدة نصر في جنوبي بلاد النهرين .

١ ـ عصر الوركاء (اوروك) ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق٠م :

نسبة الى مدينة الوركاء ، اي اوروك السومرية ، على بعد ٣٠ كم جنوب شرق مدينة السماوة العراقية . نقبت فيها بعثة المانية منـذ عام ١٩٢٩ ، ولا تزال . وكشفت على طبقات المدينة ، او حضاراتها المتعاقبة منذ فجر التاريخ ، وحتى العصر السلوقي .

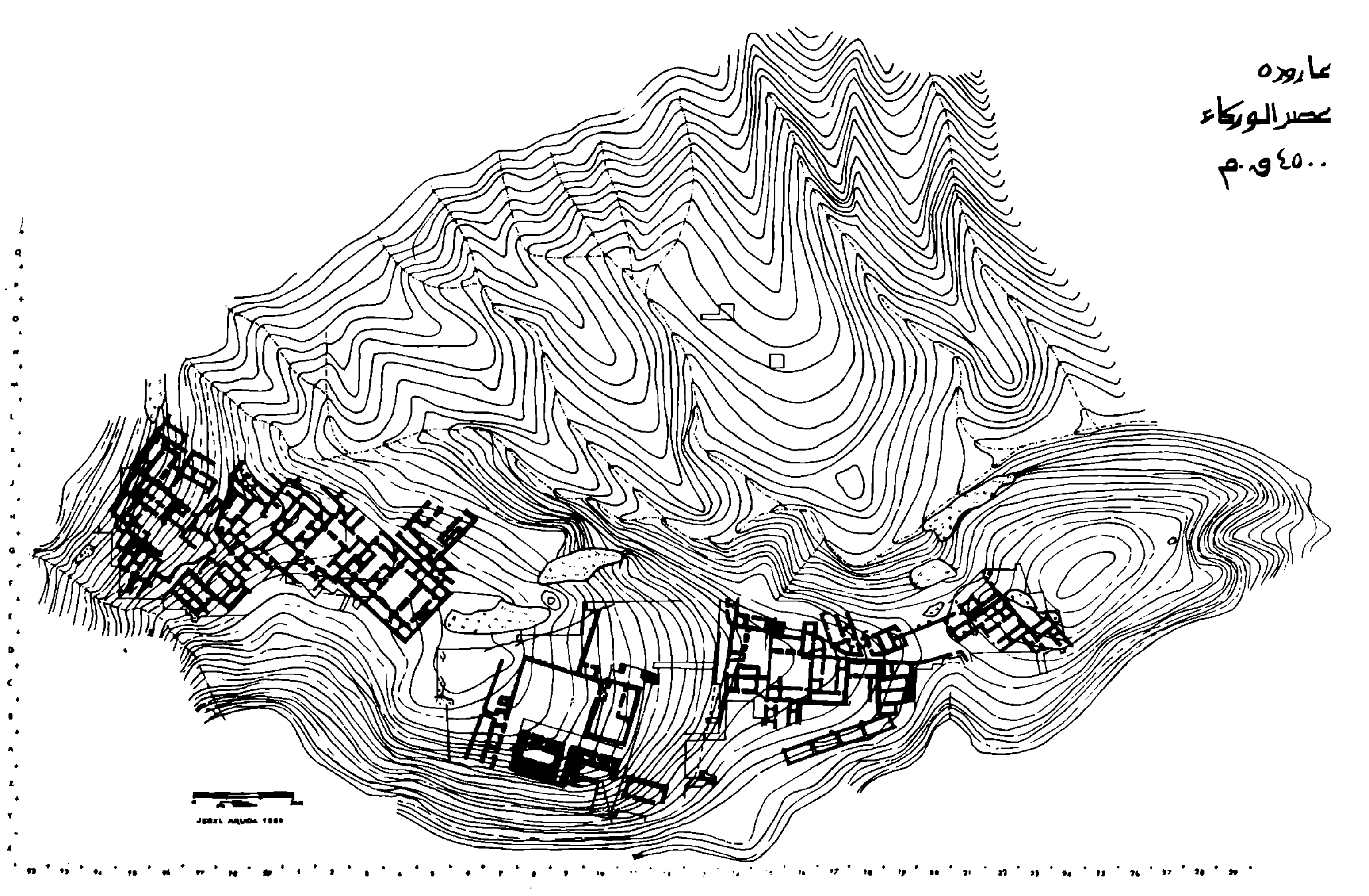
تمثل الطبقتان الرابعة والخامسة عصر الوركـاء ، وقـد ظهرت فيهما آنية فخارية على ثلاثة انواع : الاول احمر مدلوك لماع ، والثـاني اخضر مدلوك لماع ، والثالث بدائي سميك ، ذو صنعة رديئة ، شكله يشبه الجرس . هذا في مجال صناعة الفخار ، اما في مجال صناعة البناء ، فقد استخدمت قطع اللبن الصغيرة التي سماها الالمان (ريشمن = قدة) ، والمسامير الطينية المشوية والملونة لتزيين واجهات المعابد . واستخدمت كذلك الاختام الاسطوانية عوضا عن الاختام العادية . لكل هذا ، ولغيره تميزت هاتان الطبقتان على غيرهما ، ونسبتا الى عصرواحد هو عصر الوركاء .

قبل بضعة اعوام كنا نعتمد على الآثار المكتشفة بمدينة الوركاء ، حين ندرس آثار هذا العصر . اما الآن وبعد الكشف على آثار مواقع تل القناص ، وحبوبة كبيرة الجنوبية ، وعارودة التي تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات ببلاد الشام ، اصبح لازما علينا دراسة آثار هذه المواقع المشابهة والمعاصرة لاثار مدينة الوركاء . واستخلاص النتائج الكثيرة من هذا الكشف الجديد .

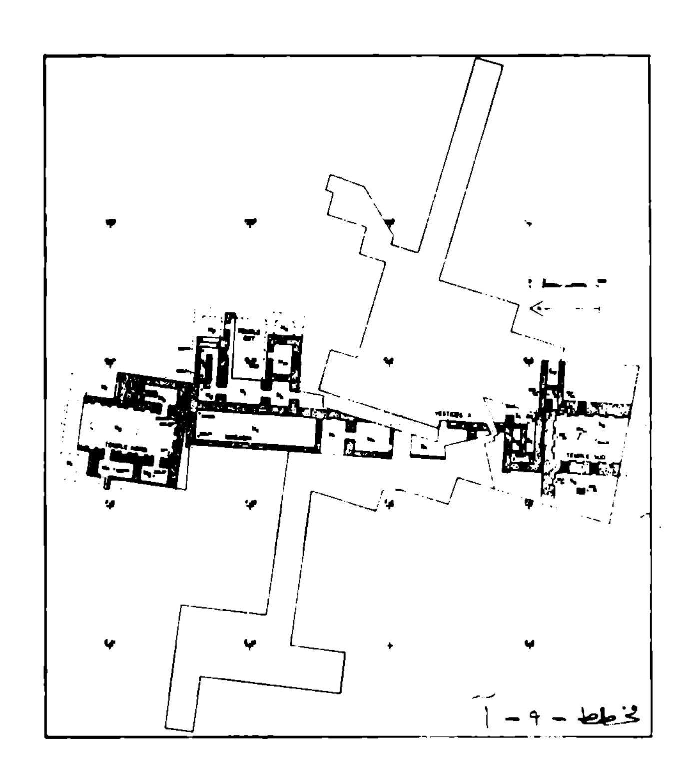
آ ـ فن العمارة :

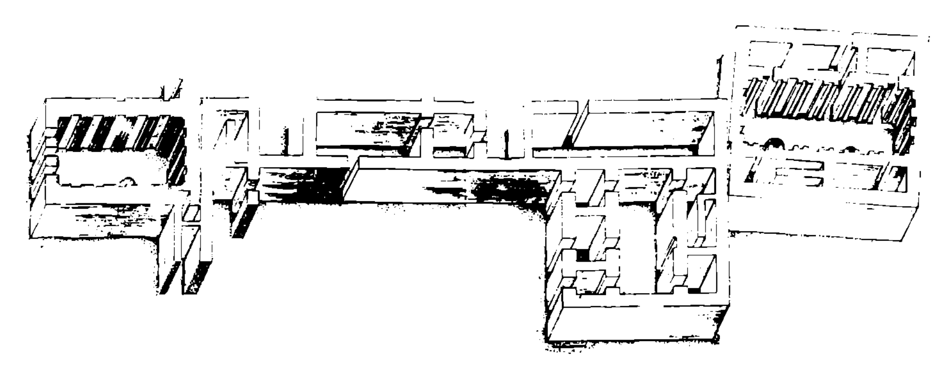
كانت المعابد السبيل الوحيد لمعرفتنا بعمارة هذا العصر ، وبعد الكشف على آثار الحبوبة الكبيرة الجنوبية ، اصبح بمقدورنا التعرف على اسلوب تخطيط المدن ، وبناء البيوت ضمن مدينة محاطة باسوار ، او فوق سفح جبلي كما هو عليه الحال في جبل عارودة (مخطط ٨) .

في مدينة الوركاء كشف على مجموعة معابد في حي الانا اي بيت السماء ، هي المعبد المبني بالحجر الكلسي (Kalkstein Fempel) (والمعابد أ ، ب ، ج ، د) التي بنيت تقديسا للربة إن ـ نانا ، وفي العارودة كشف على معبدين ، وفي تل قناص على ثلاثة معابد نجهل لمن بنيت ، ولا نستطيع التعرف على اسم الرب الذي بنيت من اجله . وبما ان هذه المعابد متشابهة ، سنكتفي بوصف معابد تل قناص (مخطط ٩) . كشفت البعثة البلجيكية بتل قناص على معبدين شمالي وجنوبي ، وبينهما المعبد الشرقي والمستودعات . ينخفض المعبد الشرقي عن اعلى نقطة بالتل ٤ م . وهو منخفض عن المعابد الاخرى . وقد مر بناء المعابد بثلاث مراحل في الاولى ، وهي الاقدم ، شمل البناء مربعا مساحته ٥٠ر٥٠ × ٥٠ر٥٠ م واتجهت الجدران نحو الاتجاهات الجغرافية . وباستثناء المستودعات والمعبد الشرقي ، نجد ان المعابد الاخرى ، مشوهة ومتهدمة ، بفعل زراعة الردميات فوقها سنين طويلة . لذلك ، ولضيق الوقت ، لم يكشف عليها كلها . ومع ذلك يظن ان المعبدان الآخران قد شيدا خلال المرحلتين التاليتين ، وانه



مخطط رقم ٨





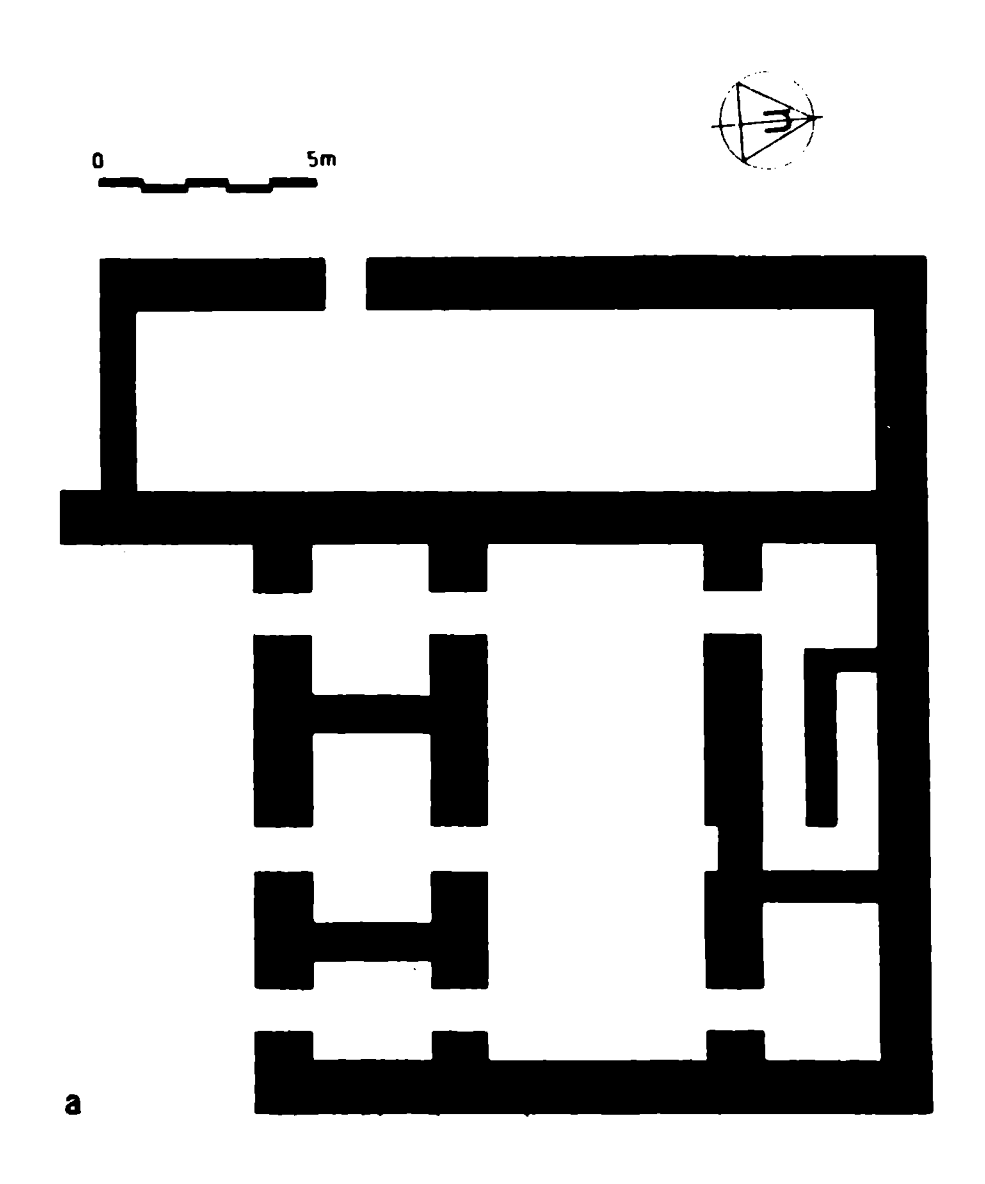
مخطط رقم ٩

توجد معابد اخرى في التل لم يكشف عليها ، لانها غمرت بمياه بحيرة الاسد . والظاهر أن المعبد قد بني حول ساحة مركزية ، تمتد الى الجنوب من المعبد الشرقي (مخطط ٩) .

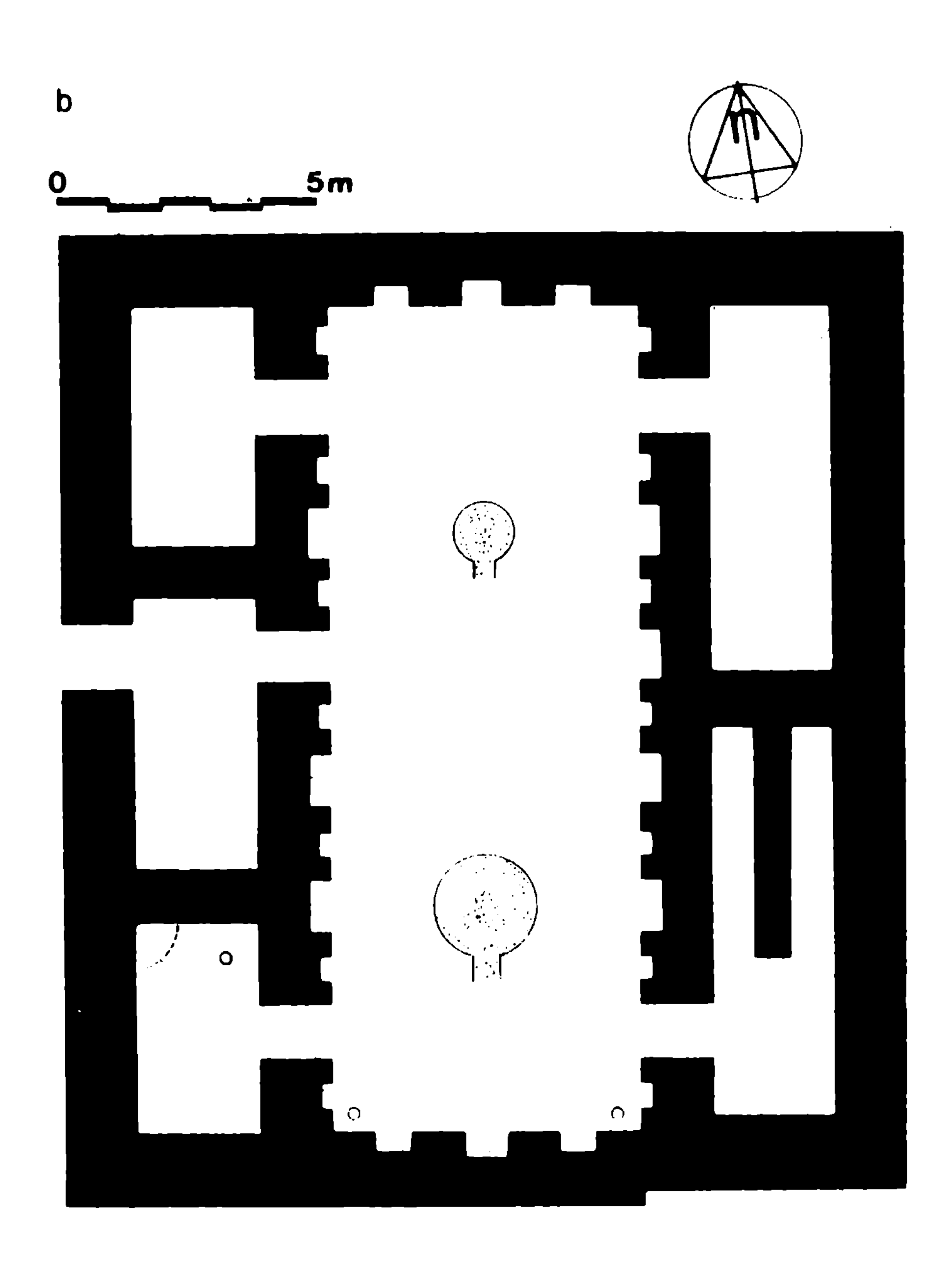
تحتل المستودعات احدى زوايا الساحة . وقد سقط سقفها فوق محتوياتها فكسرها . وعثر في الجزء الشمالي منها على كسر الجرار الكثيرة ، التي نعتقد انها كانت مخصصة لخزن الجرار الكبيرة او الدنان . أما في الجزء الجنوبي فقد عثر على رفوف طينية مغطاة بالحصر ، تمتد بين اعمدة مدورة طينية ، وضع الكهنة فوقها ، او فيها السلال والاكياس ، والجرار الصغيرة المخصصة لحفظ مواد ثمينة . وللمستودعات باب وحيد ينفتح على باحة في الغرب .

المعبد الشرقي : يشترك مع المستودعات بوساطة الجدار الغربي ، ومع ذلك ليس فيه باب يقود اليها . يتألف من حرم في الوسط تحيط به خمس حجرات ، ثلاث في الشمال ، واثنتان في الجنوب . قسمت الحجرة الوسطى في الشمال الى قسمين بوساطة جدار ، وعثر فيها على آنية صغيرة جميلة لها مثعب ، بينما عثر في الحرم على جرار جميلة من حجر الباتر ، مشابهة لما اكتشف بمدينة الوركاء ، ومعاصرة لها . يظهر المعبد الشرقي ، وكأنه المعبد الاساسي ، الذي تطورت عنه بقية المعابد . وهو آبدة ضخمة ، غير مزوقة ، خلافا لروح العصر (مخطط ١٠) وقد بنى المعبد الشمالي وفق مخططه .

المعبد الشمالي (مخطط ١١) : الحرم المستطيل في الوسط ، وبه حوضين مقدسين وليس فيه اثر لمذبح . وتزوق واجهاته المحاريب الكبيرة والصغيرة . يساوي عرض المحاريب الكبيرة عرض الابواب . شكله الحالي يوحي بأنه كان آبدة ضخمة ، تشعرنا آثارها بعظمتها وفخامتها . كسيت الجدران بطلاء طيني لونه فاتح ، وسماكته ٣ ـ ٤ سم ، حمل السقف على جسور خشبية ، تبعد عن بعضها من ١٥ ـ ٢٠ سم ، اكتشفت بقاياها فوق الارضية تحيط به الغرف من الشرق والغرب .



مخطط رقم ١٠



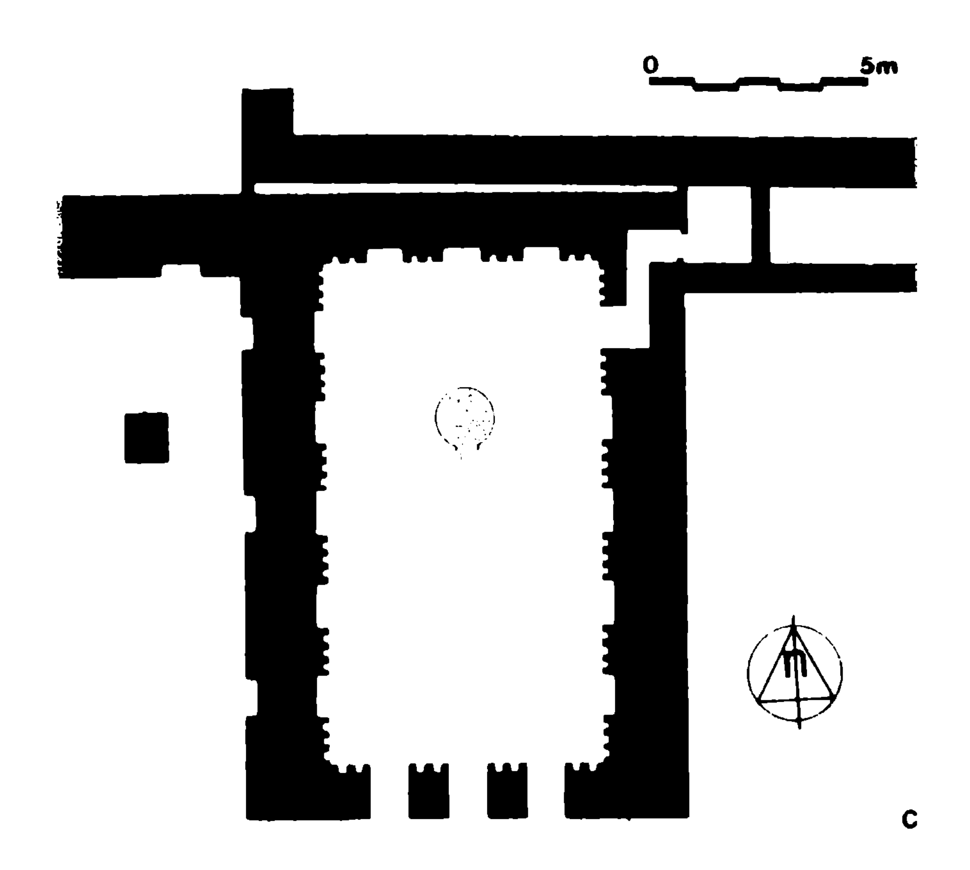
مخطط رقم ١١

وخلال العصر الاكادي اقيم بناء فوق الجناح الشمالي فشوهه . نجد في اكبر حجرة بالجناح الشمالي جدارا الى الشمال من مدخلها ، كان الغرض منه حمل السقف الكبير . في حرم المعبد حفرتان متناظرتان ، اعدتا على ما يبدو ، لتثبيت الاعمدة الخشبية ، التي تسند السقف . للمعبد باب واحد في الجهة الغربية ، ينفتح على غرفة ، وجدت وفيها كسر جرار كبيرة ، وضعها المتعبدون مع غيرها من النذور . ومن المرجع ان هذه الغرفة كانت فيها جرار السوائل وفي الغرفة التي شماليها ، كانت اكوام من كسر القدور ، لذا قد تكون المطبخ ، اما الغرفة التي جنوبيها ، فكانت فيها ارحية لصنع الدقيق .

المعبد الجنوبي (مخطط ١٢) : آبدة جميلة هامة ، لا تقل روعة عن المعبد الشمالي . تتألف من حرم وحيد يتجه من الشمال الى الجنوب . مزوق من الداخل بالمحاريب والعضادات ، المرتبة بشكل مغاير لما هو مألوف خلال هذا العصر . نرى في الضلعين الجانبيين محاريب كبيرة يفصلها عن بعضها ثلاثة صغيرة . اما في الصدر ، فيفصل محربان صغيران المحاريب الكبيرة . وجميع المحاريب متساوية بالعمق .

يتميز هذا المعبد عن المعبد الشمالي بما يلي : لا تحيط به الحجرات ، بل فيه حجرة يتيمة جوار الزاوية الشمالية ، ندخل اليها عبر ممشى ملتو ومسدود لا يودي الى خارج المعبد ، زواياه غير مزوقة بالمحاريب ، وليست على شكل زاوية قائمة ، بل فيها اخدودان شاقوليان . طلي المعبد باللون الابيض فوق ارضية كلسية حوارية . كما تهدمت الواجهة الشمالية في المعبد الشمالي ، اختفت الواجهة الجنوبية في هذا المعبد ، ولم يبق منها سوى بعض اجزاء الاساسات .

هذه المعابد التي وصفناها شمخت ، كما شمخت معابد عارودة والوركاء ، في وسط مدينة محصنة ، لا نعرف اسمها القديم ، بل الجديد قناص / حبوبة . وليس غريب ان يكون في المدينة اكثر من معبد بل الغريب ان تشيد في حي واحد هو في الوركاء حي (اانا – بيت



مخطط رقم ١٢

السماء) ، وفي القناص وعارودة غير معروفين . وهذه الحالة ذاتها تطرح علينا اسئلة عديدة ، لا نجد لها الجواب الدقيق . لذا سوف نتجنب التساؤلات الكثيرة ، ونكتفي بالاشارة الى بعض الافكار ، حول هذه الظاهرة .

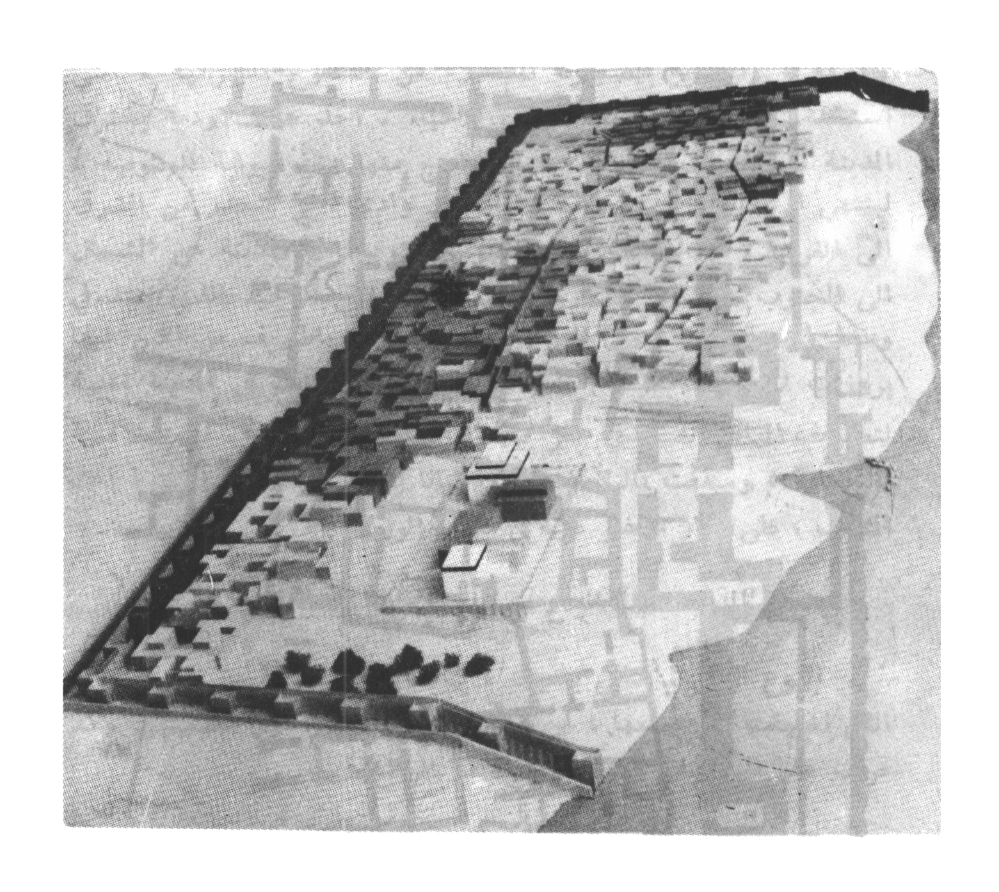
يبدو أن الناس ، قد رغبوا في ان تكون اماكن عباداتهم ، في حي مستقل ، بعيدة عن اماكن مشاغل الناس اليومية ، حتى تبقى مطهرة . ويبدو كذلك ، ان تعدد المعابد مرده لامرين اثنين هامين : اولهما وجود اكثر من اله ، وثانيهما تزايد عدد السكان ، وبالتالي ازدياد الطلب على اماكن العبادة ، التي اختص بكل واحد منها ، فئة من الناس ، او عشيرة . وان كنا لا نستطيع الجزم بأن هذا المعبد ، او ذاك ، كان قد شيد لتقديس هذا الاله ، او ذاك ، نحب ان نشير ، وقبل كل شيء ، الى ان الارباب الذين عبدهم اسلافنا ، قبل ظهور ديانات التوحيد ، لم يتغيروا طيلة العصور التاريخية ، اي نحو من ثلاثة الاف سنة . وهذا يدعونا الى الاعتقاد ، ان معتقداتهم الدينية تمتد بجذورها الى هذا العصر ، وان الارباب اللذين نعرفهم من الوثائق التاريخية ، قد قدسهم انسان فجر التاريخ . ومن المرجح ان تكون هذه المعابد لربي الشمس والقمر او للرب هدد وللربة عشتار او لبعل ودجن ... الخ .

ومهما يكن الامر ، فان عارودة ، هي المركز الديني الاهم ، الذي يجثم فوق قمة جبل عارودة المطلة على الفرات ، ويتحكم بحوض النهر . ويجوز لنا الافتراض بأنها كانت مقر السلطة الاعلى في المنطقة ، ومقر كبير الارباب ايضا . سكن على هذه القمة التي ترتفع ستون مترا فوق سرير النهر ، الشيوخ او القادة ، بينما انتشر العامة على ضفاف النهر ، حيث الماء والارض الزراعية . وقد قدر للبعثة الالمانية ، التي نقبت في موقع الحبوبة ، على بعد حوالي ١.٢ كم الى الجنوب من عارودة ، ان تكشف على مدينة تمتد على الضفة اليمنى لحوض النهر ، وهي اقدم مدينة من هذا العصر .

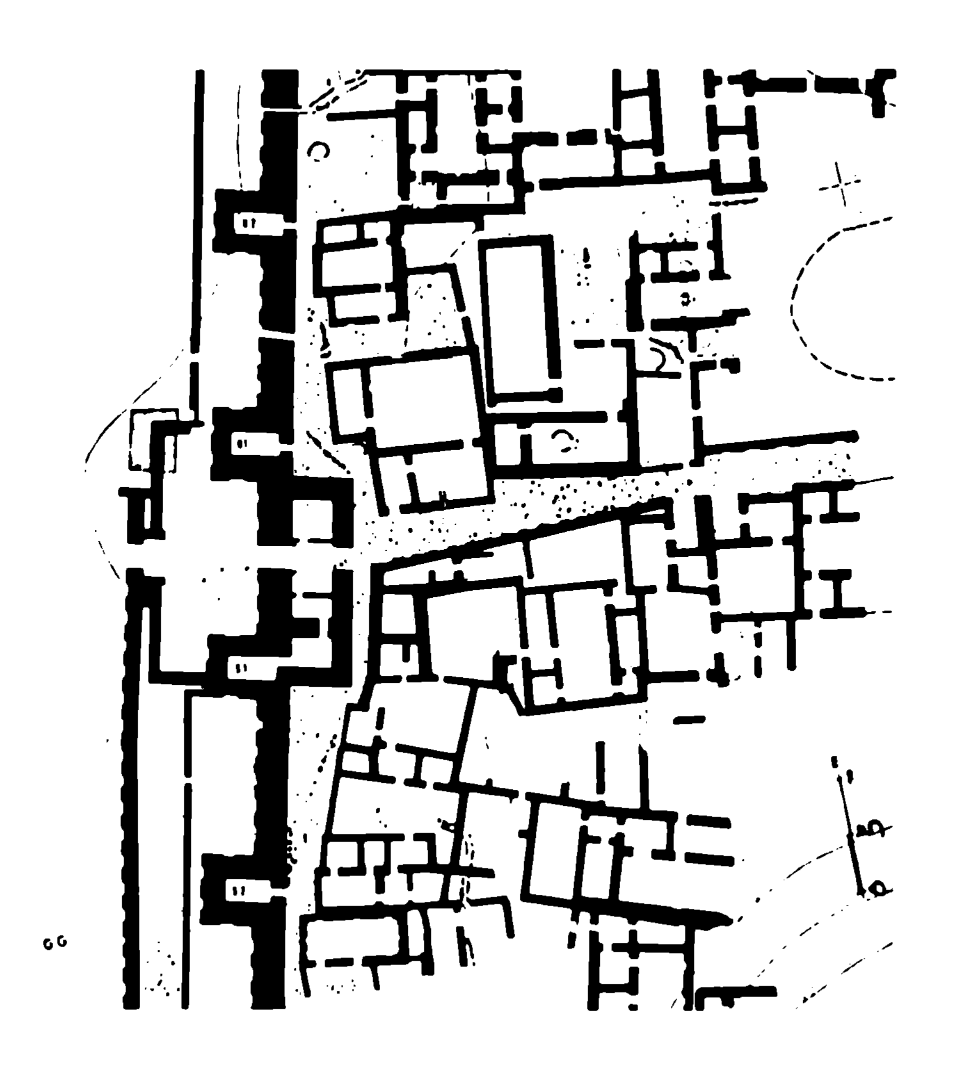
احيطت المدينة بسور ضخم عرضه ٣م (صورة ٢٣ + مخطط ١٣) وقد تهدم ، ولم يبق منه سوى اساساته ، التي تشهد على ضخامته ، وتقنية بنائه العالية . بني باللبن ، وزينت واجهته الخارجية بالمحاريب وكانت فيه المتاريس او الابراج المستطيلة الشكل . كشف على زاويته الشمالية الغربية وضلعه الممتد نحو الشرق ، حتى حوض النهر . والآخر الممتد نحو الجنوب ، ويحميان المدينة من الشمال والغرب ، بينما يحميها النهر من الشرق . اما من الجنوب ، فلم يعثر على اثر له ، اذ تهدم منذ آلاف السنين وتحولت انقاضه الى تربة زراعية ، لا يمكن تمييزها عن تربة الحقول المجاورة . بلغ طول الجزء المكتشف من السور الغربي ٥٤م وهو على استقامة واحدة من الشمال الى الجنوب . وفيه بوابتان كبيرتان ، تسهلان الدخول الى المدينة. توجد بين الزاوية الشمالية الغربية والبوابة الشمالية تسعة أبراج يبعد الواحد عن الآخر مسافة ١٣٫٥ م ومثلها بين البوابتين . وحتى يتحقق التناظر ، افترض المهندسون وجود تسعة ابراج عالية بين البوابة الجنوبية ، والزاوية الجنوبية الغربية . ومن المرجح ان يكون مثل هذا العدد في كل من الضلعين الشمالي والجنوبي . ابعاد البرج ٣٫٥×٥٫٥م ويحوى كل برج حجره . يتضح من اساسات البوابات انها بنيت وفق مخطط واحد ، تتالف البوابة من غرفة مستيطلة الشكل حوالي ١٣×٣٫٥م تغلق بباب ذي مصراعين ،ويحيط به متراسان او برجان لواحد منهما فقط باب ينفتح على الممر : البرج الشمالي في البوابة الشمالية ، والجنوبي في الجنوبية . اما مداخل البرجين الاخيرين فمن خارج البوابة .

امام هذا السور تمتد اساسات سور آخر بعرض ٠٫٦٠ - ٠٫٧٠ م اضعف من "السور الرئيسي ، ويبعد عنه مقدار عشرة امتار . وقد كشف على بعض اقسامه في الغرب (مخطط ١٣) .

داخل هذا السور المنيع ، انتشرت المساكن فوق مساحة تقدر بثمانية عشر هكتارا كشف عى ١٥٪ منها . ويبدو ان المدينة قد بنيت على مرحلتين .



الصورة رقم ٣٢



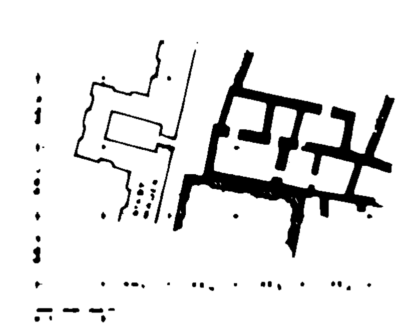
مخطط رقم ١٣

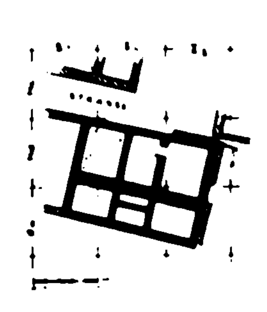
في المرحلة الاولى انتشرت البيوت على سلسلة من الهضاب الصغيرة الممتدة غربي سرير النهر . واخذ تراب اللبن ، الذى استخدم في بنائها من حفر الى الغرب منها . اما في المرحلة الثانية . فقد امتدت المدينة غربا ، وبنيت البيوت فوق منطقة الحفر ، التي ردمت . ثم احيطت المدينة بالسور . البيوت متلاصقة ، تفصل بينها شبكة من الطرق والازقة ، والاودية الصغيرة المنحدرة من السفوح الشرقية ، التي استخدمت هي ايضا كممرات بين الاحياء . احد هذه الاودية يخترق المدينة من الشرق الى الغرب ، ويخرج منها عبر البوابة الجنوبية ، لينتهي الى الحقول . في اقصى الشمال وادي آخر ينحدر من الشرق الى الغرب ، ثم ينعطف نحو الجنوب ، ويخترق المدينة من الشمال الى الجنوب ، مشكلا الشارع الرئيسي الطولاني الوحيد الذي يمتد في وسط المدينة من الشمال الى الجنوب ، احيط باطاريف من اللبن فيها بروزات تبعد عن بعضها مسافات متساوية . كانت في المدينة اقنية لتصريف المياه ، تصب في حفر فنيه خاصة او في الاودية . بنيت الاقنية بالحجارة ، وسقفت بالبلاطات . واحيانا بالكسر الفخارية الكبيرة ذات المثاعب ، على غرار ما عثر عليه في مدينة الوركاء .

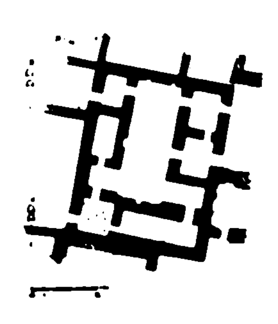
في هذه المدينة ثلاثة انواع من البيوت (مخطط رقم ١٤)

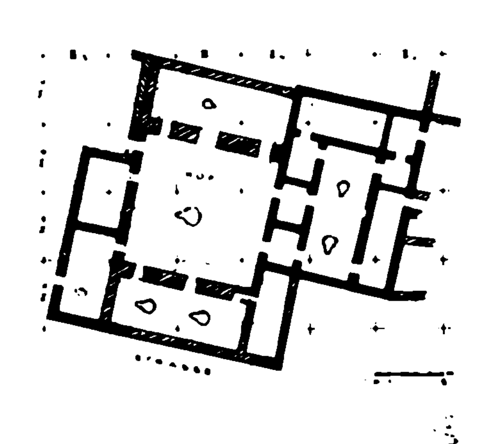
النوع الاول : بدائي بسيط ، يتالف من مجموعة من الحجرات ، التي اضيفت الى بعضها ، او بنيت بجانب بعضها دون تصميم . وقد عرف هذا النوع من البيوت في الالف الرابع ق.م .

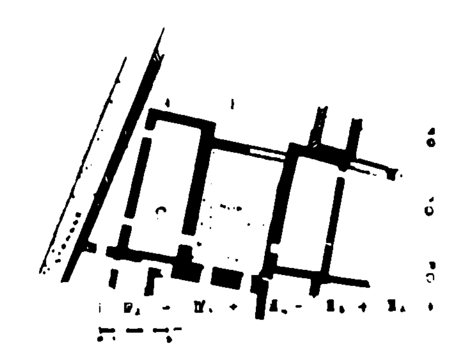
النوع الثاني : البيت ذو القاعة المركزية ، وهو ليس بيتا مريحا وحسب ، بل يدل شكله العام على كياسته وجودته . يتالف من قاعة كبيرة في الوسط تحيط بها الغرف من الجانبين ، وفي بعض الاحيان من الجانبين والخلف . يجب ان ينوف سقفها على سقوف الغرف المجاورة حتى يدخلها النور والهواء . وهذا النوع معروف في المنطقة خلال هذا العصر وقبله اي في العصر الحجري الحديث حيث عثر في موقع بقرص على بيوت مشابهة (راجع ص ٧١) .

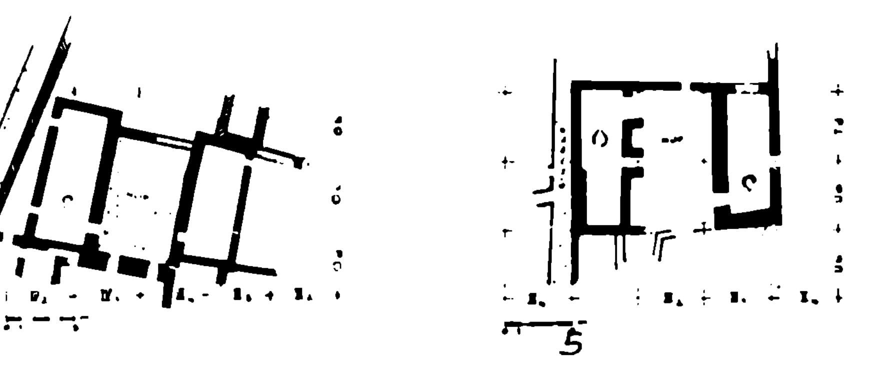












مخطط رقم ١٤

النوع الثالث : فيه قاعتان كبيرتان بينهما باحة . وهو ما نسميه الان « البيت الشرقي » فيه صحن دار تحيط به القاعات والغرف . وقد اكتشف لاول مرة في الحبوبة .

سكنت الاسرة في القاعة الكبيرة ، واستخدمت الغرف لاغراض شتى مستودعات ، بيت مونه ، مطبخ ... الخ . كما حوت القاعة موقدا او موقدين متباعدين في وسطها . وكانت مداخل الحجرات الجانبية متقابلة ، مما ساعد على انتشار الضوء فيها . لم تكن البيوت كلها بحجم واحد . بل كان فيها الكبير والصغير .

لم تحفر حفر لأساسات جدران بيوت المرحلة الاولى ، بل بنيت فوق سطح الارض مباشرة ، كما هو الحال في منطقة الجزيرة والفرات الان . وكان لبعض البيوت اساسات حجرية . ارتفعت فوقها الجدران المبنية بقطع اللبن الصغيرة (القدة) مقاييسها ٩×٠×١٨ سم او ١٤×١٤×٢٨ سم . زوقت واجهات البيوت المطلة على الشارع الرئيسي ، بالمحاريب والعضادات . وكانت مقاييس المحراب ٩٠ سم وعرض ١٥ سم عمقا . أما العضادات فكان عرضها من ٨٠ ـ ١٠٠ سم يكتسب هذا الاكتشاف اهمية خاصة ، لانه يثبت أن تزويق الجدران بالمحاريب والعضادات ، لم يكن مقصورا على بيوت العبادة ، بل تعداه الى البيوت العادية والاسوار .

لقد اتى حريق على معظم البيوت فدمرها ، وسقطت السقوف فوق محتوياتها التي لا يستطيع الناس حملها . لذا حالفنا الحظ في التعرف على محتويات احدها وهي انية فخارية ، جاروش حجري لفرك او قشر او طحن الحبوب ، سكاكين ومدقات حجرية مقابضها اسفلتية او من الحجر القار الاسفلتي . صلايات لتحضير مواد الزينة مثل الحناء ، راس مغزل مزخرف ، قطع زينة ، دمى طينية ، ختم اسطواني ، وآخر عادي ، وفي بيت آخر عثر على رقم سجلت عليها حسابات ومهرت بالختم

وفي نهاية عرضنا لفن العمارة . نتطرق الى ناحية هامة ، وهي استخدام المسامير الطينية المشوية والملونة في تزويق بعض واجهات المباني ، كما أشرنا في البداية .

فقد عثر في عارودة ، حبوبة ، وقناص على هذه المسامير مبعثرة بين الانقاض ، وليس في مكانها بالجدران . اما في مدينة الوركاء فقد كشف على قاعة العضادات ، والباحة المجاورة ، في حي آنا ، وقد زينت واجهاتها بآلاف المسامير . التي دقت في الكسوة الطينية بجانب بعضها . كانت اكمابها المسطحة أو المجوفة ملونة بالاسود ، والابيض والاحمر . واذا ما رتبت بجانب بعضها تشكلت زخارف هندسية بديعه تشبه زخارف المنسوجات . ولهذا السبب نظن انها تقليد للاحصرة المنسوجة من القصب او القش ، او النباتات المشابهة ، والتي كانت تستر فيها واجهات الاكواخ الطينية لوقايتها واذا كان الامر كذلك فان في هـذه البرهان على أن البناء بالطين والحجارة قد تطور عن الاكواخ التي كانت مؤلفة من القصب والاحصرة والعيدان والاغصان ... الخ .

ب ــ الفنون التشكيلية :

وكما تقدم وتطور فن العمارة ، وارتقت هندسة البناء ، ازدهرت الحرف اليدوية وخاصة حرفة النقش على الحجارة ، اي صناعة الاختام . في العصور السابقة استخدم الانسان الختم ليثبت ملكيته للاشياء ويصور عليه مواضيع مختلفة . وفي هذا العصر أوجد نوعا جديدا من الاختام هو الختم الاسطواني ، الذي وفر له سطحا اوسع من سطح الختم العادي .

الختم الاسطواني : قطعة اسطوانية من الحجر يتراوح طوله من ٥ ــ ٧ سم . يبلغ قطره في بعض الاحيان نصف الطول او اكثر . فيه ثقب محوري ، ويعلق بوساطة قطعة معدنية مناسبة تمرر داخل الثقب ، وتربط الى خيط او سلسلة . كما يمكن تثبيت جسم ما مثقوب على

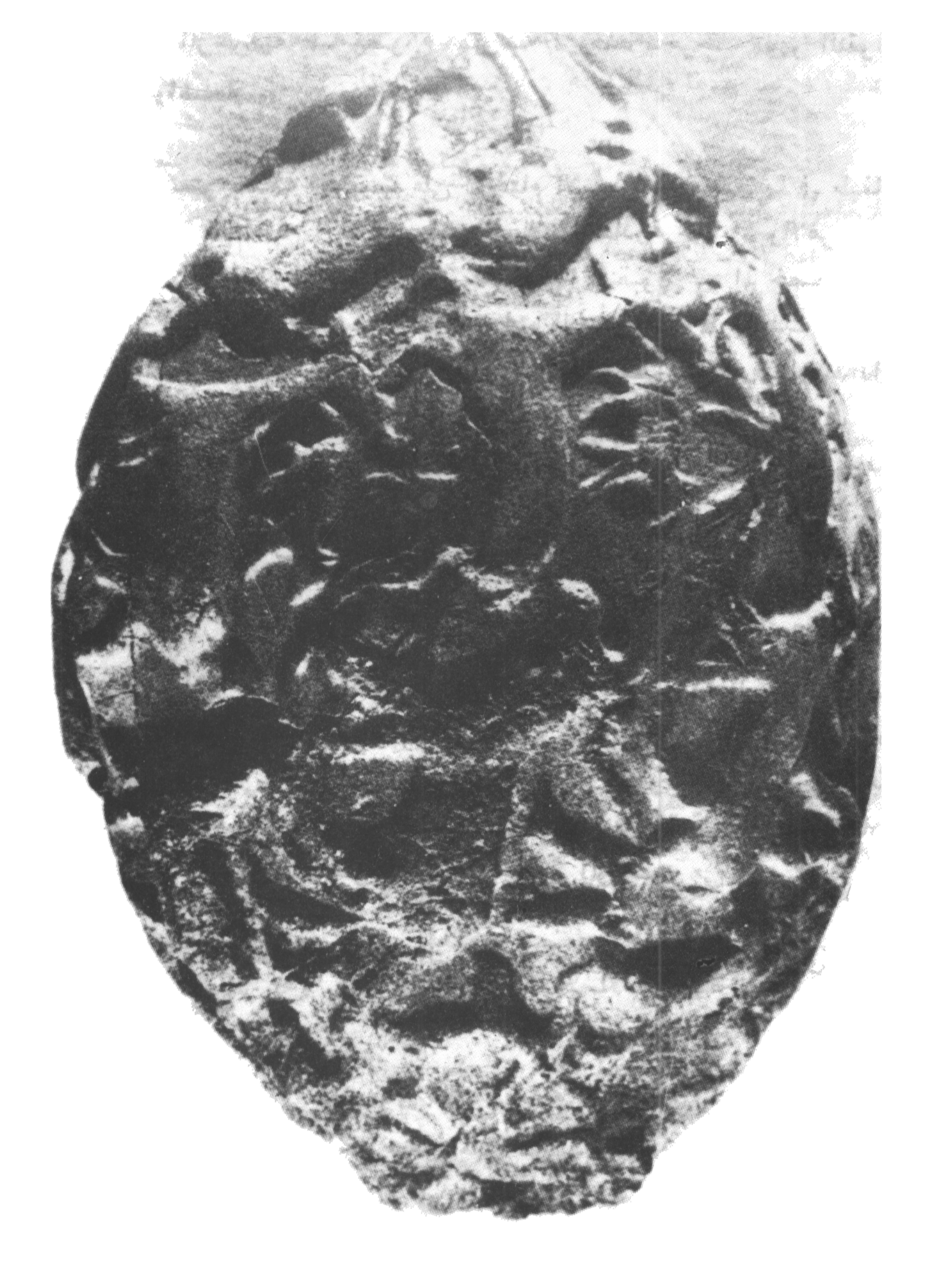
احد جانبي الختم ليعلق منه . وبوساطة الحفر أو الكشط كانت تنقش العناصر الزخرفية عليه بصورة معكوسة . وعند دحرجته تظهر النقوش بارزة واضحة .

لم تعثر بعثات التنقيب على الاختام الاسطوانية وطبعاتها في طبقات التل التي نقبت به ، الا في بعض الحالات النادرة جدا . والاغرب من هذا ، ان الاختام الاسطوانية قد عثر عليها المنقبون غير المرخصين ، ثم هربت الى البلاد الاجنبية منذ عشرات السنين . ولما وجدت طبعاتها امكن تصنيفها . وطبعات الاختام العائدة لهذا العصر كانت فوق سدادات طينية لاواني فخارية او لغيرها (صورة ٣٤) وكانت كذلك فوق رقم طينية عادية بسيطة سطرت عليها ارقام (صورة ٣٥). ولطول الزمن،وفناء مادة الطين ، كانت معظم السدادات التي كشف عليها بحالة سيئة جدا وما التقط منها سالما ، يعطينا صورة واضحة عن شكل الختم زخارفه وطريقة صنعه .

كما اشرت آنفا ، فقد عثر على طبعات اختام هذا العصر في مدينة الوركاء الطبقة ٤ب (b ـ ١٧) اولا ، ثم ، وقبل عدة سنوات ، في موقعي عارودة وحبوبة . وتوحي المواضيع المنقوشة على الاختام بان بعضها كان مستمدا من المواضيع التي كانت منقوشة على الاختام العادية في العصر السابق ، واكثرها مبتكرا . واهم المواضيع هي :

١ ـ المشاهد الدينية : التي تدور حول المعبد وما يجري به من طقوس دينية .

٢ ـ معارك : حيث نرى الملك وامامه الاسرى المكبلين .
٣ ـ الحيوانات المفترسة : مثل الاسد يهاجم حيوانات اليفة .
٤ ـ حيوانات خرافية او اسطورية يكون جسمها جسم اسد ، والراس راس ثعبان .



الصورة رقم ٣٤



الصورة رقم ٣٥

٥ ــ حيوانات اليفة : مثل البقر ، الغنم ... الخ .

هذه هي اهم المواضيع التي نقشها الحرفي على اختام هذا العصر . وفي موقع ماروده ، عثرت البعثة على طبعات الاختام مشوهة في الحي السكني . ولحسن الحظ كشفت ايضا وفي نفس الحي ، على ثلاثة اختام اسطوانية ، وختم عادي . وفيما يلي وصف لها :

أ ــ الاختام الاسطوانية والختم العادي يمثلها :

١ ــ ختم اسطواني من الحجر الاخضر المائل الى السواد . ارتفاعه ٢ سم ، وقطره كذلك . وقد نقش على سطحه اربعة صفوف اسماك سابحة (صورة ٣٦أ)

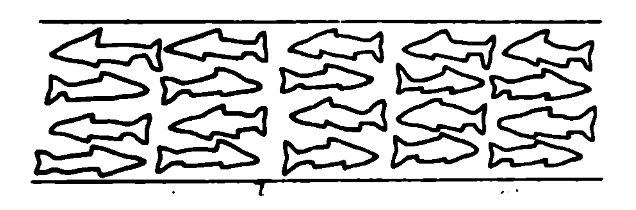
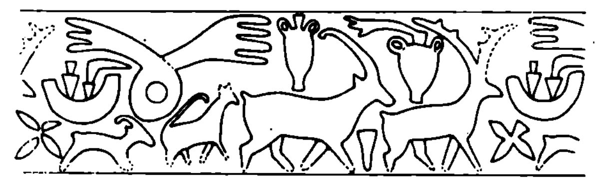
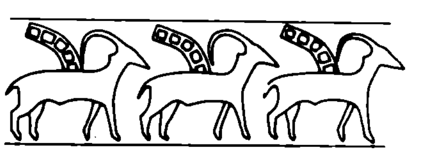
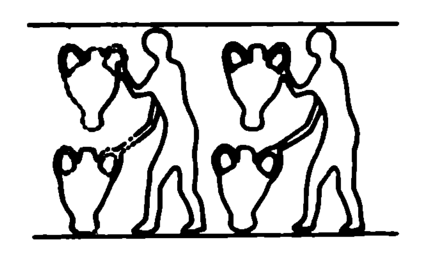
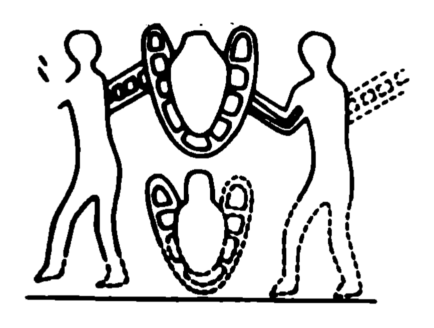
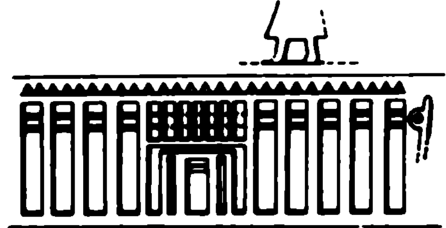
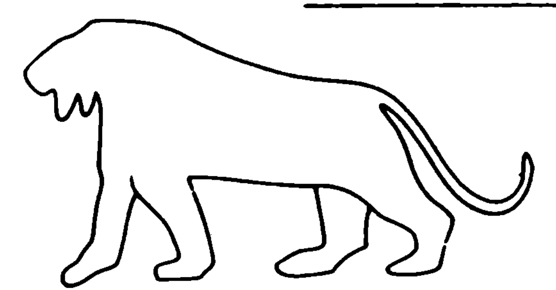
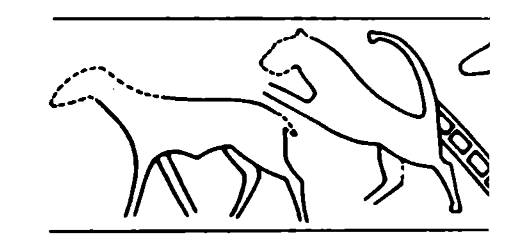
ب ــ طبعات الاختام : منها ما هو واضح يمكن التعرف عليه بسهولة ومنها ما كان غير ذلك . واهم العناصر الزخرفية هي :

١ ــ صفوف من الماعز الجبلي تتخللها عناصر اخرى مثل الاواني والزهور ، والهلال ، والنباتات . صورة (٣٦ ب و ج) .

٢ ــ اشكال بشرية : تسير في صفوف ، او تقوم في اعمال مختلفة (صورة ٣٦ د ، هـ) .

٣ ــ واجهات معبد مزوقة بالمحاريب والعضادات ، وكانها صورة حقيقية لمعابد هذا العصر (٣٦ ، و) ، التي وصفناها آنفا .

٤ ــ مشاهد حيوانات فيها الاسد العنصر الاهم . اذ نرى على بعض الطبعات رتلا مؤلفا من اسدين او اكثر . وقد صور الاسد يزأر ، لبدته منتفخة ، وعلى طبعة اخرى نشاهد حيوانا مفترسا ، لعله قط بري ، ينشب مخالبه في ردف حيوان اليف . ومن المشاهد الطريفة صراع الحيوانات مع بعضها . (صورة ٣٦ ز ، حـ) .

الصورة رقم ٣٦

هذا في موقع عارودة ، اما في موقع الحبوبة ، فكانت السدادات الطينية كثيرة ومشوهة ايضا . وقد استطعنا تمييز المشاهد التالية :

١ ــ مشهد عقارب في صفوف . والعقرب حيوان ينفث السم باللسع لذا حسبه الانسان من الحيوانات التي تدفع عنه الشرور واصبح رمزا للربة اشخارا المشابهة للربة عشتار ، ربة الجبال والانهار عند الحثيين (صورة ٣٧ ا) .

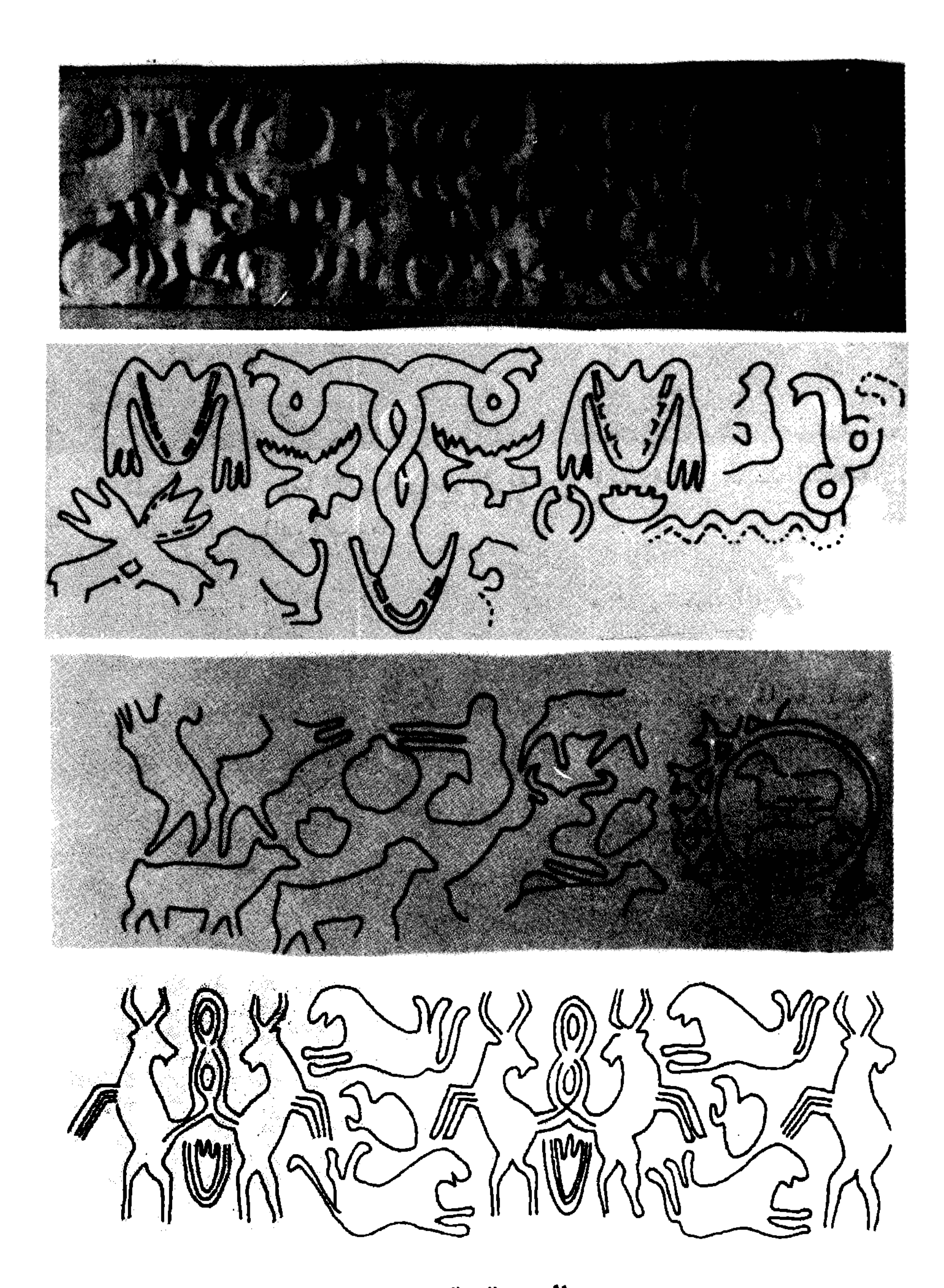
٢ ــ مشهد مؤلف من عناصر مختلفة . اناء تخرج من فوهته حيتان اسد ، طيور ، رجل يجلس قرب جرة كبيرة ، تتدلي السنابل منها (صورة ٣٧ ، ب)

٣ ــ زخرف يضم : حظيرة فيها حيوانان نائمان ، وحولها حيوانات اخرى بينها انسان يتربع على الارض ويخض اللبن بالوعاء . (صورة ٣٧ جـ)

٤ ــ مشهد جميل وواضح ، فيه عنزان ينتصبان على القائمتين الخلفيتين ، وذيلهما مضفوران ، وتحتهما وعاء ، والى جانبهما اسدان مستلقيان على الارض ، وطير جارح (صورة ٣٧ د) .

وفي صناعة الفخار اتقن الفاخوري انيته ، وانتج كميات كبيرة ، تلائم ، او توافق حاجاته الكثيرة . وتشير كافة الدلائل ، الى انهم اتبعوا اساليب جديدة مفيدة في زيادة الانتاج . فتجاوزوا مرحلة الانتاج اليدوي الى مرحلة الانتاج نصف الآلي ، اسسوا المشاغل ، واستخدموا الاجراء الذين يتقنون العمل على الدولاب او القرص الدوار ، لانتاج كميات كبيرة من نوعية واحدة تحقق لهم ربحا وفيرا .

والواقع اننا لم نكتشف على مصنع فخار في الحبوبة الجنوبيـة او القناص ، انما وجود هذه الكميات الكبيرة من الاواني ، يوحي بانتاجها في مكان قريب ، ويوحي كذلك بأن عدد السكان كان كبيرا .



الصورة رقم ٣٧

ويتميز هذا النوع الجديد من الفخار ، بطينته ذات اللون الترابـي العادي ، وبافتقاره الى القيمة الجمالية ، والى الزخارف الجميلة ، التي عرفناها في العصور السابقة . ومع ذلك نجد فيه ما يدل على مقدرة تقنية عالية تتجلى في تطويع المادة الطينية ، وابداع الاشكال المتنوعة ، وتزويقها.

انتج الفاخوري سلعته بثلاثة وسائل : باليد ، بالقالب ، وبالدولاب . وقد استخدم القرص الدوار (الدولاب) في انتاج آنية رديئة ذات كعب مدور ، اطلق عليها اسم « قدور الزهور » . وقد انتج بوساطة اليد او القالب نوعا آخر من الآنية المشابهة نسميها « القصعة ذات الكعب المسطح غير المستوي » . اما الآنيــة ذات الاريات أو المسكات . فقــد انتجت بوساطة القالب والدولاب معاً .

في الحقيقة ان القدور والقصعات متشابهة ، وتتميز القدور عــن القصعات في الامور التالية : حجمها اكبر ، شكلها اكثر انسجاما وتوازنا ، كعبها مدور (صورة ٣٨) . هذا فيما يتعلق بالآنية الرديئة ، اما الآنية الجيدة فنعرض الى انواعها التالية :

أ ـ جرار بعري شكلها يشبه السفينة : مثالها (صورة ٣٩) جرة من تل قناص ارتفاع ٢٧ سم القطر الاعظم ٤١ر٠٣ سم الجسم هرمي ناقص ، الكتف عريض ، الحافة قصيرة . مصنوعة ومشوية جيدا . الصقت على الجسم عري من نفس المادة . الوجه الخارجي مطلي ومصقول ، على الكتف زخارف هندسية .

ب ـ اباريق بدون عري : (وقد تسمى قوارير بمثعب) : (صورة ٤٠) مثال قارورة من تل قناص ارتفاعها ٤٠ سم ، قطر الكعب ٤ر٤ سم ، القطر الاعظم ٤ر١٦ سم . البدن بيضوي ، الكعب مسطح ، العنق قصير ، الحافة سميكة بارزة نحو الخارج ، المثعب منحني مشوي جيدا ، مطلي ومصقول .



الصورة رقم ٣٨

الصورة رقم ٣٩



جـ ــ آنية جميلة مثال (صورة ٤١) : جرة من حبوبة بارتفاع ٣٤ سم . محزومة فوق الكعب بنطاق مزدوج ، ترتفع منه ازواج من الحمالات حتى الكتف . حيث فيها الثقوب لمرور خيط الحمل . النطاق والحمالات مزوقة بفرضات ، والجسم بطبعات معينه او مثلثة ، تشبه جلد حية رقطاء .

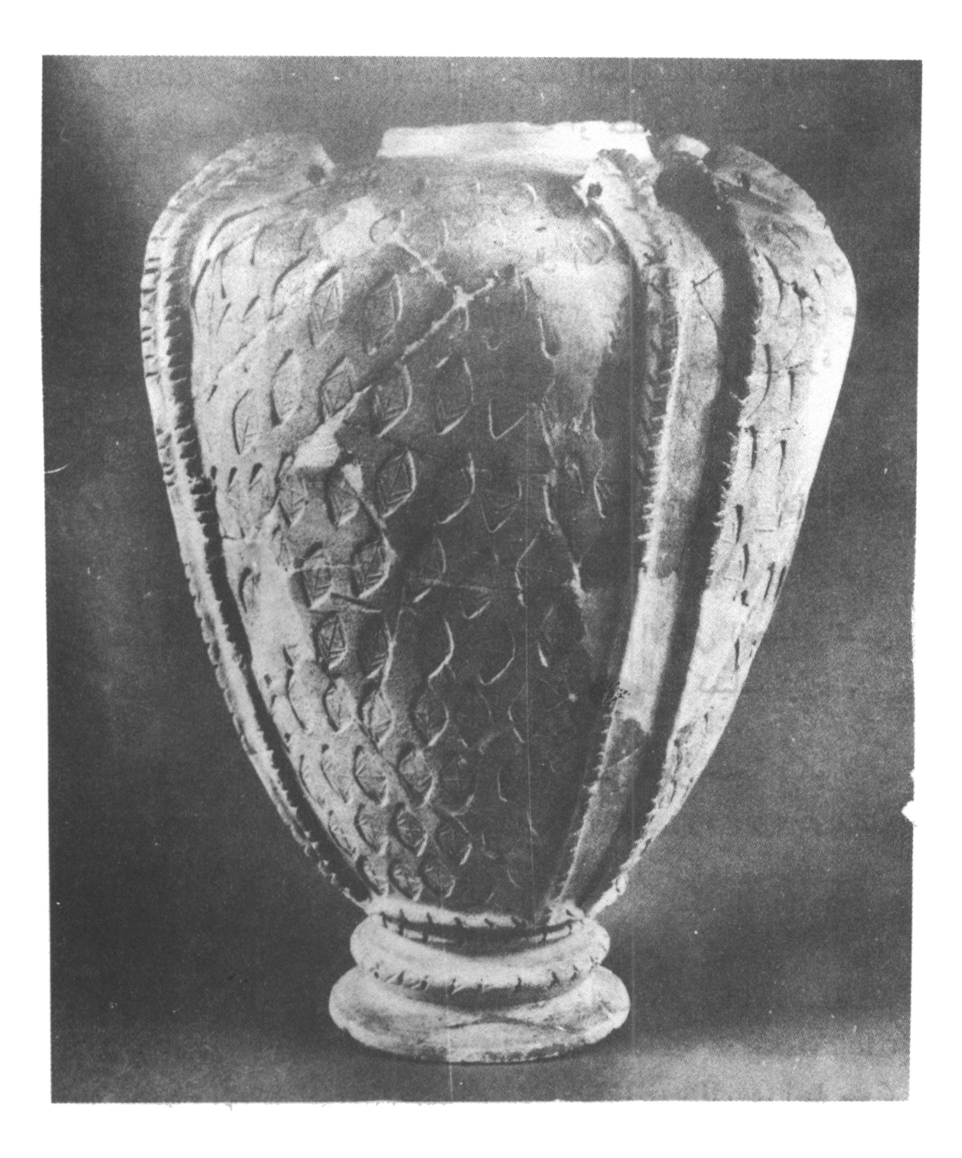
د ــ آنية جميلة ، نادرة الشكل مثال (صورة ٤٢) : اناء من تل قناص ، الارتفاع ٤٤ سم ، القطر الاعظم ٣٣ سم . الكعب قرصي عالي يشبه الخاتم ، الجسم دائري انبوبي ، المثعب منحني ، والفوهة بارزة فوق العنق القصير . السطح املس .

هـ ــ ابريق بشكل القنفذ (صورة ٤٣) من علرودة ، ارتفاع ٤٤ سم ، والقطر الاعظم ٣٣ سم .

لاشك ان هذا النوع والنوع الذي سبقه من الاواني الجميلة التي تستعمل في المناسبات والاحتفالات الدينية وتنتج منها كميات كبيرة .

و ــ عثر في تل قناص على آنية جيدة مصنوعة من حجر الباتر ، اي الحجر الكلسي البللوري . نذكر منها قارورة (الصورة ٤٤) بارتفاع ١٣٫٤ سم ، وقطر اعظم ٦ سم . ومنها ما كان مزخرف بالاشكال الهندسية وله عري كبيرة وصغيرة .

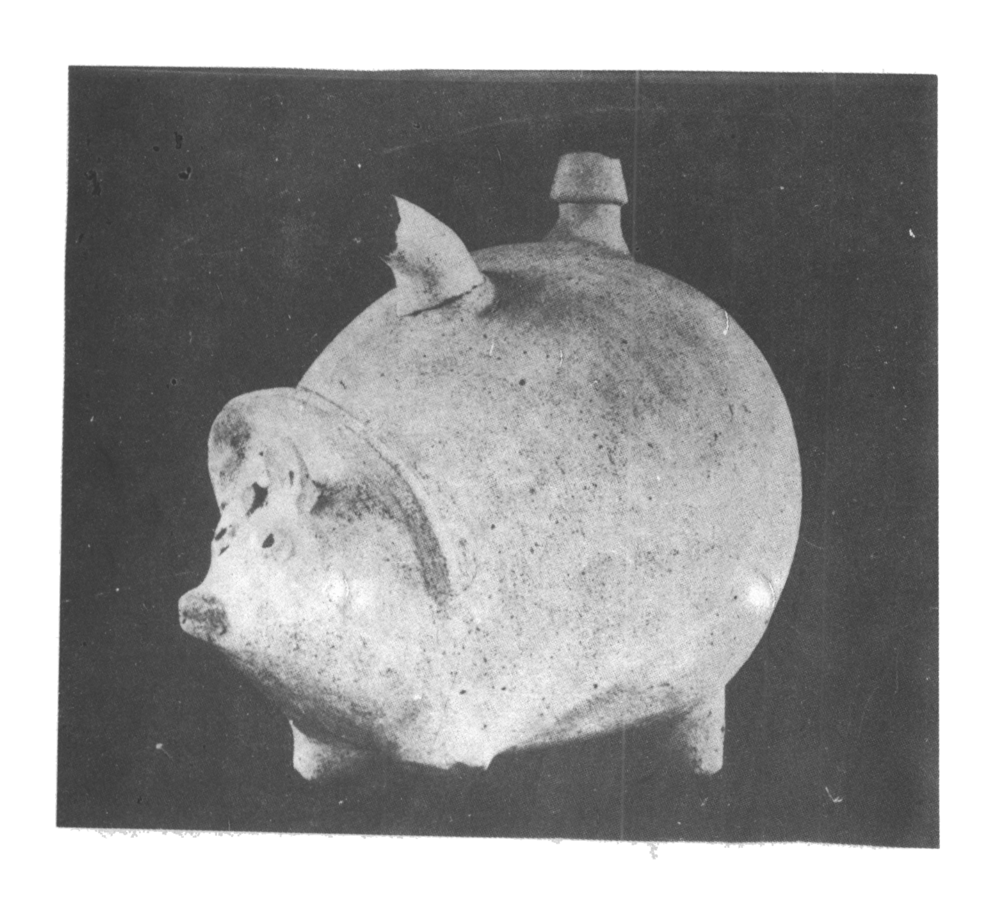
واخيرا اشير الى ان فخار الوركاء ، وخاصة النوع الذي سميناه « قدور الزهور » لم يكتشف في بلاد الشام الا في الطبقة K بحماه . علما بان حضارة الوركاء تتوافق زمنيا مع نهاية الطبقة IIIb في اجاريت ، في حماه ، والطبقة L والطبقة F في سهل العمق وبداية الطبقة الاولى في تل مرديخ . ولم تحو هذه الطبقات على بقايا اثرية ترتقي الى مستوى حضارة الوركاء على ضفاف الفرات كما وصفناها .



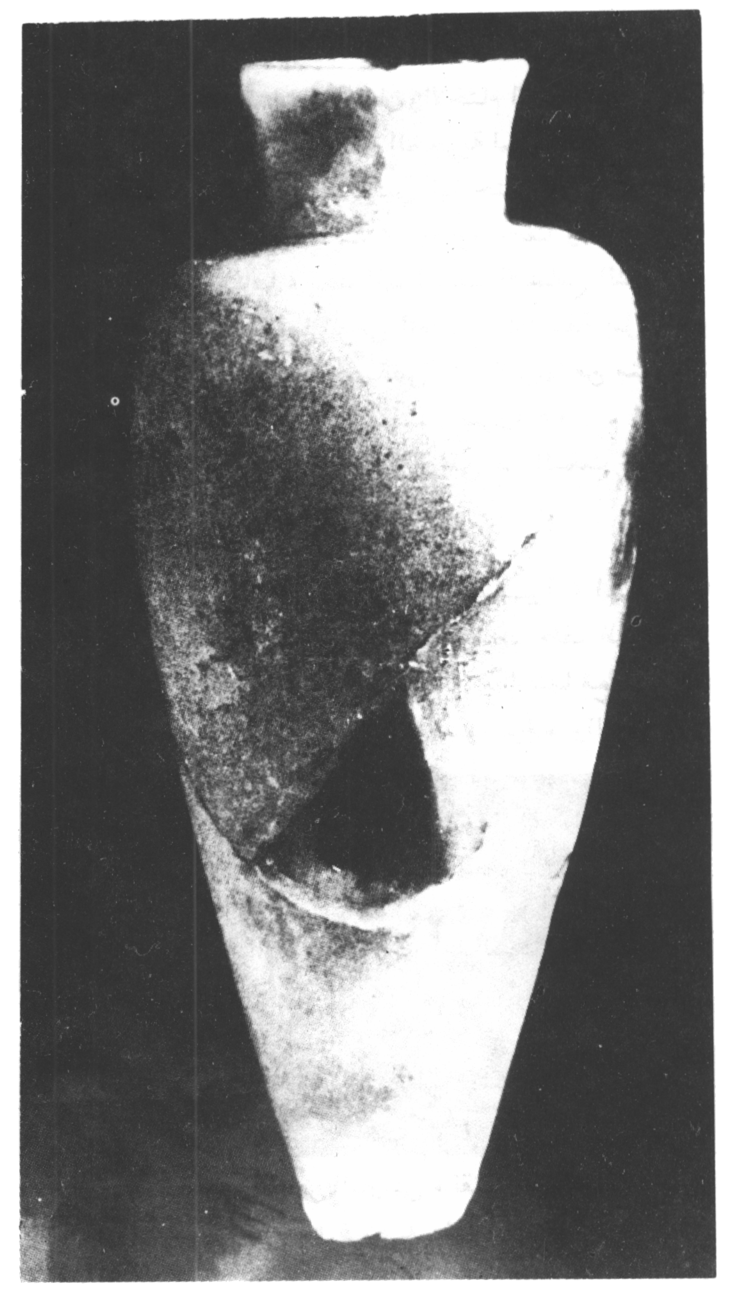
الصورة رقم ٤١



الصورة رقم ٤٢



الصورة رقم ٤٣



الصورة رقم ٤٤

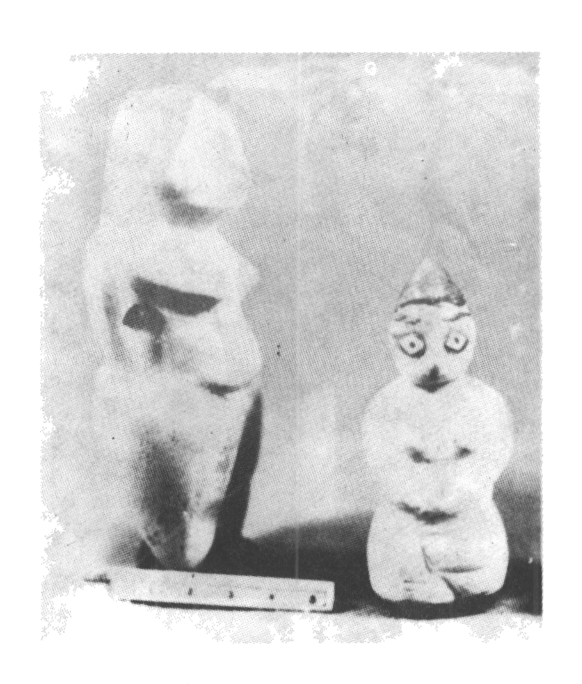
٣ ـ فن النحت :

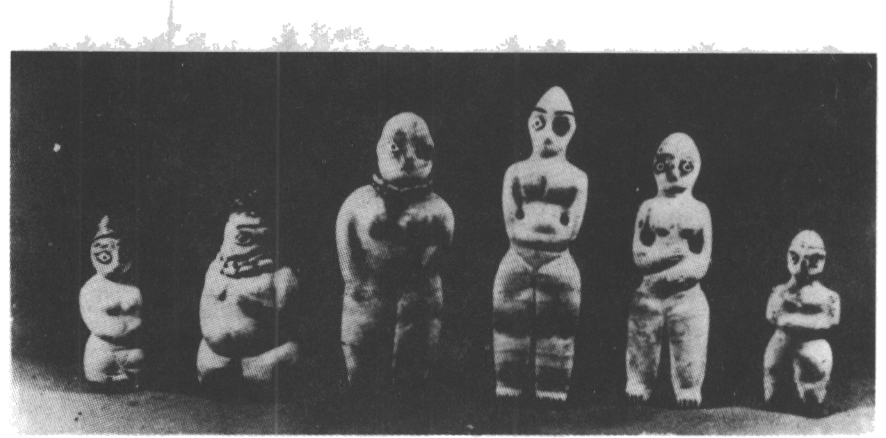
وبالرغم من اكتشاف المعابد والفخار والاختام الاسطوانية على الفرات بعيدا عن مدينة الوركاء ، فان المنحوتات الحجرية لم تكتشف الا في الوركاء، التي خبأت قطعا نحتية رائعة ، لا مثيل لها حتى الآن . واذا ما عدنا بذاكرتنا الى العضر الحجري الحديث ، وعصور حلف والعبيد ، وتخيلنا الدمى الطينية التي وصفناها ، نجد انها ليست الاساس الذي تطور عنه فن النحت في هذا العصر . اما الدمى العديدة المكتشفة بتل الصوان ، والمنحوتة بالحجر الرخامي ففيها خصائص فنية تقربها من منحوتات هذا العصر ، رغم البعد الزمني الفاصل بينهما (صورة ٤٥) . لذلك فاننا نقول : البدايات هناك ، وفي هذا العصر ارتقى فن النحت فوق مستوى الحرفة الصرفة الى مرتبة الفن الحقيقي المعبر .

عثر بالوركاء على مجموعة من التماثيل الصغيرة ، المنحوتة بالحجر الجيري ـ الكلسي ، والتي تمثل اسرى كبلت ايديهم خلف ظهورهم ، تظهر لحى هؤلاء الاسرى وكأنها لبدة اسد . ويمكن مقارنتها مع لحى تماثيل معاصرة اخرى ، محفوظة بمتحفي زيورخ بسويسرا[1] ، واللوفر بباريس ، وهي لرجال عراة ، يشدون عصابا على رؤوسهم ، ويضعون ايديهم على صدورهم . الساقان ملتصقتان ، يفصل بينهما خط شاقولي ، وهذه الوضعية تشبه وضعية تماثيل تل الصوان (الصورة ٤٦) .

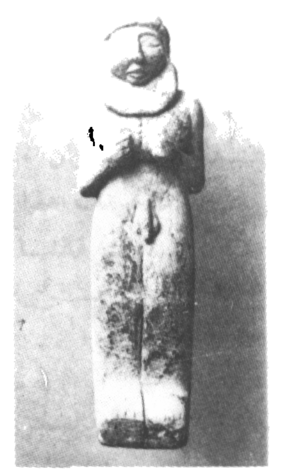
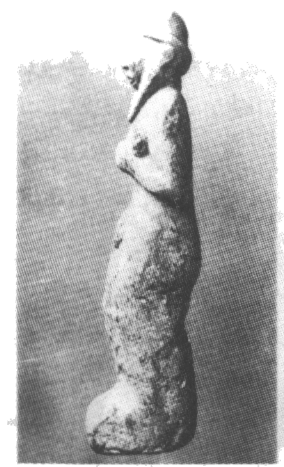
جرت العادة ان يمثل الاسرى عراة ، اما العصاب الذي يشد شعر راسه ، لا يلبسه غير الامراء . فهل تشير هذه التماثيل الى امير اسير ؟.

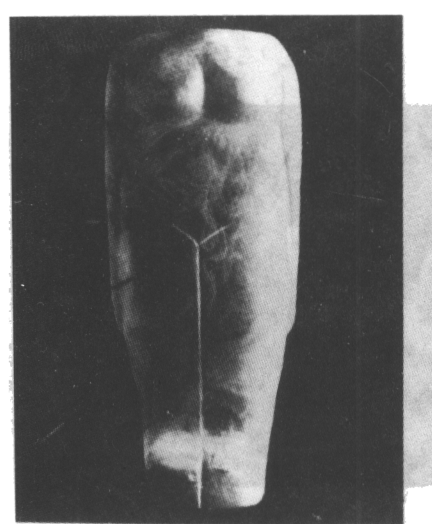
والى جانب تماثيل الرجال ، عثر على تمثال امراة مشوه ، نحت باسلوب مشابه لاسلوب نحت تماثيل النساء المكتشفة في تل الصوان ايضا، وعثر كذلك على مسلة من الحجر البازلتي ، نقش عليها مشهد صيد اسود باسلحة متنوعة . ففي اعلى اللوحة يطعن الامير الاسد بالرمح ، وفي اسفلها يرميه بسهمه ، والى جانبه اسد اصابته السهام (صورة ٤٧) ،





الصورة رقم ٤٥




الصورة رقم ٤٦



الصورة رقم ٤٧

٤ ــ المعتقدات الدينية :

وتفيدنا اللقى الاثرية احيانا في التعرف على بعض معتقدات الناس ، مثلما تفيدنا النصوص . وقد عثر في الحبوبة على بضعة تمائم ، تتعوذ بها الناس من الشرور ، كما كان عليه الحال في ما قبل التاريخ . كانت معظم التمائم على شكل حيوان فيه ثقب يعلق منه الى الجسم . ونذكر على سبيل المثال تميمة على شكل لبوة أو قطة برية (صورة ٤٨) ارتفاع ٣ر٧ سم وطول ٨ر٤ سم . مثلت وهي نائمة ، فصور الفنان اعضاء الجسم الظاهرة ، وترك الجانب الآخر املس لانه سيبقى مخفيا اثناء التعليق او التثبيت فوق شيء ما . استخدم المزرف في قولبة وتشكيل اعضاء الجسم كالعينان ، والمناخير ، الفاه ، والمخالب .

٥ ــ عادة الدفن :

كشف في بيبلوس (جبلا) على مقبرة كبيرة تنسب الى العصر الحجري النحاسي الثالث (حوالي ٤٠٠٠ ــ ٣١٠٠) ق.م ، تفيدنا في معرفة عادة دفن الموتى في هذا الجزء من بلاد الشام ، فقد وضع الموتى داخل جرار كبيرة ، بعد قص احد جوانبها ، لادخال الجثة ، ثم استفادوا منه كغطاء ، ركبت فيه عروتان لرفعه وتنزيله . زود الموتى بالاواني الفخارية ، ليتناولوا طعامهم في الحياة الآخرة ، وفق معتقداتهم . وزود الموتى من الرجال بالاسلحة المصنوعة من النحاس أو الحجر ، ومن النساء بالحلي وادوات الزينة او التبرج . ومن المفيد الاشارة الى جرة كبيرة اكتشف فيها هيكل عظمي لرجل ، وبجانبه جرة أصغر فيها هيكل عظمي لكلب . ومن الصعب تفسير هذه الحالة الفريدة ، ومع ذلك نرجح ان يكون المدفون صيادا ، دفن كلبه معه عند الوفاة .

ب ــ عصر جمدة نصر : نسبة الى الموقع الاثري الصغير جمدة نصر ، على بعد ٤٢ كم الى الشمال الشرقي من مدينة كيش ، بجوار بابل . ويمتد من ٣١٠٠ ــ ٢٩٠٠ ق.م على وجه التقريب ، ويطابق العصر البرونزي



الصورة رقم ٤٨

الاول في بلاد الشام . والبرونز خليطة من النحاس والقصدير ، شاع استعمالها اكثر من بقية المعادن خلال الحقبة الزمنية من ٣١٠٠ ــ ١٢٠٠ ق.م ، لذا اطلقنا عليها اسم العصر البرونزي ، الذي قسم الى عصور متعددة .

وكشفت البعثة الاميريكية التي نقبت في الموقع عام ١٩٢٨ ، على نوع من الفخار ذي الوان متعددة ، يغلب عليها اللون الاحمر . ومن بين الاواني الفخارية ، جرار كبيرة ، بيضوية الشكل ، تشبه الجرار التي عثر عليه في تل العقير على الضفة اليمنى لهنر دجلة ، الى الجنوب من بغداد ، والى الشمال من بابل وجمدة نصر .

ومن اهم المميزات الحضارية لهذا العصر ، تطور فن الكتابة ، بتحويل الصورة الى رمز ، له قيمة صوتية مجردة ، وليس كلمة كما كان عليه الحال في السابق . وهذا ما ساعد على اضطراد التسجيل والتدوين بطريقة اسهل من ذي قبل .

وفي ميدان الحرف اليدوية ، حدث تطور مذهل في مجال صناعة الاختام العادية والاسطوانية ، وفي مجال صنع الاواني الحجرية ،وزخرفتها بالاشكال الحيوانية النافرة او تطعيمها بالصدف وغيره . وقد اهتم الناس بالمعادن وخاصة البرونز . فصنعوا منه مختلف انواع الاسلحة ، والاوان والادوات البيتية ، وفي فن العمارة توسعت المباني والمعابد ، وزينت واجهاتها بالفسيفساء .

في فن العمارة ، نجد ان المعبد الابيض بمدينة الوركاء ، المنسوب الى هذا العصر ، يشبه معابد العصر السابق . وفي تل براك ، كشف على معبد مشابه جدد اكثر من مرة . وفي آخر عمره حوى على مئات العيون ، لذا نسميه « معبد الالف عين او معبد العيون » (مخطط ١٥) . وقد شيد فوق مصطبة ، وفق مخطط دقيق ، من وضع معلم متمرس . يتالف المعبد من جناحين ، يحيطان بالمصلى الذي هو قاعة كبيرة مستطيلة الشكل ١٨ x ٦ م . في نهايتها وبجوار الجدار الجنوبي يرتفع المذبح .



مخطط رقم ١٥

الجناحان غير متشابهان وغير متناظران . يضم الجناح الغربي ثلاث غرف كبيرة ، تتصل بالمصلي بوساطة باب في الغرفة رقم - ١ - ومن المرجح انه قد خصص لحفظ النذور القيمة . ويضم الجناح الشرقي باحتين صغيرتين (رقم ١١ ، ١٢) أبعادها ٥ × ٣٫٥ م . وغرف صغيرة للخدم هي ٨ ، ١٠ ، ١٤ ابعادها على التوالي ٣٫١ × ١٫١ م و ٣٫١ × ٣ م و ١٫١ × ٣ م . جدرانها سميكة جدا ، لانها كانت معدة لحمل سقف المصلى . للحجرة ٩ باب واسع مطابق لعرض المحراب في الجهة الغربية . وبهذا التناظر يصبح شكل المصلى كشكل الصليب . تهدم القسم الشمالي من المعبد ، ولم يبق اي اثر لمدخله . ومع ذلك نرجح ، انه كان له مدخلان في الشمال .

هذا فيما يتعلق بفن العمارة ، أما فيما يتعلق بفن النحت ، فقد زوق الفنان ولاول مرة ، الاواني الحجرية بزخارف نافرة مستمدة من عالم الحيوان كالثور والنعجة ، الاسد والعقاب ، متسالمة أو متصارعة . وكذلك الحظيرة وحولها القطيع (صورة ٤٩) .

تبقى مزهرية الوركاء الحجرية ، من أجمل تحف هذا العصر . ارتفاعها حوالي ١٫٥٥ م وقطرها ٣٦ سم . وزعت زخارفها على أربعة حقول ، توافق اربعة فصول من مشهد واحد ، يصور لنا الافكار الدينية السومرية ، ويقص علينا قصة الخلق : في الاسفل خطان متعرجان يرمزان الى الماء تنبت فوقهما المزروعات والنباتات . ثم الحيوانات التي تعيش عليهما . وبعد ذلك يأتي علمة الشعب ، يحملون الغلال والانتاج الى المعبد ، الى الرب وهنا الى الربة انين ، التي تقف في الاعلى أمام أعواد القصب ، وأمامها خادم عار ، يقدم لها طبق الثمار ، يتبعه رجل عالي المقام ، لم يبق من شكله الا طرف ردن ثوبه ، الذي يمسك به خادم. وبالمقارنة مع مشاهد مماثلة ، صورت على الاختام الاسطوانية ، نعرف ان الرجل هو رئيس الموكب الديني ، الذي سيقترن بالربة ، لتتجدد وتستمر الحياة ، التي أساسها الماء ، الذي تنبت بسببه المزروعات أو النباتات ، وتعيش عليها الحيوانات ، وقد سخر كل ذلك للانسان الذي عليه تقديم الشكر للرب (صورة ٤٩) .

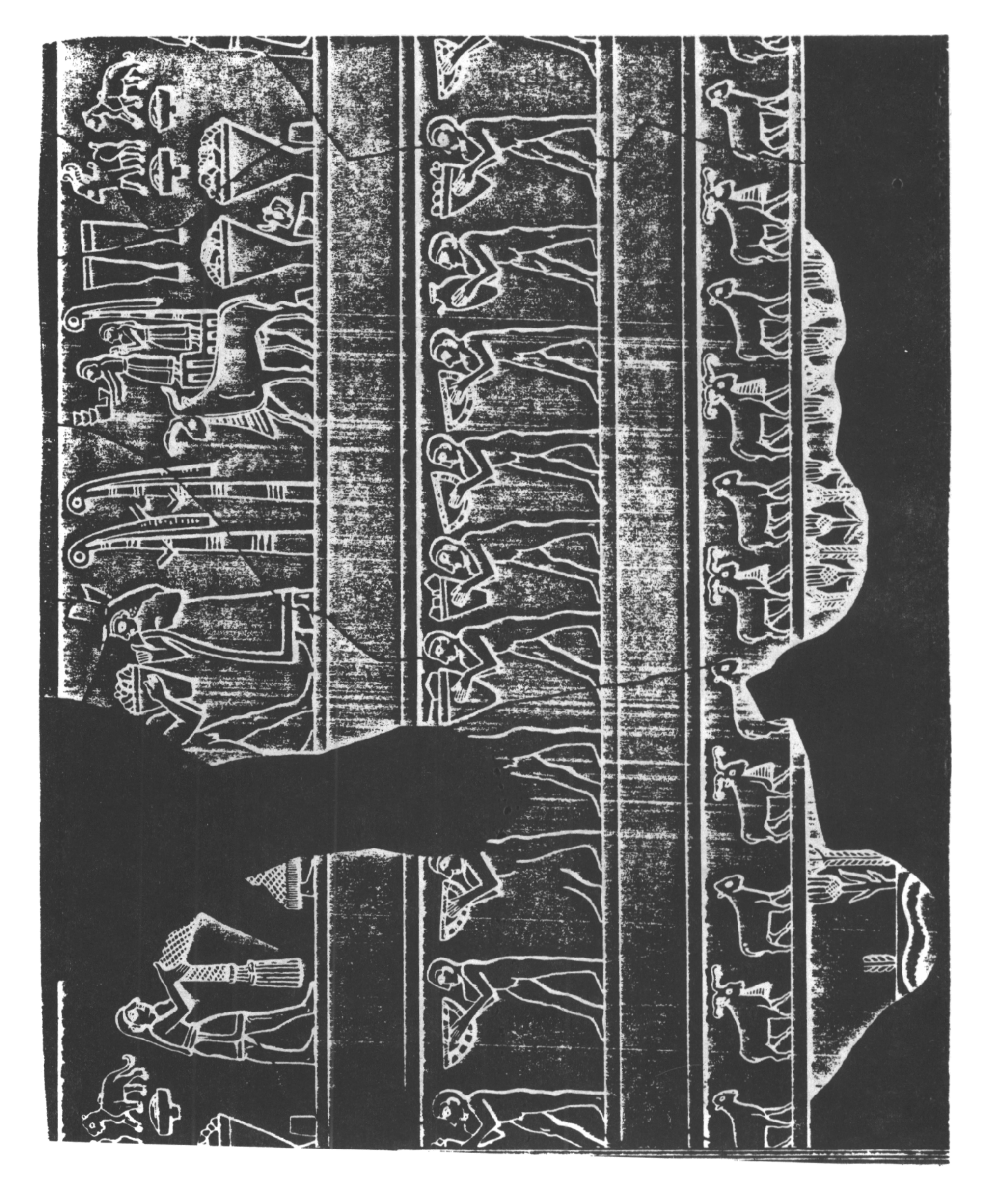


الصورة رقم ٤٩

لم تكن المواضيع التي صورها الفنانون كثيرة ، والمشاهد التي نقشوها على الانية الحجرية ، اعادوا رسمها على الاختام الاسطوانية . وثابروا على نحت التماثيل المجسمة البشرية والحيوانية (صورة ٥٠ ، ٥١) وتولعوا بصنع تماثيل ودمى من مواد مختلفة ، ذات الوان متعددة ، ليصوروا شكلا طبيعيا . فنجد مثلا دمية عجل من الحجر الكلسي الابيض ، مرصعة بقطع ذات اشكال والوان مختلفة ، موزعة على الجسم ، وكأنها تصور الالوان الحقيقية لهذا الحيوان . اضف الى ذلك انهم صنعوا تماثيل حيوانات من البرونز .

الاعمال الفنية المنسوبة لهذا العصر قليلة ، ولكنها رائعة ـ ومنها : قناع ، على شكل وجه امرأة وقورة ، بالحجم الطبيعي ، مصنوع من حجر المرمر ، وكان جزءا من تمثال مركب من مواد مختلفة . ورغم أن الحاجبين والعينين مفقودتان ، لانها كانت من مادة اخرى ، يعبر الوجه عن الوقار ، وتظهر عليه ابتسامة رقيقة ، تزيده حيوية وجمالا . (صورة ٥٢) وعلى النقيض من هذا القناع ، نجد قناعا آخر من تل براك ، على شكل راس وعنق انسان ، من حجر الباتر فيه اعضاء الوجه كبيرة وغير طبيعية ، ولا تناسب بينها ، ويذكرنا هذا القناع بالدمى الطينية ، التي تعود الى عصر العبيد (صورة ٥٣) .

واخيرا لا بد من الاشارة الى التصوير على الجدران والاواني الفخارية. ففي معبد تل العقير ، زوقت واجهة المنبر بزخارف بديعة ، تحاكي الفسيفساء الجميلة في الوركاء . كما زوقت واجهة منبر معبد تل براك بلوح خشبي يحيط به اطار من الرقائق الذهبية ، ثبت على الخشب بمسامير ملبسة بالفضة والذهب ، وفي داخل الاطار صفوف من الحجارة الصغيرة والكبيرة الملونة ، التي ثبتت على اللوح الخشبي بوساطة شريط معدني ، يمر داخل ثقوب في ظهر الحجارة واخرى في اللوح الخشبي . ويبدو أن هذا المشهد ، صورة لواجهة معبد من نفس العصر (صورة ٥٤) والى جانب الاواني الفخارية العادية ، كشف على أواني فخارية مزوقة بموقع الخفاجي بالعراق . الوان زخارفها زاهية متناسقة ومتجانسة .



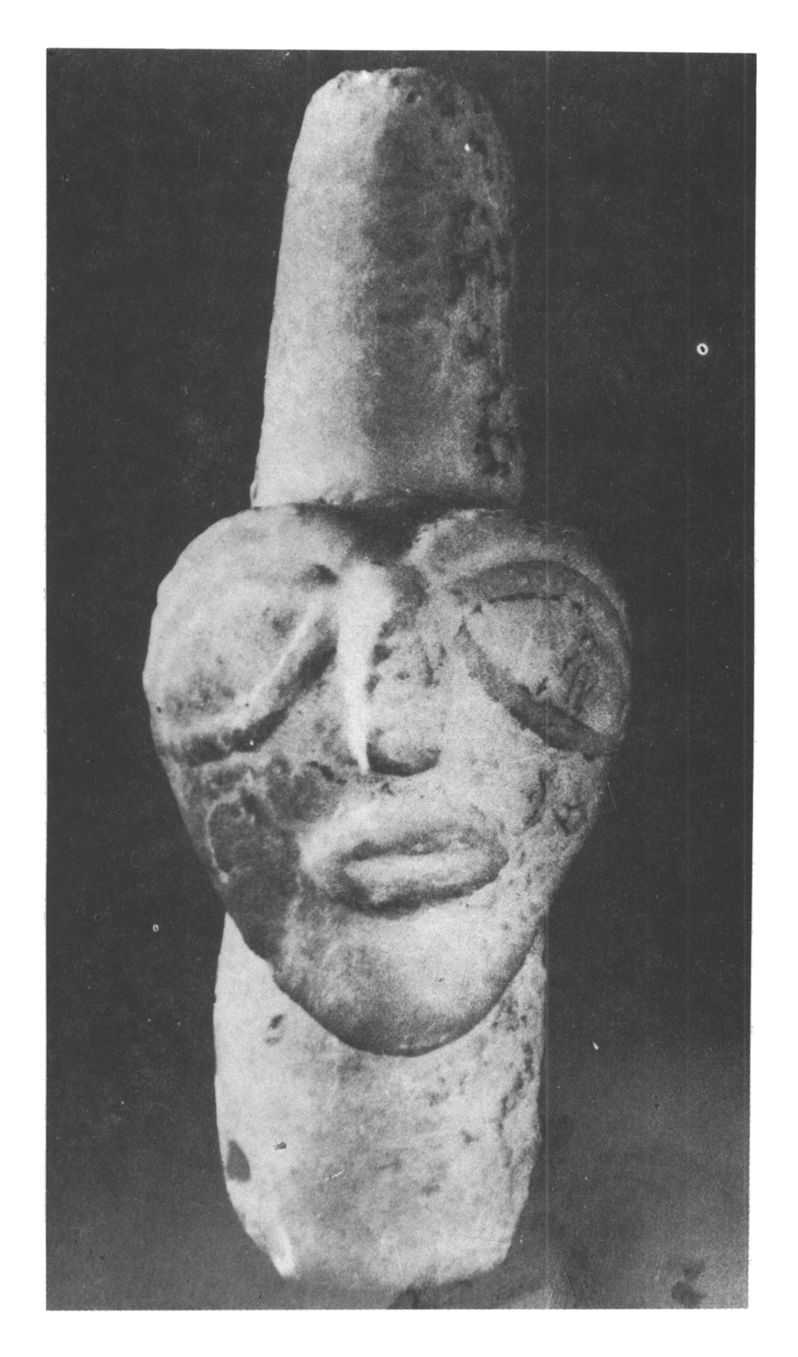
الصورة رقم ٥٠



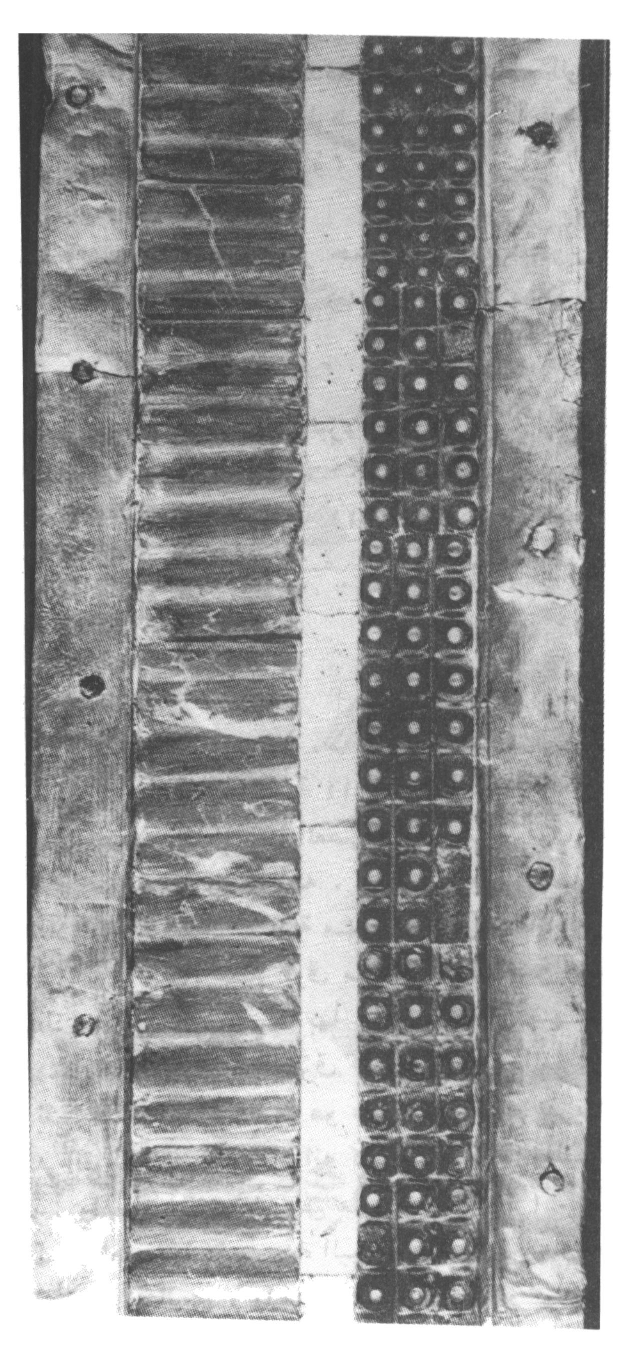
الصورة رقم ٥١



الصورة رقم ٥٢



الصورة رقم ٥٣



الصورة رقم ٥٤

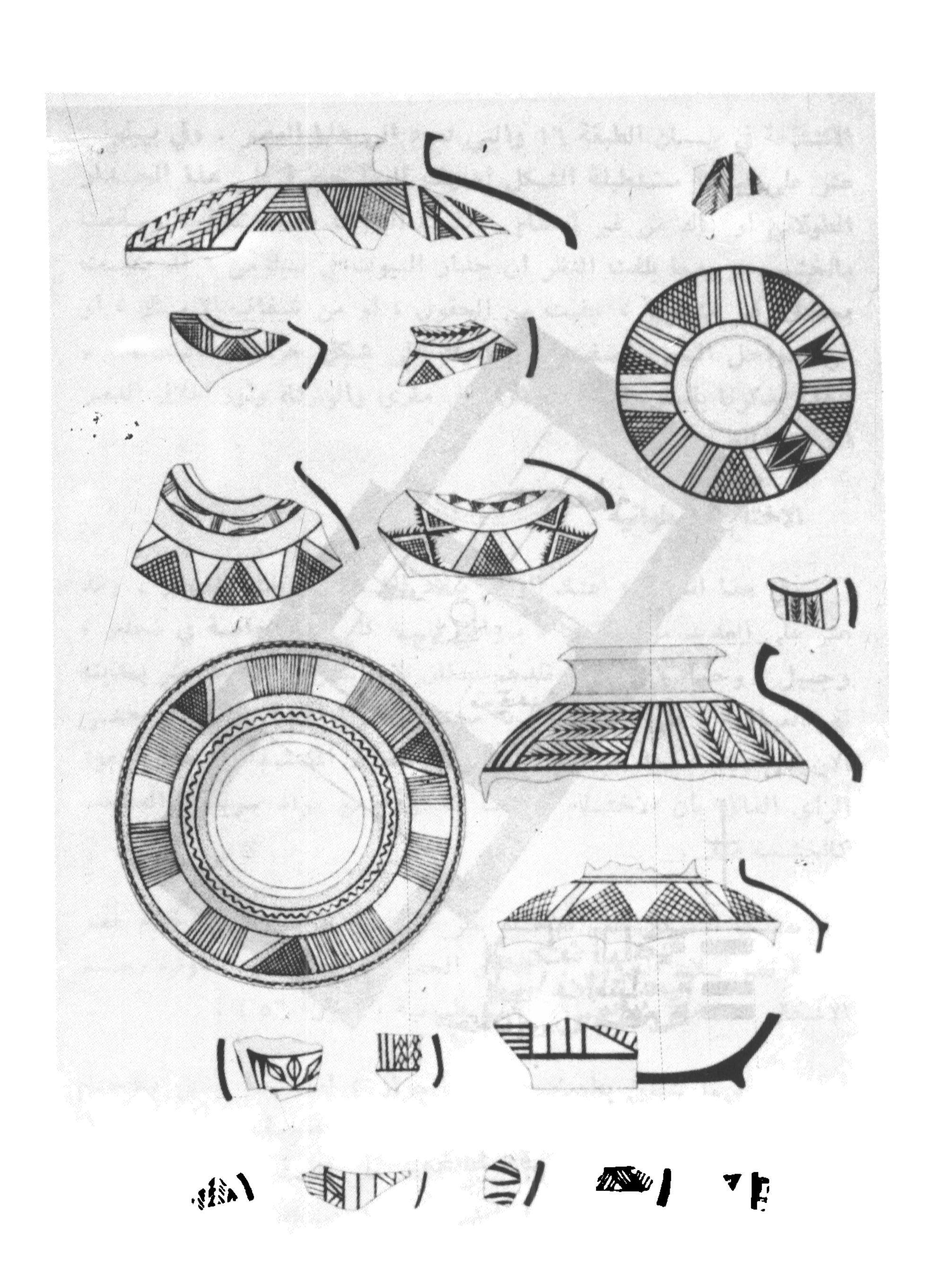
اطلق عليها اسم « ذات الالوان المتعددة » . كان سطح الوعاء اصفر فاتح . قسم الى حقو لبوساطة خطوط حمراء عريضة يحيط بها اطار اسود.وزرعت الحقول بأشكال متعددة ، ذات الوان مختلفة (صورة ٥٥).

وبالرغم من شمول حضارة عصر جمدة نصر بلاد النهرين والشام ، وامتداد نفوذها حتى وادي النيل ، نجد ان حضارة بلاد الشام قد تميزت بخصائص معينة كما سنرى .

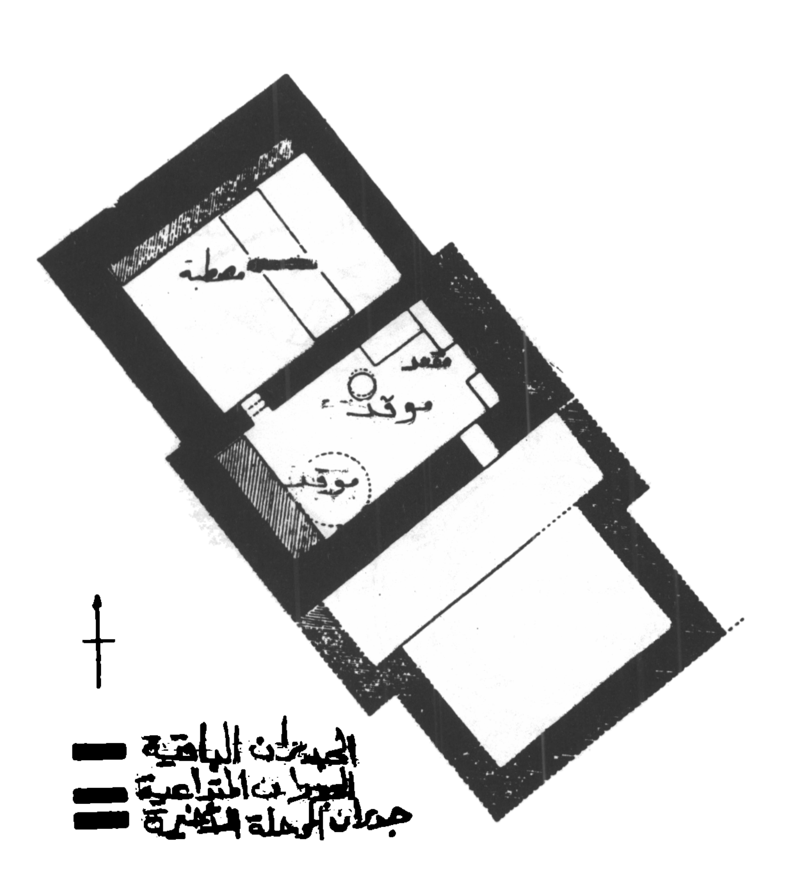
يوافق عصر جمدة نصر العصر البرونزي القديم الاول في بلاد الشام ويتمثل في الطبقة ١٤ باللاخ ، والطبقة K بحماة ، والطبقة ١٩ بمجدو ، والطبقات ١٥ ـ ١٣ ببيسان والطبقة ١١١ باجاريت ، والعصر البرونزي القديم ببيبلوس (جبالا) . وقد كشف في هذه المواقع وغيرها على آثار هامة نعرض لها فيما يلي .

فن البنـاء :

يعطينا المعبد المكتشف في الطبقة ١٤ بمدينة اللالخ ، فكرة عن اسلوب بناء المعابد ببلاد الشلام خلال هذا العصر ، وقد شيد فوق انقاض معبد الطبقة ١٦ ، ويختلف عنه في مخططه . وقبل بنائه سويت الارض اولا ، ثم رفعت قليلا لتاخذ شكل مصطبة منخفضة . وهذا يذكرنا بالمعبد الابيض في الوركاء ، الذي شيد فوق مصطبة اصطناعية مرتفعة ـ . والمعبد بسيط ، له باحة ، يحيط بها جدار ، ندخل منها الى قاعة مستطيلة الشكل ، فيها موقد لحرق الضحايا ، أو القرابين ومقاعد للجلوس . يقع خلفها الحرم الذي هو على شكل مربع تقريبا . وتدل جدران المعبد القوية السميكة على أنه كان مسقوفا . والسقف مؤلف من الخشب ، وأغصان الاشجار وغيرها (مخطط ١٦) . هذا فيما يخص بناء المعابد أما فيما يخص بناء البيوت فقد اكتشف في حماة الطبقة K بيوت مخططها دائري ، واخرى نصف دائري او منحني ، وتشابه البيوت المكتشفة في كركميش ، والتي تعود الى عصر حلف ، والبيوت



الصورة رقم ٥٥



مخطط رقم ١٦

المكتشفة في بيسان الطبقة ١٦ والتي تعود الى هذا العصر . وفي بيبلوس عثر على بيوت مستطيلة الشكل اضيف اليها حجرة على هذا الجدار الطولاني او ذلك من غير انتظام . بنيت البيوت بالحجارة ، وسقفت بالخشب . ومما يلفت النظر ان جدار البيوت في بيبلوس ، قد بنيت بحجارة غير منحوتة ، جلبت من الحقول ، او من ضفاف الانهار ، أو من سواحل البحر وصفت في مداميك على شكل حراشف السمك . وهذا يذكرنا بأسلوب بناء الجدران في ماري والوركاء وأور خلال العصر اللاحق (انظر ص ١٩٥) .

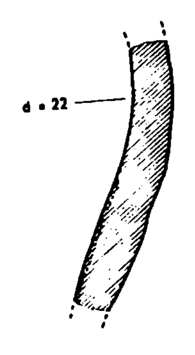
الاختام الاسطوانية :

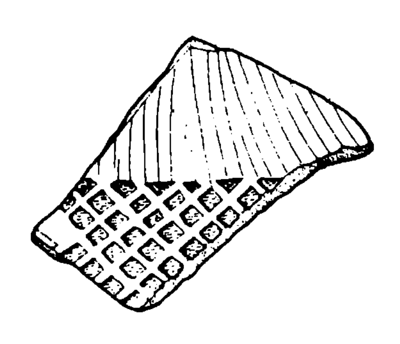
وفي هذا العصر ، اعتاد الناس ببلاد الشام على ختم الجرار . وقد عثر على العديد من كسرها ، بمواقع اثرية كثيرة ، وخاصة في مجدو ، وجبيل ، وحماة ، وفي هذا قلدهم سكان بلاد النهرين ، حيث عثر بمدينة نفر العراقية ، على اواني فخارية مختومة ، والواقع اننا لم نعثر حتى الان على ختم ، نجد طبعته على جرة من الجرار المكتشفة . وهذا ما عزز الرأي القائل بأن الاختام كانت مصنوعة من مواد سريعة العطب كالخشب مثلا .

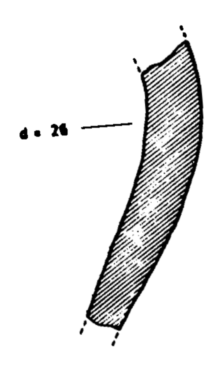
نقشت الاشكال على الاختام بطريقة تشبه طريقة نقش اختام عصر جمدة نصر ببلاد النهرين . اذ كان الحفر سطحيا وكان اسلوب رسم الاشكال متشابها من حيث انها غير طبيعية (صورة ٥٦) .

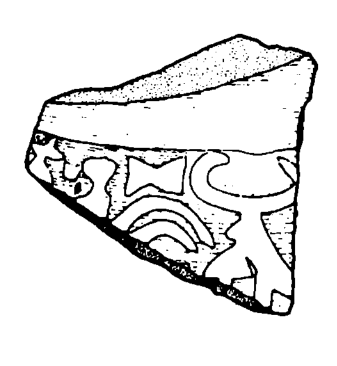
هذا فيما يتعلق بطبعات اختام الجرار ، اما فيما يتعلق بالاختام الاسطوانية فقد عثر عليها في مدن ومواقع اثرية قديمة كثيرة ، مما يدل على انتشار استعمال الختم ، ليس فقط على المستوى الرسمي ، وفي المعابد ، بل على المستوى العام أيضا . حيث امتلكه عدد ليس بقليل من الناس كالتجار والفلاحين . اما المواضيع التي عولجت فهي :

آ ـ **المعبد وحيواناته** : بقي المعبد كما كان في عصر الوركاء الموضوع









الصورة رقم ٥٦

الذي مثله الحرفي على سطح ختمه ، ولكن باسلوب جديد ، اذ استعمل المزرف المحدب ، او الكروي ، في حفر المشهد ، فبدأ جسم الحيوان ، وكأنه مؤلف من مجموعة من الكرات . ويضم المشهد معبدا في الوسط وعلى كل جانب صفان من الحيوانات الاليفة (صورة ٥٧ أ ، ب) .

ب ـ **الحيوانات الاليفة** : لم يهتم الحرفي برسم الحيوانات المفترسة والوحشية كما فعل في العصر السابق ، بل اكتفى برسم الحيوانات الاهلية كالغنم والبقر ، فمثلهم مصطفين ، أو متفرقين بقرب الحظيرة او الغصون (صورة ٥٧ جـ د) .

جـ ـ **مشاهد عمل** : وهي على الغالب نساء يقمن بعمل أوان من الطين أو صنع أشياء من القصب والقش وهن يجلسن على الارض (صورة ٥٧ هـ و) .

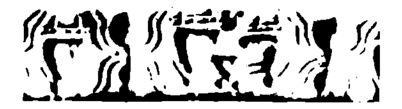
د ـ **رسوم هندسية ورمزية** : وهذا الموضوع جديد على فن صناعة الاختام ، ولعل تحرر الحرفي من التزامه في صنع الاختام للمعبد فقط ، جعله يبتكر مواضيع جديدة ، يعبر بها عن فنه وأفكاره ، وقوام الرسوم الهندسية خطوط منكسرة ومتوازية ومائلة ودوائر وورد (صورة ٥٧ زح) .

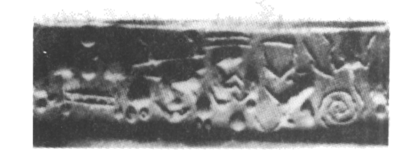
الختم القرصي هو الشكل الامثل والاقدم للختم ، وعندما ابتدع الفنانون الختم الاسطواني ندرت استعمالاته . وفي هذا العصر صنع الحرفيون اختاما مسطحة بجسم حيوان : مثل الغزال ، الدب ، الطير الجارح والصقر . وكانت هذه الاختام تعلق الى جسم صاحبها كتميمة ايضا . وعندما ندقق فيها ، نجد ان الفنان قد صور اشكالا حيوانية بديعة تدل على مقدرته الفنية وعمق معرفته بالحيوانات التي يصورها . وقد اكتشفت عدة قطع من هذه الاختام او التمائم في تل براك ، كما اكتشفت مئات القطع الصغيرة في مصطبة معبد العيون سميناها «الرؤوس البشرية » لانها تتالف من جمجمة وعيون وعنق يرتكز على قطعة مستطيلة الشكل تقريبا . وقد صنعت من حجر الباتر . وبما ان الفنان قد أبرز





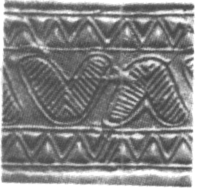












الصورة رقم ٥٧

العيون اكثر من غيرها ، سميت أيضا « العيون » . ومما لا شك فيه أن لها قوة سحرية تذكرنا بالعين الساهرة او خرزة العين التي يستعملها الناس في بلادنا .

صناعة الفخار :

وخلال هذا العصر ظهر نوع جديد من الفخار كان من انواعه في حماة الطبقة K : جرة على كتفها ٤ صفوف من الثقوب العادية ، قد تكون موقد بدائي ، مطره ، قدور الزهور التي عرفناها من عصر الوركاء . جرة كبيرة زوقت بخطوط دائرية لونها أحمر ، واخرى زوقت بخطوط دائرية تقطعها مستطيلات . الطين أصفر اللون والزخارف سوداء (صورة ٥٨) .

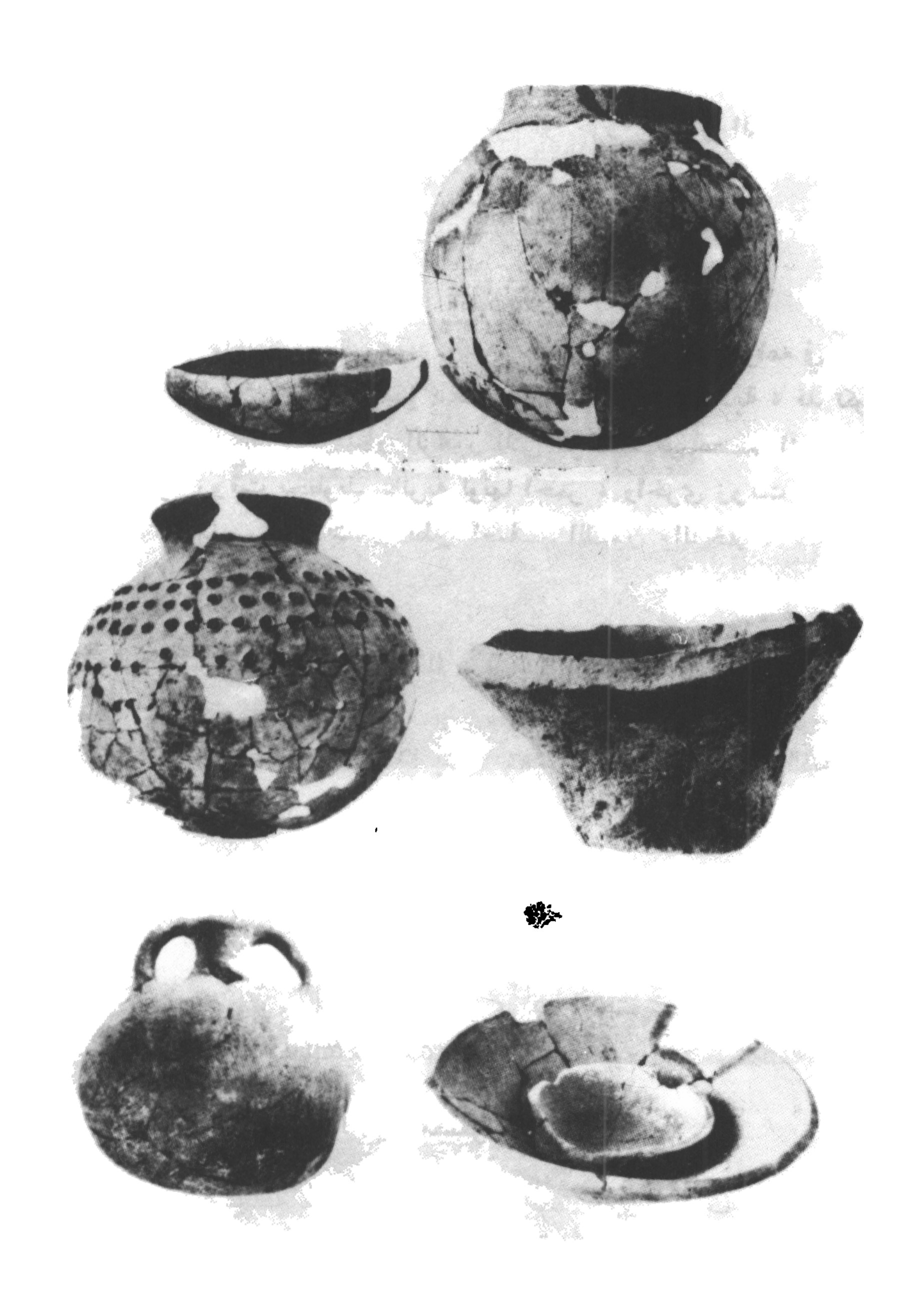
وفي اجاريت الطبقة (IIIAI) : جرار اجاصية الشكل كعبها مسطح ، الطين اخضر او بيج . مشوي جيدا ، الزخارف اثلام دقيقة ، وكانها اثار اسنان مشط ، لذا يعرف هذا النوع من الفخار بالفخار المشط (صورة ٥٩) .

وفي سهل العمق الطبقة G : كانت صناعة الفخار متقدمة كما كانت عليه في الطبقة الاقدم F . وقد ظهرت الانواع التالية :

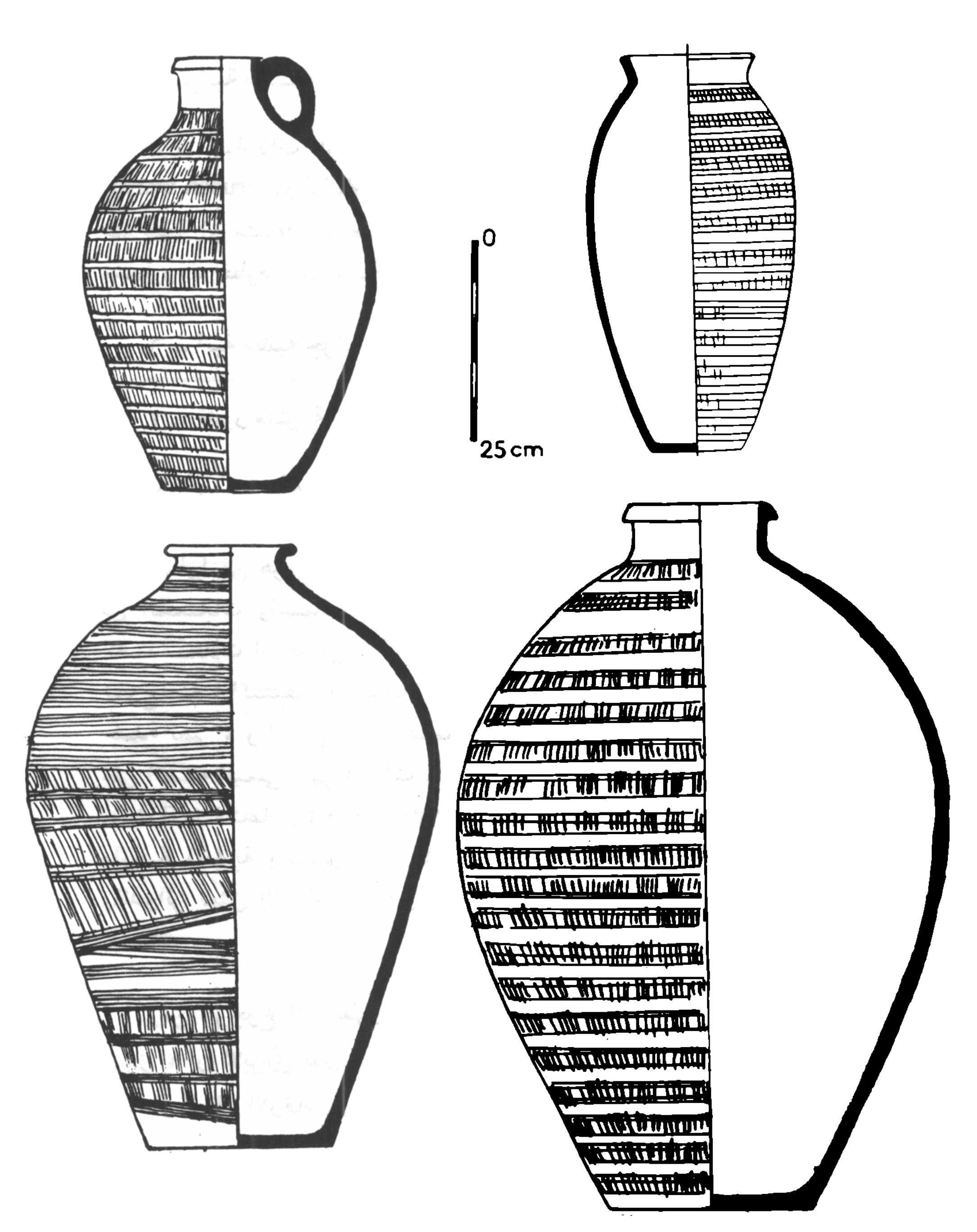
١ ــ صحفيات ، جرار ، قصعات ، قدور ذات كعب مسطح ، اطلق عليها اسم (plain simple ware)

٢ ــ آنية طلاؤها برتقالي بني مصقول لماع .

٣ ــ آنية مطلية بطلاء يبقى جزء منه ظاهر ، كالزخارف بعد أن يمح او يغطى جزئيا بألوان أخرى . وفي هذه الحالة يبدو السطح وكأنه مزخرف بأشكال هندسية وشعاعية ذات الوان مختلفة ويسمى (Reserved Slip ware)



الصورة رقم ٥٨



الصورة رقم ٥٩

٤ ـ آنية ممشطة ومختومة .

٥ ـ آنية ذات الوان وزخارف نفذت بفرشاة كبيرة وتسمى : (Multiple-Brusch ware) وتظهر زخارفها على شكل خطوط متموجة متلاصقة أو متباعدة ، صفوف من النقاط ، مجموعات ثلاثية الخطوط متجاورة ، خطوط مستقيمة تقطعها خطوط متعرجة .

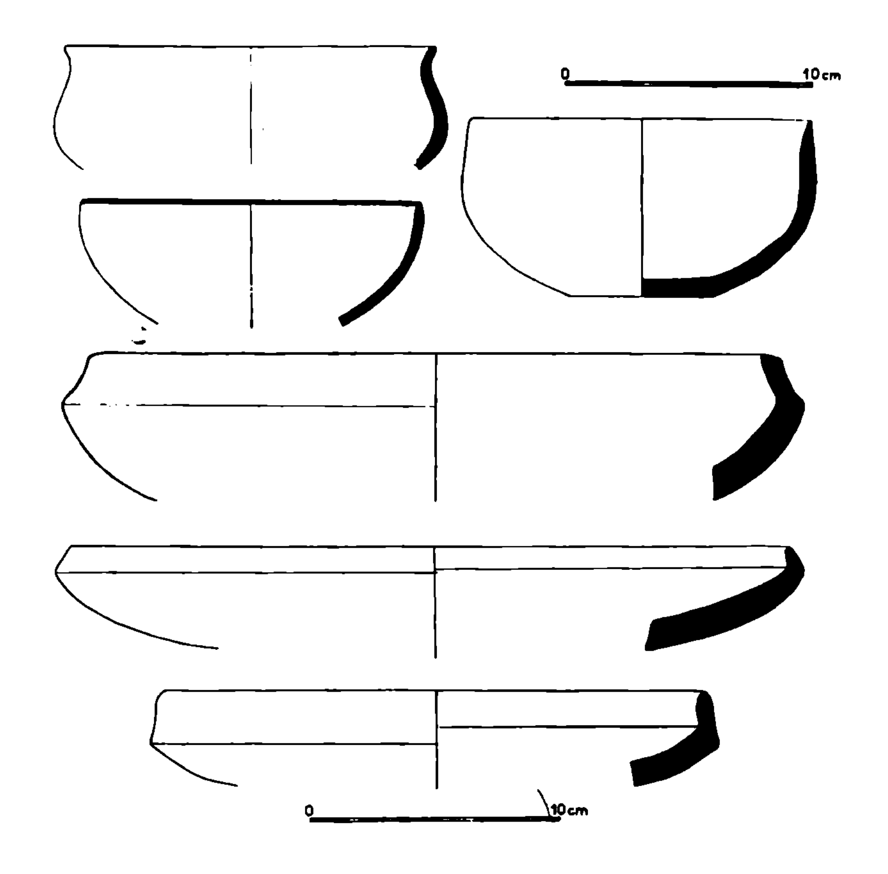
٦ ـ آنية مطلية جزئيا بلون ما .

٧ ـ قدور متنوعة (صورة ٥٩) .

لم تكن هذه الحضارة لتبلغ مداها ، لولا أن وراءها حياة اقتصادية مزدهرة من زراعة ، واعمال يدوية ، وصناعية ، وتجارة ، مارسها بشر لم يكشفوا عن هويتهم ، لانهم لم يكونوا قد تعودوا على تدوين الاحداث بل الحسابات واسماء المواد المنتجة . واقدم الوثائق من هذا النوع كانت سجلات او فواتير ، او تعريفات بالمواد التي تصل الى المعبد ، او تخرج منه ، اكتشفت في مدينة الوركاء الطبقات ٤ آ و ٣ ا ـ د وفي موقع جمدة نصر ، وتل عقير الى الشمال من الوركاء (٢) . وفي بلاد الشام ، على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، بموقعي عارودة وحبوبة الكبيرة الجنوبية حيث اكتشفت عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ وبعدهما رقم طينية عليها خطوط ودوائر واوعية فخارية وسنابل وهي تدل على اعداد وكلمات (٣) ، فالخطوط والدوائر تمثل الاعداد ، أما رسومات الاوعية والسنابل ، فتدل على كلمات .

ومن الرجوع الى تطور الكتابة من الصورة الى الحرف ، يمكن لنا القول ، ان الابريق يدل على مادة من السوائل ، والسنابل على النباتات والخطوط على الارقام .

والباحث في آثار بلادنا ، يدرك بسهولة ويسر ، التشابه القوي بين رقم حبوبة وعارودة من جهة ، وبين رقم الوركاء وجمدة نصر وبلاد عيلام



صورة رقم ٥٩

من جهة اخرى . ففي كلتا الحالتين تكمن المحاولات الاولى للكتابة بالصور الدالة على الارقام والكلمات ، التي لا تشكل جملا مركبة حسب قواعد لغويــة .

والباحث حين يكتشف مثل هذه الرقم ، يطمع في معرفة اصحابها ، ليدل عليهم بالاسم . فيلجأ الى نتائج التنقيبات الاثرية ، ليستخلص منها المؤشرات الدالة على اسم أولئك الناس .

عاش الانسان في جبل عاروده وحبوبة وقناص حقبة قصيرة مــن الزمن ٣٥٠٠ ـ ٣٣٠٠ ق.م ثم هجرها لاسباب نجهلها . ولكنها قد تكون اسبابا طبيعية كالجفاف والهزات ... الخ . او بشرية كهجرة جماعات جديدة اجلت السكان عن منازلهم ، ولم تستقر مكانهم . ففقدت المنطقة اهميتها بعد عام ٣٣٠٠ ق.م ومن هنا يظهر لنــا بوضوح أن التطــور الحضاري الذي شهدته المواقع الثلاث قد توقف ، فضاعت علينا فرصة تتبعه وربطه بالحقب اللاحقة .

هذا في بلاد الشام على حوض الفرات ، امــا في بــلاد السومريين ، وخاصة في مدينة الوركاء الطبقتان ٦ ـ ٤ فان تطور بناء المعابد يشهد على استمرارية الاسلوب مع احداث تغييرات جذرية على العناصر التي تؤلف البناء مثل المصطبة والدعامات الخارجية للجدران ، والنقوش والزخارف الجداريــة .

اما بعد هذا العصر اي بعد عصر الطبقة ٤ فاننا نلاحظ تطورا في جميع مناحي الحياة يختلف عما سبقه . فهل مرد ذلك الى الاختلاف في جنسية السكان ؟ ام لان السكان انفسهم قد وصلوا الى درجة عالية من التقدم بحيث تمكنوا من تطوير جميع مناحي الحياة ؟.

لا جواب مقنع على هذا السؤال حتى الآن ، ولكننا نميل الى الاعتقاد بأن مراحل تطور حياة أمة من الامم لا تحتاج الى عناصر سكانية جديدة ، بقدر ما تحتاج الى تقدم فكري ينتج عنه تغيير في وسائل الحياة .

هذا فيما يتعلق بالآثار الثابتة والمنقولة ، اما فيما يخص الكتابة ، فنجد الخط قد استمر في تطوره دون انقطاع ، فالكتابات السومرية ومثلها الأكدية التي خطت في عصر فجر السلالات في النصف الاول من الالف الثالث ق. م. قد تطورت عن كتابات فجر التاريخ .

ومن هذه الحقيقة انطلق العلماء ليصفوا حضارة فجر التاريخ بانها سومرية . نسبة الى السومريين سكان جنوب بلاد النهرين . وقبل عرض وجهات النظر الجديدة في هذا الموضوع ، نتعرف على السومريين وبلادهم .

اقدم شعب يذكر في النصوص البابلية « السومريين » وزمن قدومهم واستقرارهم في المنطقة الممتدة من بغداد شمالا حتى راس الخليج جنوبا ، غير معروف ، لأن المكتشفات الاثرية ، لا تعطينا الرد الحاسم على هذا السؤال . والثابت انهم ليسوا سكان البلاد الاصليين ، لان معظم أسماء المدن التي سكنوها ليست سومرية . ومع ذلك فهم من بناة الحضارة المزدهرة بعد عام ٣٠٠٠ ق. م. ومن المحتمل جدا ان يكونوا مبدعي الخط والكتابة حسب رأي بعض العلماء .

اما الاسم سومير أو بالاحرى بلاد سومير فنعرفه من القاب الاكاديين وغيرهم ، الذين لقبوا انفسهم « شار شوميري واكادي » اي ملك سومر واكاد . اما الكلمة الاكادية شوميري فهي ترجمة للكلمة السومرية كي ـ أن ـ جي ـ (ر) ، التي استعملها لاول مرة ملك أوروك انشا شوكنا (حوالي عام ٢٤٥٦ ق. م.) وكان يطلق على الاراضي الممتدة حول مدينة نفر في اواسط بابل . ثم اطلق على وسط وجنوب بلاد بابل(٤) .

تحوي اللغة السومرية كغيرها من اللغات مفردات مستعارة اهمها من اللغة الاكادية واقلها من لغة ولغات نجهلها . وتأسيسا على ما تقدم ، لا يمكن الجزم بأن السومريين هم مبدعوا الخط المسماري . كما خمن بعض العلماء .

أما اليوم ، وبعد تقدم علم الآثار ، وازدياد حجم المكتشفات الاثرية كما ونوعا ، فقد ظهرت معطيات جديدة ، تحتم علينا اعادة النظر في هذه المقولة .

لم تعد الوركاء حاملة لواء حضارة فجر التاريخ ، فالى جانبها كانت عارودة وحبوبة وقناص في بلاد الشام .

الكتابات التي تعود الى فجر عصر السلالات ليست كلها سومرية بل اكادية او كيشية . نسبة الى مدينة كيش على الدجلة الى الجنوب من بغداد .

والخصائص الحضارية التي امتاز بها الجنوب السومري ، نجدها نفسها على ضفاف الفرات في مواقع عارودة ، حبوبة وقناص ببلاد الشام ، ان محاولات الانسان الاولى في تدوين لغته قد جرت في بلاد الشام ، وجنوبي بلاد ما بين النهرين ، في آن واحد ، ولم يعد الآن من يقول ، بأن السومريين هم الذين اخترعوا الكتابة ، بل السومريون والاكاديون (والكشيون) معا . وبديهي أن تعايش السومريين والاكديين جنبا الى جنب ، قد فرض التعاون فيما بينهم ، والتعلم من بعضهم . فكما نجد في اللغة الاكادية مفردات سومرية نجد في السومرية مفردات اكدية(٥) . وتمثل نصوص ايبلا ببلاد الشام العصر الذهبي لتطور اللغة الاكدية القديمة كما ونعرفها من مفردات في نصوص مدينة كيش وابو صلابيخ ومن نصوص قليلة في ماري . وما كان للغة ايبلا أن تصل الى هذه المرحلة من الدقة في قواعد النحو والصرف ، لو لم تكن قد قطعت اشواطا بعيدة من التطور .

وتأسيسا على ما تقدم ، نرى ان السومريين والكيشيين والماريين (نسبة الى مدينة ماري) على الفرات والابليين هم مبدعوا حضارة فجر التاريخ ، والكيشيون والماريين والبابليون هم من أهم ممالك القبائل القديمة في بلاد النهرين وبلاد الشام كما سنرى .

الفصل الثالث

عصر فجر السلالات

٢٨٠٠ – ٢٣٥٠ ق.م

نشوء ممالك : كيش ، ماري وايبلا

تحدثنا في الفصل السابق عن آثار فجر التاريخ المكتشفة في مواقع كثيرة ببلاد النهرين والشام ، واشرنا الى الاحتمال القوي في أن يكون السومريون والاكاديون مبدعي تلك الحضارة . وكنا نحدد بداية ونهاية العصر ، بالاعتماد على المكتشفات الاثرية من غير الوثائق المكتوبة . أما في هذا العصر ، فاننا نعتمد المكتشفات الاثرية ، بما فيها الوثيقة التاريخية في تحديد بدايته ونهايته .

وقد كشفت التنقيبات الاثرية في منطقة الديالي بالعراق على آثار عظيمة ، منها مجموعة من الأختام الاسطوانية ، أوحت ببوادر ظهور عصر جديد ، متميز عن العصر الذي سبقه ، بأساليبه الفنية الجديدة ، التي تتبعنا تطورها من نهاية عصر جمدة نصر ، وحتى بداية عصر المملكة الاكادية ، وسميناه « عصر فجر السلالات » ، الذي قامت خلاله ممالك كثيرة ، انتشرت في كافة أرجاء بلاد النهرين والشام ، ودامت من ٢٨٠٠ – ٢٣٥٠ ق. م. وذكر معظم ملوكها في ثبت الملوك السومريين الذي دونه كتاب سومريون وبابليون في نحو عام ٢٠٠٠ ق. م. وقسموه الى سلالات متتالية ، حكمت في مدن انتشرت من جنوب العراق ، مرورا بمنطقة الديالي ، حتى ماري على أواسط الفرات . وقد اثبتت التنقيبات الاثرية صحة بعض اقسام هذا الثبت ، واثبتت كذلك ان بعض السلالات التي وردت متتالية كانت متزامنة .

ولما كان هذا العصر طويلا ، ولكثرة ما انتهى الينا من آثار ، وتسهيلا للبحث ، قسم الباحثون الانكلوسكسون هذا العصر الى ثلاثة عصور هي : (Early Dynastic I, II, III) عصر فجر السلالات الاول والثاني والثالث . ويطابقه عند الفرنسيين (Présargonique) عصر قبل السرجوني (نسبة الى الملك شروكين « سرجون » مؤسس المملكة الاكادية) . وعند الألمان : عصر التحول الأول + عصر ميسليم(Erste Dynastie von Ur) . (Meselem-Zeit) وعصر التحول الثاني (Zweite übergans zeit) + عصر سلالة اورا الأولى (Erste Dynastie von ur) . ترسخت هذه المصطلحات في اذهاننا ، وتصدرت عناوين فصول عديدة في الكتب والمجلات العلمية ، وترجمت الى العربية كما دونته اعلاه . والترجمة العربية صحيحة ؛ غير أنني أفضل عليها المصطلح « ملوك القبائل القديمة » ، لأن كلمة قبيلة تشير الى الكل ، بينما تشير كلمة سلالة الى طبقة الحكام ، او الحكام فقط . والعنوان الجديد أدق وصفا للواقع الذي كان سائدا آنذاك . وقد اشرت الى هذا في المقدمة ، ولا حاجة للتكرار .

بدأ حكم ملوك سلالات السومريين والأكديين منذ أن نزلت سلطة الملوك من السماء حسب اعتقادهم . وقد توزعت هذه السلالات على المدن الرئيسية التالية : كيش ، اوروك ، اور ، لجش ، اوما وماري . وكانت على خلاف فيما بينها ، تتنافس في السلطة على البلاد ، وتشن الغارات على بعضها . في سبيل تحقيق هذا الهدف٦ . وقد ترك بعض ملوكها مثل ميسليم ملك كيش ، (حكم عند بداية القرن ٢٦ ق.م ، اورنانشي (٢٥٢٠ ــ ٢٤٩٠) ، أنتي ــ مينا (٢٤٣٠ ــ ٢٤٠٠) وإأنا ــ توم (٢٤٠٠ ــ ٢٣٧٠) ملوك لجش ، ايلول ايل ، لمجي ــ ماري ، اوكوشاماكان من ملوك ماري (حكموا في الفترة من ٢٦٠٠ ــ ٢٥٠٠ ق.م تقريبا) ، آثارا موثقة تحمل أسماءهم .

وبما أن غرضنا ليس البحث في تاريخ هذه الممالك ، بل في آثارها ، نكتفي بهذه الاشارات السريعة ، وننتقل الى استعراض آثارها بايجاز في

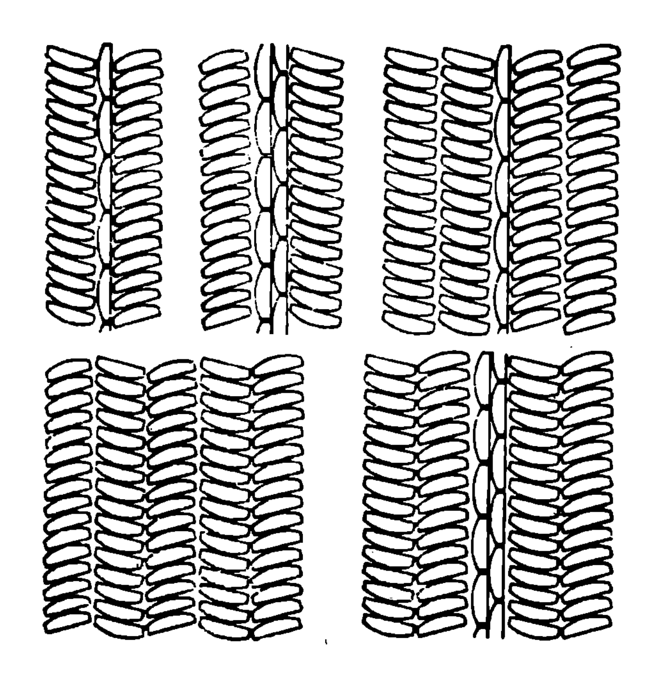
العراق ، وبشيء من التفصيل في سورية . لانها متشابهة ، ودراسة المكتشف منها في سورية ، تغني عن دراستها كلها .

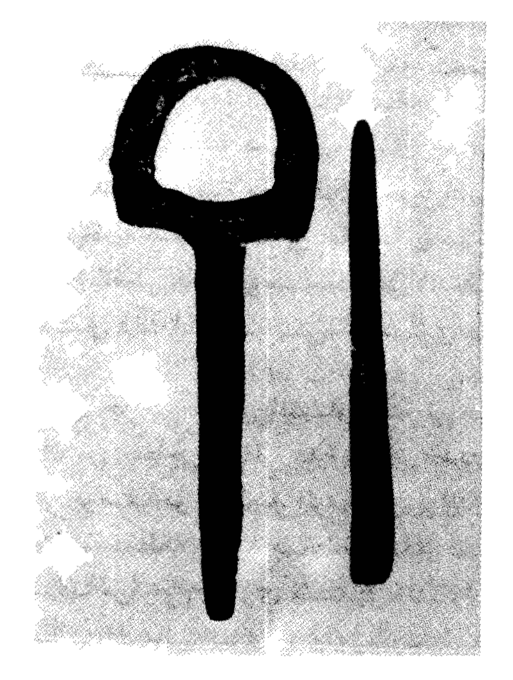
ذكرنا أن هذا العصر قد تميز بظهور ممالك كثيرة ، ووثائق تاريخية تحكي اعمال بعض الملوك . وقد تميز ايضا بظهور اتجاهات فنية جديدة شملت مختلف فروع الفن وتربطها خيوط قليلة بعصر فجر التاريخ .

آ ـ **العمارة** : لقد حدث انقلاب شامل على الاساليب القديمة ، غير شكل اللبن ، قواعد واصول التأسيس ، والمخطط أو الهيكل العام للمعبد . ففي عصر فجر التاريخ كان حجم اللبنة صغيرا ، واسميناه (قدة أي القطعة من اللبنة) . والآن صنعت لبنة كبيرة ذات وجه محدب ، يصعب على المعمار صفها في مداميك مستقيمة مترابطة ومتراصة ، بل صفها في مداميك تفصل بين لبناتها فراغات تبدو كأنها خطوط متعرجة شاقولية . وبعد أن كانت جدران المعبد ، تقام فوق ارض ممهدة ومستوية صارت تبنى فوق اساسات محفورة بالارض ، توضع فيها أوتاد معدنية يكون راسها على شكل انسان في بعض الحالات . وبهذه الطريقة يتحقق الربط بين الارض والبناء (صورة ٦٠ آ ـ ب) .

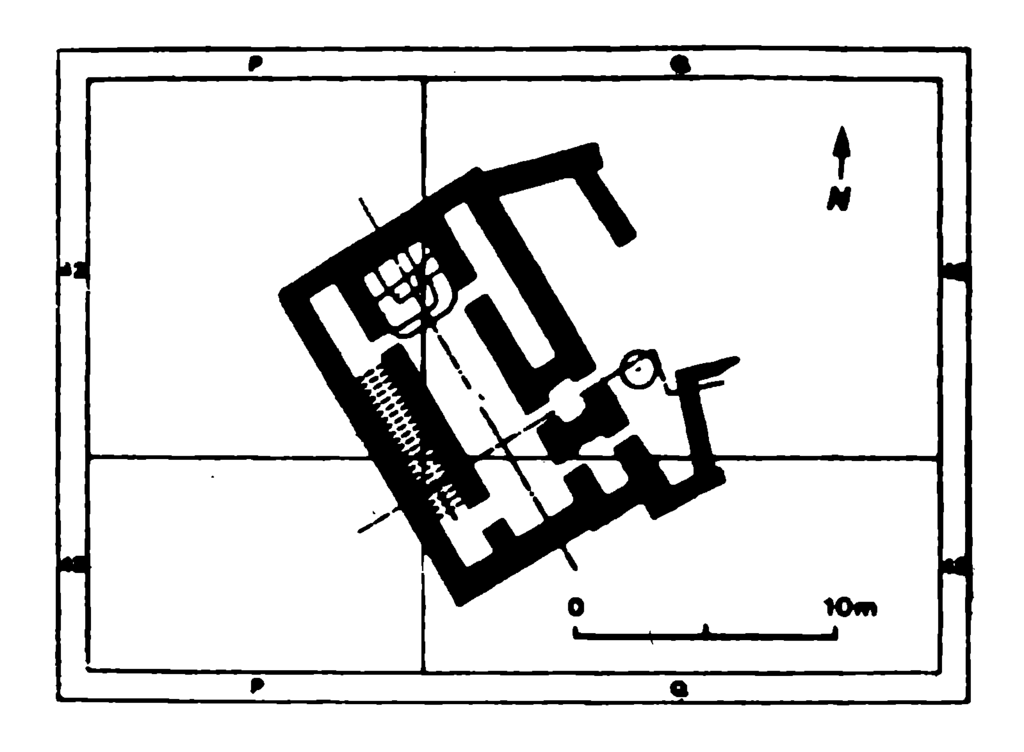
في عصر فجر التاريخ ، تعود الناس على بناء معابدهم في حي خاص مثل حي « الانا » بالوركاء أو في حارة منعزلة كما في عارودة وحبوبة كبيرة جنوبية ـ قناص ، أما في هذا العصر فقد حرصت السلطة الدينية على عزل المعبد عن محيطه ، واتبعت في ذلك أساليب شتى كما سنرى .

كشفت التنقيبات الاثرية في تل خفاجي ، الى الشمال الشرقي من بغداد وفي تل أسمر ، الى الشرق من خفاجي ، على عدة معابد جددت مرارا خلال هذا العصر ، وسأكتفي بوصف موجز لمعبد الرب سن ، الذي يعود الى الطبقة الاولى في خفاجي . مخططه شبيه بمخطط معابد عصر فجر التاريخ (مخطط ١٧) . ويتألف من حرم مركزي مستطيل الشكل ، فيه منصة ملاصقة للضلع العرضاني الشمالي الغربي ، وتحيط به غرفة





الصورة رقم ٦٠



54

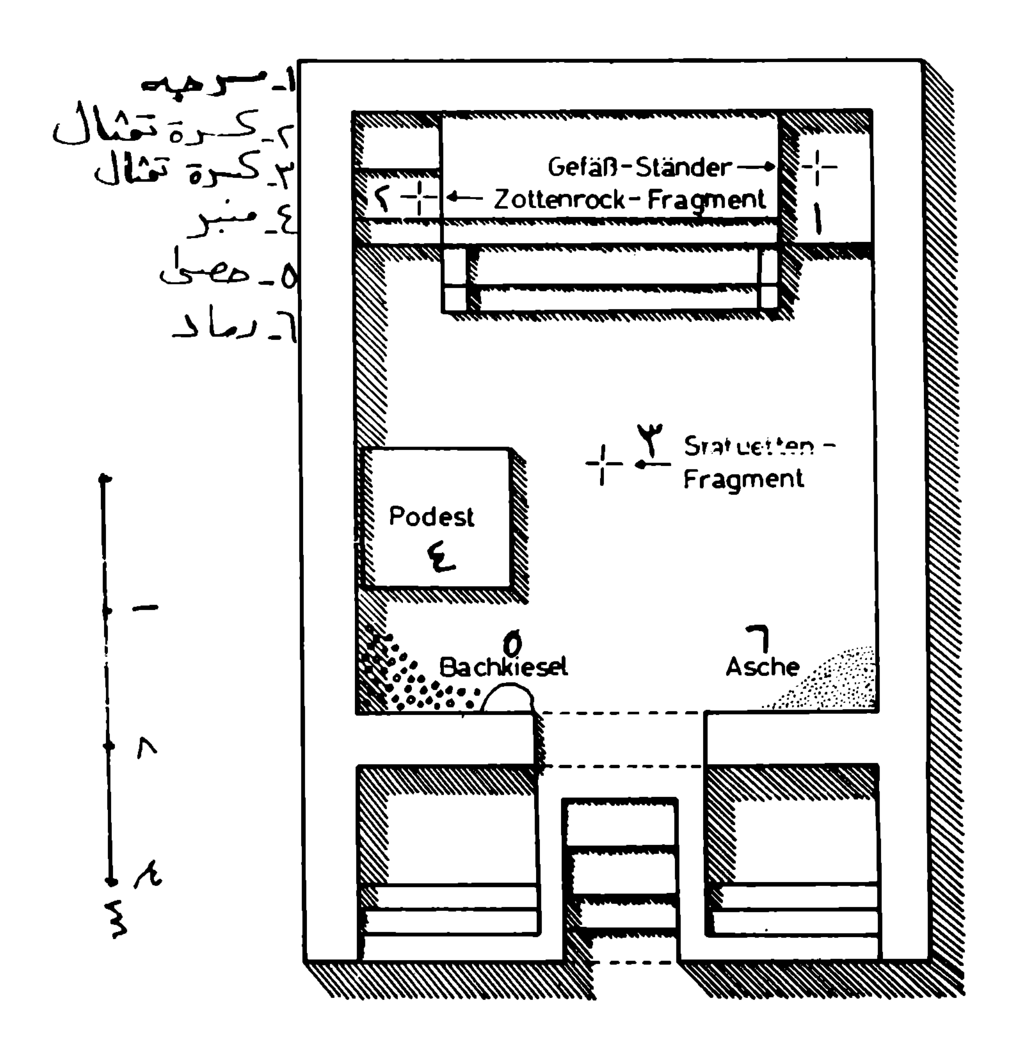
مخطط رقم ١٧

الدرج من الجنوب الغربي ، وغرف اخرى من الشمال الشرقي ، ويختلف عن معابد عصر الوركاء في كونه كتلة صماء ، ليس له الا مدخل واحد ، تتقدمه باحة مسورة .

هذا في خفاجي بالجنوب ، اما في الشمال فقد كشفت التنقيبات الاثرية بتل الخويرة ، على معبد ذي مخطط مختلف تماما عن مخططات المعابد التي عرفناها حتى الآن . وقد سماه الاستاذ مورتكات : Kleiner Anten-Tempel لان مخططه مماثل لمخططات المعابد الاغريقية القديمة التي فيها الجداران الجانبيان بارزان وبين بروزهما عمودان امام الباب . ونحن نسميه المعبد الصغير ذي الرواق وننسبه الى قبائل الكيشيين والماريين والابليين ، وقد قلده الكنعانيون فيما بعد (انظر ص ٣٢٨) . الذي بني فوق معابد اقدم ذات شكل غير منتظم . وبما أن نتائج التحريات في هذا المعبد لم تنشر بعد ، سنصف المعبد الصغير ذي الرواق (مخطط ١٨) .

ينوف المعبد على ما حوله من اجنحة تابعة له ، ويحيط بالمكان زقاق من الجهتين الشمالية والشرقية . ومن الزقاق الشرقي نصعد درجا قصيرا مؤلفا من اربع درجات الى الرواق ، ومنه نعبر بابا الى الحرم الذي يتصدره المذبح . والى يسار الداخل الى الحرم ، اقيمت منضدة النذور . ابعاد المعبد ٦ × ٤ م ، ابعاد المصلى ٤٫٥٠ × ٣٫٥٠ م . وهو بهذه المساحة اشبه بصومعة او زاوية او خلوة ، يكاد لا يتسع الا لعدد قليل من المصلين او الكهنة .

تجديد ، ترميم او اعادة بناء بيوت العبادة تقليد محبب في جميع العصور . ففي مدينة آل لخ بسهل العمق ، تبين ان المعبد الذي يعود الى الطبقة ١٤ ، وذكرناه فيما سبق ، قد دمره حريق هائل ، ثم جرى تنظيفه ، وهدمت المداميك المتصدعة من الجدران ، وردمت الفراغات بينها حتى ارتفاع ٣ م بحيث اصبحت الكتلة مستوية افقية ، جاهزة للبناء . فوق هذه المصطبة ، التي كانت جدرانها الخارجية مائلة نحو



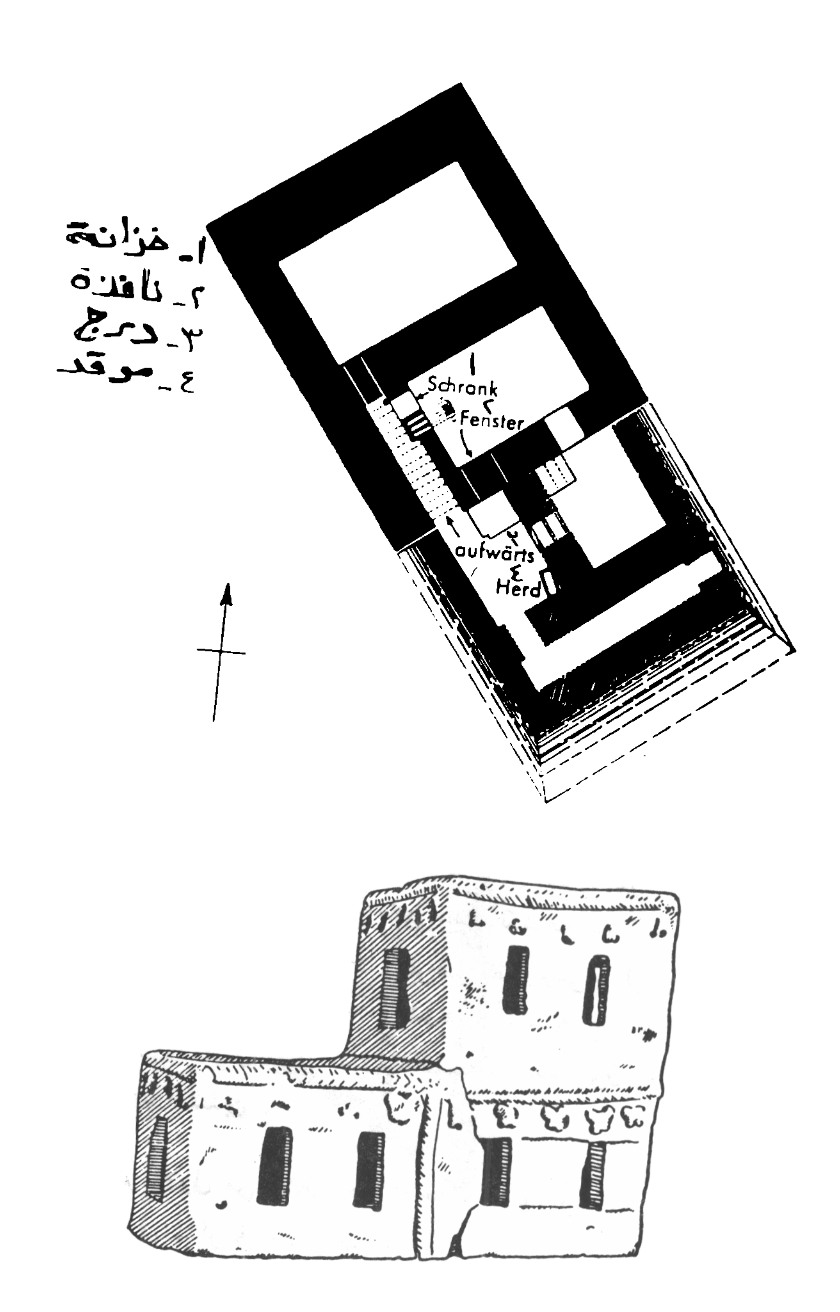
١- مسرجة
٢- كسرة تمثال
٣- كسرة تمثال
٤- منبر
٥- حصى
٦- رماد
Gefäß-Ständer
Zottenrock-Fragment
Statuetten-Fragment
Podest
Bachkiesel
Asche

مخطط رقم ١٨

الداخل ، بني المعبد . وعند الزاوية الجنوبية درج يصعد الى المصطبة ، حيث يجد الزائر ممشى طولانيا فيه باب ينفتح على باحة فيها موقد طبخ الضحايا . وعلى يمين الداخل باب ينفتح على بهو يتقدم الحرم . وامام الزائر بقايا درج خشبي يقود الى الطابق العلوي . وخلف الحرم ، حرم آخر مغلق .

ومن المفيد التذكير بان بيوت العبادة التي كشف عليها كانت متهدمة ، بحيث تعذر تصور شكلها الاصلي ، ولحسن الحظ ، قام فنانو ومعماريو تلك العصور برسم المعابد على الاختام ، أو صنع مجسمات طينية لها اشعرتنا بعظمتها ، ودلتنا على شكلها . وفي مدينة السلمية عثر على مجسم طيني لمعبد يتألف من قاعة امامية يليها الحرم ، الذي ينوف عليهـا . (مخطط ١٩) . وهو يمثل معابد بلاد الشام ومنها هذا المعبد من اللالخ .

من آل لخ بسهل العمق ، ننتقل الى مدينة ماري ، مقر مملكة زاهرة حكمها ملوك عظام ، ذكرهم مدونو تاريخ بلاد النهرين القديم كما ذكرت . وكشفت التنقيبات الاثرية على بعض من آثارهم ، وكتاباتهم . وقد لعبت ماري ومثلها كيش وايبلا ، الدور الاهم في تاريخ ممالك القبائل ، وخاصة في هذا العصر الذي هو عصر تكوينها . وفيها من البقايا والاطلال المعمارية ما يشهد على فنون عماراتها الراقية . ففي هذا العصر كانت محاطة بسور دفاعي منيع . من ناحية الغرب ، استند عليه من الداخل بناء كبير ، شيدت فوقه مباني اخرى مع مرور السنين ، كانت معبدا للربة عشتار تجواره مساكن الكهنة . وبعد الكشف عليه ، تبين انه قد هدم عن قصد. وقد امكن التعرف على مخطط احدث شكل له والمرموز له بالحرف A يتألف المعبد من حرمين متجاورين ليس بينهما باب وفيهما مقاعد ومنبر . بنيت الجدران باللبن فوق اساسات من الحجارة الكلسية ـ الجيرية ، ووضع فيها ثلاثة عشر مسمارا برونزيا سحريا . الى الشرق من الحرمين باحة ذات ارضية اسفلتية فيها حوض الماء المقدس ، مصطبة للذبائح ، ومذبح . وفيها تقام الطقوس الدينية ، والى الشرق منها مساكن الكهنة .

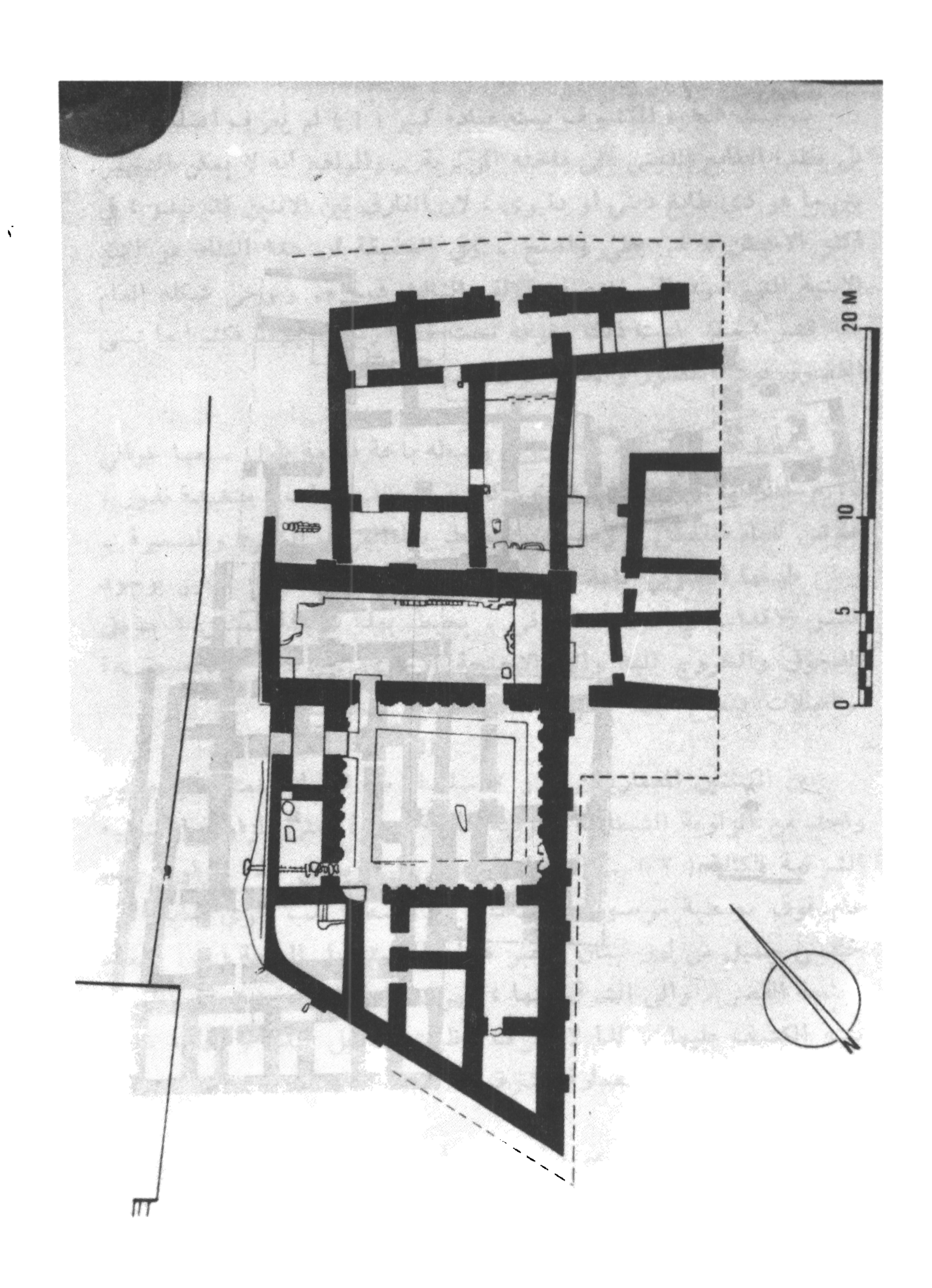


مخطط رقم ١٩

كان في ماري معابد أخرى ، بينها معبد للرب دجن بجانب اطلال الزقورة المعروفة بالكتلة الحمراء . وقد كشف على بعض من الاحياء السكنية في وسط المدينة ، وفي طرفها الغربي . وكانت البيوت السكنية ذات مخطط متشابه ، ويتألف البيت من باحة تنفتح عليها الغرف . وفي وسط المدينة كشف على معبد الربة عشتار ، الذي يشبه مخططه مخطط البيوت . تتجه زواياه نحو الجهات الجغرافية الاربع . حرمه مستطيل ينفتح على باحة تحيط بها الحجرات (مخطط ٢٠) وفيه مقاعد ومنبر . من الجهة الشمالية الغربية يجاوره معبد الربة نيني ـ زازا الذي تتوسطه باحة ينفتح عليها الحرم ، وتحيط بها الحجرات . وقد زوقت واجهاتها المطلة على الباحة بالمحاريب . نصب في وسط الباحة عمود بازلتي ارتفاعه ٥٠ر١ م . له قيمة دينية . كصنم من أصنام الكنعانيين . وتشير الدلائل الى ان هذين المعبدين قد هدما عمدا ، وبقيت تحت انقاضهما تماثيل لبعض الملوك سناتي على ذكرها فيما بعد .

كانت هذه المعابد تزين مدينة ماري ، وقد عثر في معبد عشتار على تمثال الملك لمجي ـ ماري ، وفي معبد نيني ـ زازا على تمثال الملك ايكو ـ شاما ـ كان ، وتمثال المطربة أور ـ نانشي ، الذي نقش على ظهره اسم أيلول ـ أيل ملك ماري ، ونحن نرجح ان يكون هؤلاء الملوك قد بنوا تلك المعابد وبجوارها القصور ، التي بدأ الكشف عليها منذ عام ١٩٦٤ ، ولا يزال مستمرا تحت باحات وغرف قصر زمري ليم . وقد حررت رفوش ومعاول المنقبين مساحة قدرها (٨٠٠ م) ، ظهر فيها ثلاثة قصور متوضعة فوق بعض ، لانها بنيت الواحد فوق انقاض الآخر على مدى عشرات السنين .

والقصر الاول من الاعلى هو الاحدث ، ونرجح انه شيد عند بداية الدور الأكدي ، او في منتصف الالف الثالث ق. م. ويسمى القصر ـ المعبد احيانا ، لان هندسة بنائه شبيهة بهندسة بناء المعابد (مخطط ٢١) .



مخطط رقم ٢٠



مخطط رقم ٢١

يتوسط الجزء المكشوف بيت عبادة كبير (١) لم يعرف أصله بعد ، بل يغلب الطابع الديني على باحته المركزية . والواقع انه لا يمكن التمييز بين ما هو ذي طابع ديني او دنيوي ، لان الفارق بين الاثنين قد يبدو ، في اكثر الاحيان ، غير جلي واضح . وفي الحقيقة ان هذا البناء هو اكبر الابنية التي تعود الى منتصف الالف الثالث ق. م. ويوحي شكله العام بانه قصر ، وقد يثبت ذلك وقوعه تحت قصر زمري ليم ، فكثيرا ما تبنى القصور فوق القصور والمعابد فوق المعابد .

مخطط بيت العبادة عادي ، في وسطه باحة مربعة طول ضلعها حوالي ١٥ م جدرانها مزوقة بالمحاريب . كان فيها درب مزفت ، منضدة نذور ، حوض للماء المقدس ، ومذبح . تحيط بها الغرف الكبيرة والصغيرة . وعلى طرفها الجنوبي قاعة كبيرة مستطيلة ٢ر٥ × ٧ م ، تتميز بوجود قدس الاقداس في طرفها الشرقي . يحيط بهذا البيت ممشى ، يسهل الدخول والخروج اليه والى الاجنحة الاخرى . ويبدو وكانه عقدة مواصلات تتفرع عنها الطرقات الى جميع الجهات .

بين الكتلتين المعماريتين ١ و ٢ سلسلة من الابواب تمتد على محور واحد من الزاوية الشمالية الغربية للكتلة (١) حتى الزاوية الجنوبية الشرقية للكتلة (٢) . اكبرها وأجملها الذي يحتل هذه الزاوية وقد قام فوق مصطبة مرصوفة بالبلاط . في وسطها ثقب حوى بقايا عمود خشبي جميل من ارز لبنان . عبر هذا الباب تتصل الباحة (٢) بجميع اجنحة القصر . والى الشرق منها ، ظهرت قاعة الاعمدة (٣) . التي لم ينته الكشف عليها . لذا لا نعرف وظيفتها ، بل تبدو وكانها عنصر معماري جديد في فن العمارة الشرقية .

يستدل من هذا الوصف الموجز ، أن هذه الكتلة المعمارية هي قصر ـ معبد أي ليست قصرا او معبدا فقط . واذا كان الامر كذلك ، يبقى قصر ميسليم ملك كيش ، هو القصر الوحيد المعروف من هذا العصر . وقد كان مسكنا للملك واسرته ومقرا اداريا . يتألف من جناحين : شمالي

وهو الاقدم ، وجنوبي ملحق به . يحيط سور قوي بالجناح الشمالي ، ويفصل ممشى بسيط بين السور وحجرات القصر ، تماما كما كان عليه الحال في بيت العبادة ، الذي وصفناه آنفا . والفارق بين الاثنين ، كثرة الابواب في بيت ماري وندرتها في قصر كيش ، الذي ندخله عبر بوابة وحيدة يحيط بها برجان بارزان . تتوسط باحة كل جناح ، وتحيط بها الحجرات من جهاتها الاربع .

وان دل بناء القصور على شيء ، فانه اول ما يدل على التطور في فنون الادارة . فبعد ان كان المعبد مركزا اداريا ، وبيت عبادة ، اصبح للعبادة فقط ، وحددت صلاحيات كهنته وسدنته ، وقام الى جانبه مقر للسلطة الادارية ، هو القصر الذي آوى الملك واسرته وحاشيته فيتم الفصل بين السلطتين الدينية والمدنية .

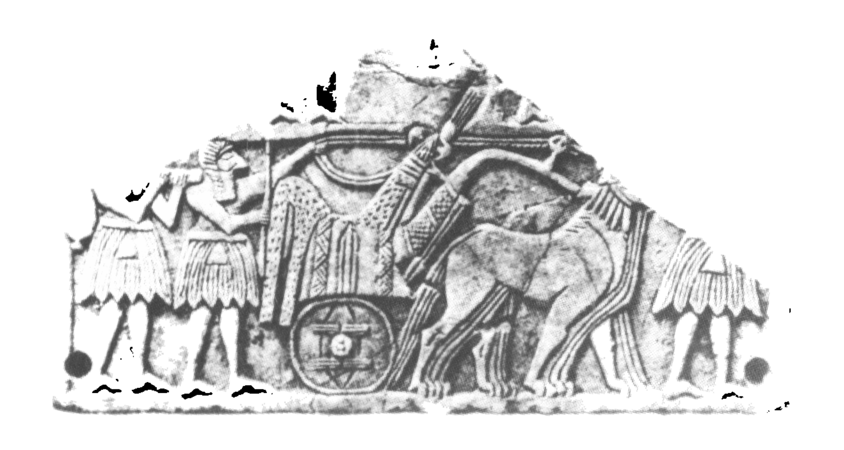
وبعد هذا العرض الموجز لفن العمارة ، ننتقل الى بحث الفنون الاخرى .

ب ـ **الفنون** : نشطت الحركة الفنية وازدهرت ، كما نشطت وازدهرت الحركة العمرانية وظهرت اتجاهات فنية جديدة ، مختلفة عن الاتجاهات السابقة ، من حيث الاسلوب والمواضيع . وسنحكم عليها من خلال لاثار .

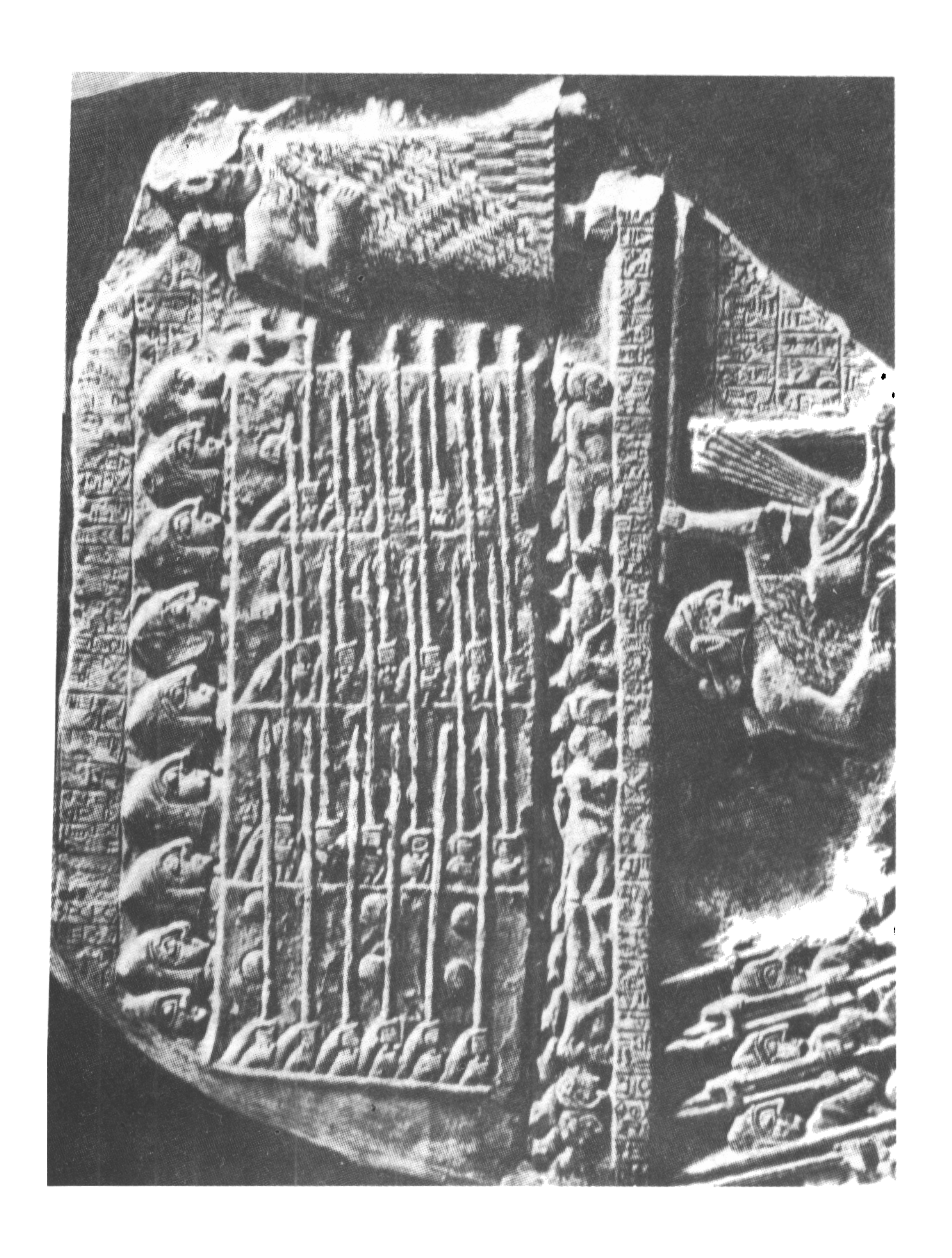
١ ـ **النقش على اللوحات** : تعرفنا على سلة الصيد المكتشفة بمدينة الوركاء ، (صورة ٤٧) وكانت الوحيدة من نوعها في عصر فجر التاريخ اما في هذا العصر فقد زاد عددها وتعددت المواضيع المرسومة عليها . ففي مدينة لجش عثر على مسلة نقش عليها صورة حاكم يرتدي مئزرا مشبكا ، يعصب شعره ، ويقبض بيده اليسرى على دبوس بجواره دبوس آخر ، هما رمز الرب نين ـ جرسو السومري . وقد هربت مسلات اخرى من العراق الى الولايات المتحدة ، وبيعت الى متحف متور بوليتان بنيويورك رسم عليها صورة حاكم وامراة يقفان متقابلين او

منفردين امام معبد او امام بابه . تعكس هذه المسلات تاثير عصر فجر التاريخ في لباس بعض الاشخاص مثل المئزر المشبك وتبرز العناصر الجديدة المبتكرة مثل الثوب المعدق ، ولباس الراس والكتابة . اما اللوحات الاخرى التي ظهرت في اواسط هذا العصر فكانت متميزة عن سابقتها من حيث الشكل والموضوع . شكلها مربع او مستطيل في وسطه ثقب ، تثبت بوساطته الى جدار المعبد او القصر ، ونسميها باللوحات النذرية والموضوع الرئيسي الذي صور على سطحها ، هو مجلس الشراب الذي يتالف من ثلاثة مشاهد وزعت على ثلاثة حقول ففي الحقل الاول اي العلوي يجلس رجل (حاكم او كاهن) على مقعد وتقابله امراة جالسة ايضا . ويتوزع الخدم حولهم . يمسك كل من المراة والرجل بقدح في اليمين ، وغصن نبات في اليسرى . اما في الحقلين الثاني والثالث فنشاهد مواكب الاتباع ، الذين يجلبون الهدايا ، او يعزفون على الالات الموسيقية ، او يقدمون العابا رياضية (صورة ٦١) .

واذا تتبعنا تطور فن النقش على هذه اللوحات نجد ان في الحقبة الزمنية الاخيرة من هذا العصر الممتدة من ٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م قد رسمت عليها مواضيع دينية جديدة مثل سكب الماء المقدس امام الرب ، مواكب الحكام التي تدخل المعبد لتقديم الضحايا والقرابين والموضوع الاهم الجديد ، الذي صوره الفنان على لوحات هذه الحقبة ، هو توثيق حدث ما ، اي الموضوع الوثائقي التاريخي فهذا آور ـ ننشي ملك لجش (٢٥٢٠ ـ ٢٤٩٠ ق.م) صوره الفنان يحمل قفة على راسه لينقل بها مواد البناء اللازمة لبناء المعبد ، وبعد الانتهاء من البناء ، يحتفل مع عائلته بانجاز العمل . ومن اهم اللوحات في هذه المجموعة « نصب العقاب » لملك لجش اانا تم (٢٤٧٠ ـ ٢٤٣٠) ، الذي رسم عليه الفنان احداث معركة اانا توم مع مدينة اوما (صورة ٦٢) . النصب من الحجر الرملي ارتفاعه ١٫٨٨ م وعرضه ١٫٣٣ م وسماكته ١١ر. م على احد الوجوه نرى الملك سائرا امام جنوده المسلحين بالرماح والفؤوس ، يدوسون على الاعداء بفخر واعتزاز . وتحت هذا المشهد ، مشهد آخر فيه الملك بعربته امام جنود المشاة المسلحين بالرماح والفؤوس . وتحت هذين



الصورة رقم ٦١

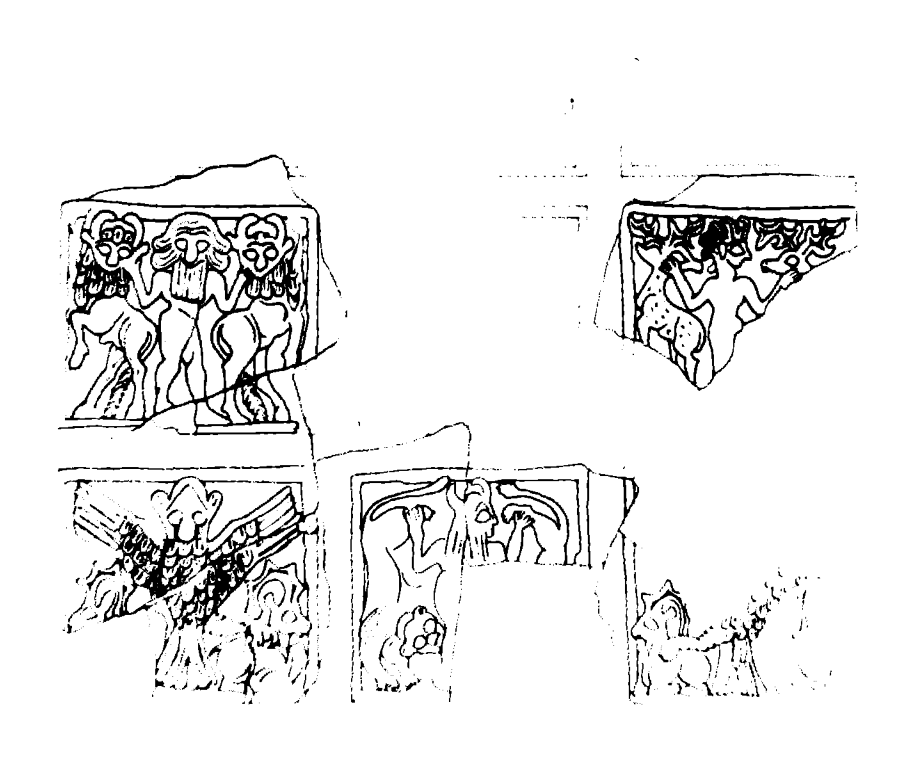


الصورة رقم ٦٢

المشهدين ، نجد مشهدا آخر فيه يجمع جنود لجش قتلاهم ، ويدفنونهم بطقوس دينية ، بينما يتركون جثث الاعداء طعاما للوحوش . وعلى الوجه الاخر الرب نين ـ جرسو وبيده اليمنى دبوس يضرب به راس اسير يحاول الخروج من الشبكة ، التي يقبض عليها بيده اليسرى ، وتضم اسرى الاعداء .

هذه اللوحات التي ذكرتها اكتشفت في مواقع اثرية بالعراق ، ولم يكتشف مثلها في القطر السوري . اللهم الا كسرا عثر عليها بماري . من هذه الكسر الزاوية اليمنى العليا من لوحة نذرية ، من الحجر الكلسي صور عليها مجلس الشراب ؟ الذي لم يبق منه سوى المراة الجالسة وبيدها اليمنى الكأس ، وباليسرى غصن نبات ، وامامها الخادم . وتحتها في الحقل الثاني راسا خادمين . كانت هذه الكسرة من معبد عشتار ، اما الكسر الاخرى فهي من الحجر الجيري وقد عثر عليها في المعبد القصر . يبدو وأن هذه الكسر كانت من لوحة قسم سطحها الى تسعة مربعات موزعة على ثلاثة صفوف فوق بعضها . يحيط اطار نافر بكل مربع ، ويفصل ثلم عريض بين المربعات ، التي تحوى مشاهد اسطورية مستقلة عن بعضها (صورة ٦٣) . في المشهد الاول شخص عاري لحياني ، شعره مضفور . يمسك بكلتا يديه ثورين وجههما وجه انسان ، وينتصبان على القائمتين الخلفيتين . وفي المشهد الثاني نسر بوجه اسد ينشب اظافره بعنزتين جبليتين . صورت المشاهد بدقة واتقان كما نراها على الاختام الاسطوانية . وهي تعود الى الحقبة ٢٥٥٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م .

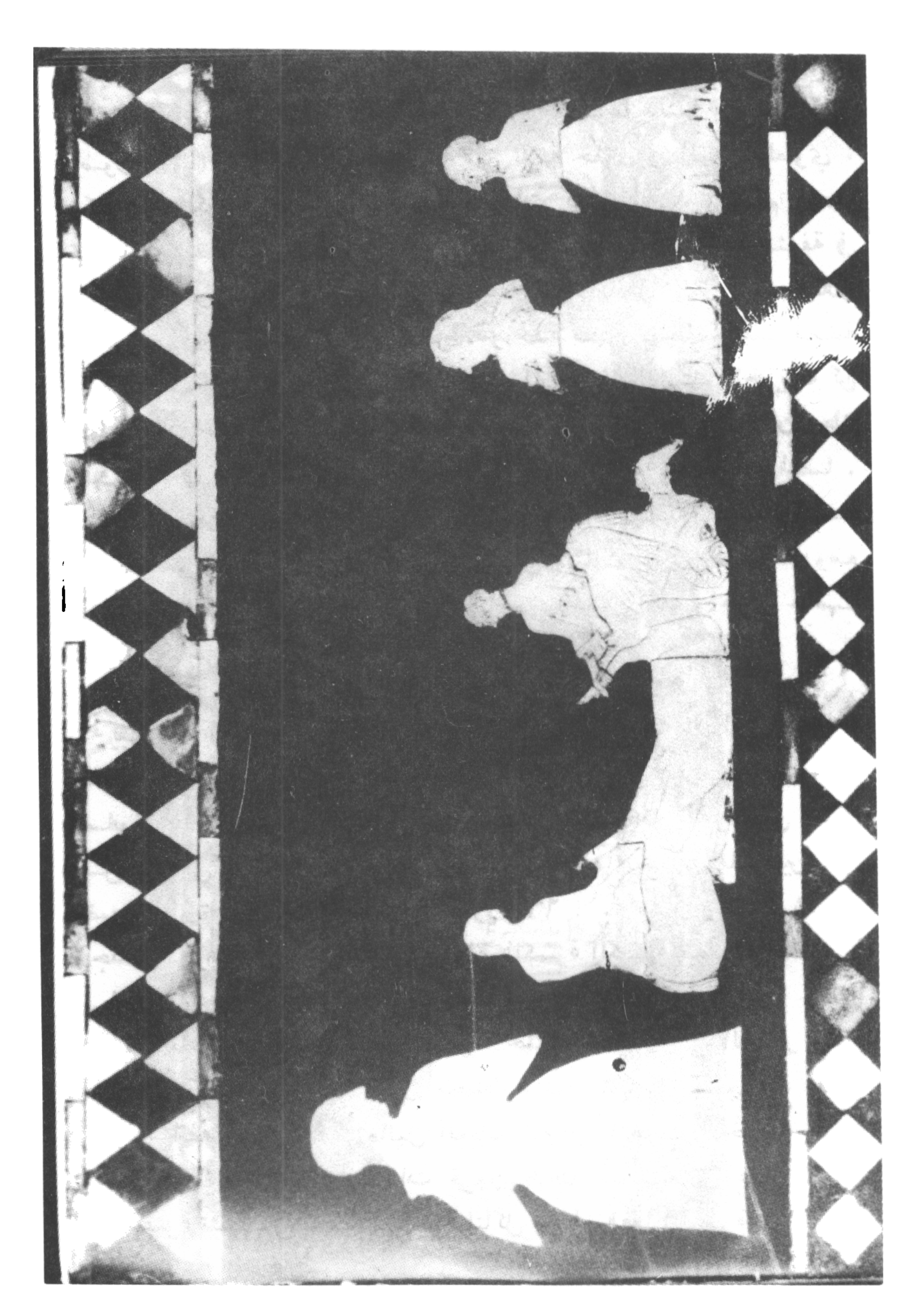
ومن اللوحات الاخرى الجميلة في ماري ، كسر من لوحات الفسيفساء مركبة من قطع الصدف والعاج والحجر الكلسي الاحمر والحجر المشقف . بهذه القطع وبوساطة الوانها المختلفة ، صورت مشاهد متنوعة نعرفها من لوحات مماثلة عثر عليها في مدينة اور بالعراق . نذكر من هذه اللوحات واحدة من معبد الرب شمش ، والاخرى من المعبد العتيق للرب دجن ، كلتا اللوحتان مشوهتان ومشاهدهما متممة . على اللوحة الاولى (صورة ٦٤) . نشاهد كاهنين يضحون كبشا سمينا ، بينما ينظر



صورة رقم ٦٣



صورة رقم ٦٣

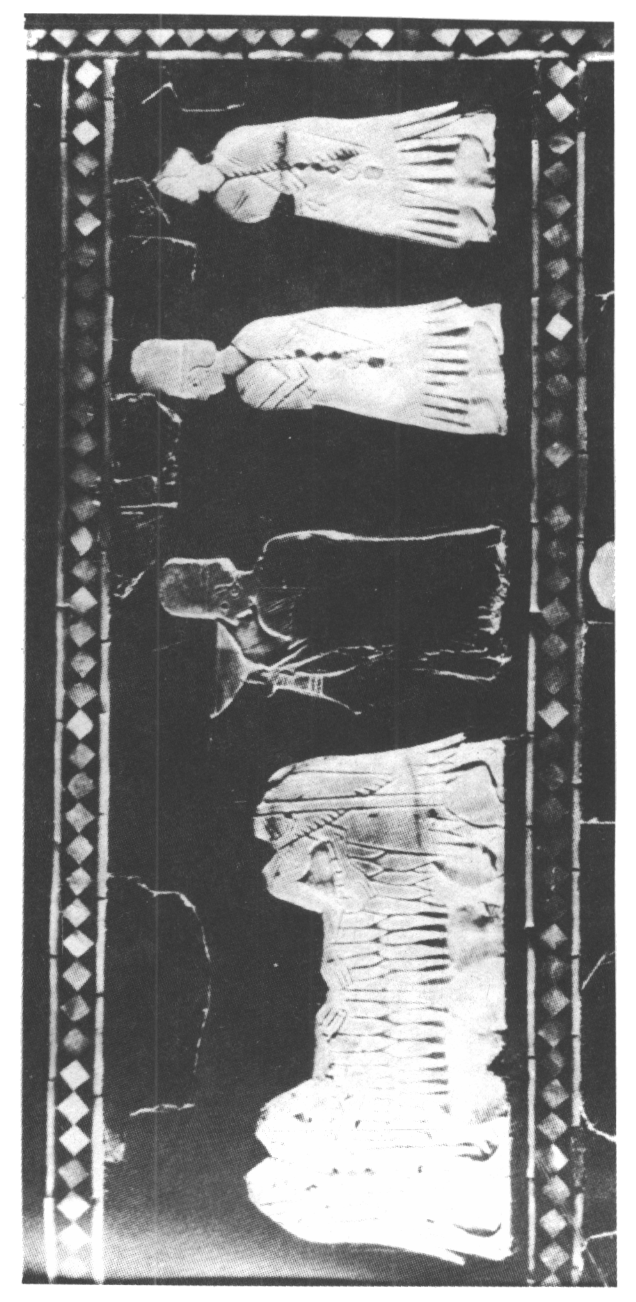


الصورة رقم ٦٤

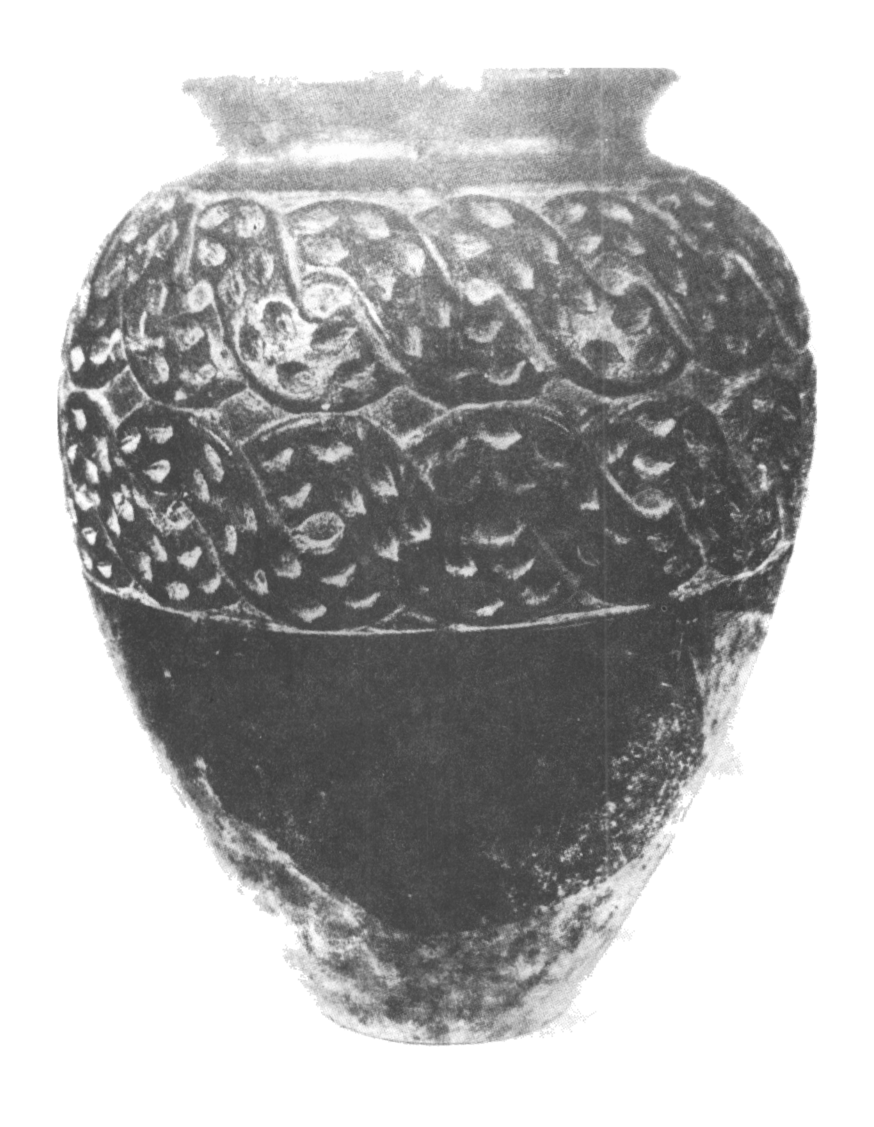
اليهما ثلاثة آخرون . يرتدي الكهنة ثيابا معذقة ، جريا على عادة اهل هذا العصر . وعلى اللوحة الثانية نشاهد موضوعا دينيا من نوع آخر (صورة ٦٥) . قسم سطح اللوحة الى ثلاثة حقول في الحقل العلوي ، موكب من الكهنة يتقدمون من صحيفة ذات كعب عال . بعضهم يحمل كؤوسا أو قصعات او اباريق ، هي طبق الاصل عن القطع المكتشفة في نفس المكان والبعض الاخر يقف متعبدا . في الحقل الثاني ، رتلان متقابلان من النساء ، في زي العصر . واحدة منهن تمسك بكعب قصعة مطابقة للقصة التي في الحقل الاعلى ، ومن المرجح ان النساء الاخريات كن يحملن اواني متنوعة . بين الرتلين سرير او كرسي تغطيه امرأتان بجلد معذق باعذاق شبيهة باعذاق ملابس الاشخاص التي هي من الجلد ايضا . ليست المرأتان خادمتان ، لانهما ترتديان ثيابا شبيهة بثياب النساء الاخريات . والمشهد او المشاهد في الحقل الثالث غير واضحة . ومع ذلك نتعرف على بضعة ازواج من النساء . واحدة واقفة واخرى جالسة يشتركن في غزل الصوف .

يبدو أن اهل ماري كانو معلمون بارعون في زخرفة الاواني الحجرية النذرية فقد عثر في معبد عشتار المار ذكره ، على جرة من الحجر الصابوني ، او الحجر الكلسي الطري (ستي آتيت) ، بالقرب من تمثال ابيش ـ ايلي الشهير الجميل . وقد زين كتفها بحيتين ملتويتين على بعضهما ، وتلتفان حول الجرة (صورة ٦٦) . اما في معبد شمش فوجدت كسرتان من نفس النوع . على الكسرة الكبيرة ضفيرة محصورة بين اطارين ، يتألف كل واحد منهما من خط متعرج نافر بين خطين متوازيين نافرين . فوق هذه الضفيرة جذع نخلة ، والى اليسار رجل يجثو على ركبتيه ، يرتدي مئزرا مخططا ، يمد يديه الى شجيرة ، حليق الراس ، انفه كبير كانف تماثيل العباد . وعلى الجانب الاخر ، وقباله هذا الرجل ، ثلاث عنزات ذات قرون طويلة منحنية . وعلى الكسرة الثانية عنزة تثب على اغصان شجرة لتأكل من اوراقها (صورة ٦٧) .

ومن بين العناصر ازخرفية ، تلفت النظر الضفيرة ، التي هي عنصر



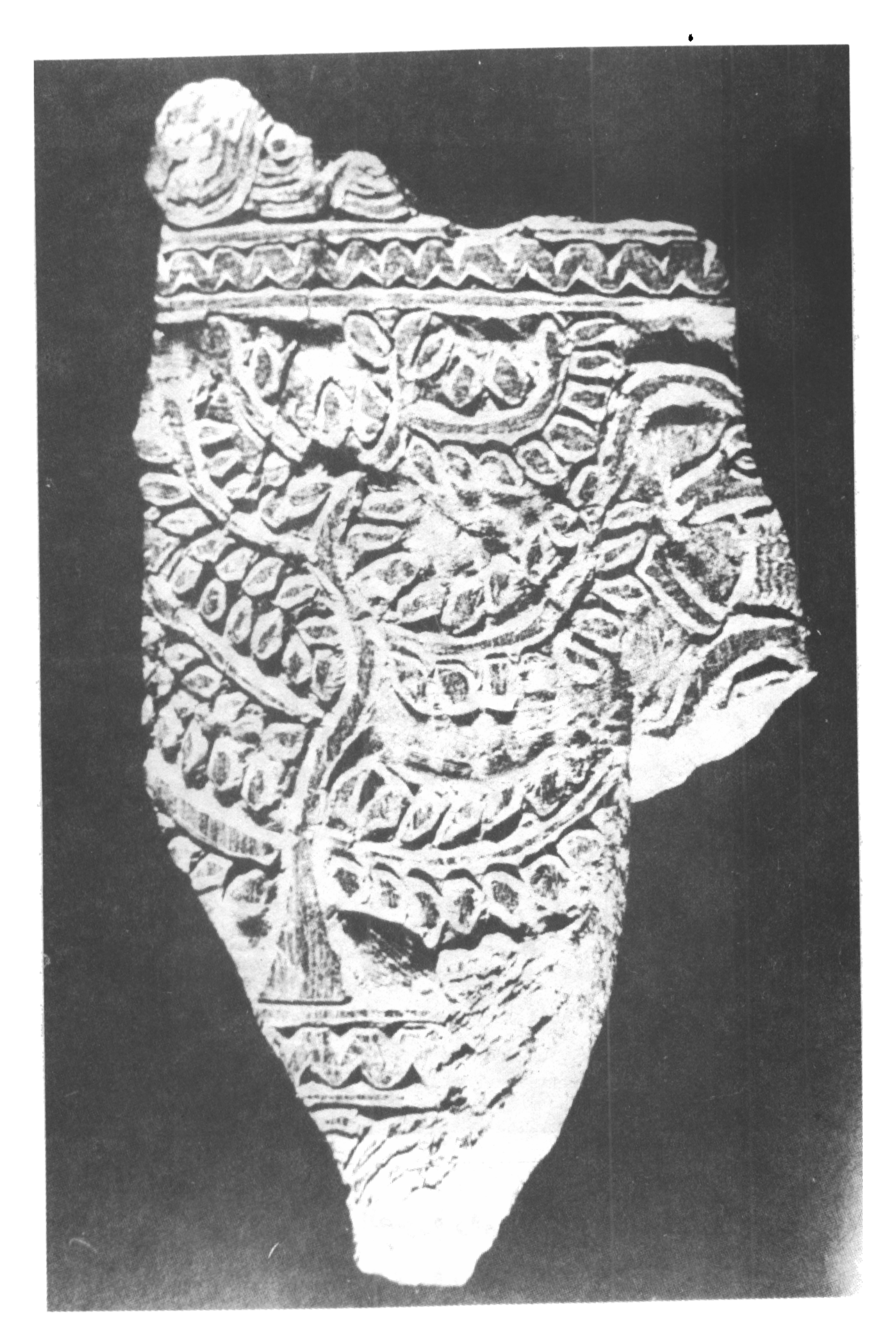
الصورة رقم ٦٥



الصورة رقم ٦٦



الصورة رقم ٦٧



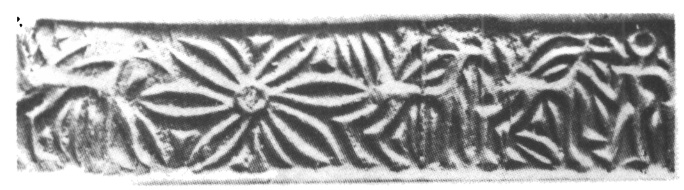
صورة رقم ٦٧

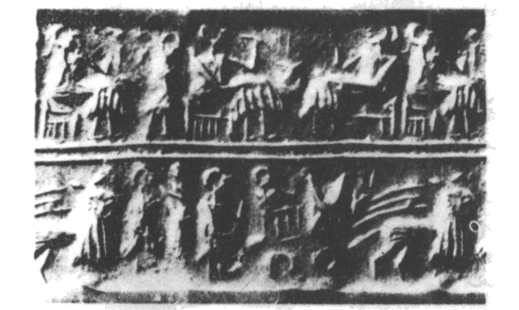
زخرفي من بلاد الشام ، وليست من بلاد النهرين . وهذا ما يدفعنا الى القول ، بان مدرسة ماري الفنية كانت ذات اسلوب خاص ، متأثرا بفن بلاد النهرين ، واخيرا اشير الى ان كسر الاواني من اواسط عصر فجر السلالات ٢٧٠٠ ـ ٢٥٠٠ ق.م .

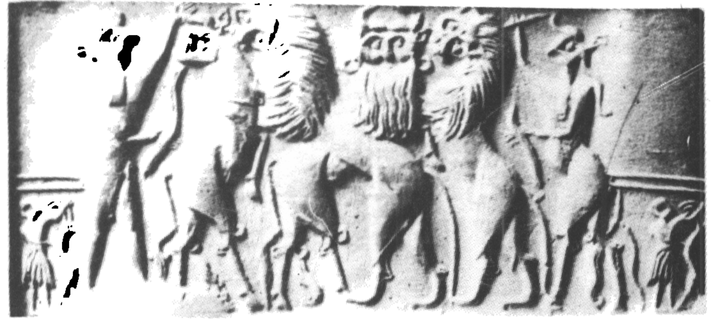
٢ ـ النقش على الاختام :

تطور فن النقش على الاختام التي زوقت بمواضيع جديدة . وفي مطلع هذا العصر ، اصبحت الزخارف الهندسية والحيوانية والنباتية غير مميزة ، عندما تحولت اشكالها الى زركشة شبيهة بزركشة الثياب ، فاطلق عليها اسم بروكار (صورة ٦٨ أ) وبعد ذلك صور الحرفي الاشكال البشرية ، او الحيوانية ، متتابعة او متصالبة ـ متقاطعة . وقد سيطر موضوع حماية الانسان للحيوانات الاليفة وقتله للحيوانات المفترسة ، على غيره من المواضيع (صورة ٦٨ ب) . وفي هذا العصر ابتكر شكل جديد يجمع بين الانسان والثور المقدس . وجريا على عادة فناني هذا العصر ، في تصوير مجالس الشراب ، على اللوحات النذرية . فقد نقشت هذه المجالس على الاختام ايضا . هذا من حيث الموضوع اما من حيث الاسلوب ، فكانت الاشكال الحيوانية ، منتصبة على القائمتين الخلفيتين ، او الاماميتين ، بحيث تبدو وكأنها تقدم حركات رياضية . اجسامها نحيلة ، تتصالب مع بعضها احيانا . وقد اهتم الفنان في ان تكون اطوال اشكاله متساوية في المشهد الواحد (صورة ٦٨ جـ ، د) .

وخلال الحقبة الاخيرة من هذا العصر ٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠ ، اصبحت اجسام الانسان والحيوانات قوية سمينة وطبيعية . وهكذا نرى ان لبدة الاسد ليست على شكل حراشف السمك او الدوائر المتداخلة كما كانت في السابق ، بل على شكل خطوط شعاعية او منحنية ، تغطي الرقبة والكتفين . اما وجوه الحيوانات فنراها تامة لانها ادارت براسها نحو الجانب (صورة ٦٨ هـ ، و) .








الصورة رقم ٦٨

وكما رأينا الفنان قد قسم سطح اللوحة النذرية الى مربعات ، في كل منها مشهد خاص (صورة ٦٣) ، نجده هنا قد قسم الموضوع الى مشاهد مثل : افتراس اسد او اسدين للمعز ، ومهاجمة البطل العاري لهم ، وتعانق الانسان الثور مع عديله . وكما اضاف الفنان على اللوحات النذرية النص الخطي التاريخي ، اضاف الى الختم أسم صاحبه ، واسم الرب او الربة . ولا ننسى ان نذكر بأن الفنان قد تجاسر وعمق اشكاله في سطح الختم ، حتى تظهر بارزة عند الطبع .

٢ ـ **النحت المجسم** : كثيرة هي الصفات التي تميز تماثيل هذا العصر عن العصور السابقة . ومنها ان النحات قد اتقن تقليد الجسم البشري ، فنحت تماثيل بشرية لا شخصية ، أودعها الحكام والكهنة ، ومن ينتسب اليهم في المعابد ، لتمثل وجودهم الدائم فيها . وقد اسميناها « تماثيل العباد » لانها اكتشفت في كثير من معابد بلاد النهرين وعلى الاخص في خفاجي وتل أسمر بالعراق ، تل خويرة وماري في سورية .

التماثيل صغيرة ، لا يتجاوز ارتفاع معظمها ٤٠ سم . تماثيل الرجال أضعاف تماثيل النساء ، مما يدل على التغيير الذي انتاب مكانة المرأة ، التي احتلت مكانة بارزة وعالية في فنون فجر التاريخ . للرجال لحية مستطيلة طويلة متجعدة ، وشعر طويل ، تتدلى ضفائره على جانبي الراس ، وفوق الظهر وعلى جانبي اللحية التي يفصلها ثلم راضح عنها . واحيانا نجد تماثيل رجال حليقي الراس وهم من المراتب الادنى في طبقتهم . يرتدي الرجال مئزرا معذقا يستر الاطراف السفلية من الخصر حتى الركبتين بينما يبقى النصف الاعلى من الجسم عاريا يشد حزام عريض المئزر الى الخصر . تتشابك اليدان على الصدر . العينان من الصدف ، أو الحجر ذي اللون المغاير للون حجر التمثال . والتمييز الجفنين عن البؤبؤ جعلهما الفنان من القار . هذا من حيث الشكل ، أما من حيث الاسلوب فان النحات قد حرر جسم التمثال من الكتلة الحجرية ، بالقدر الذي يساعده في اظهار اعضاء الجسم

الخارجية مثل الذراعين والساقين والراس ، والحفاظ على توازن التمثال . ولتحقيق هذا الغرض ، ابعد من الكتلة الحجرية قطعا كبيرة بقيت فراغاتها على شكل زوايا حادة . وبهذا يكون قد قلد فن الحفر في الخشب ، او الاشكال المعدنية ، المعاصرة . وبطبيعة الحال فلن هـذا الفن قد تطور كغيره من مجالات الفنون خلال هذا العصر . ويمكننا الان ، وبعد ان عرفنا الخصائص المشتركة لها ، ان نعرض بايجاز لتماثيل تل الخويرة وماري ، لانها تمثل هذا الفن ، وقد اكتشفت في سورية .

في عام ١٩٦٣ ، واثناء الكشف على المعبد الصغير ذي الرواق ، عثر في الغرف ١ و ٢ و ٣ على كسر تماثيل ، في الردميات التي ملأت الحجرات . وقد تبين انها كانت من تماثيل سبق تحطيمها ، ورميها بين الانقاض ، عندما تهدم المعبد . لذا امكن جمعها وترميمها فبلغ عددها تمثالان تامان ، والنصف العلوي من تمثال والصنف السفلي من تمثال آخر . اطوالها غير متساوية . يبلغ طول اكبرها ٢٤ سم ، والثاني ١٧ سم . اما الكسر فيبدو انها كانت من (٣٥) سم (صورة ٦٩) .

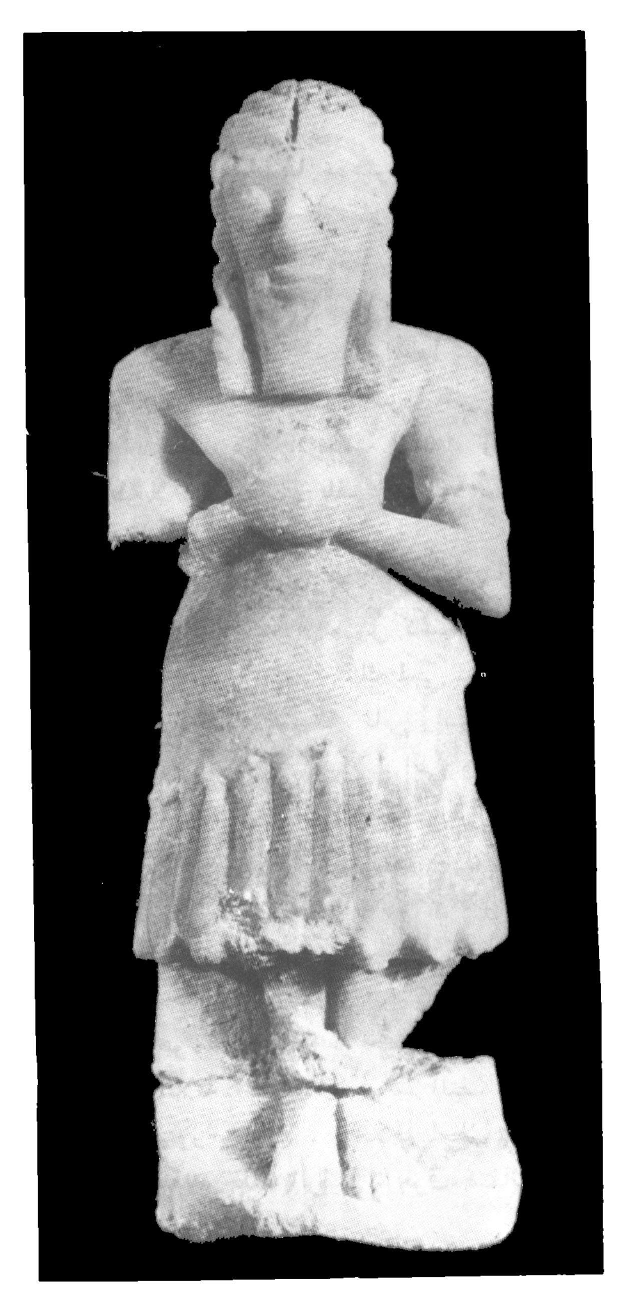
نحتت التماثيل من حجر الباتر (الحجر الشمعي او الزجاجي) ، ولم تكن عيونها مطعمة ، كعيون تماثيل تل اسمر بالعراق ، التي هي على ما يبدو اقدم منها وتعود كلها الى الحقبة الزمنية ٢٧٠٠ ــ ٢٦٠٠ ق.م. ومع مرور الزمن وخلال الحقبة الممتدة من ٢٦٠٠ ــ ٢٣٥٠ ق.م. ثابر الكهنة والحكام ... الخ على نذر تماثيلهم للمعبد . واهم ما يميز تماثيل هذه الحقبة عن تماثيل الحقبة السابقة ، كتابة اسم صاحب التمثال على الكتف . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فان النحات لم يهتم في ان يكون الفراغ بين العضد والجسم على شكل زاوية حادة ، او ان تكون ثنية الطرف العلوي على شكل زاوية حادة ، بل اهتم بملامح الانسان ، وحاول ان تكون طبيعية او شبه طبيعية . ولم يحرر تمثاله من الكتلة الحجرية ، بل ترك قطعة بين القاعدة وطرف المئزر . واذا امعنا النظر في هذه التماثيل ، نجد انها قد تمثل اشخاصا سمانا ، الوجنتان كبيرتان



الصورة رقم ٦٩



صورة رقم ٦٩



صورة رقم ٦٨

منتفختان ، الرقبة غليظة ، ولا تفارق الابتسامة العريضة وجوههم . يقفون وقفة خشوع وتعبد ، حفاة كالعادة .

في مدينة ماري ، وفي معابدها ، عثر على تماثيل العباد الورعين الذين ليسوا على درجة واحدة من الاتقان ، كمجموعة معبد ابو في تل اسمر ، او مجموعة تل الخويرة . لذا قد لا يكونوا من نتاج مدرسة فنية واحدة ، او من صنع فنان واحد . والمعتقد انه كانت هناك ورشات عمل تنتج تماثيل بشرية تبيعها للراغبين ، فهي كلها تقريبا متشابهة . غالبا ما يكون الرجال وقوفا ، حفاة ، يرتدون مئزرا يشده الى الخصر حزام ، النصف العلوي من الجسم عار . مثلت النساء واقفات وجالسات ، حفاة يرتدين ثوبا طويلا فضفاضا ، يلف الجسم ، ويترك الكتف الايمن عاريا ، ونرى في وجوههن السحر والبسمة الناعمة عليهن . ويزيد في وقارهن القلنسوة ، والعباءة فوقها . والى جانب هذا الانتاج العام ، بلا شك ، فان النحاتين قد صنعوا تماثيل لاشخاص معينين ، وحاولوا ان تكون مشابهة لهم تماما . فتمثال الملك لمجي ـ ماري لا يشابه تمثال الملك اكو ـ شماكان ، وتمثالا الطحانين ناني وادي ـ ناروم لا يتشابهان ايضا ، وكلهم لا يشبهون تمثال الموظف ـ ايلي وتمثال ادى ـ ناروم ، اللذين كانا في معبد عشتار بماري ، ويعبران عن تذوق الفنان للجمال وحبه في تقليد جسم الانسان بدقة واتقان (صورة ٧٠ ـ ٧١) . وقد حاول الفنان ، ومن خلال زركشة الثياب والعيون المطعمة ان يبرز وقار هذين الشخصين ، كما حاول التعبير عن النظرة المستقبلية الهائمة والورعة في تمثال الملك اتور ـ شمكان (صورة ٧٢) . ان تمثال الملك لمجي ـ ماري ، الذي هو آخر تمثال من حيث التاريخ ، في هذه السلسلة اصغر من التماثيل الثلاثة السابقة ، وقد التف بثوب معذق ، ترك كتفه الايمن عاريا (صورة ٧٣) . وخلافا لمعظم تماثيل العباد ، فقد عصب راسه بعصاب عقده خلف الراس ، فوق ضفائر الشعر البارزة .

وكما اعتنى الفنان في تمثيل الرجال بمدينة ماري ، اعتنى بتمثيل لنساء من دون ان يذكر اسم واحدة منهن على تمثالها . ويشذ عن ذلك



الصورة رقم ٧٠

الصورة رقم ٧١



الصورة رقم ٧٢



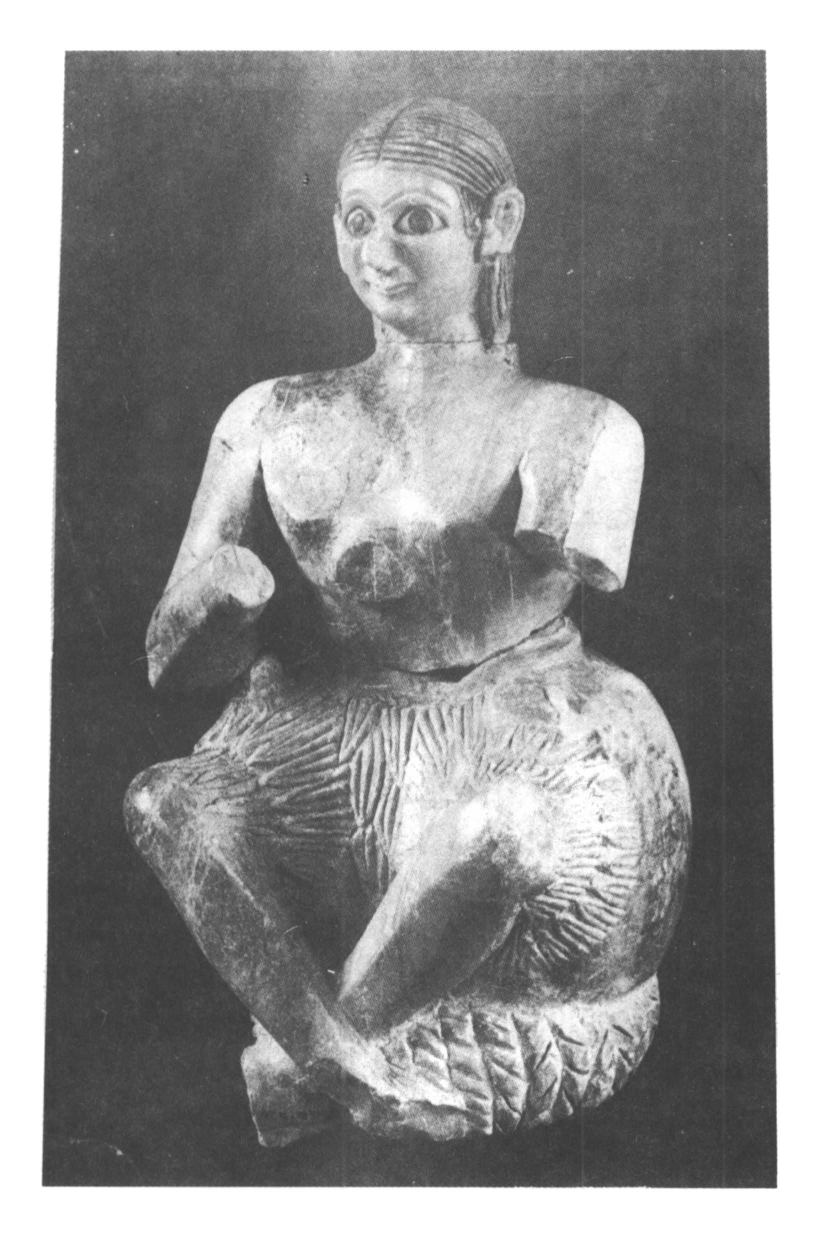
الصورة رقم ٧٣

تمثال المغنية أورنانشي الذي يتميز بالاناقة والرشاقة والثقة بالنفس (صورة ٧٤) . وهي تجلس على وسادة أو اريكة مزوقة ، وترتدي سروالا كالمغنيات الراقصات . وبما أن تمثالها قد وجد في معبد نيني ـ زازا ، لذا يمكن أن نفترض بأنها كانت تحي الحفلات الدينية والعادية . وقد نذرها للمعبد ملك ماري ايبلول ـ ايل ، كما ورد في الجملة التالية المسطرة على الكتف : « ابلول ـ ايل ، ملك ماري ، أورنانشي ، كبيرة المغنيات ، نذر تمثالها لنيني ـ زازا » . وفي الختام لابد من الاشارة الى ان بعض الباحثين ، يعتقدون أن اورنانشي مغني وليست مغنية . ومن بين تماثيل النساء تمثال امرأة جالسة على مقعد فاخر ترتدي ثوبا معذقا ، وقلنسوة ، وعباءة أو على الاصح خمارا معذقا ، فوق راسها (صورة ٧٥).

ومن خصائص هذا العصر الفنية ، نحت تماثيل زوجية ، تمثل رجلا وامرأة كزوجين أو عاشقين . وقد عثر في معبد عشتار بماري على تمثال من هذا النوع ، فيه نرى الزوجين جالسين ، متعانقين بشوق وحرارة (صورة ٧٦) .

لم يكتف الفنانون بصنع تماثيل من الحجر ، بل صنعوا تماثيل من مادة البرونز ايضا . وفي حين نرى التماثيل الحجرية في بلاد النهرين هي الغالبة ، نجد العكس تماما في بلاد الشام ، فقد عثر على ست تماثيل برونزية بتل الجديدة في سهل العمق ، منها ثلاثة لارباب والثلاثة الباقية لربات . اطوالها متفاوتة ، تتراوح ما بين ٥ر٢٦ ـ ٦ر١٤ سم . يرتدي الاله خوذة وحزاما عريضا فقط . العيون والانف كبيرة ، خصل شعر الذقن دقيقة ، العنق طويل وغليظ ، يبدو انه كان يتنكب آلة ما على كتفه الايمن ، ويمسك أخرى بيده اليسرى . يقف الرب فوق قطعة معدنية وتدية ، كانت تدق بقطعة أخرى ، تحمل التمثال . لا تختلف التماثيل الانثوية عن الرجالية الا بالشعر الطويل المضفور والمعصوب . وقد مثلت الربة عارية ايضا (صورة ٧٧) .

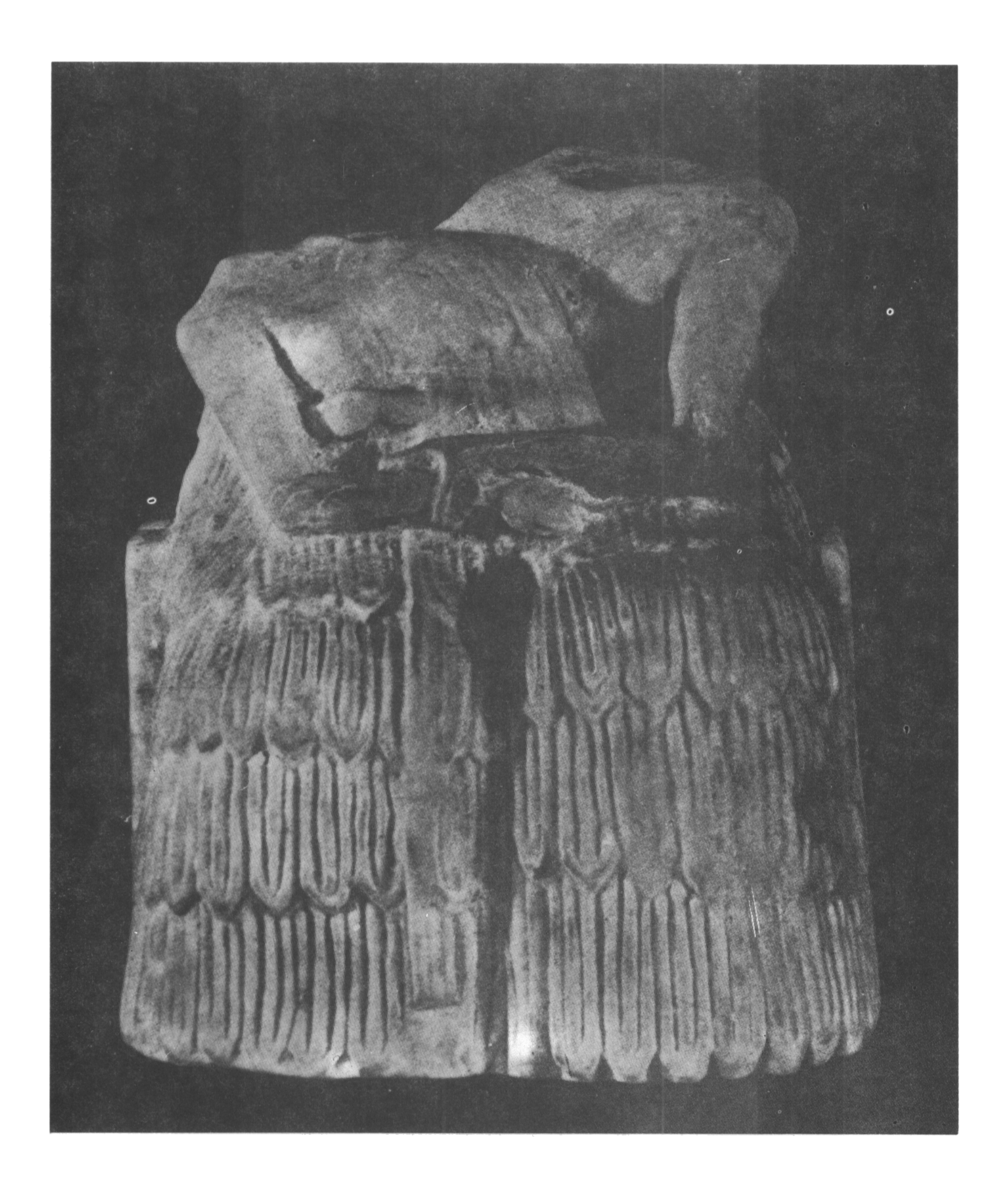
كانت المآزر تشد الى الخصر بوساطة الاحزمة ، أما الثياب التي كانت



الصورة رقم ٧٤



الصورة رقم ٧٥



الصورة رقم ٧٦

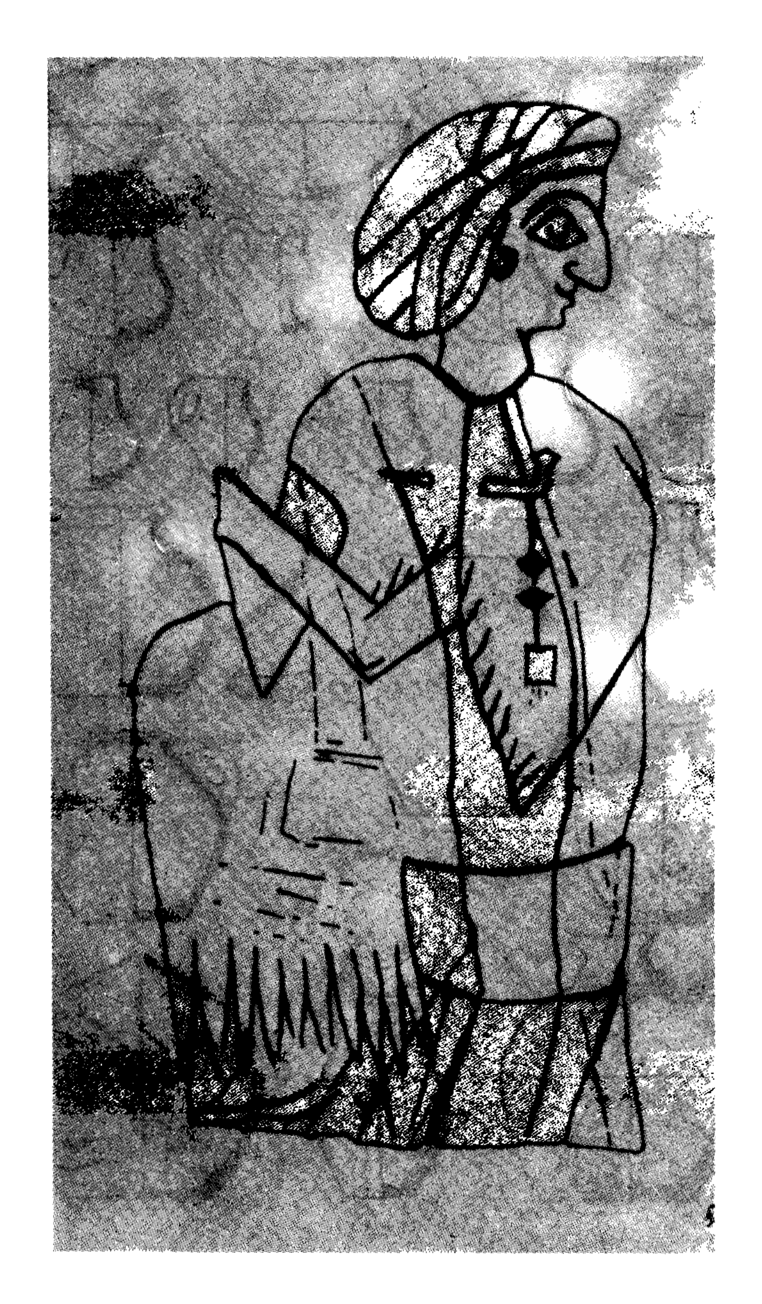


الصوره رقم ٧٧

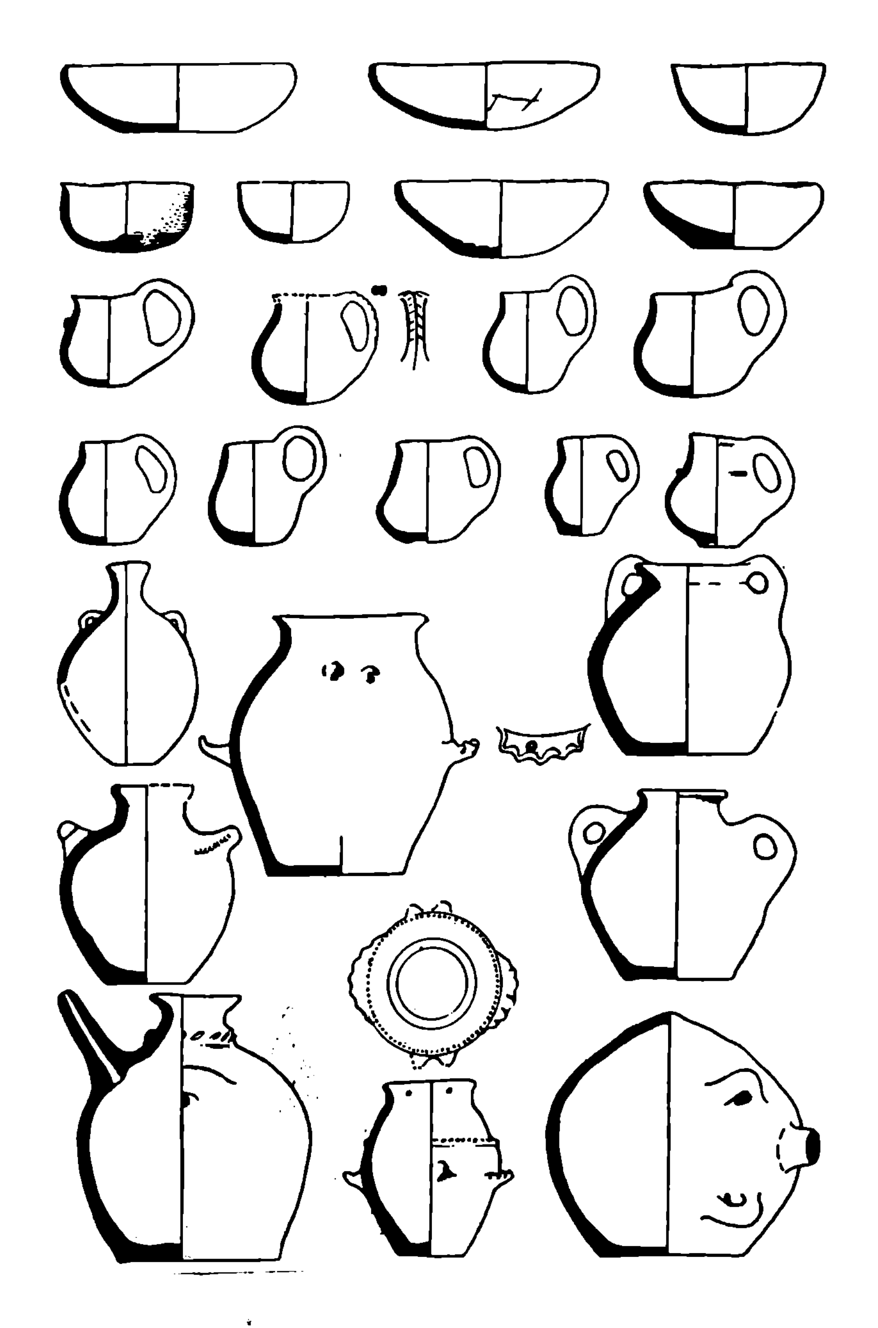
تستر الجسم باكمله ، فقد شبكت ببعضها بوساطة مشابك برونزية عادية ذات كعب معكوف (صورة ٧٨) . وقد وجدت مثل هذه المشابك في تل خويرة وماري (صورة ٧٨ ب ، جـ) وغيرها من المواقع الاثرية .

ازدهرت صناعة الفخار ، كغيرها من الصناعات . وكانت انواع الآنية واشكالها عديدة ، وقد صدر بعضها الى الخارج ، وعلى الاخص الى مصر. صناعة الفخار قديمة تقليدية ، ليس فيها ابتكارات واسعة ، لذا نجد الفاخوري قد استمر في هذا العصر ايضا بانتاج القصعات ذات الكعب المحدب ، والاباريق ذات العروة المرتفعة فوق فوهة الوعاء ، والقوارير التي تشبه الكيس . ومن الانواع والاشكال الجديدة المبتكرة ، التي شاع استعمالها في بلاد الشام كلها : قصعات وصحفيات ذات كعب محدب أو مستو ، وحواف مثنية قليلا نحو الداخل (صورة ٧٩ أ ، ب) ، أباريق اجاصية الشكل ، ذات فوهة ميزابية ، تستعمل كمثعب (صورة ٧٩ جـ ، د) ، كعبها مسطح او مدبب . امـا الزخارف فيغلب عليهـا الخطوط المستقيمة او المتموجة ذات اللون الاحمر او البني (صورة ٧٩ هـ ، و) . وتشير كافة الدلائل المتوفرة حتى الآن ، الى ان السراج قد ابتكر في هذا العصر . وكان في البداية صحنا ، او قصعة كعبها دائري مسطح ، شفتها متدلية نحو الخارج (صورة ٧٩ ز ، حـ) .

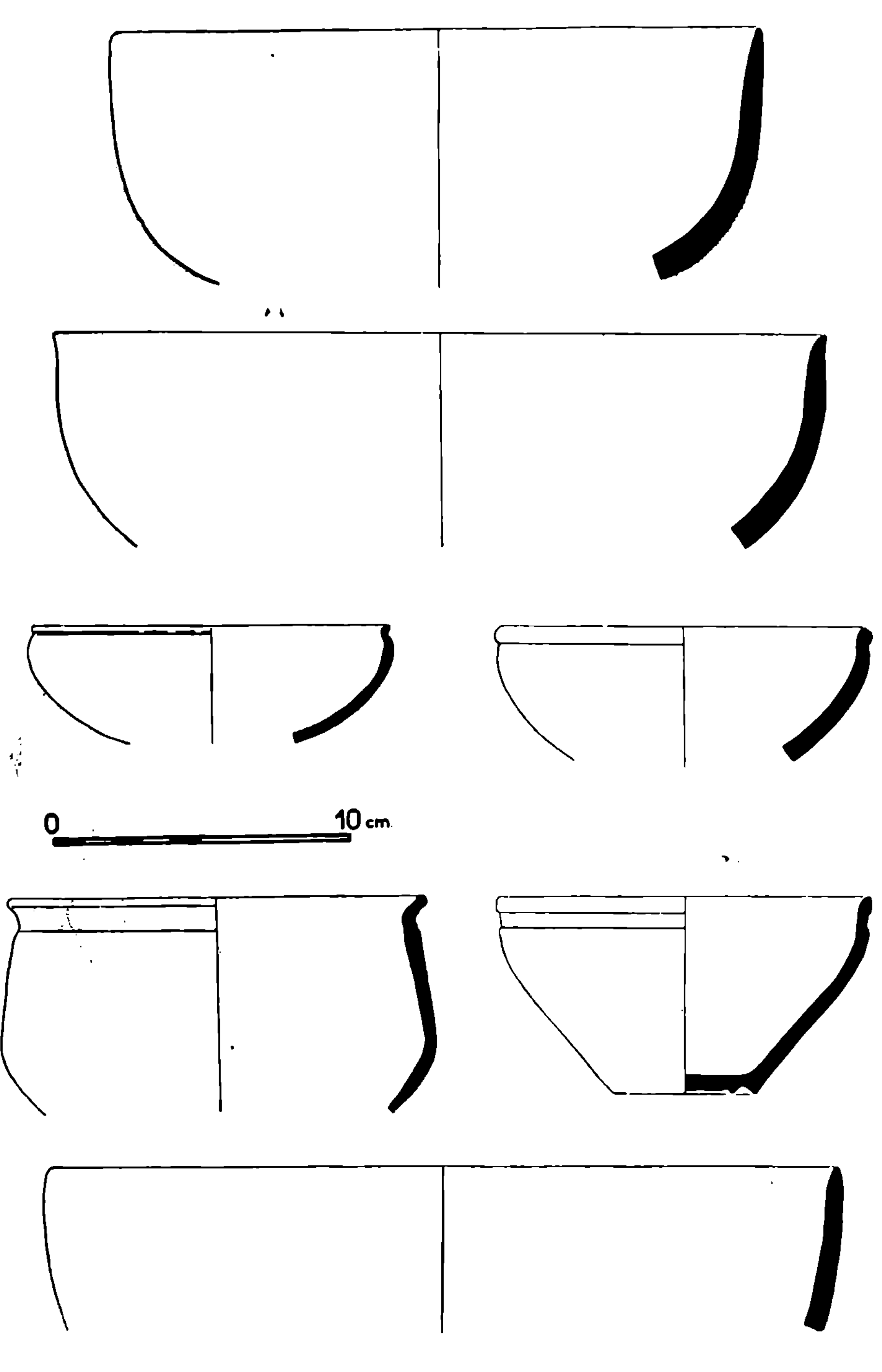
ومن فخار هذا العصر المميز ، فخار خربة الكرك ، نسبة الى موقع خربة الكرك ، الواقع قرب الزاوية الجنوبية الغربية لبحيرة طبرية . حيث اكتشف في عام ١٩٤٨ ولاول مرة ، نوع جديد من الفخار اسميناه فخار خربة الكرك ، مصنوع باليد ، وغالبا ما تكون الآنية ثقيلة وسميكة . لونها أحمر ، بني غامق ، او اسود لماع مصقول . وفي بعض الاحيان يطلى الاناء من الداخل باللون الاسود ، ومن الخارج باللون الاحمر ، أو بالعكس . وان وجدت الزخارف ، فهي هندسية نافرة . يظن بعض الآثاريون أن هذا النوع من الفخار من اصل اناضولي ، والآخر يظنه من اصل اغريقي . وهكذا لاتزال المشكلة دون حسم . كما لايزال تأريخ هذا النوع موضـع جدل . في اجاريت ظهر هذا النوع عند نهاية الطبقة (١٣ = III a) ، اي



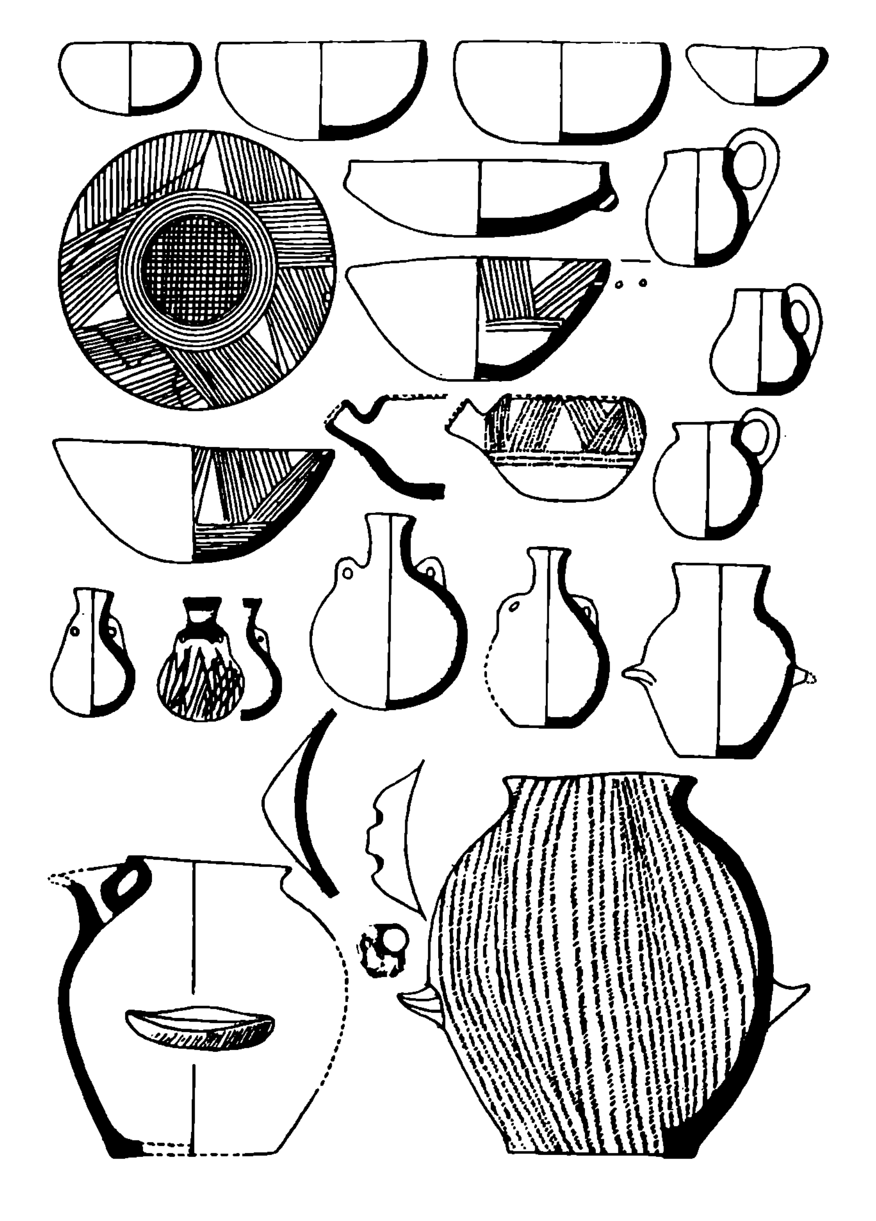
الصورة رقم ٧٨



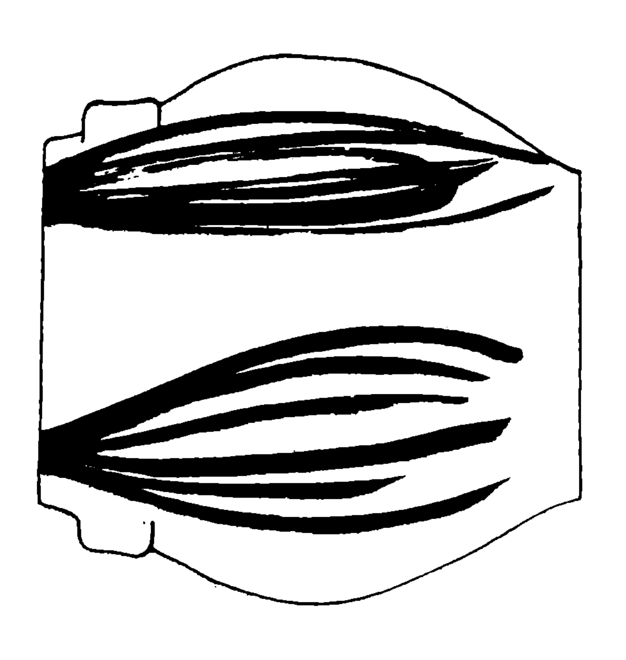
الصورة رقم ٧٩

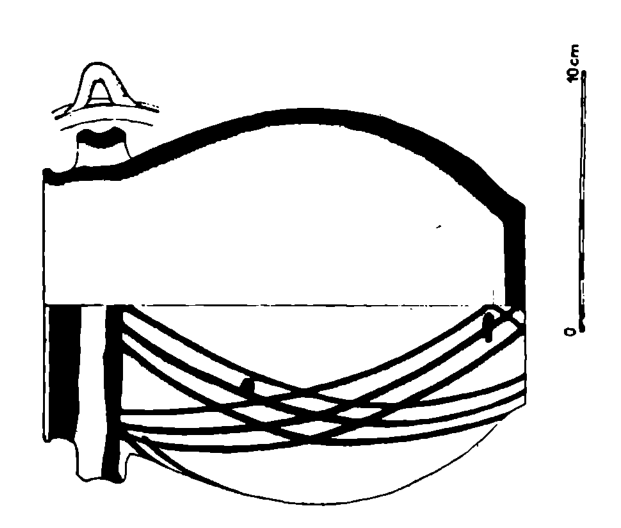


صورة رقم ٧٩

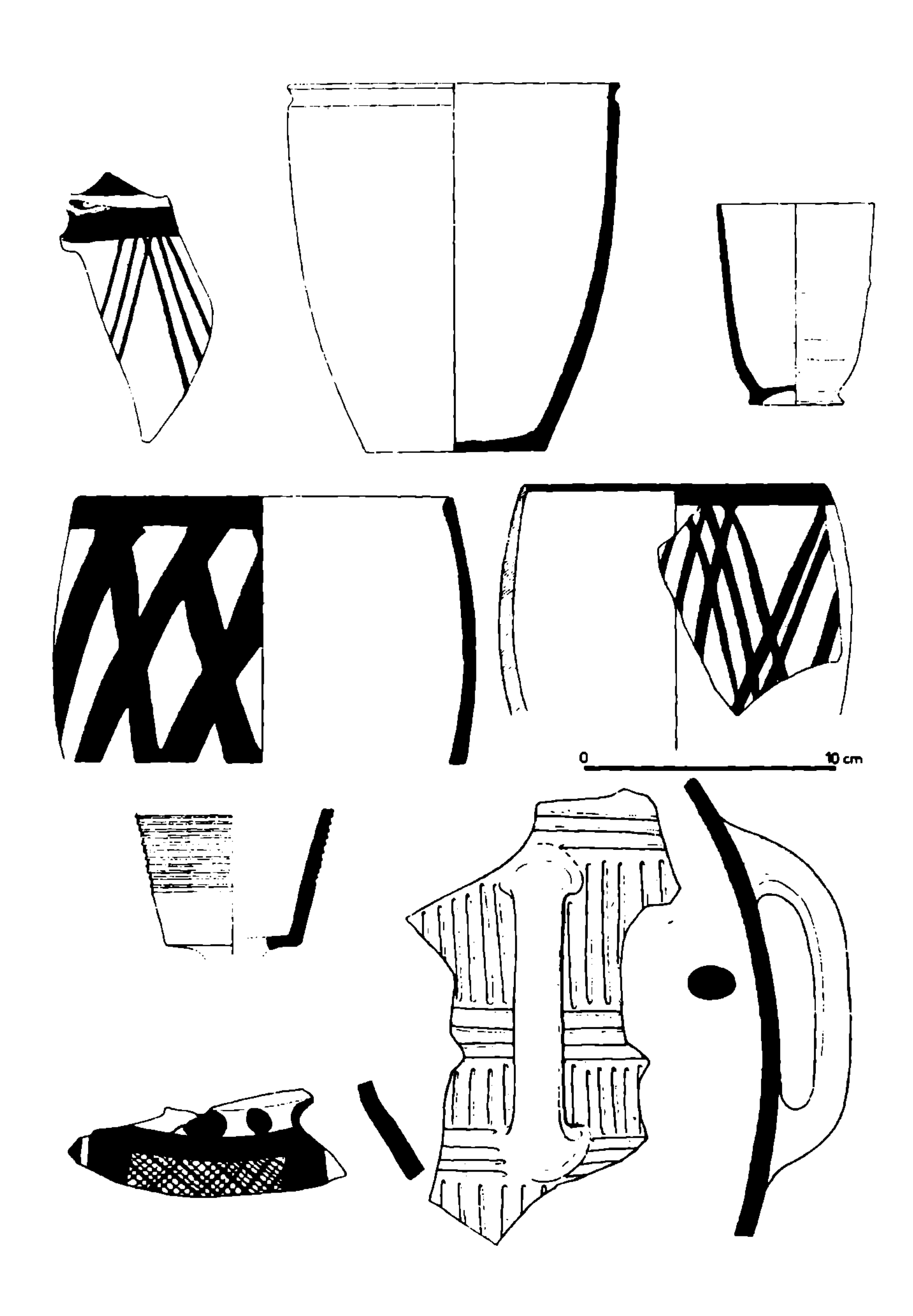


صورة رقم ٧٩





صورة رقم ٧٩



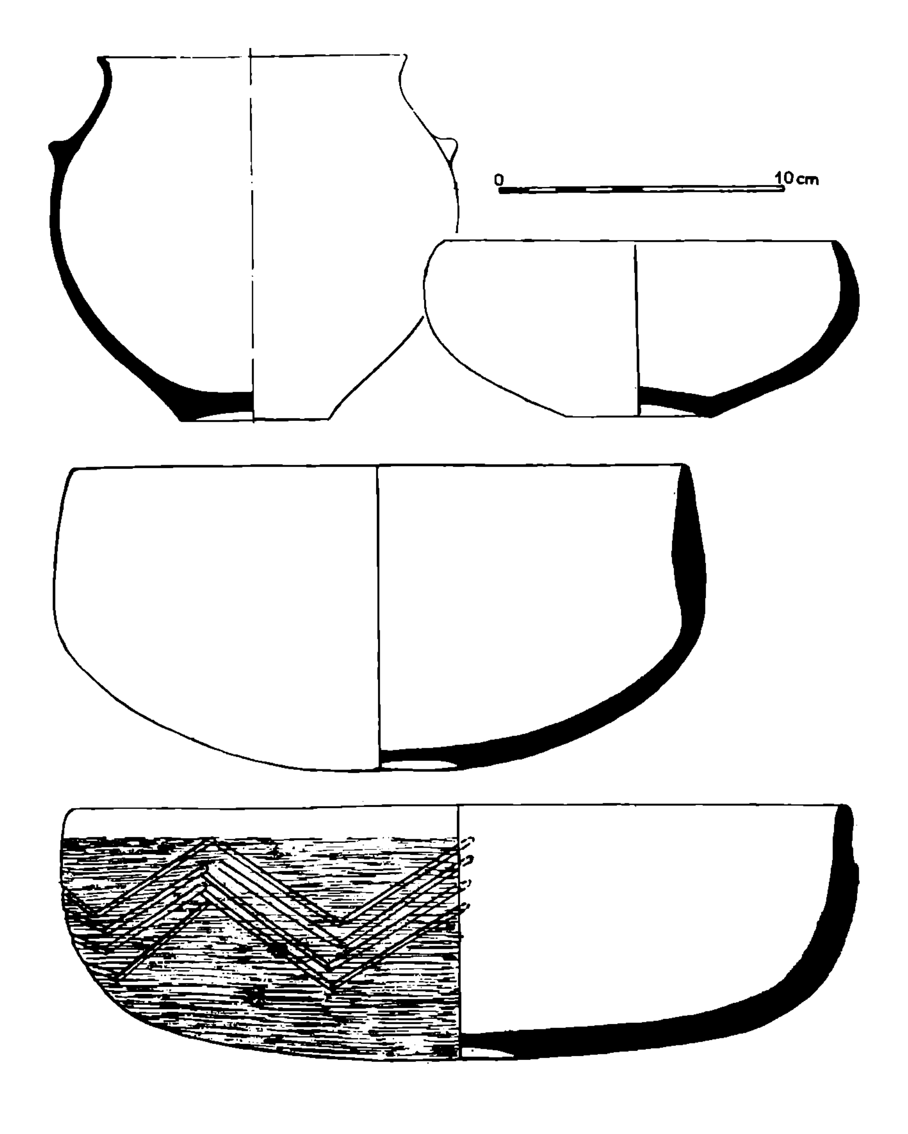
صورة رقم ٧٩

في الحقبة ٢٦٠٠ – ٢٣٠٠ أو ٢٥٠٠ – ٢٢٠٠ . وفي سهل العمق الطبقة G ٣١٠٠ – ٢٦٠٠ ق.م وفي حماة الطبقة K ويؤرخه انكولت ٣٠٠٠ – ٢٥٠٠ ق.م ، بينما يؤرخه اولبرايت في الحقبة ٢٦٠٠ – ٢٤٠٠ ق.م اينما ظهر بفلسطين (صورة ٧٩ ط ، ي) . والتاريخ المقبول لدينا حسب نتائج البحوث الجديدة ٢٦٠٠ – ٢٤٠٠ ق.م (صورة ٨٠).

الى جانب هذه الانواع من الفخار ، انتشر نوع آخر ببلاد الشام ، نسميه (الفخار المعدني) ، لان الآنية رقيقة ، صلدة ، قاسية ، لها رنين مثل رنين المعادن . كعبها مدبب ، سطحها مصقول ومدلوك لونه أحمر لماع .

وفي ختام هذا الفصل أجد الحاجة ملحة الى فصل خاص بآثار مملكة ايبلا التي ازدهرت في الثلث الاخير من هذا العصر حوالي ٢٤٥٠ – ٢٣٥٠ ق.م .





الصورة رقم ٨٠

مملكــة ايبـــــلا

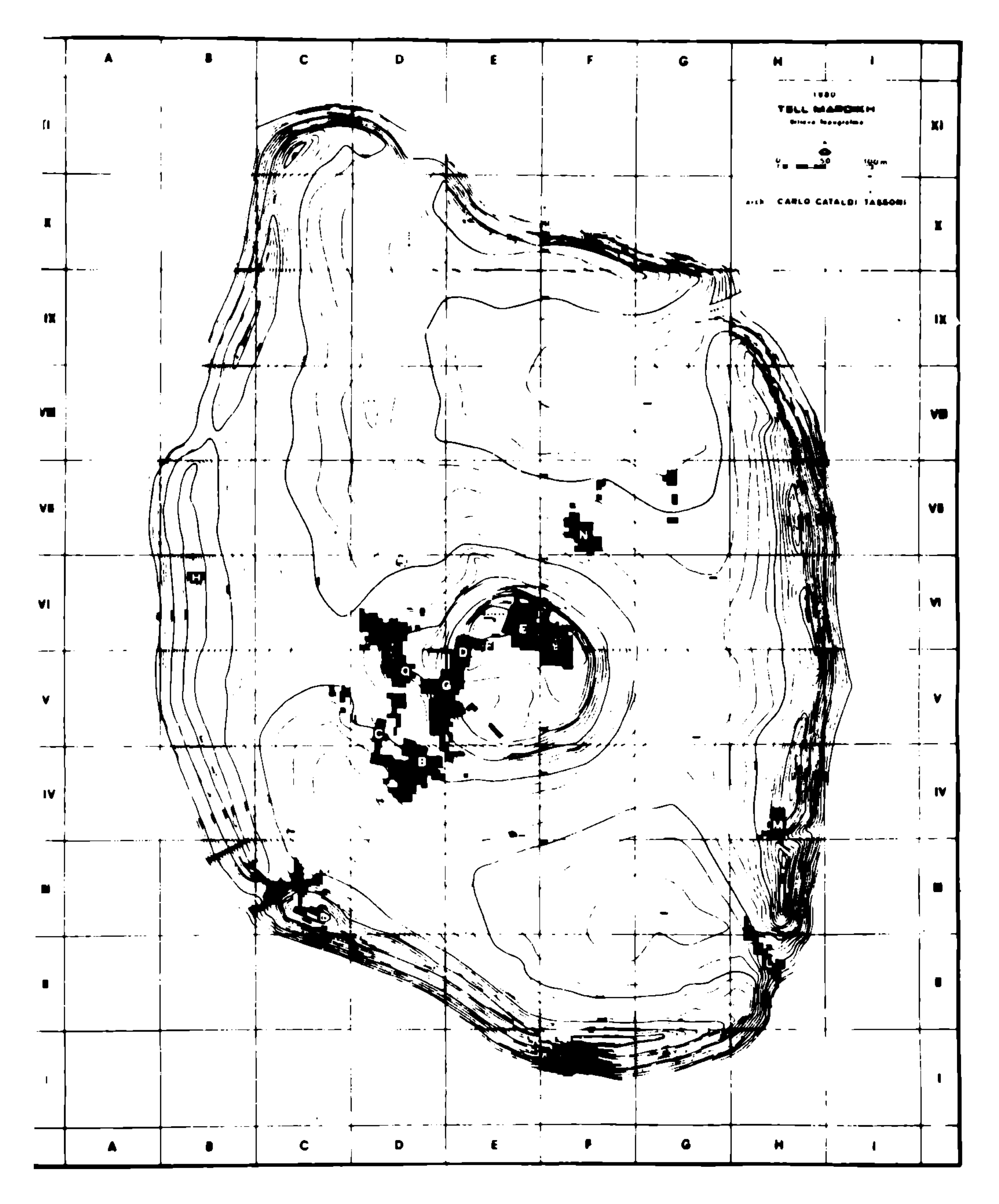
مدينة ايبلا هي تل مرديـخ ، الــذي يقع الى الجنــوب الغــربي من مدينة حلب حوالي ٥٥ كم ، والى الجنوب من بلدة سراقب حوالي ٧ كم ، وكان مدينة كبيرة مسورة . تبلغ مساحتها ٥٦ هكتار (مخطط ٢٢) وشكلها شبه منحرف تقريبا . لها اربعة ابواب : واحد في الشمال الشرقي يقابله ثاني في الجنوب الغربي . وثالث في الشمال الغربي يقابله رابع في الجنوب الشرقي .

هذا الشكل ملفت للنظر ، ويشير الى اهمية الموقع ، فالمواقع الاثرية التي لها نفس الشكل ـ امثال قطنا (المشرفة بالقرب من حمص) . والتي جرت فيها تنقيبات اثرية في العشرينات ، اعطت نتائج باهرة . وتاسيسا على هذه المعطيات بدات البعثة الايطالية اعمالها وتحرياتها في تل مرديخ منذ عام ١٩٦٤ وما زالت تعمل هناك .

عصور تل مرديخ :

بالاستناد الى نتائج التحريات المنشورة حتى الآن تقسم عصور مرديخ على النحو التالي :

مرديخ	I	حوالي ٣٥٠٠ـ٢٩٠٠			فجر التاريخ
مرديخ	IIA	حوالي ٢٩٠٠ـ٢٤٠٠	الدور البرونزي القديم	III-I	فجر الدور السوري الاول
مرديخ	IIB_1	حوالي ٢٤٠٠ـ٢٢٥٠	الدور البرونزي القديم	IVA	فجر الدور السوري الوسيط
مرديخ	IIB_2	حوالي ٢٢٥٠ـ٢٠٠٠	الدور البرونزي القديم	IVB	فجر الدور السوري المتاخر
مرديخ	IIIA	حوالي ٢٠٠٠ـ١٨٠٠	الدور البرونزي الوسيط	I	الدور السوري القديم الاول
مرديخ	IIIB	حوالي ١٨٠٠ـ١٦٠٠	الدور البرونزي الوسيط	II	الدور السوري القديم الثاني
مرديخ	IVA	حوالي ١٦٠٠ـ١٤٠٠	الدور البرونزي الاخير	I	الدور السوري الوسيط الاول
مرديخ	IVB	حوالي ١٤٠٠ـ١٢٠٠	الدور البرونزي الاخير	II	الدور السوري الوسيط الثاني
مرديخ	VA	حوالي ١٢٠٠ـ٩٠٠	الدور الحديدي الاول		الدور السوري الحديث
مرديخ	VB	حوالي ٩٠٠ ـ ٧٢٠	الدور الحديدي الثاني		او
مرديخ	VC	حوالي ٧٢٠ ـ ٥٣٥	الدور الحديدي الثالث		الارامي والحثي الجديد
مرديخ	VIA	حوالي ٥٣٥ ـ ٣٢٥	الدور الفارسي		
مرديخ	VIB	حوالي ٣٢٥ ـ ٦٠	الدور الهلنستي		
مرديخ	VII	حوالي ٣٠٠ ـ ٧٠٠ م	الدور الروماني المتاخر والبيزنطي		



مخطط رقم ٢٢

واذا امعنا النظر في هذا الجدول ، نجد ان تل مرديخ قد استوطن لاكثر من اربعة الاف سنة ، اي من حوالي عام ٣٥٠٠ ق.م وحتى عام ٧٠٠ م . وعندما نأخذ نتائج التنقيبات الاثرية بعين الاعتبار ، نجد ايبلا قد بدأت صغيرة في الحقبة الزمنية الممتدة من ٣٥٠٠ – ٢٩٠٠ ق.م . وقد كشفت التحريات الاثرية على بقايا معمارية ضحلة ، ولقى اثرية بسيطة . اهمها انواع من الفخار البسيط العادي المغموس بالتبن قبل شيه ، والمعروف في بلاد الشام الشمالية وخاصة في سهل العمق الطبقة F .

هذا بالنسبة الى عصر فجر التاريخ ٣٥٠٠ – ٢٩٠٠ ق.م ، اما بالنسبة الى العصر البرونزي القديم ، أو الى النصف الاول من الالف الثالث ق.م ، فان معلوماتنا عنه تكاد تكون معدومة . وعند سبر الطرف الشمالي من المربع G ، الواقع على سفح الرابية التي تتوسط المدينة عثرت البعثة على جزء من باحة أو شارع ، تحيط به بقايا معمارية من اللبن ، يعلوها مباشرة الابدة الدينية المسماة المعبد D . وبما ان هذه البقايا المعمارية اقدم من القصر الملكي الشهير ، فانها تعود الى نهاية العصر البرونزي القديم الثالث (٢٧٥٠ – ٢٤٠٠ ق.م) او الى نهاية عصر تل مرديخ IIA (٢٩٠٠ – ٢٤٠٠ ق.م) . وهي مع ذلك الدليل الوحيد حتى الآن عى كون ايبلا قد استوطنت خلال العصر المعروف بعصر فجر السلالات في العراق ، والعصر البرونزي القديم I-III في بلاد الشام، اي ٢٩٠٠ – ٢٤٠٠ ق.م . ونلاحظ أن الفخار الاسود او الاحمر اللماع المصقول المنسوب الى خربة كرك نادر في هذه الطبقة . ومن المحتمل ايضا أن استيطان الموقع قد امتد من مركز المدينة فوق الرابية الى بقية اجزاء المدينة المنخفضة خلال هذا العصر .

ان ما ذكرناه اعلاه يشير الى ان ايبلا كانت عامرة خلال النصف الاول من الالف الثالث ق.م ليس الا . ولا يمكن لنا رسم صورة واضحة عن تطورها من مستوطنة صغيرة خلال هذا العصر الى مدينة كبيرة في العصر التالي .

العصر الذهبي :

ومهما يكن الامر نجد ان العصر الذهبي الاول في ايبلا قد بدء حوالي عام ٢٤٠٠ واستمر حتى عام ٢٢٥٠ ق.م . كما دلت على ذلك التنقيبات الاثرية ووثائق المحفوظات في القصر .

ا ـ العمـارة :

لقد عثر على بقايا معمارية من هذا العصر قرب البوابة A في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة ، وفي القطاع N الى الشمال من مركز المدينة وهذا يدل على امتدادها الواسع من الجنوب الى الشمال ، كما اصبح عليه الحال في العصر اللاحق (مخطط ٢٢) .

هذا ما اوحت به الاسبار . اما الكتابات فقد تحدثت عن وجود اربعة احياء ، يحتمل انها ارتبطت بأربع بوابات ، واذا كان الامر كذلك ، فمن المعتقد ان المدينة قد احيطت بسور دائري منيع له اربع بوابات خلال هذا العصر ، ومن المرجح أن السور الدائري قد بني بحجارة كبيرة غير منحوتة ، ومحصن بأبراج مربعة بارزة ، حسب التقاليد المعروفة آنذاك .

لقد اكتظت المدينة المنخفضة بالسكان والمساكن العادية البسيطة التي بنيت باللبن ، وبدون أساسات حجرية على الغالب . وربما ضمت ايضا معابدا ، حيث تأكد وجودها تحت موقع المعبد N ، الذي يعود الى العصر البرونزي الوسيط الثاني ، والذي يعود تأسيسه الى العصر الذي نحن بصدده . اما الرابية فتتألف من صخور طبيعية كلسية ، بنيت فوقها المعابد والقصور . ويفصلها عن المدينة شارع عريض . وقد اصبحت مركز المدينة الذي يحيط به شارع عريض .

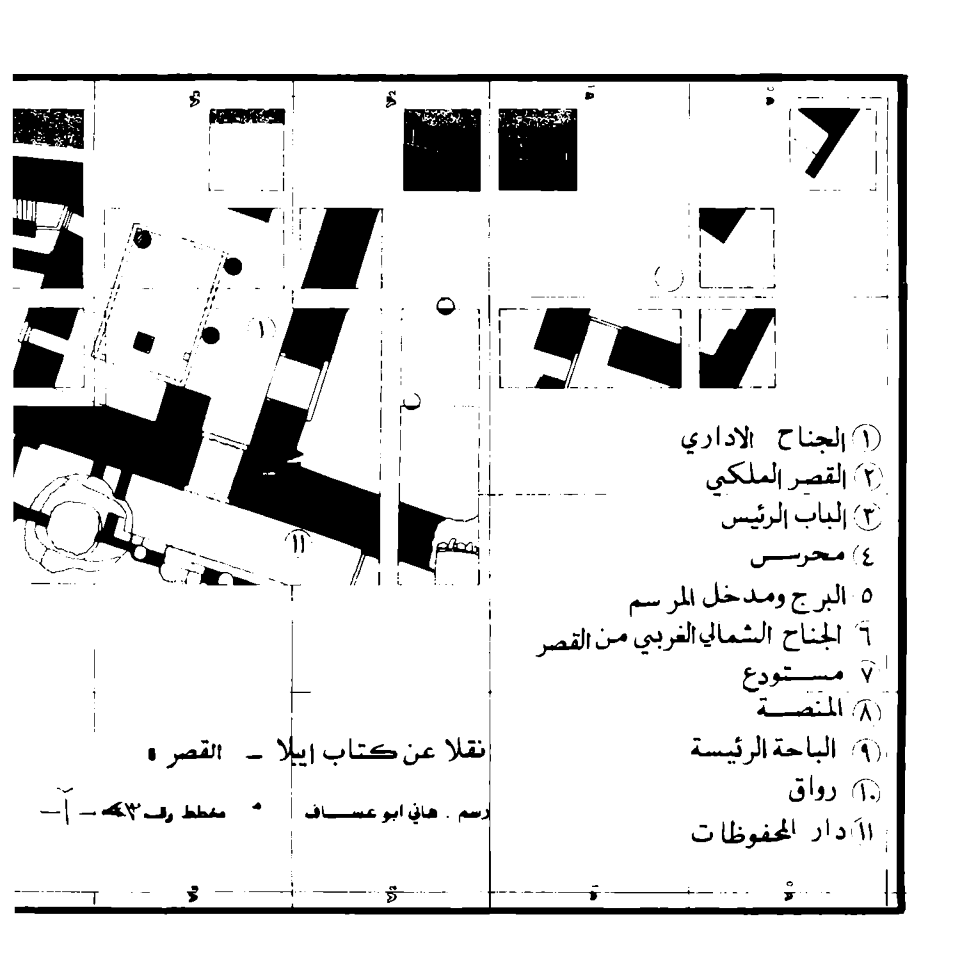
واهم المباني المكتشفة في هذا القطاع هو القصر G ، الذي لم يحرر من الركام بعد . ومن الاجزاء المكشوفة حتى عام ١٩٨٠ :

الجوانب الشمالية والشرقية من الباحة المسماة باحة الاستقبال الملكية . الجناح الشمالي الغربي الى الشمال من الواجهة الشمالية للباحة ، البرج مع درج المراسم عند التقاء واجهتي الباحة ، البوابة الفخمة من الجهة الشرقية للباحة ، جزء من ثكنة الحرس الى الشمال من البوابة . قطاع من الجناح الاداري الى الجنوب من البوابة ، دار المحفوظات . (المخطط ٢٣ اوب) .

ان الباحة المسماة باحة الاستقبال الملكية ليست باحة من القصر ، بل ساحة المدينة الرئيسة ، التي بلغت ابعادها ٥٠ × ٢٧ م . وبني جداراها الشمالي والشرقي باللبن فوق اساس من الحجارة بعرض ٢٫٨٠ م . يحيط بها من الشمال والشرق رواقان بلغ عرض الاول ٥٫٥٠م والثاني ٥ م . حملت سقوفهما على اعمدة خشبية بقطر ٠٫٧٠ م . ثبتت بحفرة في الارض ، وتوجت ببلاطات حجرية . يبدو ان طول الرفادات الخشبية للسقف قد بلغ ٣٫٧٠ م في الرواق الشمالي ، و ٢٫٨٠ – ٣٫٦٠م في الرواق الجنوبي (مخطط ٢٣ اوب) .

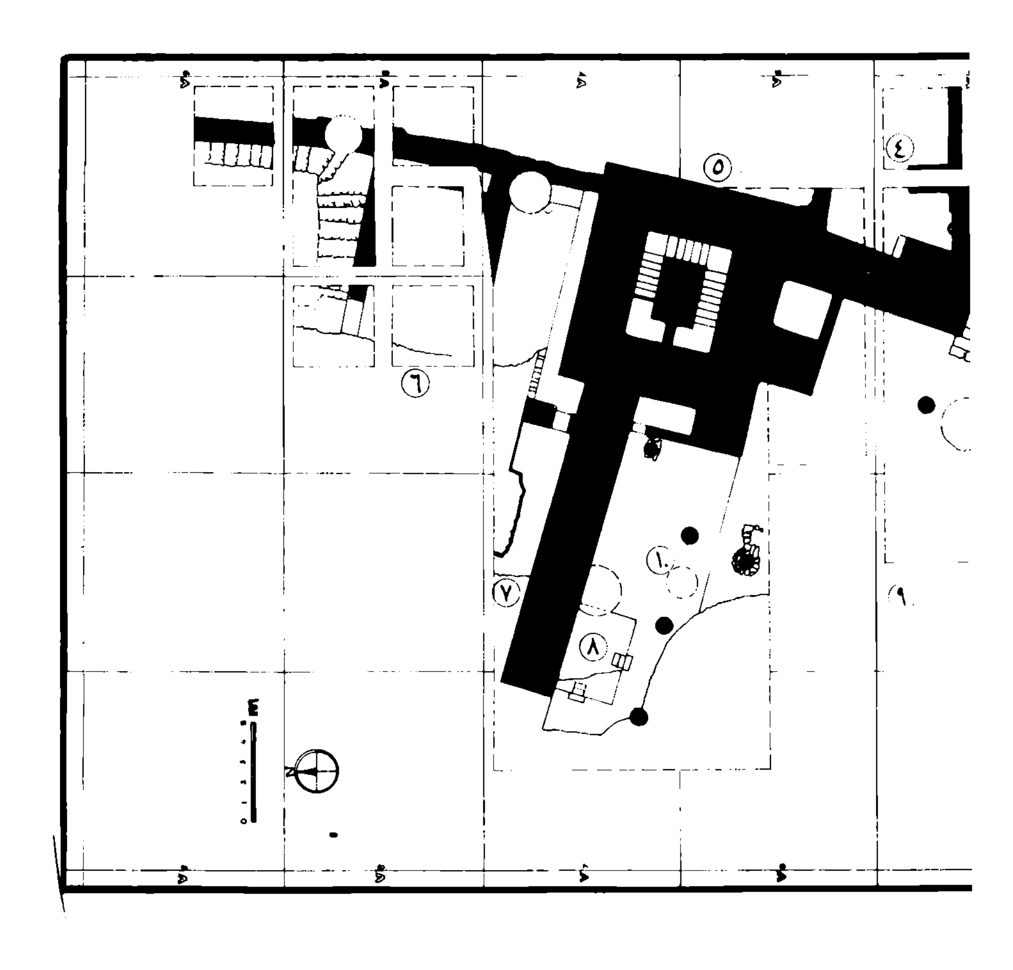
ينفتح عدد من الابواب على هذه الساحة . منها باب صغير في الشمال لم يبق منه سوى عضادته الشرقية . وهو يقود الى حجرتين صغيرتين خلف الواجهة الشمالية . ينتهي الرواق في الشرق الى باب كبير بحالة جيدة ، يقود الى سلم المراسم في وسط البرج المربع . وفي الواجهة الشرقية تصل بوابة كبيرة بين الباحة والقصر الحقيقي ، بوساطة درج كبير يصعد الى القصر المرتفع . والى الجنوب منها باب رابع يقودنا الى وسط الجناح الاداري .

شيدت منصة (٤٫٥٠ × ٣ × ٠٫٥٥ م) باللبن ، وطليت بالكلس تحت الرواق الشمالي (المخطط ٢٣ ا وب) ، امام الواجهة الشمالية ، الى الشرق من الباب ، الذي يقود الى المخزنين . نصعد الى المنصة بوساطة درج امامي في الجنوب الغربي ، واخر جانبي في الشمال الغربي ويبدو من آثار باقية على سطح المنصة ان عرشا تعلوه مظلة قد شيد

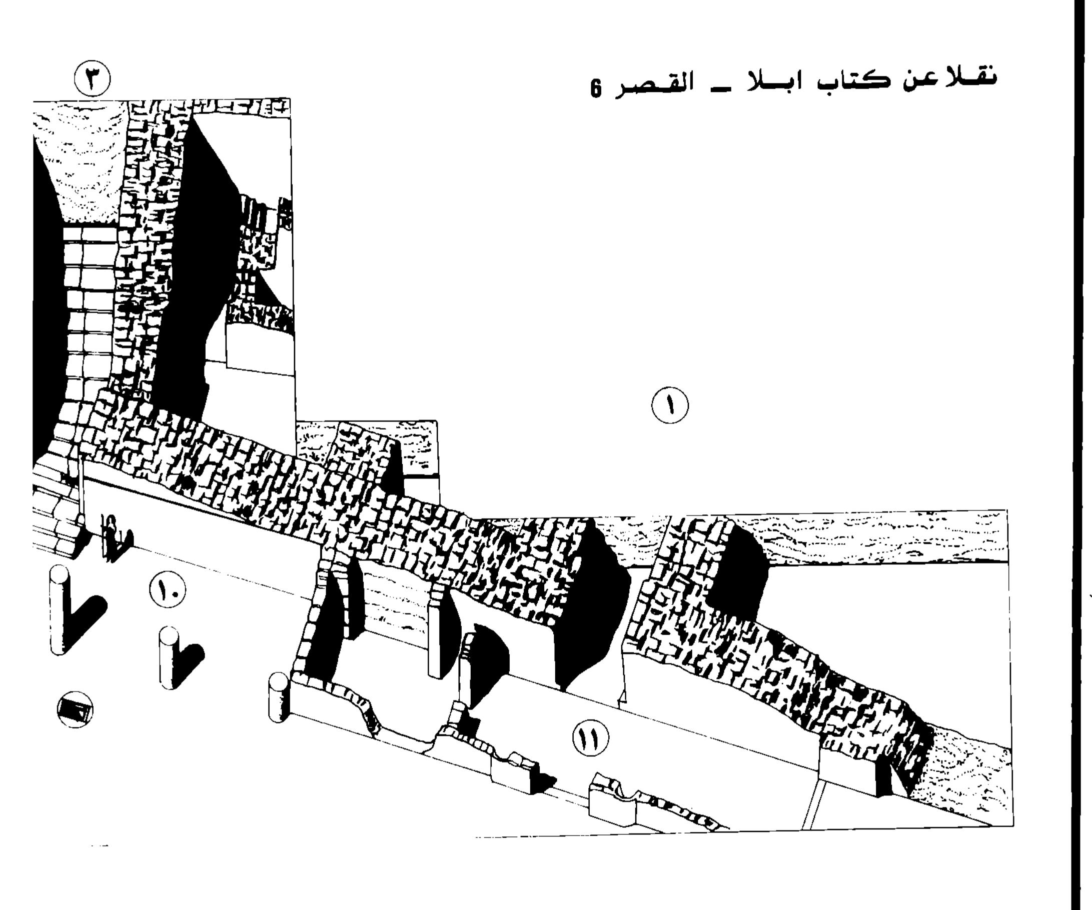


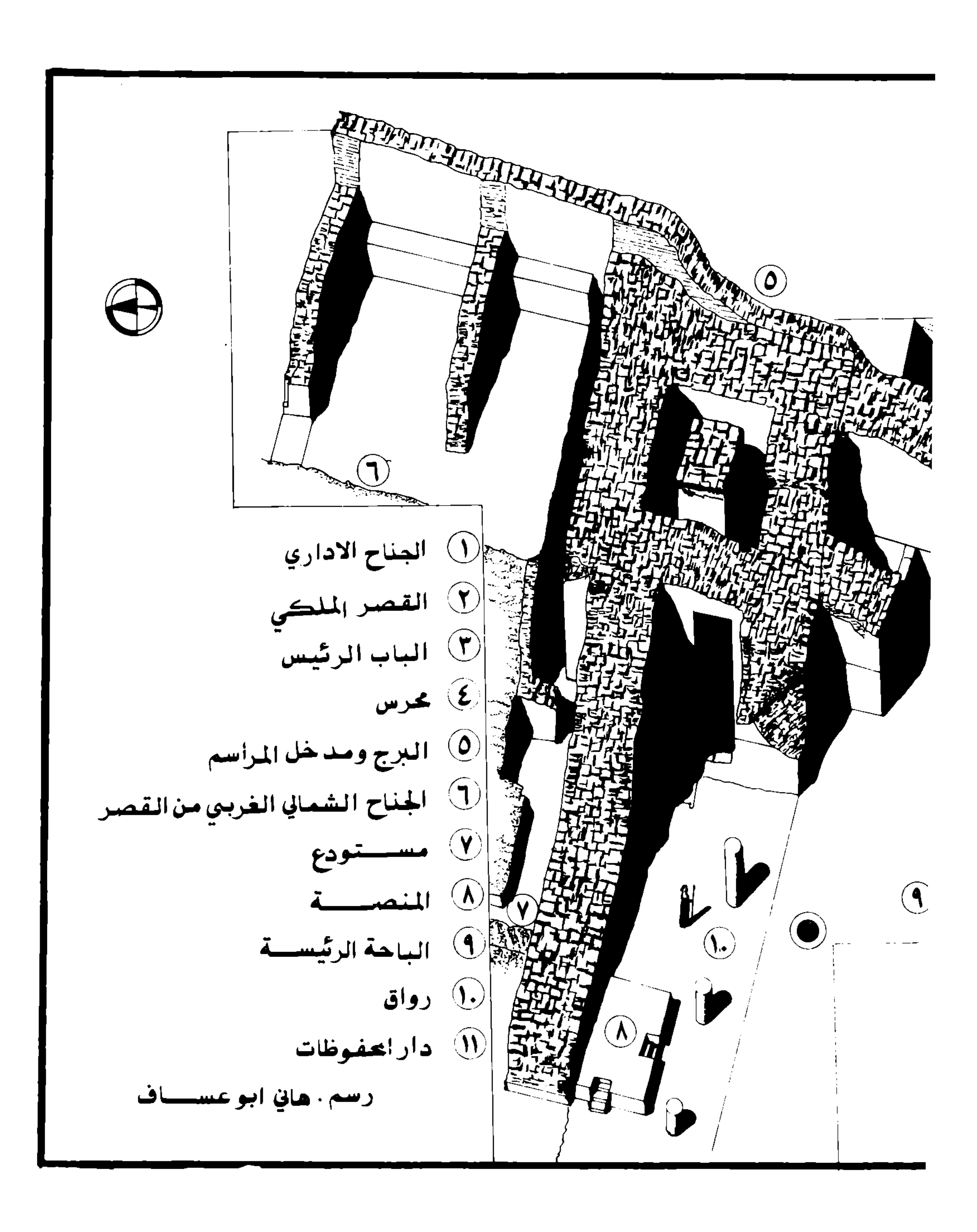
١ الجناح الاداري
٢ القصر الملكي
٣ الباب الرئيس
٤ محرس
٥ البرج ومدخل المرسم
٦ الجناح الشمالي الغربي من القصر
٧ مستودع
٨ المنصة
٩ الباحة الرئيسة
١٠ رواق
١١ دار المحفوظات
نقلا عن كتاب إيبلا - القصر
رسم . هاني ابو عساف

مخطط رقم ٢٣



٥
٤
٦
٧
٨
١٠
٩


نقلا عن كتاب ابلا ـ القصر 6
٣
١
١٠
١١



١ الجناح الاداري
٢ القصر الملكي
٣ الباب الرئيس
٤ محرس
٥ البرج ومدخل المرأسم
٦ الجناح الشمالي الغربي من القصر
٧ مستودع
٨ المنصة
٩ الباحة الرئيسة
١٠ رواق
١١ دار المحفوظات
رسم . هاني ابو عساف

فوقها لجلوس الملك . ومن المهم ان نشير هنا الى ان باب المراسم في الجزء الشرقي من الرواق الشمالي بعيد عن المنصة ومقابل لها ، بينما نجد الباب الشمالي بجانبها . ومما لا شك فيه أن الرواق الشمالي هوالطريق الذي كان يسلكه الملك قادما من قصره الى المنصة عبر بوابة ودرج المراسم. اما الباب الشمالي الذي يقود الى المخزنين فقد اعد بجانب المنصة، ليقف فيه افراد الحاشية ، الذين يستقبلون الهدايا المقدمة الى الملك الجالس على المنصة ، ويضعونها في المخازن ، قبل نقلها الى مكان آخر فيما بعد .

تدعم رفادتان بارزتان قويتان الزاوية الجنوبية الغربية من برج بوابة ودرج المراسم . وقد استفيد من بروزهما في تشييد حجرة بالطرف الشمالي من الرواق الشرقي ، وحجرة استراحة امام باب المراسم في الطرف الشرقي من الرواق الشمالي . والى الجنوب من البوابةالرئيسة في الواجهة الشرقية احدثت دار للمحفوظات باقتطاع جزء من الرواق الشرقي والحاقه بالجناح الاداري .

يبدو ان مجموعة من الاحواض (البرك) والابار كانت في الساحة ، ولم يكشف الا على بعض منها ، لذا يتعذر علينا معرفة ارتباطاتها ببعضها. نشاهد امام الرواق الشمالي فتحة بئر تصب بها قناة نتتبع مجراها تحت الارضية المخلخلة ، من البئر حتى بركة حفرت عند حجرة الاستراحة بين الرواق الشمالي وباب المراسم وتتلقى مياه الامطار التي تنقلها القناة الى البئر . توجد بئر اخرى امام الرواق الشرقي احيطت فتحتها ببلاطات صفت على نحو تصبح معه الفتحة مربعة في الوسط ، ودائرية في الخارج . يوجد في كل ضلع من اضلاع الفتحة المربعة فوهة كانت تسد بحجر .

بعد هذا الوصف الموجز للساحة بقي ان نقول انه لم ينته الكشف عليها بعد ، ودراسة الاسئلة التي تطرحها على الباحثين مثل ابعادها الحقيقية ، الغرض من الرواق ..... الخ . تحتاج الى وقت . واذا ثبت مستقبلا ان هذه الساحة هي الميدان الرئيسي في المدينة ، وان القوافل

كانت تحط به ، وتجرى فوق أرضه المبادلات التجارية واستقبال الوفود ودافعي الضرائب والجزية ، يكون الغرض من الابار والبرك توفير المياه للناس والحيوانات (انظر ص ٢٥٨) .

يحتل برج كبير الزاوية الشمالية الشرقية من الساحة ابعاده ١١ × ١٠ م ، وسماكة جدرانه ١٫٨٠ م . وفي وسطه درج المراسم الذي يلتف اربع مرات حول ركيزة داخلية . يبلغ طول الدرج الواحد ١٫١٠ م . احدث في وسط الركيزة مرحاض يصله المرء من باب ينفتح على مدخل البرج . غطيت الدرجات الاولى من المدخل والتي تلي الساحة بالصفائح الخشبية ، المرصعة باصداف لتشكل مناظر هندسية بديعة امكن التعرف عليها من اماكنها الباقية في الادراج . ونرجح ان سلم المراسم هذا كان يربط بين الطابق الاول من القصر والساحة الرئيسة ساحة الاستعراضات والمراسم .

. الجناح الشمالي الغربي متهدم ولم يكشف عليه كاملا ، ويضم حجرتين كبيرتين تتجهان من الشرق الى الغرب . يمتد جدارهما الشرقي نحو الشمال على استقامة جدار الباحة الشرقي . يحدهما من الشمال سلم يصعد شرقا الى المعبد D ومن الجنوب ممر يمتد من الشرق الى الغرب حيث يتصل بحجرتي المستودع الى الشمال الغربي من الساحة الرئيسة . تنخفض ارضية الممر والمستودعين عن ارضية الحجرتين الشماليتين مقدار ٣٫٤٠ م لذا يمكن أن نعتبرهم قبوا .

أحدث باب كبير في الواجهة الشرقية من الساحة هو الباب الرئيسي الذي ينفتح على القصر الملكي G ، والذي يشكل على الارجح الباب الاهم . ترتفع ارضية الباب عن ارضية الساحة مقدار ثلاث درجات ، ومن عتبته يقود سلم كبير مؤلف من عدد كبير من الدرجات الحجرية البازلتية الى القصر . يوجد باب في جداره الشمالي ينفتح على مهجع الحرس الذي لم يكشف عليه بعد .

الجنــاح الاداري :

يقع الجناح الاداري الى الجنوب من الباب الرئيسي ، ولا يتصل به ، وتشكل باحة صغيرة محاطة برواق مركز هذا الجناح . يجاورها من الشمال حجرة كانت مستودعا حفظت به وثائق كثيرة . والى جانبها يوجد درج مؤلف من اربعة اقسام تتدرج بالارتفاع من اسفل الى اعلى . اما في الجنوب فتجاورها قاعة كبيرة ربما كانت قاعة استقبال . والواقع ان التنقيبات الاثرية لم تكشف الا على جداريها الشمالي والغربي . وجزء من جدارها الجنوبي المجاور للزاوية الجنوبية الشرقية المفترضة ، حيث يوجد باب ينفتح جنوبا على حجرات المستودعات التي تتصل عبر باب في الشرق بقسم آخر تابع للجناح الاداري .

لقد عثر في قاعة الاستقبال على جزاي راسين لرجل وامراة ، صنعا من حجر استياتيت وكلانا يؤلفان جزءا من صورتي رجل وامراة ، صنعتا من مواد مختلفة ، كالحجر والخشب والذهب وزينت بهما القاعة . ويظن السيد ماتييه ان هذه القاعة كانت مخصصة للاحتفالات والاستقبالات الموسمية ، التي لا يسمح الطقس باقامتها في العراء أي في الساحة الرئيسة .

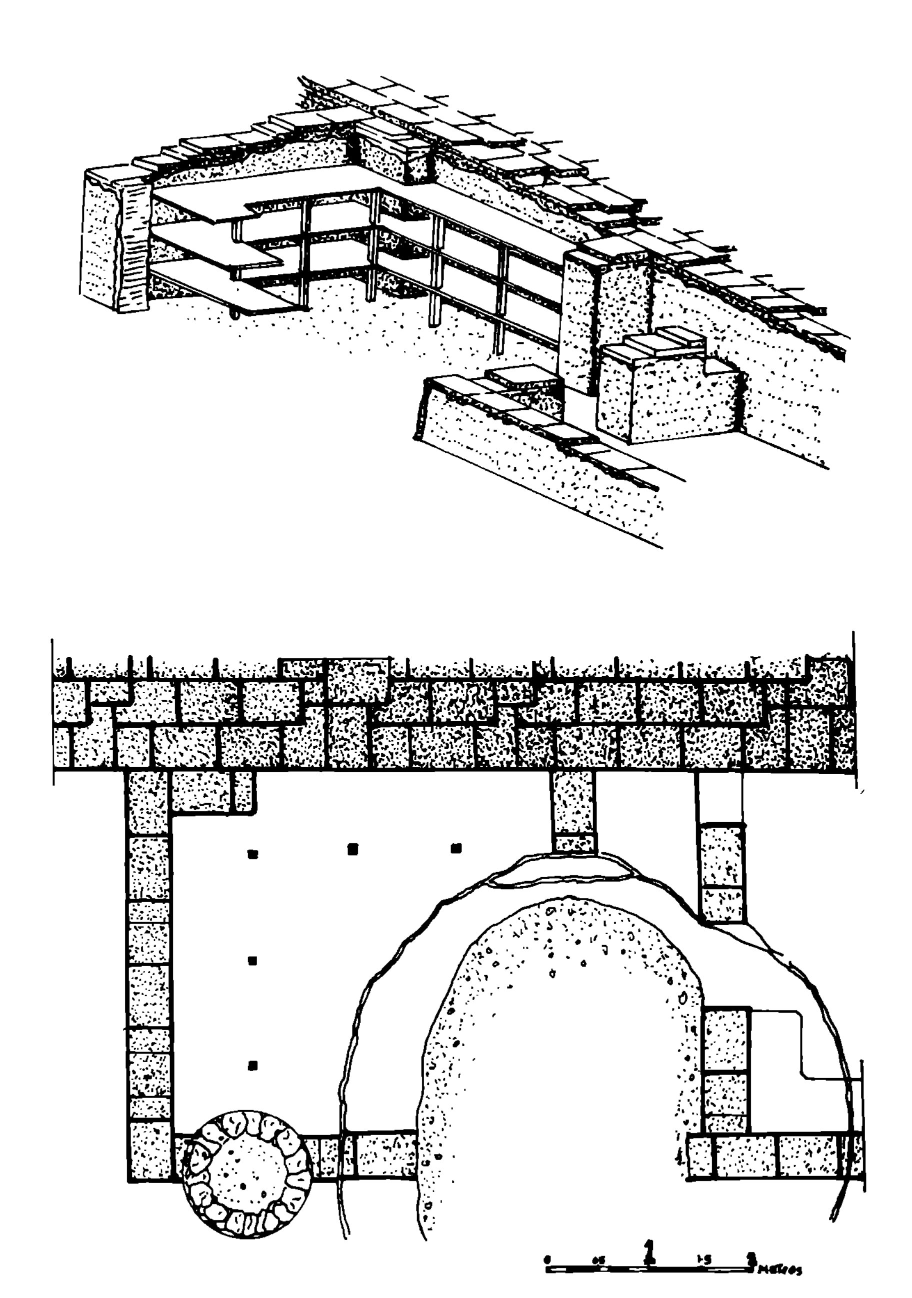
دار المحفوظات :

تتبع الجناح الاداري ، وتتالف من حجرة واحدة صغيرة نسبيا مساحتها ٥،١٠ × ٣،٥٥ م بنيت في الرواق الشرقي بين المدخل الرئيسي للقصر في الشمال ، ومدخل الجناح الاداري في الجنوب (انظر المخطط ٢٣) وفيها وضعت ثلاث رفوف ، كل واحد بعمق ٤٠ سم أمام جدرانها الشرقية والشمالية والغربية ، ولم يوضع شيء أمام الجدار الجنوبي الذي فيه المدخل . اسندت الرفوف على الجدران ، وعلى أعمدة

خشبية ثبتت في ارضية الحجرة ، كما هو واضح في الصورة (رقم ٨١)، التي صممت بالاستناد الى بقايا الرفوف والاعمدة الخشبية ،والدعامات اللبنية في الزاوية الشمالية الشرقية ، والجدار الشرقي ، والقسوب المتصلة بها في الجدران والارض ، والتي عثر عليها المنقبون اثناء عملهم في الكشف على المحفوظات من الرقم الطينية ، التي بلغ عددها اربعة عشر الف رقيما كاملا وستة الاف كسرة رقيم . الى الجنوب الغربي من هذه الحجرة توجد قاعة كبيرة مستطيلة الشكل جمع منها حوالي ٥٤٠ رقيما او كسرة رقيم اثناء التنقيب عام ١٩٧٦ . ويظهر واضحا أن القاعة والحجرة قد بنيتا وفق مخطط واحد ولغرض واحد هو كتابة الرقم ثم حفظها . لذا خصصت الحجرة الداخلية لحفظ الرقم ، بينما استخدمت القاعة للاعمال الكتابية ، حيث جهزت بمقاعد لبنية ، اقيمت امام الجدارين الشمالي والغربي ، ليجلس فوقها الكتبة . وقد جعلوا فيها تجاويف غير عميقة كانت توضع الرقم بها بعيد تسطيرها ، حتى لاتسقط على الارض قبل نقلها لشيها ثم حفظها .

عثر في القاعة على عدد من كسر الاقلام العظمية الاسطوانية الشكل ، بالاضافة الى اداة من حجر اخضر رمادي ، سماكتها اكثر من ١ سم ، شكلها معين ، فيها زاويتان محدبتان ، واحد وجوهها مقعر قليلا من كثرة الدلك . ويعتقد ان هذه الاداة كانت تستخدم كممحاة .

الى جانب هذه المكتبة والمكتب ــ ان صح التعبير ــ كانت هناك حجرتان اخريان حوتا رقما . تقع الاولى في الزاوية الشمالية الشرقية من الساحة الرئيسة ، الى الجنوب من البرج . ومدرج المراسم . وقد عثر فيها على حوالي ١٠٠٠ رقيم او كسرة رقيم ، كانت محفوظة على رفوف خشبية ، تداعت وسقطت مع سقف وجدران الحجرة عندما احترقت . اما الحجرة الثانية فتقع الى الجنوب من الدرج الرئيسي الذي يربط بين الساحة والقصر G ، وفي الزاوية الشمالية الغربية من الجناح الاداري . خلال عامي ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ عثر فيها على حوالي ٥٠٠ رقيم او كسرة رقيم ، مبعثرة فوق ارضها ، وبين انقاض سقفها ، وجدرانها .



الصورة رقم ٨١

ويبدو ان هذه الرقم كانت محفوظة في محال خاصة اعدت داخل مصاطب منخفضة (مقاعد) ، مبنية من اللبن ، امام الجدارين الغربي والشمالي. والمحال التي كانت في المقعد الشمالي اغلقت بابواب خشبية صغيرة مزخرفة بأشكال بشرية تمشي في صفوف .

محتويات المكتبة :

كانت الرقم من حجوم مختلفة ، معظمها صغيرة ومدورة ، استخدمت كفواتير ، او ايصالات او سجلات اقتصادية ادارية ، يتراوح محور الرقيم من الصغير ٤ ـ ٨ سم وعلى كل من وجهيه سطرين او ثلاثة . اما الرقم المدورة فيبلغ محورها ١٠ سم ، وكتب على سطحها اربعة او ستة اسطر والى جانب هذا النوع ، يوجد نوع آخر مربع الشكل تقريبا ، زواياه مدوره ، واضلاعه غير مستقيمة . يبلغ طول الواحد منها ١٥ سم . وقد قسم كل وجه من وجوهه الكبيرة الى ٨ ـ ١٢ سطرا . أما النوع الثالث فكان مربعا او مستطيلا ، اطرافه سميكة ومسطحة ، مقايسه ٢٤ ـ ٢٦ سم . دون على كل وجه من وجوهه ١٥ سطرا . وفي بعض الاحيان ٢٠ . ويتوفر من هذا النوع رقم كبيرة جدا طولها ٣٠ ـ ٣٦ سم مع ٣٥ ـ ٣٠ سطرا . ويبدو ان هذا النوع الثالث هو الاقدم بين النصوص .

لقد سطرت المعاجم والقواميس على رقم مشابهة لهذا النوع الاخير . أما القاموس السومري الابلوي ، أو الابلوي السومري ، فقد سطر على رقم مستطيلة الشكل ، زواياها منتظمة ، واضلاعها حادة ، مقاييسها ٢٣ × ٢١ سم . ضم كل سطح ١٥ حقلا فيها ٤٠ سطرا . ونميز من الرقم التي دونت عليها القواميس تلك التي شكلها مربع طول ضلعه ١٥ سم ، زواياه منتظمة ، منتفخة في الوسط حقولها واسعة ، وعددها ٥ ـ ٨ .

سطرت النصوص السحرية على رقم صغيرة مدورة ، والاسطورية على رقم مستطيلة الشكل ، اضلاعها مسطحة . اما النصوص التاريخية فقد دونت على رقم مدورة ، ذات احجام متوسطة ، او على رقم مربعة

الشكل . ويشذ عن ذلك نص المعاهدة بين أبرنال وايبلا الذي سطر على رقم كبيرة مربعة الشكل .

اقسام دار المحفوظات : اي تصنيف المحفوظات .

كما اشرنا اعلاه ، لم تكن هناك حجرة واحدة مخصصة لحفظ الوثائق ، بل عدة حجرات ، وزعت عليها الوثائق حسب انواعها . ففي الحجرة (ل ٢٧٦٤) حفظت الوثائق المتعلقة بالشؤون الزراعية ، وفي الحجرة (ل ٢٧١٢) وجدت فقط وثائق ادارية اقتصادية تتعلق بالمواد الغذائيـــة والشراب التي زود بها المبعوثين أو السفراء . وكشف في الحجرة (ل ٢٧٦٩) على رقم كان معظمها كشوف حسابات تجارية في توزيع المواد النسيجية . وكانت معها ايضا وثائق ادارية اقتصادية ، تتعلق بالضرائب والجزية ، وكذلك وثائق ادبية او معجمية . وبالختام نجد انه قد حفظ بالحجرة (ل ٢٨٧٥) كشوف حسابات تجارية ، الى جانب نصوص تاريخية ، مثل الرسائل والتعليمات التنظيمية .

من كل ما تقدم يستنتج السيد باولو ماتييه ان الجناح الاداري قد حوى مكتبا لتسطير الوثائق وحجرات لحفظها(٦) . وقد جرى انهاء الاعمال المتعلقة بالضرائب والجزيـــة ، وتحضير القوافل التي ستنقل المواد النسيجية ، أو الرسل والمبعوثين ، بالحجرات المعدة في الرواق الشرقي للساحة .

والحقيقة ان هذا من مجال استخدام الساحات الرئيسة الكبيرة في العواصم الهامة امثال ايبلا . ففيها تحط القوافل ، وتجري المبادلات التجارية ... الخ . ولا بد والحالة هذه من تنظيم الامور على احسن وجه ، وهذا يتطلب مكتبا يجلس فيه الموظفون ، لتدويـــن الوثائق . ولا شك أن قوافلا قد قدمت ايبلا من اقطار عدة ، وكان يقوم عليها رجال منهم ممن لا يجيد لغة ايبلا . لذا نرى أن المكان قد زود بقاموس مثل القاموس الابلوي الســـومري يلجأ الموظفون اليه عنـــد الحاجة ،

وان دل هذا على شيء فانه يدل على رقي فن تصريف الامور وتسهيلها ولا عجب في ذلك ، فايبلا دولة متحضرة مزدهرة . وخير دليل على رقي حضارتها قواميسها اللغوية التي تخدم اغراضا شتى .

والآن ، وبعد استعراض ساحة المدينة المركزية ، والمباني المنتظمة حولها ، لا بد من استطلاع امكانية مقارنة هذه الابده المعمارية الهامة ، بالتراث المماثل في بلادنا . فهل هي فريدة حقــا ؟ أم أن لها قرائن في مواقع اخرى ؟!.

والحق يقال انه لم يحاول احد حتى الآن مقارنة القصر G في ايبلا مع اية منشآت معمارية في بلاد الشام والعراق . ومرد ذلك الى انه لا توجد له قرائن واضحة في بلاد الشام او في العراق ، او في الجزيرة العليا . ومع ذلك فاننا نجد للتنظيم العمراني في مدينة ايبلا ، شبيها في موقع تل خويرة ، قرب الحدود التركية ، على منتصف الطريق بين مدينتي تل ابيض ، وراس العين .

الساحــة الرئيسة في ايبلا منشاة عامــة ، لها وظائف ثقافيــة واجتماعية . تقام فيها الحفلات والاستقبالات ، وتنتظم حولها المباني الرسمية ، او الملكيــة . وما يهمنا هنا ان القصر الملكي وملحقاته قد انتظمت الى الشمال والشرق من هذه الساحة ، وبنيت فوق اماكن اعلى من الساحة ، مما اضطر الناس لاستخدام الادراج ، للوصل بين الساحة واجنحة القصر الملكي G . ونرى هذا الشيء نفسه في موقع تل الخويرة ، حيث عملنا ١٩٦٤ في الكشف على ما يسمى بالبناء الحجري رقم ٣ ، الذي شيد فوق رابية الى الشرق من الشارع الرئيسي او الوادي الذي يخترق المدينة من الغرب الى الشرق ، وينتهي الى ما يمكن ان يسمى ساحة رئيسة تقع في الطرف الشرقي ، الجنوبي الشرقي من المدينــة ، وتمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي(٧) . حيث تنتظم حولها المباني الملاصقة للسور من الداخل ، والاخرى المقابلة لها .

ومن الابنية التي بدء بالكشف عليها حول هذه الساحة ، البناء الحجري رقم ٣ ، الذي لم ينته العمل به حتى الآن . وما كشف عليه منه يتألف من قاعة مركزية ، مساحتها ١٦ x ١٤ م ، بنيت جدرانها باللبن بسماكة متر واحد فوق اساسات حجرية . يرتبط بهذه القاعة درج خارجي بني بالحجارة الكبيرة الكلسية ، ويتألف من اربع عشرة درجة ، تربط بين الساحة في الشرق ، والبناء في الغرب . ومن فرق الارتفاع بين بداية الدرج ونهايته ، تبين ان الساحة منخفضة عن البناء مقدار خمسة امتار على الاقل . ويستدل من اسبار اجريت في المكان على وجود بناء كبير يتدرج في الارتفاع من الجنوب نحو الشمال تماما كما هو الحال بالنسبة الى القصر الملكي G في ايبلا .

بعد أن تعرفنا على فن العمارة في ايبلا خلال عصرها الذهبي ٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق. م. ، ننتقل الى استعراض بقية الفنون مثل فن النحت والنقش على الاختام الاسطوانية والحفر ، ثم نستعرض صناعة الفخار .

ب ـ التماثيل :

لم يعثر على تماثيل منحوتة من الحجر ، بل عثر على اجزاء تماثيل مركبة من عدة مواد منها الحجر ، والخشب ، والصدف ، والذهب . وخير مثال على ذلك ، هو دمية على شكل ثور مضطجع (صورة ٨٢) ، راسه راس انسان . وجدت في الجناح الاداري ، في القاعة الكبيرة ، على يمين الباب الرئيسي . وكانت اعضاؤه متناثره فيها ثم جمعت ورممت .

كان الهيكل الذي يجمع الاعضاء اليه من مادة تالفة ، سريعة العطب، كالخشب ، فلم يعثر عليه . وقد عثر على الرقيقة الذهبية التي كانت تغطيه ، وعلى العنق واللحية المضفورة اللذين كانا من الحجر القاسي . غطت القرون والآذان بالذهب ، بينما صنعت العينان من الصدف ، الذي يمثل بياضها ، ومن حجر اللازورد ، الذي يمثل بؤبؤها الاسود .



الصورة رقم ٨٢

ان هذه القطعة جميلة ولكنها ليست فريدة . اذ نعرف أن الفنانين في عصر جمدة نصر (٢٩٠٠ ـ ٢٧٠٠ ق. م.) قد اهتموا في صنع دمى حيوانية مرصعة ، كما اهتم فنانو عصر سلالة أور الاولى (= عصر فجر السلالات الثالث) (٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق. م.) بصنع دمى حيوانية مركبة من مواد مختلفة كانت اجزاء من قطع اثاث . ومن الملاحظ انه يمكن مقارنة دمية ثور ايبلا مع رأس ثور عثر عليه في مقابر اور الملكية ، وهو من الذهب ولحيته من حجر اللازورد(٨) . هذا من حيث الاسلوب اما من حيث العصر فان هذين العملين الفنيين من عصر واحد ، وان كانت دمية ايبلا احدث قليلا . ومما يدعم رأينا في تاريخ الدمية في عصر فجر السلالات الثالث (٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق. م.) أن الانسان الثور قد نقش على الاختام الاسطوانية خلال هذا العصر بكثرة . وهو في كل مرة مشابه لدميتنا هذه .

لم يهتم حرفيو ايبلا بتركيب دمى من مواد مختلفة ، بل ركبوا تماثيل أيضا . ولسوء الحظ لم يعثر على تماثيل كاملة ، بل على اجزاء منها مثل عصاب رأس من الحجر الكلسي ، مضفور ومربوط في الاعلى على شكل شلفة رمح . ويستدل من حجم هذا العصاب انه كان من تمثال كبير مركب من عدة مواد (صورة ٨٣) .

وحتى نأخذ فكرة عن لباس اهل ايبلا آنذاك ، نعرض على قطعة خشبية طولها الحالي ٧٥ سم ، وهي تمثل رجلا عالي المقام (اميرا مثلا) ، يرتدي على رأسه عصابا كالذي ذكرناه . لحيته طويلة ذات ضفائر شبيهة بأعذاق الثوب الصوفي الطويل الذي يرتديه ، ويتشح فوقه بوشاح من نفس القماش ، وله نفس الزخارف (الشكل ٨٤) .

وحتى نضع هذا التمثال في اطاره الفني الصحيح بالنسبة الى فنون بلاد الشام وبلاد النهرين ، وحتى ننسبه الى فترة زمنية محددة ، نقارنه مع فنون مدينة ماري .



الصورة رقم ٨٣



الصورة رقم ٨٤

ان الثوب المعذق الذي نراه على التمثال قد انتشر استعماله في العراق والجزيرة العليا في عصر فجر السلالات (٢٩٠٠ – ٢٣٥٠ ق.م). واول ما نعرفه عن هذا الثوب انه كان على شكل مئزر ارتداه العباد خاصة في عصر فجر السلالات الاول (٢٩٠٠ – ٢٧٠٠ ق.م.) ، وكان مشرشبا في جزئه السفلي . بقي هـذا الشكل سائدا في عصر فجـر السلالات الثاني (٢٧٠٠ – ٢٦٠٠ ق. م.) مع زركشة المئزر بكامله بصفوف من الاعـذاق الصوفية . اما في عصر فجر السلالات الثالث (٢٥٠٠ – ٢٣٥٠ ق. م.) فاستبدل المئزر بثوب طويل يستر الجسم بأكمله ، وتزينه صفوف من الاعذاق الصوفية من اعلاه الى اسفله .

واول ما نستنتجه من ذلك ان قطعة ايبلا الخشبية من عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠ – ٢٤٠٠ ق. م.) واذا ما قارناها مع منحوتات مدينة ماري ، التي تعود الى هذا العصر ، نجد انها تشبه تمثال الملك ليم – جي – ماري ، الذي حكم عند منتصف الالف الثالث ق.م. اي بين (٢٥٥٠ – ٢٣٥٠ ق. م.) ومن هنا لا بد ان يعود هذا العمل الفني الباهر الى نفس العصر .

الاختـام :

لم يعثر على الاختام ، بل على طبعاتها فوق سدادات طينية لجرار واباريق وقوارير وفوق اشـرطة طينية لاحكام اغطيـة الصناديق . وتستمد الطبعات اهميتها من كونها عائدة لاختام ذات صنعة جيدة ، انتجت خصيصا للقصر وموظفيه . وقد امكن تأريخها بالاستناد الى الجمل والاسماء المدونة عليها . ويبدو أن معظمها تعود الى شخصين هما : راين – هدا ، وافدورا او افتوار من كبار المسؤولين من عهد الملك (ابي ذكير) ، الذي تكرر اسمه في الوثائق الاقتصادية الممهورة بطبعات هذه الاختام .

الموضوع الرئيسي المنقوش على سطوح هذه الاختام ، هو مشهد يتالف من شريط من الابطال والمخلوقات الاسطورية تدافع عن القطيع .

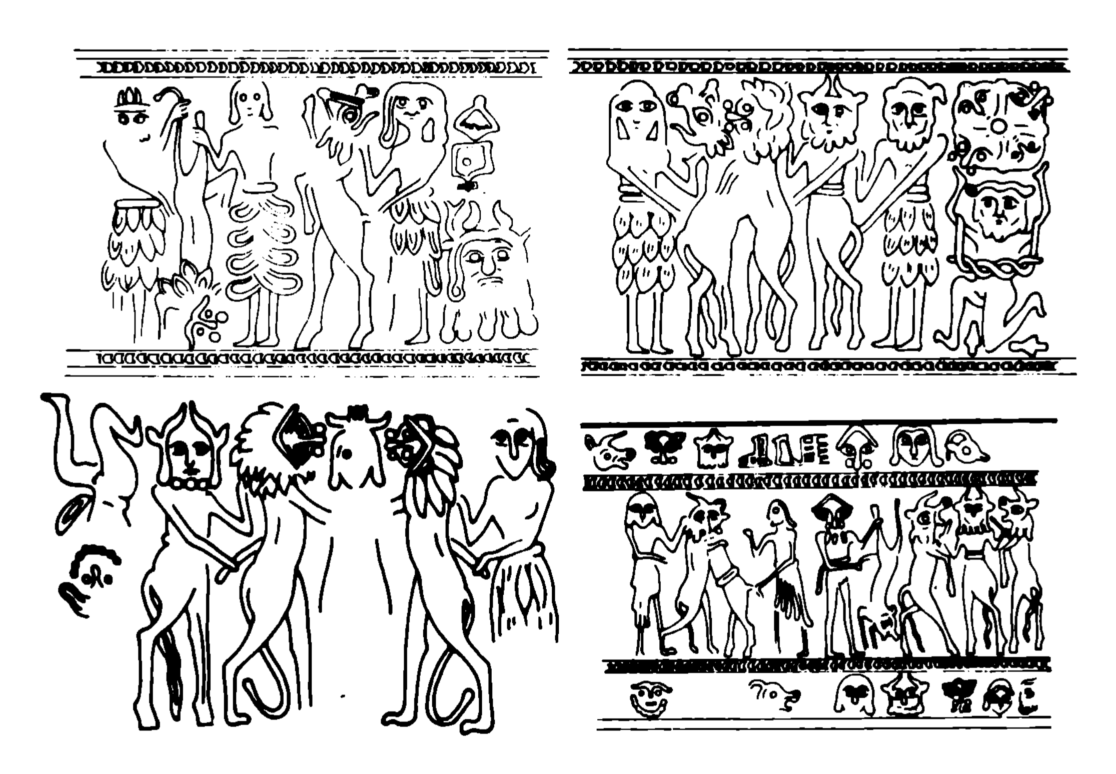
انه موضوع مالوف في بلاد الجزيرة العليا ، وفي العراق ، ولكن فيه عناصر فنية اضافية محلية ، تميز صنعته الابلية المحلية عن غيرها . اذ نجد مثلا أن الشخصية الرئيسة في المشهد ربة تخطو نحو اليسار وتدير نصفها العلوي نحو اليمين . لها قرنان افقيان . يعلو راسها تاج على شكل كاس الزهرة ، وترتدي مئزرا معذقا . تحمي الحيوانات الاليفة من شرور الحيوانات المفترسة . تصرع الاسود وتداعب الثيران . وقد يساعدها في عملها الانسان الثور ، أو راعي ، او بطل عاري . هذا من حيث الموضوع اما من حيث الاسلوب ، فان الشريط الذي يضم عادة ٦ ـ ٩ أشخاص ، وقد احيط باطارين زخرفيين علوي وسفلي ومثلت الاشكال قوية بدينة نافرة ، واهتم الحرفيون بابراز اعضاء الاجسام حسب تاثرها بحركة الجسم . فقد نرى مثلا أن لبدة الاسد قد انتصبت كاللهب لتعبر عن انفعال الاسد عند افتراسه الذبيحة ، ومثل ذلك ينطبق على حركات الاذرع عند الانسان (صورة ٨٥) .

الحفر على الخشب :

عثر في الجناح الشمالي الغربي للقصر على قطع خشبية متفحمة ، متناثرة ، خاصة في الحجرة الثانية ، مما يلي الباحة . وهي ان دلت على شيء فهي تدل على اهمية المبنى ، وعلى التقنية العالية التي وصلت اليها هذه الحرفة في ايبلا .

لقد حصلنا على أجزاء من طاولة ذات اطار يتالف من عدة اجزاء وصلت بوساطة اوتاد عظمية لها على كل طرف راسان ادخلا في وسط الاطار . لقد ثنيت الاطراف قليلا نحو الاسفل وزين الجزء المثني بانصاف دوائر محفورة بالخشب تكملها انصاف دوائر من العظم ثبتت على الخشب بوساطة مسامير .

ان هذه التقنية العالية تشهد على رقي صناعة الاثاث الذي رصع بعض منه بالاحجار الكريمة . ويبدو أن قوائم الطاولة التي نحن بصددها



الصورة رقم ٨٥

قد ربطت مع بعضها بوساطة اشكال حيوانية مختلفة معروفة كعناصر زخرفية من العراق والجزيرة خلال عصر فجر السلالات (صورة ٨٦) .

الشواهد على رقي صناعة الاثاث كثيرة ، ولكنه من المؤسف حقا انه لم يعثر على قطع اثاث كاملة بل اجزاء من كراسي واسرة .. الخ . وقد لوحظ ان مساند الكراسي الملتقطة كانت على شكل حيوانات .

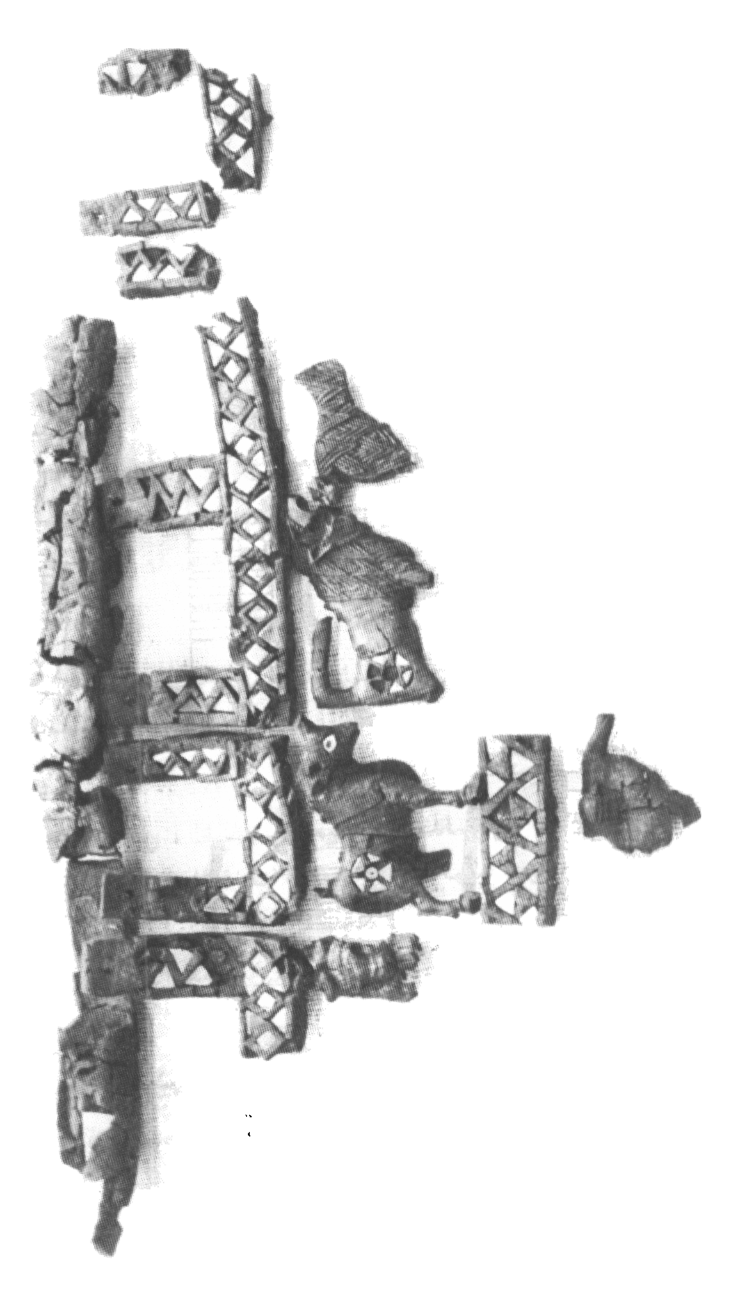
حرفة الحفر والتنزيـل :

يستدل من العناصر المكتشفة في القصر ، سواء كان منها الحجرية ، او الصدفية ، او اللازورد ، ان هذه الحرفة كانت محببة في ايبلا كما في العراق والجزيرة . وغالبا ما كانت القطعة الام من الحجر الكلسي ، او حجر الباتر ، وقد رصعت بقطع مختلفة من اللازورد فشكلت مشاهد معينة مثل مجلس شراب او تقديم قرابين .... الخ .

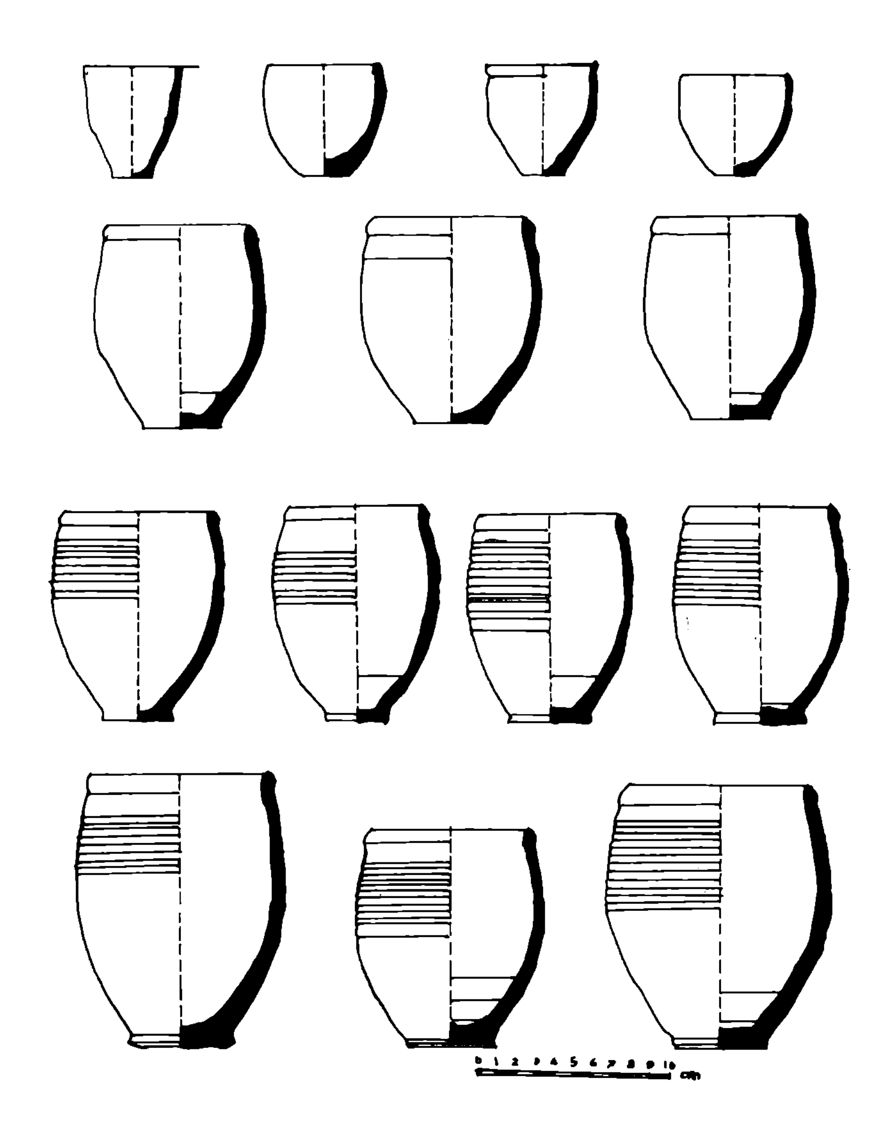
الفخـــار :

ثبت ان الفخار من القصـــر G موحد الشكل والنوع وقد امكن رصده بدقة ، وتحديد طبقاته والانواع المتوفرة منه .

ساد النوع المعروف باسم الفخار العاديفي عصر تل مرديخ $II\ B_1$ (٢٤٠٠ – ٢٢٥٠ ق.م) . وهو عبارة عن آنية رقيقة الجدران . مصنوعة على الدولاب ، حجمها صغير ، او متوســط . لونها ابيض ، اصفر ، او اخضر . الطين مخلوط بالرمل الناعم ومشوي جيدا، بحيث يصبح لبعض الآنية رنينا ، كالمعادن . من الاشكال المعروفة الفناجين او الاكواب ذات الشكل الاسطواني ، الذي تميل جدرانه نحو الداخل ، حتى تلتقي عند الكعب الاصغر قطرا من الفوهة . قد يكون الكعب مســطحا ومقعرا ، والوجه الخارجي مفضض اي متجعد في الجزء العلــوي من الكوب . اما الشفة فهي سميكة (صورة ٨٧) .



الصورة رقم ٨٦



الصورة رقم ٨٧

لقد عثر على نماذج قليلة من الآنية العادية الملونة بخطوط بنية ، سوداء أو زرقاء غامقة دائرية على الكتف والعنق (صورة ٨٨) . وتعتبر هذه الاواني النماذج الاولى التي تطورت عنها الاواني العادية الملونة في العصر التالي (مرديخ $II\ B_2$) .

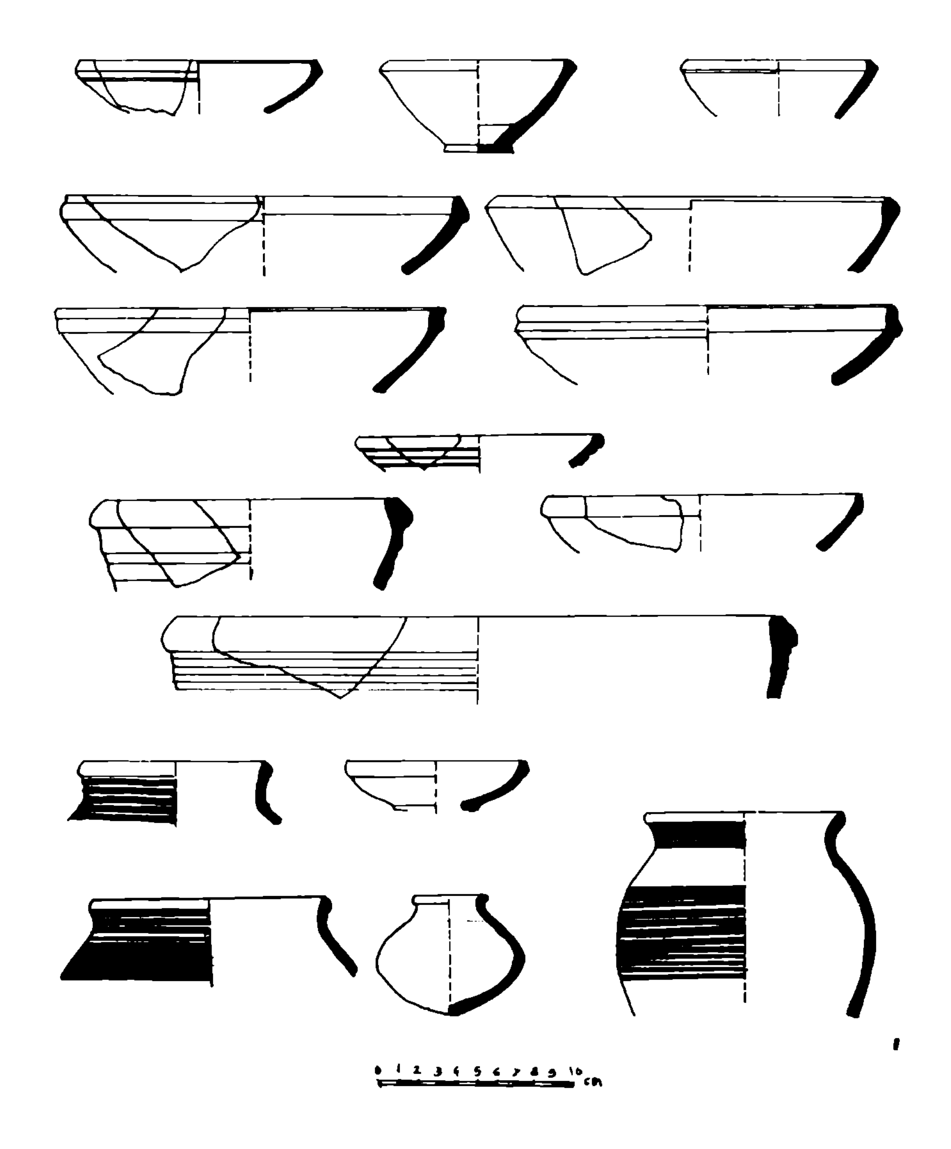
ويلاحظ وجود اواني عادية اخرى مثل القصعات والصحائف ذات اللون الاصفر أو البني خارجيا ، واللون الرمادي الاخضر داخليا . الكعب فيها مسطح ، والشفة مثنية نحو الداخل ، والجسم بيضوي . اما الالوان فهي صفراء فاتحة أو غامقة مع برتقالي فاتح او غامق . هذا بالاضافة الى القدور والدنان والجرار ... الخ (الصور ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١) .

لقد لاحظ المنقبون في تل مرديخ أن الاواني المكتشفة في القصر G هي الأواني التي استخدمت في القصر قبيل نهايته ، وهي معاصرة لفجر عصر العمق I والسويات الثلاث الاولى في الطبقة حماه J 8 - 6 والطبقة الثالثة في السلنكحية .

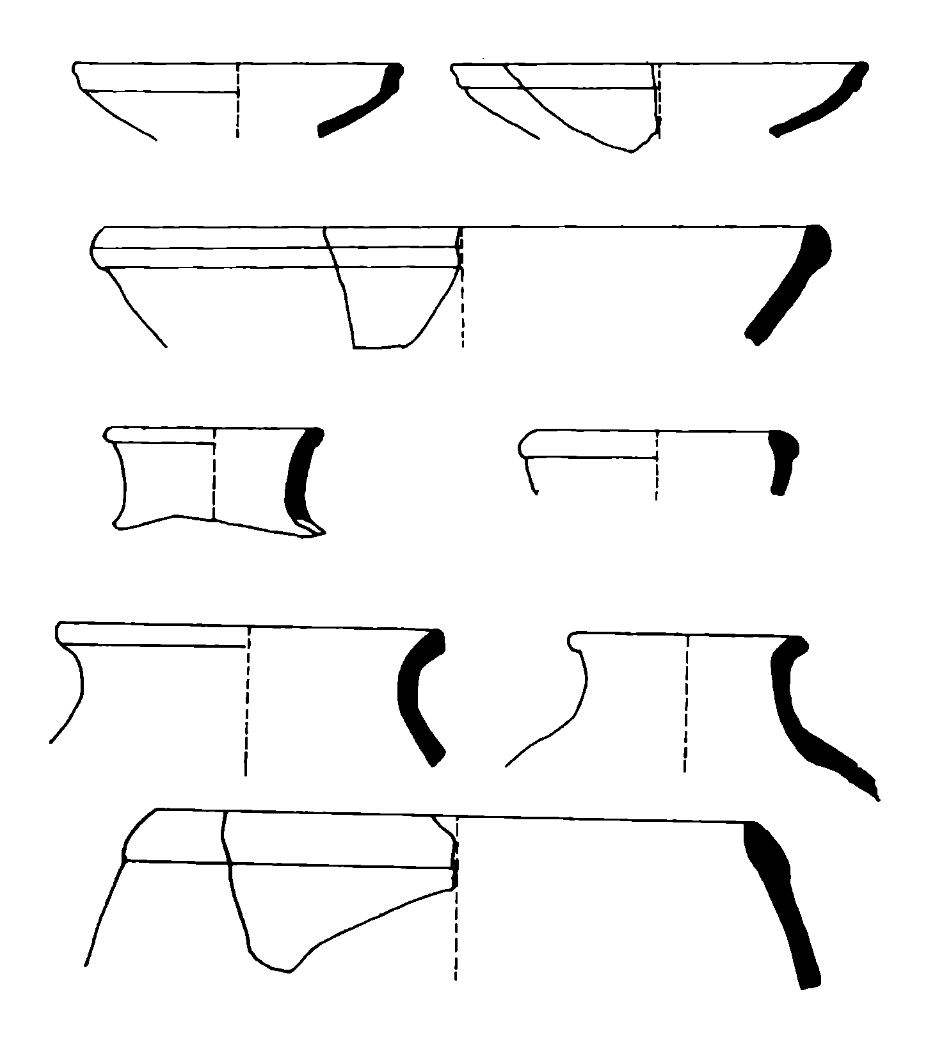
ومهما يكن الامر فان فخار تل مرديخ II B1 هو نفس فخار بلاد الشام الشمالية الداخلية ، وفيه بعض الآنية المشابهة لفخار المناطق الساحلية والجزيرة .

تحدثنا عن ممالك كيش وماري وايبلا ، ورأينا انها لم تحقق الوحدة السياسية فيما بينها ، ولم تحقق النفوذ السياسي على الممالك السومرية في لجش واوما واور التي اغفلنا ذكرها ، لانها لم تشارك بشكل مباشر في صنع حضارة بلاد الشام ، بل شاركت مع الاكديين في صنع حضارة بلاد النهرين .

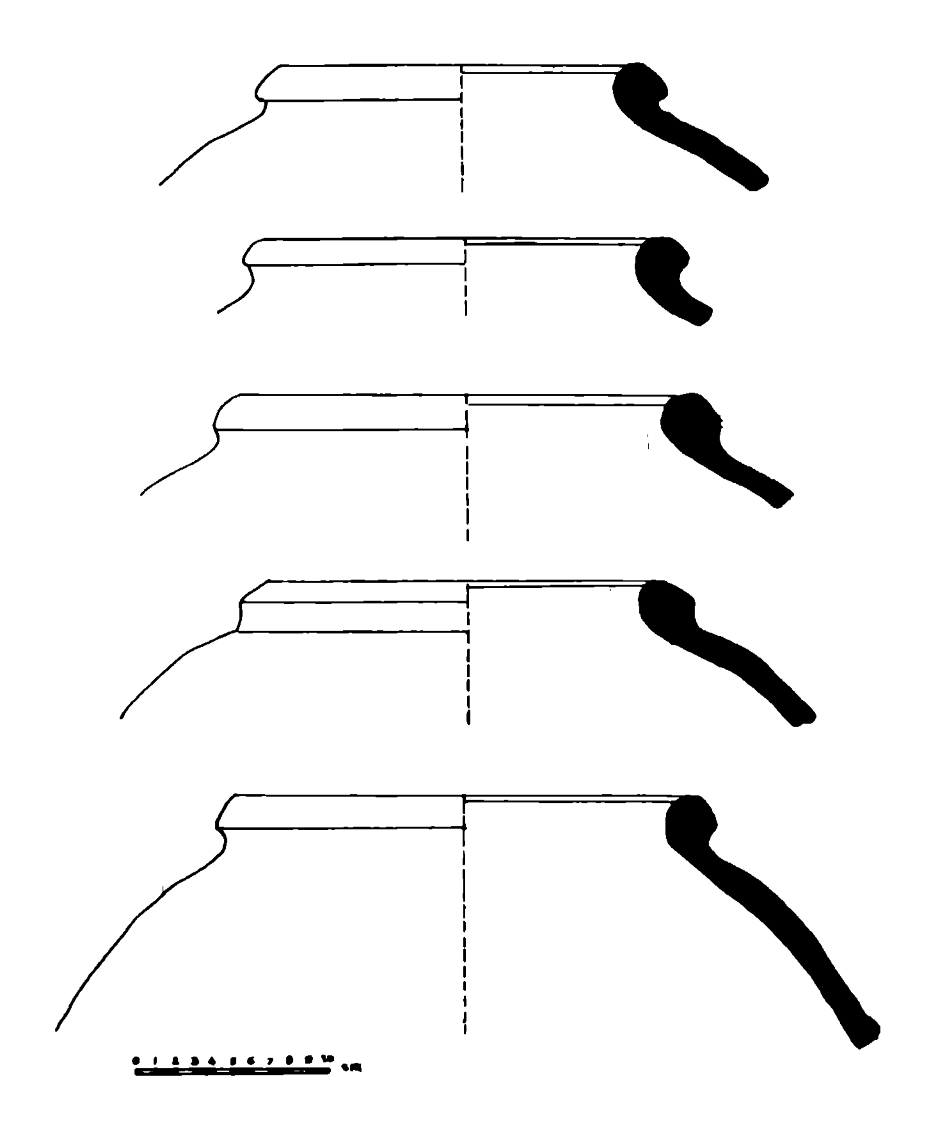
ومما قدمناه يتضح أن مملكتي ماري وايبلا لم تسيطرا على كافة ارجاء بلاد الشام ، بل سيطرتا على نصفها الشمالي تقريبا . وليس معنى ذلك أن المناطق الشمالية التي لم تخضع لنفوذهم كانت مهجورة ، بل كانت معمورة ، فيها المدن والضياع التي نعرف آثار بعضها من خلال التنقيبات الاثرية التي جرت فيها .



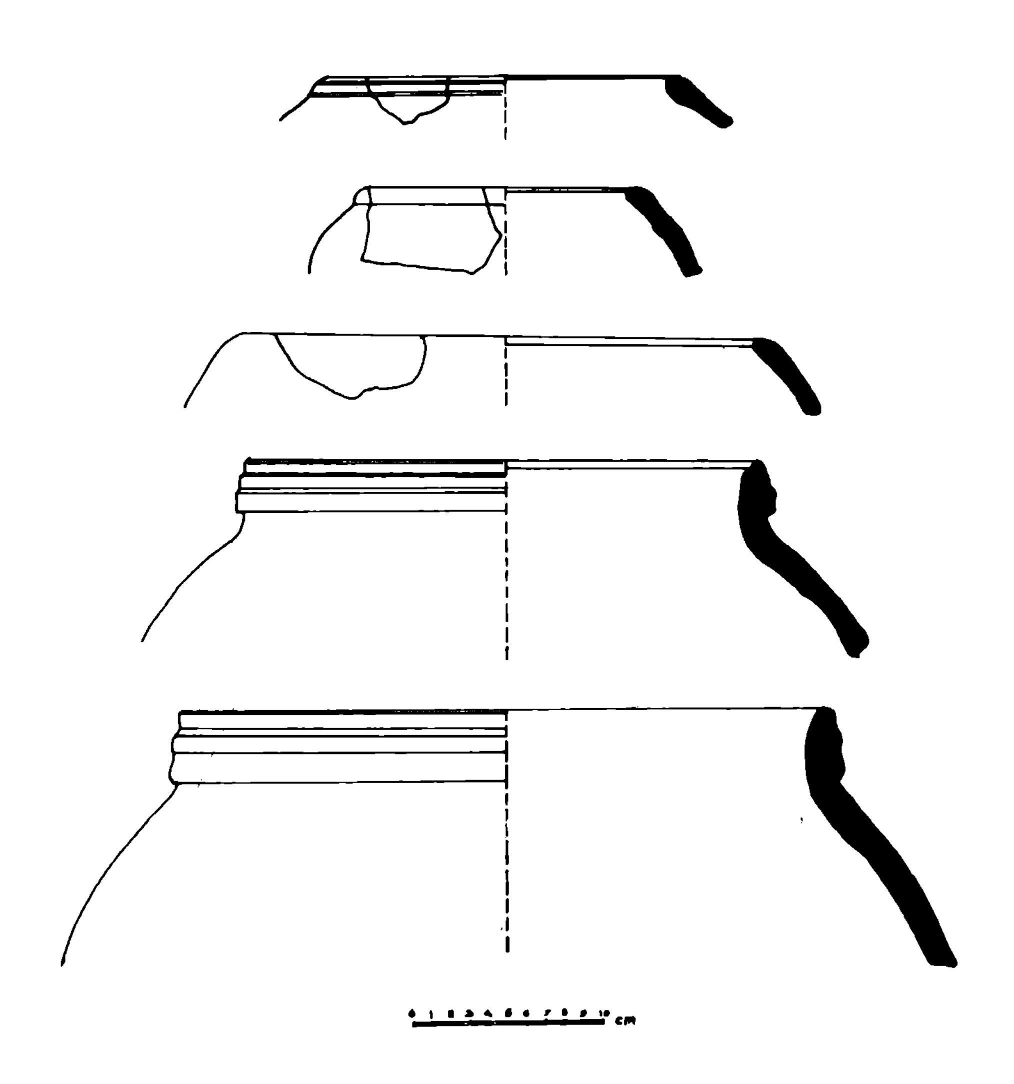
الصورة رقم ٨٨



الصورة رقم ٨٩



الصورة رقم ٩٠



الصورة رقم ٩١

وقبل الحديث عن آثارها ، لا بد من الاشارة الى اننا نسبنا العصر الحجري النحاسي الى موقعي حلف والعبيد ، وعصر فجر التاريخ الى موقعي الوركاء وجمدة نصر ، وعصر فجر السلالات الى مدن كيش وماري وايبلا . وهذا التقسيم متبع في بلاد النهرين ، ويقابله في بلاد الشام العصر الحجري النحاسي والعصر البرونزي القديم الاول حتى الثالث . وقد اشرت الى ان عصر جمدة نصر يطابق تقريبا العصر البرونزي القديم الاول ٣١٠٠ ــ ٢٩٠٠ ق.م ، بينما يطابق العصر البرونزي القديم الثاني والثالث ٢٩٠٠ ــ ٢٣٥٠ ق.م عصر فجر السلالات تقريبا .

وبعد ان عرضنا الى آثار ماري وايبلا ، الموقعين الاهم في بلاد الشام خلال الالف الثالث ق.م ، نأتي على ذكر الطبقات التي تنسب الى هذا العصر في مواقع أثرية اخرى هامة مثل :

١ ــ **سهل العمق** : الثلث الاخير من الطبقة (ز = G) حوالي ٣٣٠٠ــ٢٧٠٠ق.م وقد عرضنا لفخارها على الصفحة ١٨٥و١٨٨ .الطبقة (ح = H) حوالي ٢٧٠٠ ــ ٢٤٠٠ ق.م ، والربع الاول من الطبقة (ط = I) حوالي ٢٤٠٠ ــ ٢٢٠٠ ق.م .

٢ ــ **حماة** : الطبقة (ك = K) حوالي ٣٠٠٠ ــ ٢٥٠٠ ق.م .

٣ ــ **اجاريت** : الطبقات (١٣ ١ = III A1) حوالي ٣٠٠٠ ــ ٢٦٠٠ ق.م و (١٣ ٢ = III A2) حوالي ٢٦٠٠ ــ ٢٣٠٠ ق.م .

٤ ــ **جبوبة كبيرة** : الطبقات ١ ــ ٧ حوالي ٣١٠٠ ٢٣٥٠ ق.م

لقد اقتصرت على ذكر هذه المواقع من غير تفصيل ، لانها كانت مواقع عادية ، لم يكشف فيها على قصور ومعابد ومنحوتات تعود الى هذا العصر ، كالتي اكتشفت في ماري وايبلا . وتتيح الدراسات المنشورة حولها الفرصة لمن يرغب في الاستزادة .

يتميز عصر فجر السلالات ، أو عصر نشوء ممالك القبائل القديمة بقلة الوثائق التاريخية التي ترسم معالم التاريخ السياسي لممالك كيش ، ماري وايبلا . بيد ان الكتابات القليلة المنقوشة على الكودور (اي النصب الحجرية الصغيرة) ، والرقم التي اكتشفت في منطقة كيش تسمح لنا بالتمييز بين الخط السومري والخط الاكدي ، وتعرفنا بأسماء بعض الملوك . وكما ذكرنا سابقا ، فقد وثق السومريون والبابليون هذه الحقبة في ثبت ملوك المدن الذي جاء فيه أن ملوك كيش الاكديين قد حكموا البلاد مدة طويلة بعد الطوفان . بلغ عدد ملوك سلالة كيش الاولى ٢٣ ملكا حكموا (٢٤٥١٠ سنوات) . وهي مدة غير معقولة . كان ميبرا جيسي الملك الثاني والعشرين ، وولده آكا الثالث والعشرين وقد ذكرت القصائد السومرية انهما حاربا جلجامش ملك أوروك . وعلى هذا الاساس نظن انهما حكما من ٢٧٠٠ ــ ٢٦٥٠ ق.م . بعد السلالة الاولى جاءت السلالة الثانية ، وعدد ملوكها ثمانية حكموا جميعا (٣١٩٥) سنة . منهم زقاقيب (عقرب) ، ساموك (سمك) ، وكالب (كلب) الذي حارب العيلاميين وطردهم من البلاد(٩) . وقد حكموا تقريبا من ٢٦٥٠ ــ ٢٦٠٠ ق.م ولم تكتشف آثارهم بعد . ومن ملوك كيش الاقوياء ، الذي ترك بعض الكتابات والآثار الاخرى ، ولم يذكره ثبت الملوك ، الملك ميسلِم ، الذي بدأ حكمه عام ٢٦٠٠ ق.م فحاول توحيد بلاد النهرين وضم الممالك السومرية لمملكته . ويبدو أن مملكة كيش ، ولعوامل نجهلها ، قد ضعفت بعد حكم هذا الملك ، حتى برز منها سرجون (شروكين) ، وأسس المملكة الاكادية كما سنرى .

عاصر الماريون (نسبة الى ماري) الكيشيين . وأسسوا مملكة ماري. ووفق ما ذكر في ثبت ملوك المدن المشار اليه أعلاه ، حكمت السلالة العاشرة بعد الطوفان في ماري ، وكان عدد ملوكها ستة أولهم آنسود (آنسر) الذي تربع على العرش ٣٠ عاما . أما الخمسة الباقون فقد قضوا في الحكم ١٠٦ أعوام . ولم تكشف التنقيبات الاثرية على آثارهم(١٠) . بل كشفت على تمثال للملك لمجي ــ ماري ، وآخر للملك إتور ــ شاما كان ، اللذين

لم يذكرا في الثبت . وقد نقش على ظهر تمثال المغنية أور نانشي اسم الملك ايبلول ايل الذي لم يذكره الثبت بل ذكرته رسالة اينا ــ دجن حاكم ماري الى ملك ايبلا . ويتضح من الرسالة اياها أن الملكين سوم واشتوب ــ شار قد حكما قبل ايبلول ايل وان اينا ــ دجن قد حكم بعده . ومن المرجح ان هؤلاء الملوك الاربعة من سلالة واحدة حكموا ماري من ٢٦٠٠٠ ــ ٢٥٠٠٠ ق.م وبما أننا نؤرخ تمثالي الملكين إتورشاما كان ولمجي ماري في الحقبة من ٢٥٥٠٠ ــ ٢٣٥٠٠ ق.م ، فاننا نرتبهما بعد أولئك الاربعة ، ونرتب ملوك السلالة العاشرة الستة قبل الاربعة .

والواقع أن التنقيبات الاثرية في ماري لا تزال جارية ، وقد كشفت البعثة المنقبة على رقم من هذا العصر لم تنشر بعد . وأن نشرت قد تصحح ما ذكرناه اعلاه ، أو تؤكده . ومهما يكن الامر فان ماري قد فقدت استقلالها السياسي حينما نشات المملكة الاكدية عام ٢٣٥٠ ق.م .

نتمنى لو أن تلك الالوف من الرقم ، التي اكتشفت في دار محفوظات ايبلا ، تخبرنا بالاحداث السياسية التي شهدتها المملكة . فشأنها بذلك شأن وثائق ماري وكيش لا تساعدنا في تصنيف أسماء ملوكها وترتيبهم ، وفق تسلسل زمني مقبول . ومع ذلك نجد فيها اشارات هنا واخرى هناك تسمح لنا في ترتيبهم على النحو التالي : يجرش ــ خلام ، يركب دامو ، ار ــ أنوم ، ابريوم و ابي ــ ذكير ومن المرجح انهم حكموا في الفترة مــن ٢٤٠٠٠ ــ ٢٢٥٠ ق.م .

ومن الجلي الواضح أن العلاقات بين كيش وابو صلابيخ في الجنوب ، ماري وايبلا في الشمال كانت وطيدة تبرهن عليها بعض العبارات الواردة في نصوص ايبلا مثل :« عندما ياتي الكتاب الشباب من ماري »أو« يسمعني الكاتب من كيش » . ويرى باتيناتو في هذا الاخير استاذ رياضيات قدم من كيش الى ايبلا ليعلم ابناءها . وكثيرا ما يرد في وثائق ابو صلابيخ ذكر لكتاب أكديين(١١) .

ومما لا شك فيه أن علاقات ماري وايبلا كانت متينة قوية حتى ان احد حكامها إنا ـ دجن كتب رسالة الى ملك ايبلا الذي لم يذكره بالاسم ، يخبره فيها بالفتوحات التي قام بها اسلافه في المنطقة . ولعل في هذه الرسالة تذكير لايبلا بقوة ماري ، أو تذكيرها بأن المدن المذكورة في الرسالة هي في الاصل من املاك ماري(١٢) ؟

في الواقع كانت ايبلا دولة قوية تدافع عن نفسها وعن جاراتها فقد عثر في دار المحفوظات على نص معاهدة دفاعية صلحية بين ايبلا وابرسال التي نجهل موقعها ولعلها في منطقة الجزيرة . كما عثر على رسالة موجهة من يركب دامو الى ملك حمازي الواقعة في المنطقة الجبلية شرقي الدجلة ، وكلها تشير الى الاتصالات الايبلوية الوثيقة مع الدول الاخرى .

والواقع أن ممالك ايبلا وماري وكيش قد فقدت استقلالها ، وخضعت لاسرة شروكين (سرجون) الاكادية كما سنرى .



الفصل الرابع

الأكديون

٢٣٥٠ — ٢١٥٠ق.م

نسبة الى عاصمتهم مدينة (آكد) التي نجهل موقعها ، ولعلها في وسط العراق بالقرب من بابل وسبار ، بجوار مدينة المحمودية الحالية اتخذها شروكين (سرجون ٢٣٤٠ — ٢٢٨٤ ق.م) مؤسس الدولة عاصمة له ، بعد ان ظهر في مدينة كيش ، كقائد بارع . قضى على الممالك السومرية ، ووحد بلاد النهرين ، ثم فتح الاقطار المجاورة ومنها بلاد الشام الشمالية . (١٣)

وبعد وفاة سرجون ، خلفه والداه ريموش (٢٢٨٤ — ٢٢٧٥) مانيشتوزو (٢٢٧٥ ٢٢٦٠) ، اللذين حاولا جاهدين قمع الثورات العديدة التي نشبت في ارجاء المملكة للتخلص من حكم الاكاديين . ولما اعتلى العرش نارام — سن (٢٢٦٠ — ٢٢٢٣) حفيد سرجون ، فتح البلاد التي عصت حكمهم ، واستولى على بلدان جديدة واليه ينسب تدمير ايبلا . ولم يستطع ابنه (شار — كلى — شاري ملك كل الملوك) ٢٢٢٣ — ٢١٩٨ حماية المملكة من التمزق والسيطرة على الحركات الانفصالية ، فتململ السومريون في الداخل ، وتوغل الكوتيون سكان الجبال الشرقية ، في بلاد النهرين . وبعد وفاته حكم ستة ملوك ضعفاء (٢١٩٨ — ٢١٥٠) ، سقطت البلاد في عهدهم بايدي الكوتيين واستقل بعض الحكام السومريين في الجنوب .

اشتهر سرجون وحفيده نارام سن بفتوحاتهم ، وخاصة في بلاد الشام . وقد دون كتاب الدولة الاكدية اخبار فتوحاتها ، ثم نقلها عنهم مؤرخون بابليون وآشوريون وكان للدولة الأكدية آثارها في التاريخ الحضاري لبلاد النهرين نستعرضها فيما يلي :

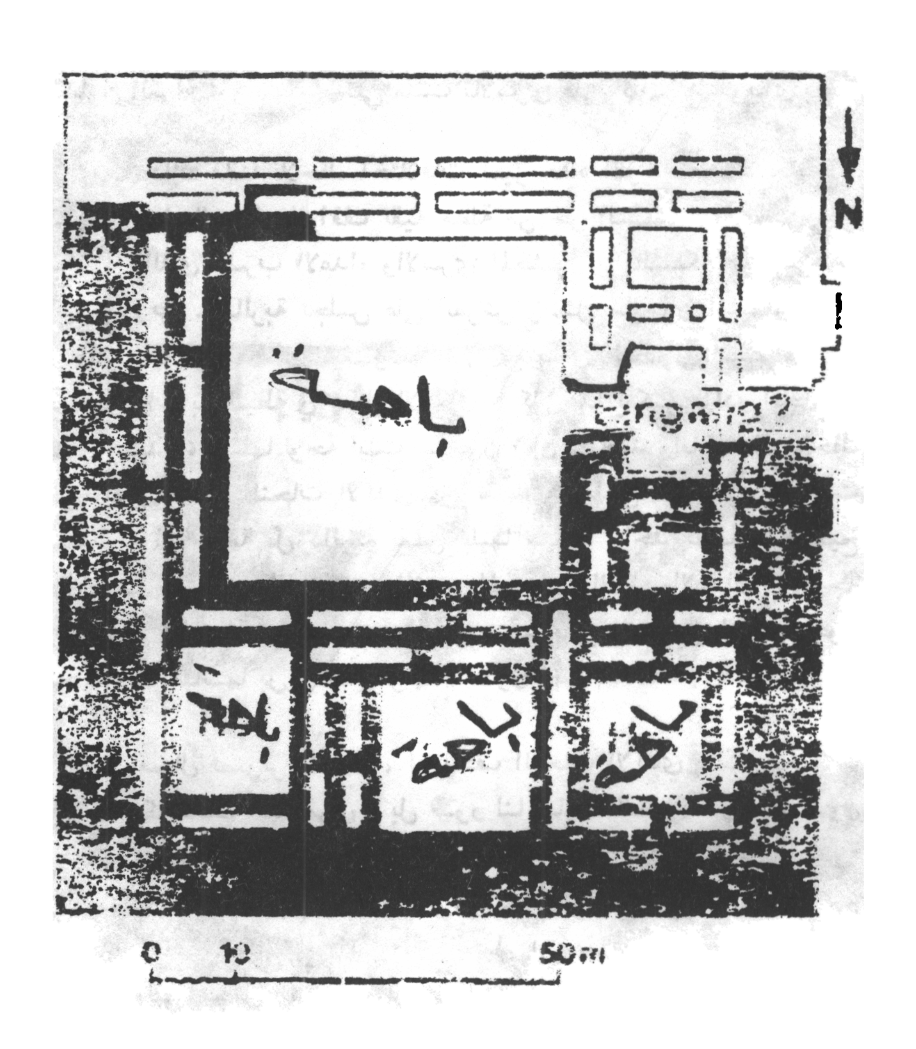
العمارة :

الاوابد المعمارية الاكدية المكتشفة قليلة ، لان عاصمة الدولة غير معروفة . وقد اكتشف في تل اسمر (مدينة اشنونة القديمة) وفي مدينة آشور بالعراق قصران من هذا العصر . وفي سورية ينسب القصر المكتشف بتل براك الى نارام سن الاكادي ، الذي شيده فوق معبد الالف عين . القصر مربع الشكل ، طول ضلعه ١٠٠م . تبلغ سماكة جداره الخارجي ١٠ م وسماكة جدرانه الداخلية ٣ر٢م ، اما جدران الباحة المركزية فتبلغ سماكتها ٣ر٣م . القصر متهدم ، وقد امكن التعرف على مخططه . يضم بالاضافة الى المدخل وحجرات الادارة ، اربع باحات كبيرة تحيط بها المستودعات المتطاولة ، الباحة الكبرى (٤١x٤٠م) مخصصة للاستقبالات واقامة التجار وفي المستودعات وجدت بقايا الحنطة المتفحمة . وليس في القصر جناح مخصص للسكن ، لذا نظن انه كان ثكنة عسكرية ومخزن حبوب او تموين لقوات الاكديين (مخطط ٢٤) .

تمتاز قصور هذا العصر بتعدد الباحات ، وسماكة الجدران . وهي رمز قوة الدولة وعظمتها ، ومسكن الملك ومقر ادارته . فيها يستقبل المبعوثين والتابعين والمغلوبين والهدايا ... الخ .

النحت :

اذا كانت الاوابد المعمارية من الدور الاكدي قليلة ، فان مخلفات فن النحت التي وصلت الينا قليلة هي ايضا . واذا ما نظرنا الى مسلة

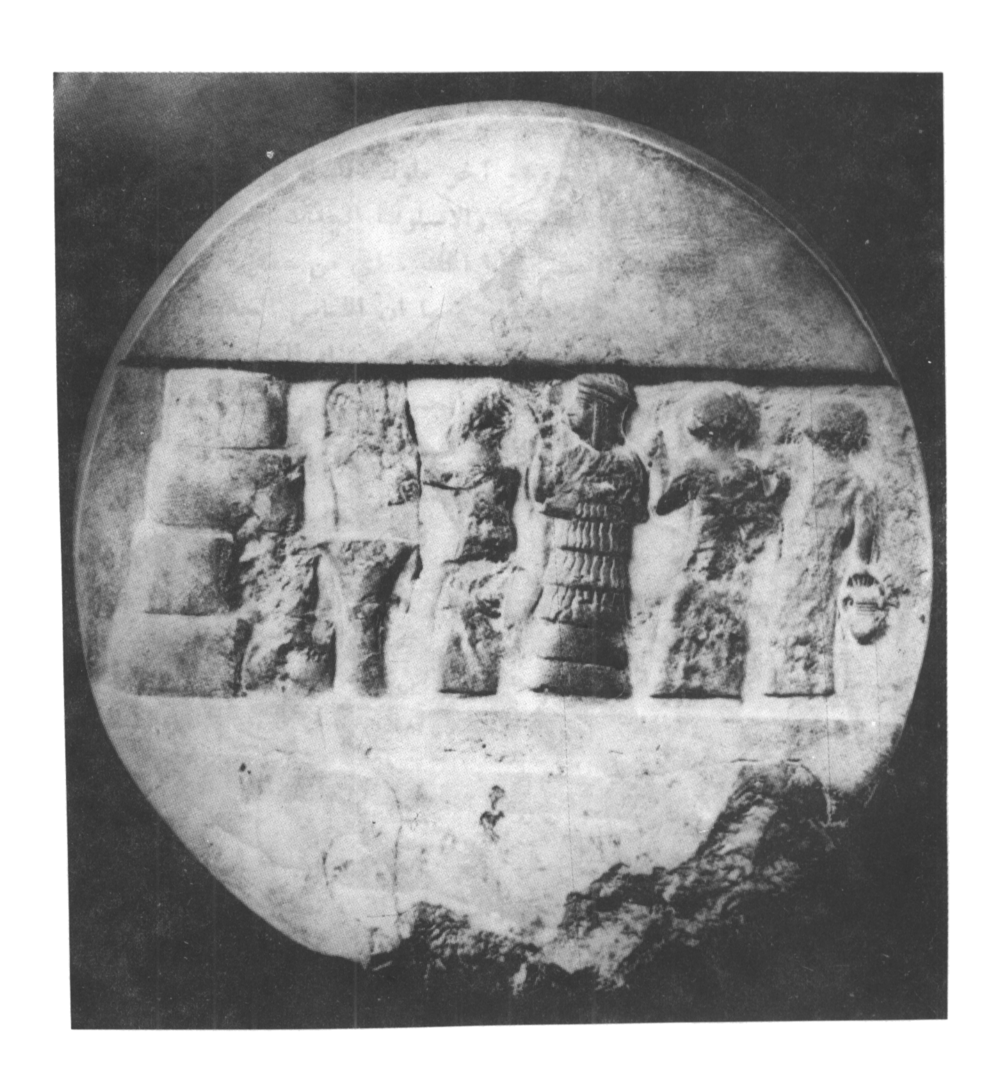


مخطط رقم ٢٤

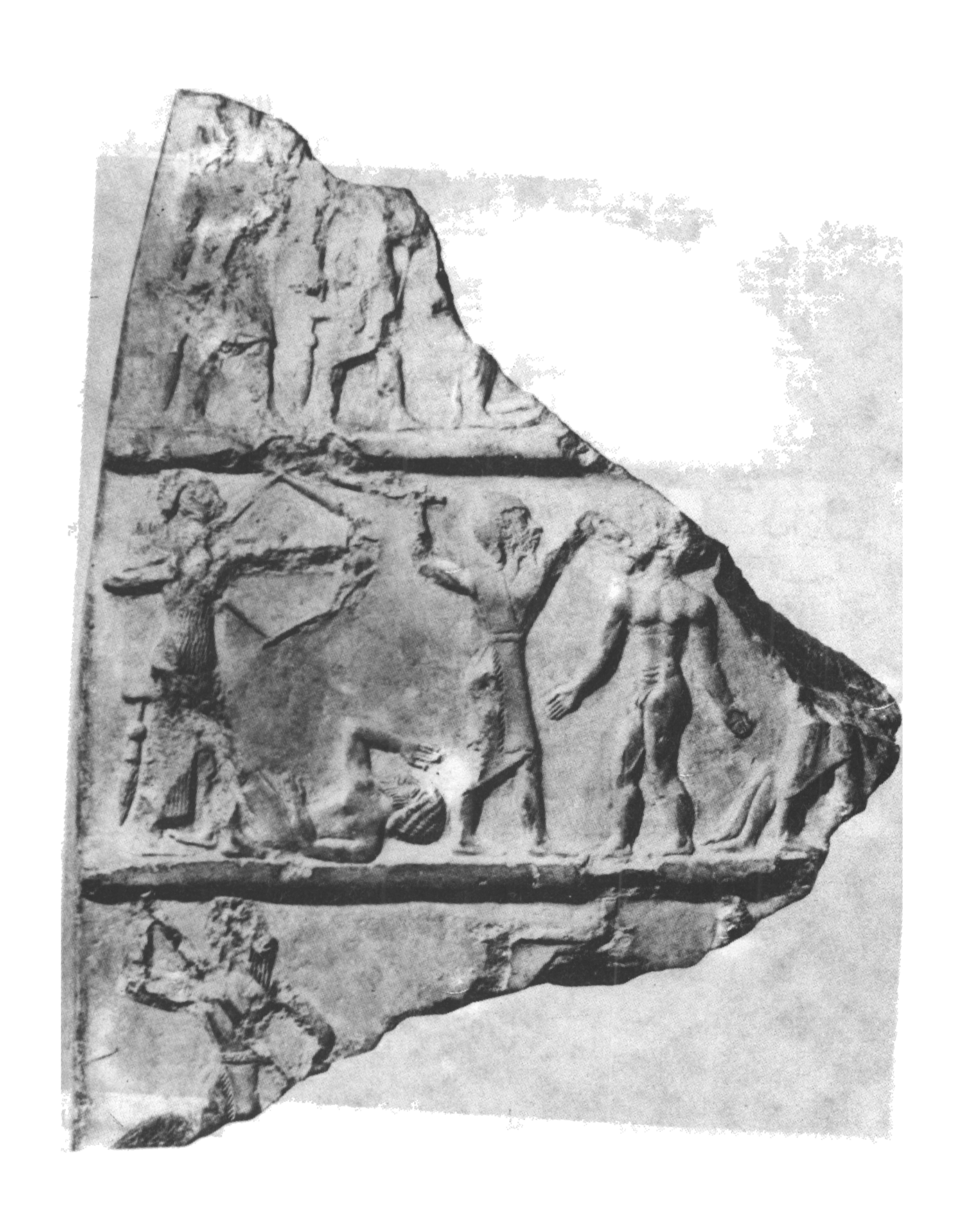
الملك شروكين (سرجون) التي نقلت الى سوزا (سوسه) فتحطمت ولم يبق منها سوى أجزاء نجد انها مماثلة لمسلة العقاب الخاصة بالملك انانا تم لكش ، ويدل ترتيب المشاهد وقيادة الملك لجنوده والاسرى المكبلون العراة ، والشبكة التي ملئت بالاسرى على التاثير السومري .

ومع ذلك فاننا نلاحظ اختلافات تميز هذه اللوحة عن سابقاتها . فسرجون الجالس أو الواقف تقيه مظلة من حر الشمس، أو تميزه عن غيره . والذي يضرب الاعداء والاسرى المحشورين بالشبكة هو سرجون وليس الرب . فالربة تجلس على العرش ويمثل سرجون المشهد امامها ان الثياب المعذقة التي تعودنا على رؤيتها في العصور السابقة هي مع تحويرات بسيطة في شكل الاعذاق . كل هذا يعكس بوادر اتجاهات فنية جديدة ، تمثلها لوحة ابنت سرجون (إن ــ خيد وانا) ، اذ نلاحظ على الفور ابتعاد النحات الاكدي عن تقليد ما سبق . فاللوحة ليست مستطيلة او مربعة بل دائرية نقش عليها مشهد واحد فقط . صحيح ان إن ــ خيد ــ وانا ترتدي الثوب المعذق ، الا ان الاعذاق متدرجة والخطوط الفاصلة بينهما متموجة ومستقيمة . ولم تميز ابنة سرجون عن خدمها بلباسها بل ايضا بطولها (صورة ٩٢) .

وفي مجال تصوير المعارك ، لم يكتف النحات الاكدي برسم تحركات العساكر كالنحات السومري ، بل صور لنا تعارك المقاتلين ، وهم يرتدون لباسا مناسبا يتالف من مئزر وصدرية احيانا ، وقد عبر عن القسوة والوحشية اصدق تعبير بمنظر الاسرى المكبلين والسلم في رقابهم اي انهم مربوطون بالسلم كالنعاج المربوطة بالحبل (صورة ٩٣) وبخلاف هذه الاعمال التي تحمل اثر فن النحت السومري ، فان التمثالين اللذين يعودان الى عصر (مانيشتوزو) قد قطعا اية صلة بالماضي وصنعا باسلوب فني جديد . اذ لاول مرة في تاريخ المنطقة ينحت تمثال لحاكم بالحجم او الطول الطبيعي بعد ان كانت التماثيل قصيرة جدا . لقد تغير اللباس ايضا فاستبدل المئزر المعذق الذي انتشر استعماله مدة طويلة من الزمن ، بمئزر طويل فضفاض محاك ، زينت اهدابه او اطرافه



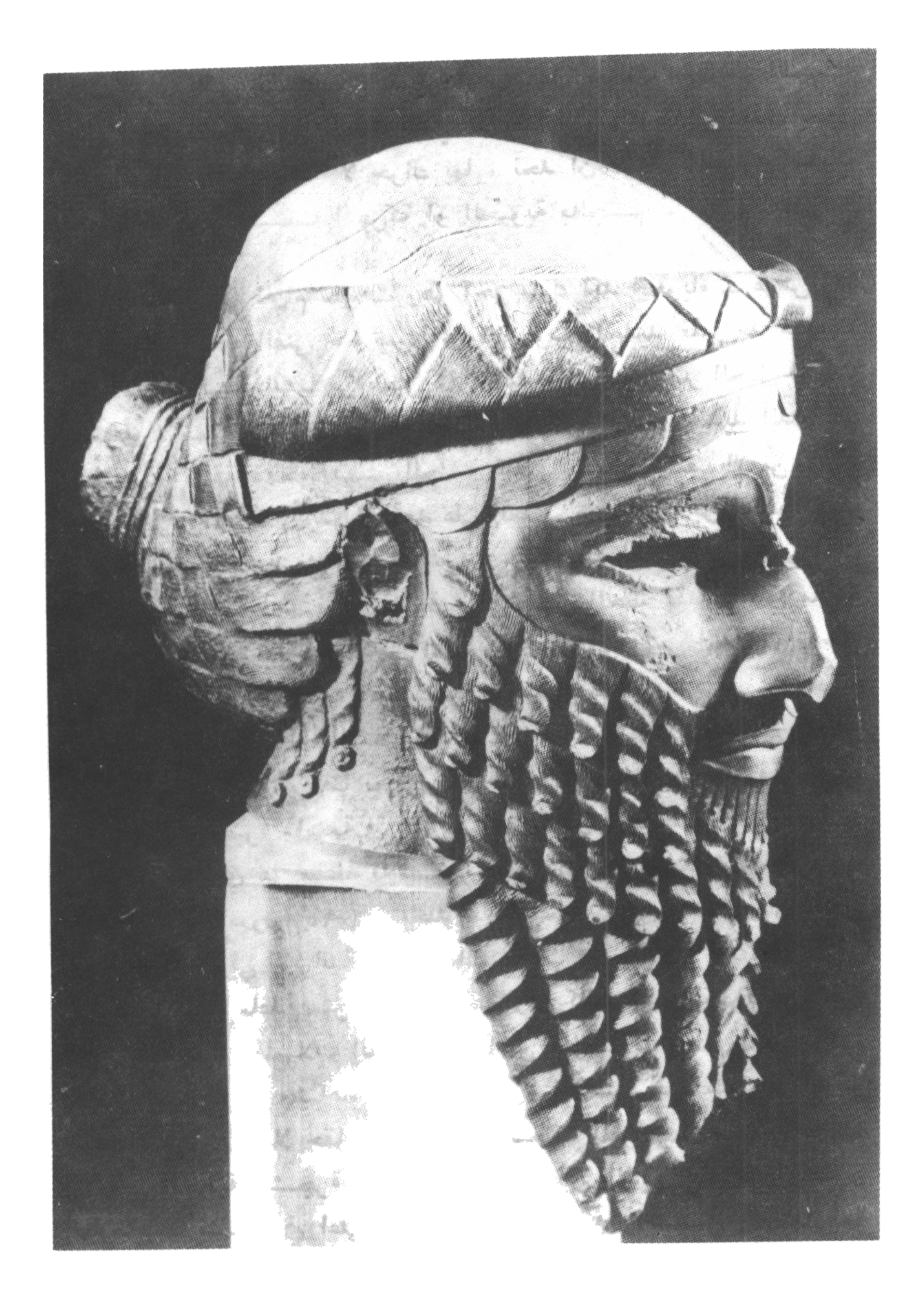
الصورة رقم ٩٢



الصورة رقم ٩٣

بالشراريب التي نتجت عن ضفر أو جـدل نهايات خطوط اللحمـة والسدى ببعضها . وفي الوقت الذي كان فيه الثوب الجلدي المعلق يحول الجسم الى كتلة جامدة لا حراك بها ، نجد ان الثوب المنسوج خفيف يسقط متموجا فيبعث الحركة او الحيوية بالجسم .

عندما اعتلى نارام سن ـ وهو آخر ملوك اكد الاقوياء ـ عرش اكد كان هذا الاتجاه الفني قد تبلور ، والاسلوب الجديد قد اخذ مداه . والواقع انه ليس لدينا من عصر هذا الملك ، اي من عصر الجيل الثالث الاكدي ، سوى كسر منحوتات يظهر منها ان اللباس الجديد الذي هو عبارة عن قطعة قماش تستر الجسم كله باستثناء الكتف الايمن ، قد اصبح الزي المعتاد . وهو لا يشد على الجسم من وسطه بل تحت الكتف الايمن . وفي لوحة عثر عليها بالقرب من مدينة ديار بكر يرتدي الملك نارام سن الثوب الفضفاض المعلق . ولحسن الحظ فقد عثر في مدينة نينوي على راس برونزي كامل (صورة ٩٤) هو راس الملك نارام سن بأنفه الطويل ، وحاجبيه المقوسيين ، وشـفتيه العريضتين ، ولحيته الطويلة المجدولة . اما الشعر فقد ضفر على شكل شبكة لينتهي خلف الراس بعقدة . ومع اننا نعتبر هذا الراس من الاعمال الفنية الخالدة التي تنم عن خبرة واسعة في فن تصنيع المعادن ، فاننا نقول بان اعظـم عمل فني اكدي هو مسلة نارام سن المصنوعة من حجر رملي ضـارب الى الحمرة (صورة ٩٥) . تخلد هذه المسلة ذكرى انتصار نارام سن على قبيلة لولوبي الايرانية . شكل اللوحة مثلثي تقريبا ، ارتفاعها متران وعرضها عند القاعدة متر واحد . وهي وان كانت تصور معركة جبلية ، فهي تختلف عن المسلات التي عرفناها من قبل . لم يقسم سطحها الى حقول صورت بها مشاهد معينة ، بل وزع الجنود على سطحها كما لو كانوا يتسلقون جبلا حقا . لقد صور النحات المعركة بارضها ورجالها. الارض الجبلية مشجرة يدافع عنها اللولوبين الذين يطعنهم الاكديون بالرماح . نشاهد في اعلى اللوحة صور النجوم والشمس وتحتها قمة جبل يقف امامها نارام سن وهو يرتدي الخوذة ذات القرون رمـز ربوبيته وامامه عدو يصرعه وآخر يناشده العفو .



الصورة رقم ٩٤



الصورة رقم ٩٥

هذا فيما يتعلق بفن النحت ، اما فيما يتعلق بالفنون الجميلة ، او الفنون التشكيلية التي تمثلها مهنة الحفر على الاختام الاسطوانية فانها قد ازدهرت ايضا ومرت بمراحل ثلاث هي :

١ ـ عصر الجيل الاول اي عصر سرجون وابنته ان خيد ـ وانا وفيه صور الحرفيون مواضيع من العصر السابق على الختم .

٢ ـ عصر الجيل الثاني اي عصر الملكين ريموش ومانيشتوزو حيث زال تاثير الفن السومري وظهرت مواضيع جديدة .

٣ ـ عصر الجيل الثالث عصر نارام سن الذي يعتبر بحق العصر الذهبي الاكدي . اما اهم المواضيع فهي :

١ ـ **مشاهد عراك الحيوانات** : منها اسد يهاجم حيوانا اليفا او الانسان الثور . وقد يرتدي قبعة على شكل قارب او صدارة ومئزرا قصيرا . غالبا ما يتالف المشهد من اربعة او ستة كائنات يتشابك كل اثنان مع بعضهما بالايدي التي ثنيت على شكل زاوية . وكثيرا ما نشاهد اسدين واثبين متصالبين يهاجم كل واحد عنزا او حيوانا اليفا (صورة ٩٦ ، أ ، ب)

٢ ـ **مجالس الشراب** : وفيها نرى شخصين جالسين متقابلين بينهما الخدم يقدمون لهما الكؤوس . وقد يمتصان الشراب من الدنان بوساطة انابيب . ويرافق هذا المشهد مشاهد جانبية مثل العزف على الات موسيقية او صور حيوانات باوضاع مختلفة . ويعكس هذا الموضوع تعلق الفنانين به منذ عصر فجر السلالات وحتى العصر الاكدي (صورة ٩٦ ، جـ ، د) .

٣ ـ **المثول امام الالهة** : يعالج الموضوع كيفية مثول متعبد في حضرة رب أو ربة جالسا أو واقفا وقد يقدم المتعبد حيوانا للرب ، أو يسكب

امامه الماء او سائلا آخر . وقد يصحب المتعبد شخص ، أو أكثر ، يقدمه الى الرب او الربة وسيط قد يكون ربا صغيرا أو كاهنا (صورة ٩٦ ، هـ ، و) .

٤ ـ **تمثيل الالهة** : حظيت الالهة باهتمام الحرفيين . فقد صورت على الاختام مع رموزها الخاصة بها ، وباشكال متعددة . ومن الارباب الذين مثلوا : الرب شمش ، الذي مثل وهو جالس على العرش ، او في قارب يبحر به (صورة ٩٦ ، ز ، ح)

الرب ايا : اله الماء جالس على العرش تحيط به نافورة الماء الذي يسبح به السمك . وقد يتقدم منه المتعبدون والارباب الاخرين مثل الرب شمش (صورة ٩٦ ط ، ى) .

هذا بالاضافة الى الربة عشتار ، والرب الحنش ، ورب الجو ، ورب الخصوبة ، ومن المشاهد المميزة لهذا العصر عراك الارباب الذين مثلوا وهم يتصارعون (صورة ٩٦ ، ك ، ل) .

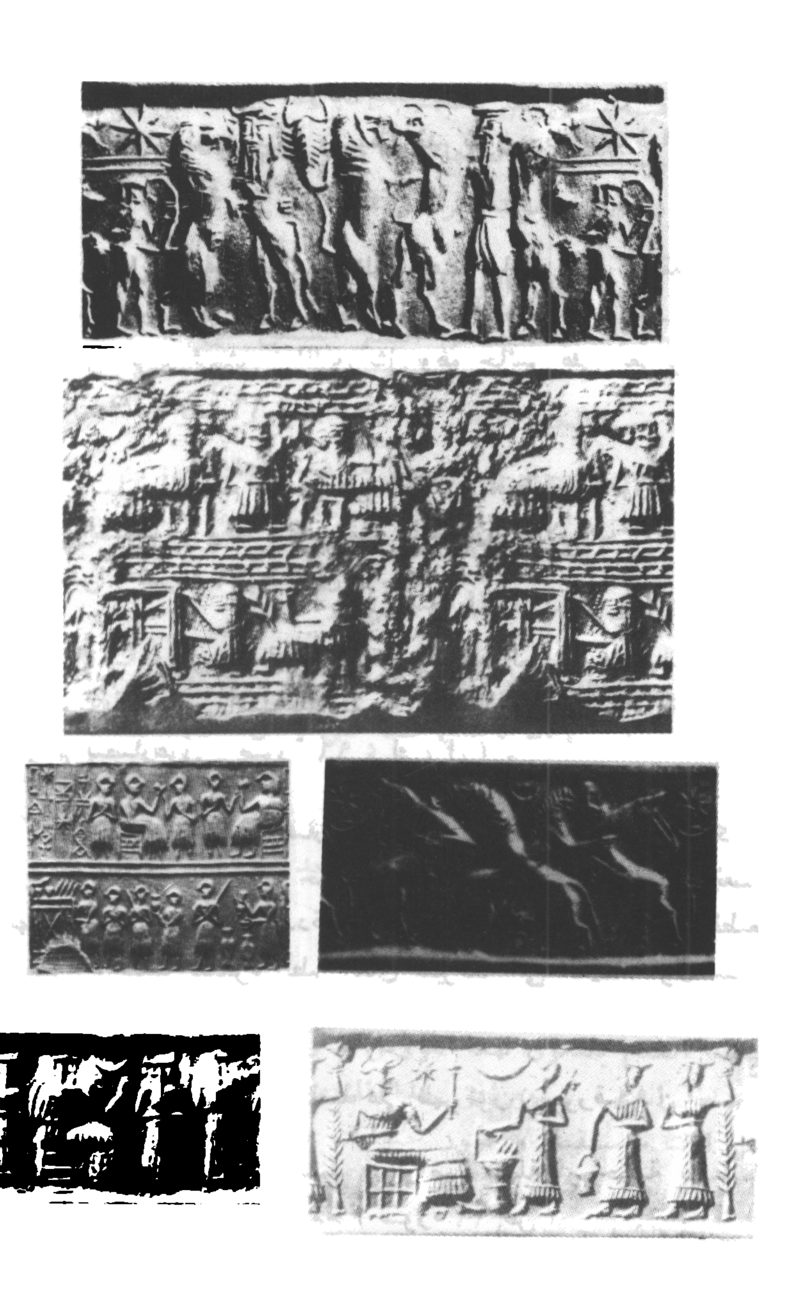
٥ ـ **الاساطير** : ابدع الفنان الاكدي تصوير الاساطير ، أو الحكايات التي رواها الادباء . فصور حكاية ايتانا على بعض الاختام ، ونقل احداثها من خلال مشاهد محددة . اذ نراه مثلا يقف مودعا وتاركا قطيعه في الحظيرة ، بينما ينتظره الطير الذي سيرفعه الى السماء فوق سياج الحظيرة (صورة ٩٦ م) .

٦ ـ **المعبد المجنح** : مثل المعبد على ظهر ثور (صورة ٩٦ ن) .

٧ ـ **الصيد** : مشاهد صيد في أراضي سهلة أو جبلية يصطاد الانسان الحيوان بالسهم او بالرمح (صورة ٩٦ ص) .

٨ ـ **الحراثة** : محراث يجره أسد أو ثور (صورة ٩٦ ع) .

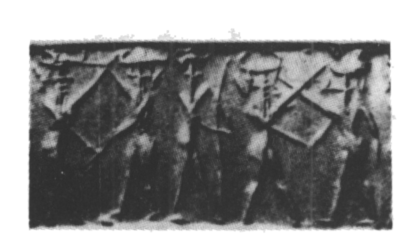
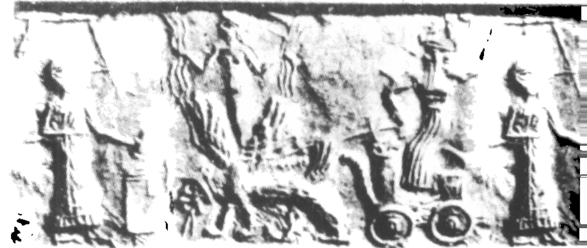
وفي ختام هذا الفصل ، وحتى لا تفوتنا بعض التفصيلات ، نشير

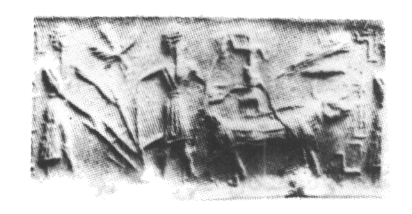


الصورة رقم ٩٦






الى الطبقات التي تعود كلا او جزءا الى هذا العصر في المواقع الاثرية التالية :

١ ـ تل مرديخ (ايبلا) ، الطبقة II B1 ٢٣٥٠ ـ ٢٢٥٠ تقريبا و II B2 ٢٢٥٠ ـ ٢٠٠٠ تقريبا .

٢ ـ تل عطشانة (والالاخ) ، الطبقة الحادية عشر ٢٣٥٠ ـ ٢٢٠٠ تقريبـا .

٣ ـ اجاريت ، الطبقة III A3 ٢٣٠٠ ـ ٢٢٠٠ تقريبا .

٤ ـ حماة ، الطبقة I ٢٤٠٠ ـ ٢٠٠٠ تقريبا .

تمثل هذه النماذج حضارة العصر البرونزي المبكـر الرابـع (٢٣٥٠ ـ ٢١٠٠ تقريبا) في بلاد الشام . وهي مطابقة تقريبا للعصر الاكدي في بلاد النهرين . واقتصرنا عليها لانها تمثل مخلفات حضارة هذا العصر وذكرناها دون تفصيل ، لانها لا تحوى اثارا كالتي ذكرناها ، ولاننا لا نرغب الاحاطة بكل شيء وجمعه في هذا الكتاب .



الفصل الخامس

العصر السومري - الأكدي الجديد
في بلاد النهرين
٢١٥٠ - ١٩٠٠ ق.م

٢ ـ سلالة آور الثالثة :

اسس الاكديون أول مملكة واسعة في المنطقة ، واخضعوا الممالك الصغيرة والكبيرة لسيطرتهم ، ولما كان تأسيس هذه الدولة قد اعتمد على القوة العسكرية ، فقد ضعفت سلطتها عندما فترت همة خلفاء نارام سن ، وسرى الانحلال الى جسم الدولة فاندفعت القبائل الكوتية من جبال ايران نحو اكد ، تدمر المدن والقرى .وتسيطر على المناطق الشمالية من بلاد سومر واكد ، لمدة قرن من الزمن تقريبا . وبما ان الجنوب السومري بقي بعيدا عن النفوذ والسيطرة ، امكنه التململ ، وبعث النهضة السومرية الاكدية من جديد . بمساعدة الكنعانيين الاموريين الذين تغلغلوا في البلاد واسسوا الممالك التي سيطرت فيما بعد على كل بلاد النهرين . (١٤) ويتضح من المكتشفات الاثرية التي تمت حتى الان ، ان الكوتين لم يتركوا اثارا معمارية ولا منحوتات ، ولم ينسب اليهم اي عمل فني مؤكد حتى الان . فهم قد سيطروا على البلاد بقوة السلاح ، ولم تكن لهم حضارة ، فبقيت الغلبة الحضارية لسكان البلاد الاصليين من اكديين وسومريين .

ومن بين المدن التي قامت بها سلالات حاكمة قوية الوركاء (أوروك) عاصمة السومريين القديمة التي قضى ملكها أوتوخنكال على الكوتين .

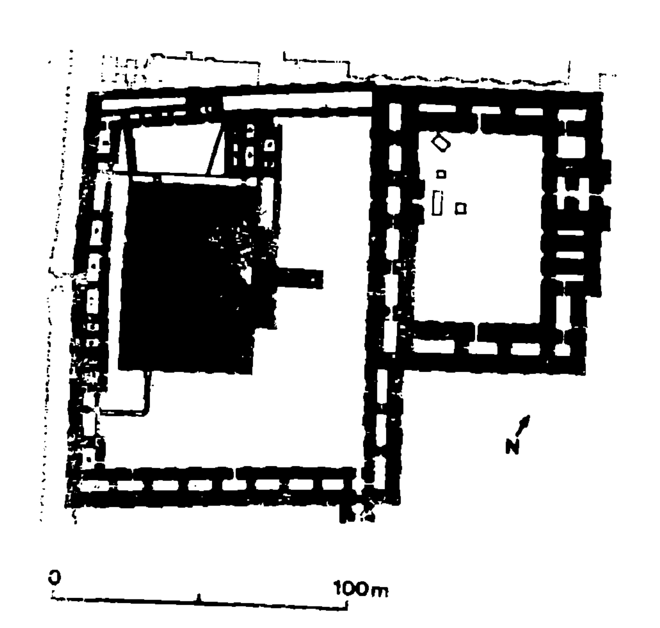
وكذلك مدينة لجش (مدينة كرسو) التي كان من ملوكها جودية العظيم . الى جانب مدينة آور الشهيرة ، التي قامت بها سلالة سميت سلالة آور الثالثة ، وكان مؤسسها اورنامو . ولا نغفل ذكر مدينتي اسين ولارسا التي حكمت بهما سلالات كنعانية ما لبثت ان سيطرت على البلاد وانبعثت عنها دولة قوية . هي الدولة البابلية كما سنرى .

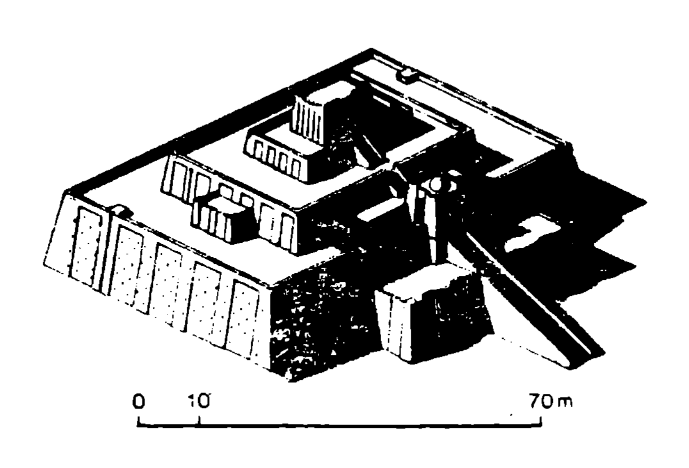
وفي دراستنا لاثار هذا العصر نبدأ بالعمارة :

العمـارة : تعتبر الزقورة من انجازات هذا العصر المعمارية . والزقورة مصطبة مرتفعة يقام فوقها معبد . للزقورة قاعدة عريضة مربعة او مستطيلة الشكل يبلغ ارتفاعها من ٢٠ – ٣٠م احيانا . تقام فوق القاعدة اي المصطبة الارضية ، مصطبة ثانية وثالثة ورابعة احيانا اصغر مساحة . ويصعد الى المعبد بوساطة درج يلتف حول جدران المصاطب حتى يصل الى المعبد . فيكون قد اخذ شكلا ملتويا او حلزونيا وقد يكون الدرج مستقيما يخترق المصاطب حتى المعبد ، ويصعد اليه من فوق كل مصطبة بدرج مائل . قد تكون الواجهات الخارجية للمصاطب عمودية على الارض ، وعلى الغالب مائلة نحو الداخل ، تزين بعضادات بارزة تتشكل بينها فجوات (مخطط ٢٥) .

لقد امكن التعرف على طريقة بناء الزقورة من دراسة زقورة مدينة الوركاء ، التي بنيت على النحو التالي : مدت طبقة او اكثر من اللبن المشوي (الطابوق) او المجفف جيدا ، ثم وضع فوقها الحصير ، وهكذا حتى الاعلى ، حيث استبدلت الحصر ، بحزم من عيدان القصب . تتخلل الطبقات ثقوب شاقولية ، يوضع فيها حبال من البردى بثخن ذراع الرجل ، وتشد الى بعضها عند نهاية كل مصطبة ، مهمتها تخفيف الضغط الداخلي على الكسوة الخارجية للزقورة .

من الصعب علينا الجزم فيما اذا كانت الزقورة بشكلها الحالي تعبيرا عن سمو في تقديس الآلهة ، او انها نشات نتيجة عوامل اخرى . ومهما يكن الامر تبقى من الاوابد الدينية الخالدة ، التي تضاهي الاهرامات في وادي النيل .



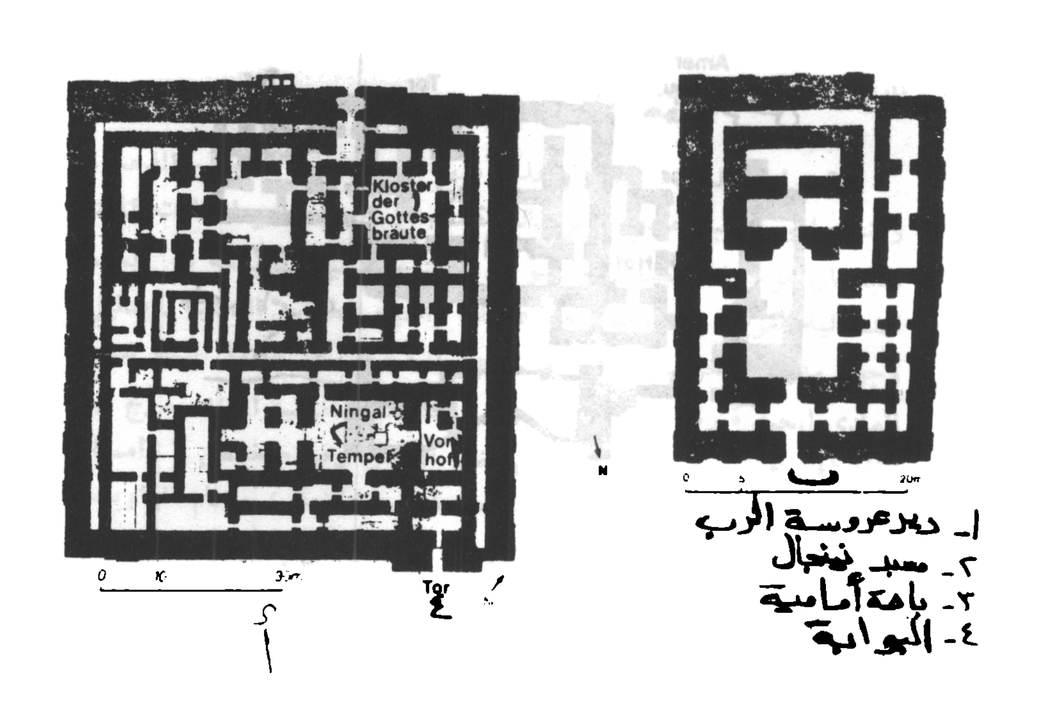


مخطط رقم ٢٥

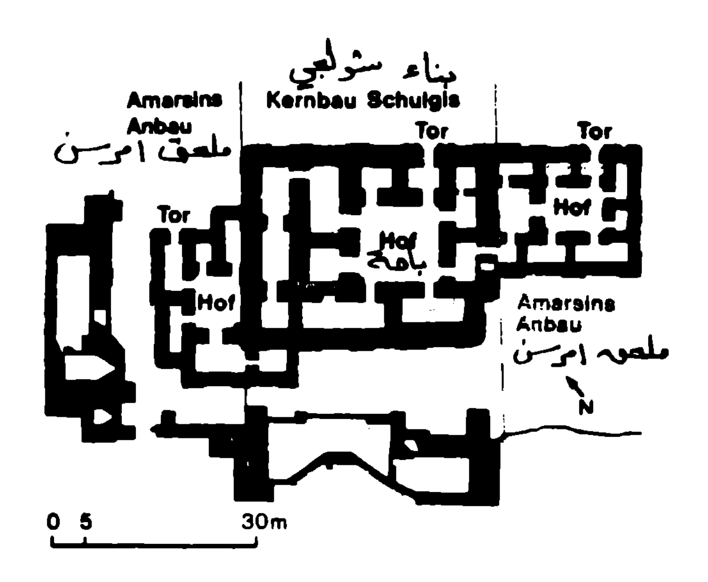
من الزقورات الشهيرة في بلاد النهرين ، زقورة الوركاء ، وزقورة أور التي بناها الملك اورنامو لإله القمر . وكلها كانت متهدمة . ونرجح أن مخطط المعبد لا يختلف عن مخططات المعابد السومرية الاكدية القديمة ، لأن ماذكرته النصوص المتاخرة في وصف معابد الزقورة مثل نصوص المؤرخ هيرودوت تؤيد ذلك . والمعبد مستطيل الشكل تتصدره المنصة ، وتتوسطه منضدة النذور . ليست الزقورة وحدها من منجزات هذا العصر ، بل اكتشفت بيوت عبادة اخرى شيدت للرب وزوجته الانسانة ، وللملك ممثل الرب على الارض ، ليقيموا فيه ، ويستقبلوا الناس بمناسبات دينية ملكية معينة . وكمثال على ذلك نذكر معبد ننكال ومعبد انكي في أور . المعبد مجمع ضخم ، يحيط به سور ، كالقصور الملكية . له مدخل رئيسي يحيط به برجان ، نعبر المدخل الى باحة كبيرة مستطيلة الشكل ، تعقبها باحة اخرى اكبر منها ، فيها بناء مستطيل الشكل ، يتالف من بوابة على شكل بيت صغير تليه ساحة وغرفة الاستقبال ، تعقبها الخلوة وفيها المحراب والعرش وتمثال الرب (مخطط ٢٦) . هذا فيما يتعلق ببناء المعابد ، أما فيما يتعلق ببناء القصور ، فاننا لا نجد فارقا يذكر بين القصور الاكدية في براك وآشور ، وقصور اور ـ نامو وشولجي ملكي أور . فالمخطط واحد تقريبا يجسد عظمة وربوبية الملك .

وان اهتم السومريون خلال فترة انبعاثهم الاخير ببناء المعابد والقصور، فانهم اهتموا ايضا ببناء الاضرحة لملوكهم . فقد كشفت التنقيبات الاثرية في مدينة اور على المقبرة الملكية لسلالة اور الثالثة ، التي شيدت فوق مقابر ملوك سلالة اور الاولى في الزاوية الشرقية للمدينة .

وتتالف المقبرة الملكية من مجمع ضخم كبير يضم ثلاثة اضرحة ،يخص أوسطها الملك شولجي ، الذي بناه على الارجح لوالده أورنامو ، بينما بنى لنفسه ضريحا عند الواجهة الجنوبية الشرقية . اما امارسن فقد شيد ضريحه عند الواجهة الشمالية الغربية . ومهما يكن الامر ، فان هذه المقبرة فريدة من نوعها حتى الآن ، وتستحق الدراسة ، وسنصف فيما يلي ضريح شولجي الاوسط (مخطط ٢٧) .


Kloster der Gottes bräute
Ningal Tempel
Vorhof
Tor
0 10 30m
0 5 20m
N
١- دير عروسة الرب
٢- معبد ننجال
٣- باحة أمامية
٤- البوابة

مخطط رقم ٢٦



بناء شولجي
Kernbau Schulgis
Amarsins
Anbau
ملحق امرسن
Tor
Tor
Tor
Hof
Hof
باحة
Hof
Amarsins
Anbau
ملحق امرسن
N
0 5 30m

مخطط رقم ٢٧

يتألف الضريح من حجرة تحت الارض ، سجيت فيها الجثة ،وفوقها الطابق العلوي ، الذي شيد بعد أن تم الدفن ، وردمت الحجرة . يشمل الطابق العلوي مساحة قدرها ٣٨ x ٢٦ م٢ . جدرانه سميكة (٥٠ر٢ م)، بنيت باللبن المشوي ، بينما استعمل القار كملاط . يتألف من باحة سماوية كبيرة نصل اليها من مدخل كبير يقع في الجهة الشمالية الشرقية، وتحيط بها الحجرات من كل جانب . في وسط الباحة حفرة تمتد منها انابيب الآجر لتصريف المياه الى الخارج . وبجانبها حوض ماء مصنوع من الطين ، مشوي ومطلي بمادة الاسفلت ، يستخدم اثناء الطقوس الدينية ، التي تقام عند الدفن مثلا .

كانت لهذا البناء أبواب ونوافذ ، منها ماهو مصفح بقطع من الذهب، ومنها ماهو خشبي عادي مزين بالصدف مثلا . وفي بعض الحالات كانت الجدران مزخرفة أيضا . ويبدو ان الجناح المحيط بالباحة من الجهة الشمالية الغربية ، كان مخصصا للعبادة واحياء الطقوس الدينية . بدليل وجود مذبح ومحراب ومصطبة . أهم الحجرات في هذا البناء غير العادي الحجرة رقم ٥ . على واجهتها الشمالية الغربية اسند مدرج من ثلاثة أقسام ، وعلى الواجهة التي تضم المدخل رف منخفض ، وأمام الواجهة الشمالية الشرقية شيدت مصطبة منخفضة ، وامام الزاوية الغربية مصطبة مرتفعة . طليت الجدران من الداخل بالاسفلت ، وكانت مزينة بقطع الذهب . مدت فوق الرف ميازيب (اقنية) تنتهي الى المصاطب ، وتصب في أحواض من الآجر عددها ستة . هذا الى جانب ميزابين فوق المصطبة الاخرى ، وميزابين عند الزاوية الجنوبية ، ولاشك ان هذه الميازيب قد استعملت في الطقوس الدينية ليجري فيها الماء الطهور ، أو الزيت ، او أي سائل آخر من وعاء مثقوب مثبت فوقها . اما الوصول للضريح ، فكان عن طريق مدخل ضخم في الحجرة رقم ٦ خفته ارضيتها المبلطة . كانت الارضية محفورة من قبل لصوص حاولوا الوصول الى الضريح ، ولكنهم لم يصلوا ، فبقى المدخل مسدودا كما كان. الضريح عبارة عن قبو معقود باللبن مع ملاط من الاسفلت . يتبعه ضريح

آخر تحت الحجرتين ١١ و ١٠ مبني بنفس الاسلوب ، ويبدو ان اللصوص قد حاولوا عن طريق فتحة في السقف الوصول الى الضريح .

من الغريب وجود بيت كبير فوق الضريح . ونظن ان مراسم الدفن والقداس كانت تقام فيه ، كما تقام احتفالات القيامة جريا على تقاليد السومريين الذين اعتقدوا مرة ان الميت يبعث حيا .

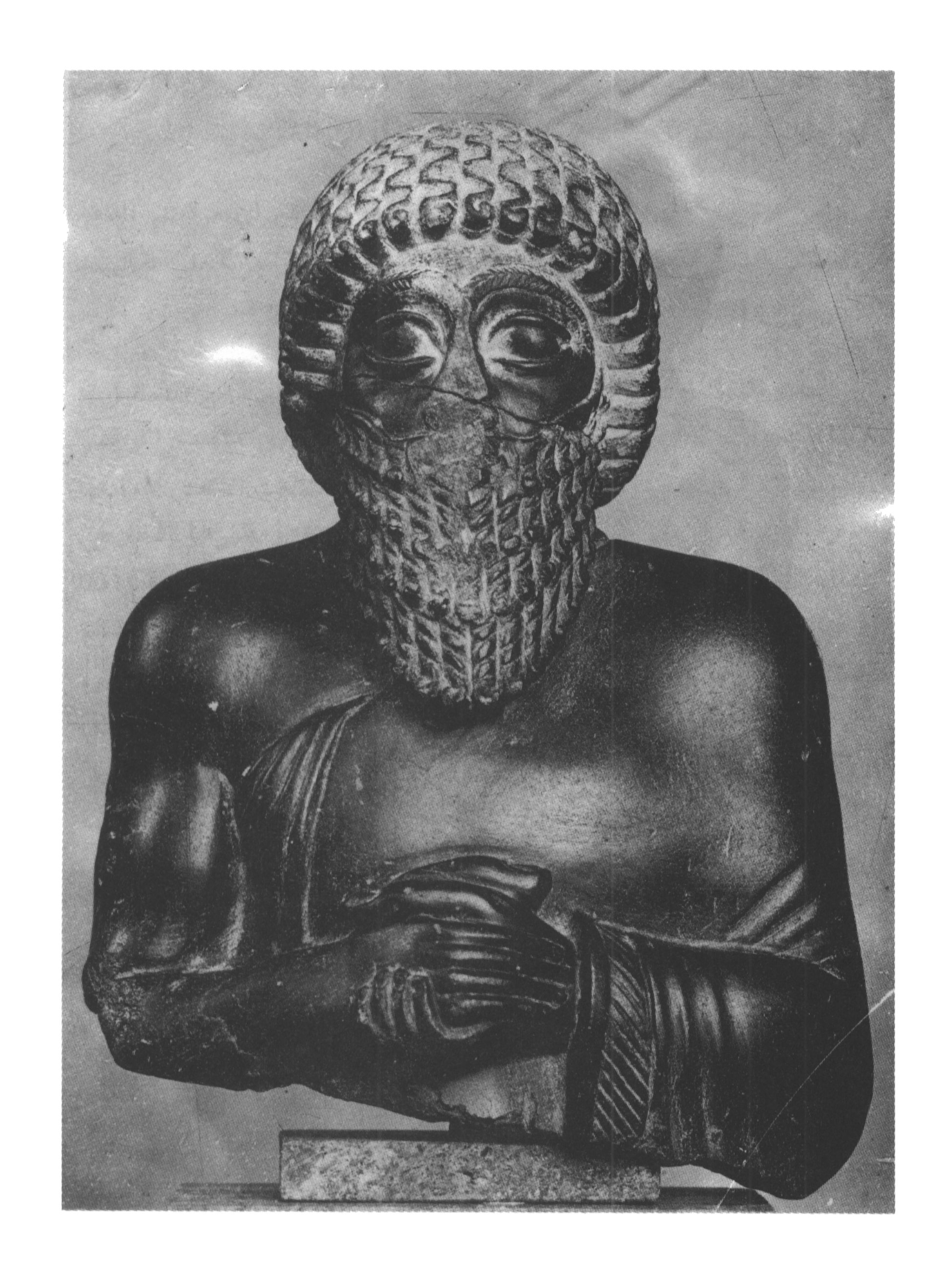
نحت التماثيل : ورثنا عن هذا العصر مجموعات كبيرة من التماثيل ، فيها مجموعة ملك وراعي لجش جودية المحفوظة الآن في متحف اللوفر بباريس . ومن الناحية التقنية ، فهي استمرار لفن النحت الاكدي ، مادتها حجر الديوريت الذي استخدم في العصر الاكدي ، ومظهرها الخارجي مشابه لتماثيل العصر الاكدي . وهي بالحجم الطبيعي تمثل جودية واقفا أو جالسا تقيا ورعا ، ولكنه ليس بطلا محاربا كنارام سن مثلا . ورغم ان التماثيل قد نحتت بحجر الديوريت القاسي ، فانها تجسد الهدوء والراحة والاطمئنان النفسي التي تسيطر على المتعبدين عادة . ومن خلال الثوب يظهر الفنان الحركة التي يطمسها بالكتابة فوقها . ومما يزيد في ثقل التمثال وجموده الراس الكبير الذي يعلو الكتفين بلا رقبة تقريبا (صورة ٩٧) .

واذا ما نظرنا الى تمثال اور بابا حمي جوديه لوجدنا ان قوانين النحت الاكدية بقيت مسيطرة من حيث اظهار العضلات وقوة الجسم . وليس ادل على دقة الفنان السومري ، ومهارته في اظهار العضلات ، وبعض اعضاء الجسم ، من جذع تمثال أور ــ نينجرسو ابن جودية الذي ظهرت عليه عضلات العضد الايمن والظهر في أجمل صورة (صورة ٩٨) .

هذه أمثلة قليلة انتقيناها من بين التماثيل السومرية ، ونلاحظ ان تماثيل النسوة قليلة ولا تختلف عن تماثيل الرجال الا في اللباس وزي الشعر وملامح الوجه والحلي التي تتزين بها .



الصورة رقم ٩٧



الصورة رقم ٩٨

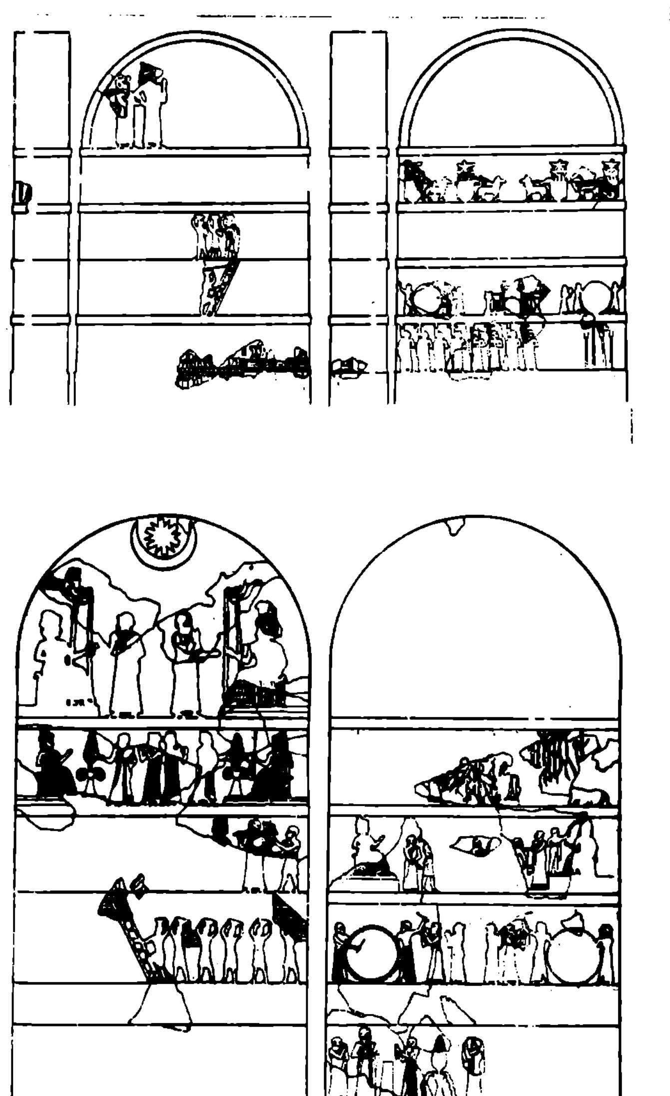
عناصر فنية اخرى :

يتضح من فن الحفر على اللوحات الحجرية . ان نحاتي عصر البعث السومري الاكدي قد قلدوا فناني عصر فجر السلالات والعصر الاكدي . فهذه لوحة جودية ذات شكل مستطيل وثقب مركزي ، كلوحات عصر فجر السلالات ، ويحيط بالمشهد اطار نافر مزدوج كلوحات العصر الاكدي . اما الموضوع الذي تعالجه اللوحة فهو مثول جودية أمام الرب . وفي عهد جوديه نجد ان الاواني الحجرية المعبدية قد زخرفت هي الاخرى بنقوش نافرة تمثل كما هو ظاهر على احدها ــ رمز الرب نينكيزادا حامي جوديه، وهو ثعبانان ملتفان على بعضهما ومنتصبان ، ويحيط بهما حيوانان عجيبان لهما راس وذيل افعى ، وقائمتان اماميتان كقائمتي الاسد ، وخلفيتان كقائمتي النسر . وعلى حوض معبدي نرى نافورة الماء اي ينبوع الحياة على شكل جرة صغيرة تتدفق فيها المياه ، وتحملها ارباب . ان هذه المواضيع مستوحاة من مواضيع العصور السابقة وقد صورت بأسلوب جديد .

وجريا مع التقاليد المتبعة منذ فجر التاريخ فاننا نملك من هذا العصر عددا من المسلات المشوهة ، التي يزيد ارتفاعها احيانا على ثلاثة أمتار .

الموضوع الهام الجديد في هذا العصر تصوير الامراء والملوك على اللوحة او المسلة وهم يطلبون ويلتمسون من الآلهة اطالة حياتهم والمد بعمرهم . ونعتبر ان نذر تمثال أمير للمعبد ونصب مسلة فيه ، يحققان غاية واحدة. ففي حين يصور التمثال صلاة وتعبد الامير تعرض المسلة اداء هذه الصلوات ، وكيفية اقتراب الامير من الرب . وها هو جوديه حاسر الراس يحمل غصنا بيده اليمنى ويقوده ربه نينكيزادا ، بحماية رب آخر يقف امامه ، الى المنصة التي يجلس عليها الرب ، والتي لم يبق منها سوى جزء من رمز الماء ، الذي يعود الى انكي الرب الاعظم للحياة (صورة ٩٩) .

ولو كانت لوحتا جوديه ملك لجش واور نامو ملك اور كاملتين ، لظهر ان اللوحتين متشابهتان من حيث الشكل على الاقل ، ان لم يكن



الصورة رقم ٩٩

التشابه من حيث الموضوع محققا. اللوحة مقسمة الى خمسة حقول تمثل الخدمات التي يقدمها اورنامو لاربابه . وكما قلنا فان اللوحة مشوهة جدا ، لا يمكن تصور مواضيعها ، الا بمقارنتها مع الاختام الاسطوانية ، التي نقشت عليها المواضيع التالية :

- مشاهد التقديم الى الآلهة (صورة ١٠٠ أ)
- مشاهد التقديم الى الملك الرب (صورة ١٠٠ ب)
- مشاهد العراك (صورة ١٠٠ جـ)
- مشاهد اخرى متنوعة (صورة ١٠٠ ء)

لحسن الحظ يتوفر لدينا عدد من الاختام الاسطوانية للملوك هذا العصر نقشت عليها اسماؤهم كما تتوفر عدد من طبعات اختام تساعدنا على تأريخ الختم ودراسته فنيا .

تصور مجموعة من الاختام وطبعاتها الملوك والامراء وهم يقدمون الى كبير الارباب بوساطة مساعديهم الاقل منزلة . وقد استوحى الفنانون هذا الموضوع من نقوش العصر الاكدي التي قلدوها بشيء من التحوير كما تصور مجموعة اختام اخرى الملك جالسا على مقعد او اريكة مغطاة بجلد ، وهو يمثل الرب ويقف بحضرته متعبدون ، ويتميز بلباس راسه او بلباسه عامة .

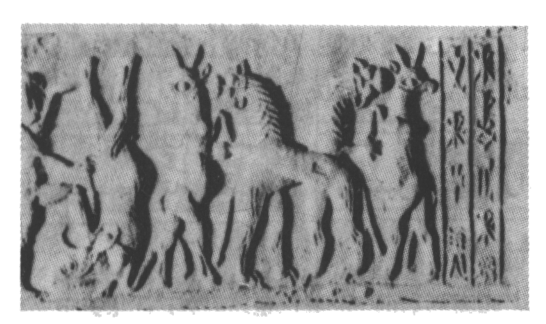
اما الموضوع الثالث فهو مشهد العراك الذي الفناه من العصر الاكدي مع اختلاف واضح في نوعية الاشكال وقوة الحركة وتوزيع عناصر الموضوع . يقتصر المشهد على الاسد المجنح الذي يمسك بقائمتيه الاماميتين الانسان ــ الثور وبأجنحته البطل العاري .

ب ــ مملكة ماري الثانية : ٢٢٠٠ ــ ١٨٥٠ ق.م :

بعد سقوط الدولة الاكدية ، ووصول سلالة اور الثالثة الى الحكم ، في بلاد النهرين الجنوبية ، استعادت ماري سلطتها على حوض الفرات









الصورة رقم ١٠٠

الاوسط ، وحافظت على علاقات جيدة مع ملوك الجنوب السومريين . وتذكر الوثائق بعضا من ملوك ماري ، الذين لقبهم السومريون « شكاناكو» اي والي . ونرجح ان هذا اللقب كنعاني مؤلف من شاكن (وقد ادغمت نونها بنون الكلمة اللاحقة) + اناكو اي (ملك انا) ، واذا كان الامر كذلك، نفترض ان الكنعانيين قد وصلوا المنطقة منذ ذلك التاريخ(١٥) .

ومن اشهر ملوك هذه الفترة افيل كين (ابيل كين) وايشتوب ايلوم وتورا داجان ويوزور عشتار ، وهتلال عررا وهانون دجن .

كان هؤلاء محبين للعمران ، مقدرين جهود اسلافهم ، لذا رمموا المباني القديمة المتداعية ، او ردموها وبنوا فوقها . وفي عهدهم بدأ عمران قصر ماري الشهير ، الذي يعرف بقصر زمري ليم . وقد ترك بعضهم آثارا نعرض لها فيما يلي :

عثر في الحجرة ٦٥ من قصر ماري (قصر زمري ليم) على تمثال الحاكم ايشتوب ـ ايلوم بحالة سليمة جيدة . وهو بحق من أجود التماثيل التي تعبر عن روح العصر ، والتي تمثل خصائص ومميزات فن هذا العصر . واذا ما نظرنا الى الجذع ، والذراعين المحيطين به ، واليدين المتشابكتين فوقه ، لوجدنا انها كتلة مستطيلة ، يندر أن تبرز من حجر صلد كالديوريت ، الا اذا كان النحات ماهرا ، يعرف كيف يتعامل مع هذا الحجر . فيكتفي بابراز بعض تفاصيل أعضاء الجسم على السطح دون أن يتجاسر على النقش داخل الكتلة . اللباس بسيط خال من الطيات ، واهدابه ذات شراريب ساذجة بدائية . مثل تماثيل جودية وحميه أور بابا (صورة ١٠١) . يمثل الخطوة الثانية على طريق تطور فن نحت التماثيل في مدينة ماري بالذات ، تمثال من حجر الستياتيت اي من حجر كلسي صابوني للحاكم ايدي ـ ايلوم ، محفوظ بمتحف اللوفر بباريس . وأول ما يلفت النظر في هذا التمثال ، أن الثوب قطعة قماش كبيرة ، ثبت طرفها على الخصر ، ثم لفت على الاطراف السفلية ، فرفعت فوق الكتف الايسر ، ثم لفت على الاطراف العلوية ، ومن فوق



الصورة رقم ١٠١

الكتف الايسر تتدلى فوق الصدر . وان كان شكل الثوب قد تغير كما رأينا ، فان وضعيته فوق الجسم قد تغيرت ايضا ، بحيث اصبح يلائم حركة الجسم ، فتبدو طياته منسجمة مع حركته . زد على ذلك ان شراريب اهدابه طويلة او قصيرة حسب حافة الثوب . فان كان الضلع القصير للثوب حيث تنتهي خيوط السدية كانت الشراريب طويلة . وان كانت الحافة الطويلة حيث تعقد اللحمة كانت الشراريب قصيرة . ومع ان رأس التمثال مفقود ، فان ما تبقى من لحيته فوق صدره ، يبين لنا الفرق الواضح بين تسريحة شعر ايشتوب ـ ايلوم وايدي ايلوم (صورة ١٠٢) .

وتتجلى في تمثال بوزور ـ عشتار في ماري خصائص فنية قديمة وحديثة . ان لباس هذا التمثال مختلف عن لباس ايدي ايلوم ، من حيث طريقة لفه حول الجسم ، وتزيين اهدابه بالشراريب ، ويتفق معه من حيث المظهر العام . ويبدو ان زي الشعر واحد . والشيء الهام الذي يربط هذا التمثال بتقليد قديم يعود الى عصر نارام سن كون خوذته مزينة بقرنين لتأكيد الوهية هذا الملك (صورة ١٠٣) .

هذا فيما يتعلق بفن النحت اما فيما يتعلق بالتلوينات الجدارية ، فان قصر ماري العظيم المنسوب الى زمري ـ ليم ، قد زينت قاعاته الرئيسة الهامة برسوم جدارية ، كشفت عليها التنقيبات الاثرية ، ونسبت كلها الى عهد زمري ليم ، اي الى القرن الثامن عشر ق.م . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ، أن قصر ماري الشهير ، قد استمر بناؤه عدة قرون ، جاز لنا ان نتساءل فيما اذا كانت رسومه الجدارية من عصر ملك واحد ، أم انها من صنع عدة اجيال ؟ .

لاتتوفر ادلة دامغة تمكننا من تأريخ التلوينات بدقة ، ومع ذلك فهناك بعض الدلائل الفنية ، التي تساعدنا على تصنيف وترتيب بعض مشاهد الرسوم الجدارية ضمن الاعمال الفنية لهذا العصر . ومن الرسوم الجدارية التي نصنفها فنيا من اعمال هذا العصر الرسوم الجدارية لقاعة



الصورة رقم ١٠٢



الصورة رقم ١٠٣

الاستقبال (حجرة رقم ١٣٢) ، التي رممها المنقبون بعد ان عثروا عليها متساقطة أمام الجدار الغربي للقاعة ، حيث كانت تزينه بالاصل . والجدير بالذكر أن الرسومات ذات الالوان الابيض والاسود والاحمر ، قد رسمت فوق كسوة الجدار الطينية مباشرة . ووزعت على خمسة حقول ، في كل منها مشهد معين ، تماما كما هو الحال في مسلة أورنامو . ولا يقتصر التشابه بين هذه اللوحة الجدارية ومسلة أورنامو ، على الشكل فقط ، بل على الموضوع ، واللباس ايضا . نشاهد الملك في احد الحقول يرتدي ثوبا معذقا وقبعة بيضوية الشكل حافتها سميكة ، ولحيته طويلة مستطيلة ، أشبه بلحية اورنامو . أما القدح الذي يسكب منه الماء المقدس فشبيه بقدح ننكيزا الخاص بجودية ، والاواني الموضوعة امام الرب شبيهة بتلك التي تعود الى عصر سلالة اور الثالثة ، والتي كانت توضع بها الاغصان امام الآلهة . يجلس الرب على العرش فوق قمة جبل ، وخلفه الثور العظيم الاسود ، ذو اللغد الثقيل ، ويرتدي الرب تاجا شبيها بتاج الرب على مسلة اورنامو (صورة ١٠٤) .

فوق هذا المشهد نرى مشهدا آخر (في حقل خاص) فيه الربة عشتار جالسة متسلحة بالفؤوس ، والهراوات ، يتقدم منها الملك بوساطة رب آخر . الموضوع واللباس ، وحتى ادق التفاصيل ، تعبر عن روح هذا العصر .

وبعد هذا الذي بيناه ننسب الرسوم الجدارية للقاعة ١٣٢ الى عصر الحكام تورا داجان وبوزور عشتار وايدي ايلوم .

ج عصر مرديخ II B₂ (٢٢٥٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م)



الصورة رقم ١٠٤

قضى دمار وحشي شامل على مدينة ايبلا حوالي عام ٢٢٥٠ ق.م . ولكن سرعان ما عاد أهلها وعمروها ، دونما انقطاع ، ودونما تباطؤ . والشيء الوحيد الذي بقي شاهدا على ما لحق بايبلا من دمار هو القصر الملكي المحترق ، الذي هجر بعد ان جعله الاكديون قاعا صفصفا .

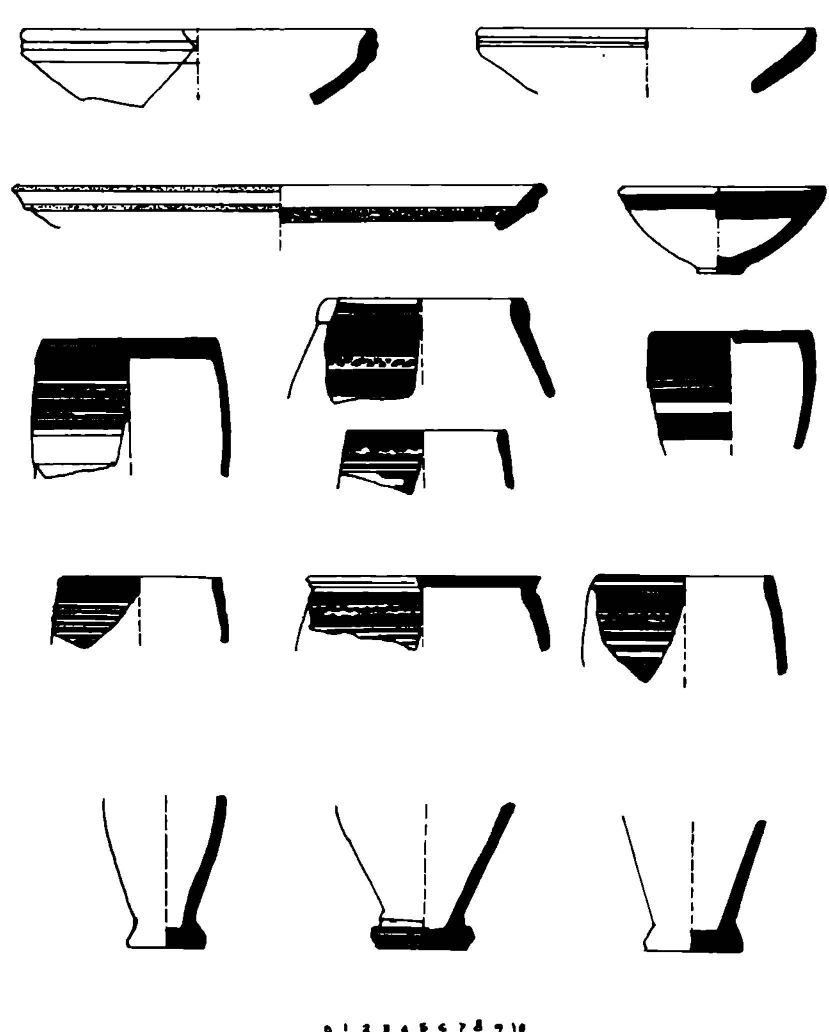
وان كان التنقيب في بدايته ، فان المنقبون قد تمكنوا من التأكد بان المعبد D كان يعود الى الدور الذي نحن بصدده .

أما بالنسبةالى الانية الفخارية ، فانها كانت مشابهة لفخار العمق J ولفخار حماة J1 - J4 . وقد اطلق على هذا النوع من الفخار اسم الفخار الملون العادي . ومن الأواني التي كشف عليها اعداد وفيرة من الاقداح ، التي صنعت من تراب عادي ، ولونت وجوهها الخارجية بالاسود ، واحيانا بالاحمر ، او البني ، ثم خططت أو حززت لتشكل خطوط دائرية ، او متموجة (الصورة ١٠٥) .

والى جانب هذه الاقداح ، اكتشف نوع من الجرار الصغيرة ، المعروفة باسم الانية المدهونة المقشورة ، اي الانية التي طليت اجزاؤها العلوية باللون البني الغامق او الاحمر ، ثم كشطت ليبقى من الالوان خطوط دائرية او متموجة ثخينة او دقيقة .

وقد لاحظ المنقبون أن البقايا المعمارية في القطاع E من المدينة ، والتي تعود الى هذا العصر ، قد تهدمت ودمرت بسبب حريق هائل . كما لاحظوا وجود أكداس مواد مختلفة محترقة على أطراف سور المدينة تعود الى هذا العصر . لذا ظنوا أن ايبلا قد تعرضت ثانية للدماربوساطة نيران أشعلها غزو خارجي(١٦) .

وبعد هذا الذي قلناه في العصر الاكدي وعصر البعث السومري ــ الاكدي وسلالة ماري وحالة ايبلا ، نذكر أن هذه العصور متزامنة تقريبا مع العصر البرونزي القديم الرابع في بلاد الشام ، الذي نؤرخه في الفترة الممتدة من ٢٥٠٠ ــ ٢١٠٠ ق.م . تقريبا .



الصورة رقم ١٠٥

وباستثناء ماري وايبلا ، لم تكتشف كتابات في المواقع الاثرية المنقبة. وهذا ليس دلالة على قلة الاهمية ، بل هو مؤشر على أن هذه المدن كانت لاتزال في طور النمو والتقدم . وفي الحق أن ما اكتشف بهـا مـن اثار معمارية وادوات للاستعمال اليومي وخاصة الانية الفخارية يعبر عـن درجة عالية من التخصص . ومن اهم المواقع التي يتمثل فيها هذا العصر

اللالخ : الطبقة ١١ (٢٣٥٠ ــ ٢٢٠٠ ق.م) والطبقة ١٠ (٢٢٠٠ ــ ٢٠٥٠ ق.م)

اجاريت : الطبقة ٣ ــ آ ــ ٣ = (٢٣٠٠ ــ ٢٢٠٠) وطبقة الانقطاع التي كانت خلالها المدينة مهجورة (٢٢٠٠ ــ ٢٠٠٠ ق.م) .

حماة الطبقة ط = I (٢٤٠٠ ــ ٢٠٠٠ ق.م) .

تل براك الطبقة ٤ وشاغر بازار (حطين) الطبقة ٣

والى جانب هذه المواقع توجد مواقع اخرى كثيرة وهامة تنتشـر على ضفاف الفرات ، وقبل أن تغمر بمياه السد ، كشف فيها على اثار تعود الى الالف الثالث ق.م . لاتزال قيد الدراسة والنشر . ونذكر منها تل حديدي وتل حبوبة كبيرة وتل سـلنكحية ، وتل حلاوة . (راجع بشانها مجموعة الابحاث التي قدمت في ندوة ستراسبورك والمشار اليها على الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب) .



الفصل السادس

الممالك الكنعانية الأمورية الأولى
٢٠٠٠ ــ ١٦٠٠ ق.م

استعرضنا على الصفحات السابقة المكتشفات الاثرية في بلاد النهرين والشام ، ونسبنا حضارة هذه الاقطار الى السومريين والكيشيين (الاكديين) والماريين والابلويين . وقد ساهم السومريون في صنع حضارة بلاد النهرين ولم يسهموا في بناء حضارة بلاد الشام ، التي قامت على اكتاف الماريين ، والابلويين ، والاكديين ...

وان اشترك الاكديون والسومريون في بناء حضارة بلاد النهرين ، فان السومريين قد اختفوا من على مسرح الاحداث عند نهاية الالف الثالث ق.م . وبداية الالف الثانية ، واصبحت الغلبة لقبائل بدوية كنعانية ــ امورية، سيطرت على البلاد، واسست دولا ودويلات في بلاد النهرين وبلاد الشام، نذكر منها : بابل في اواسط العراق، واشور في شماله وماري اواسط الفرات ، وكركميش على حوض الفرات الاعلى ، ويمحاد في منطقة حلب وقطنة قرب حمص ، وجبلا (بيبلوس) على الساحل ، ودان قرب منابع نهر الاردن، وحاصور في سهل الحولة، ومجدو في شمال فلسطين. . .الخ. وتتفرع هذه القبائل من الارومة التي منها الاكديون .

والواقع ان ايا من هذه الدول لم تصف نفسها بالكنعانية او الامورية. ومع ذلك نجد في المصادر الاجنبية المصطلح أمورو (بلاد الشام الشمالية أو بلاد الشام باستثناء فلسطين) ، أو كنعان (فلسطين وحدها أو ساحل

بلاد الشام) . ومع تقدم علم الآثار والابحاث الاثرية ظهر المصطلح الجديد (الكنعانيون / الاموريون) . فما هو السبب في ذلك ؟

تعني الكلمة الاكدية_السومرية آمورو الغرب. وقد وصف السومريون والاكديون الذين قدموا من البادية الشامية الى بابل وسومر على انهم اموريين او أهل الغرب . ونرجح انهم قصدوا بهذه التسمية الاجزاء الشمالية من بلاد الشام الممتدة من جبل البشرى شرقا حتى منابع العاصي جنوبا والبحر المتوسط غربا . ومع مرور السنين اقتصرت التسمية على المنطقة الممتدة بين تلكلخ شرقا والبحر المتوسط غربا وطرطوس شمالا حتى البترون جنوبا ، حيث قامت عند منتصف الالف الثانية ق.م . دويلة آمورو . وتأسيسا على ذلك تبنى عدد من العلماء الاثاريين المصطلح (الاموريون)(١٧) .

هذا فيما يتعلق بآمورو ، اما فيما يتعلق بكنعان فانه اول ما ذكر كاسم جغرافي كان في النص ت.م/٧٥ /٢٣٦٧ المكتشف في تل مرديخ / ايبلا ، ويعود تاريخه الى منتصف الالف الثالث ق. م. ويبدو ان منطقة كنعان التي ذكرت في هذا النص كانت مجاورة لمملكة ايبلا(١٨) . وبعد ذلك بحوالي الف عام ذكر ادريمي ملك مملكة اللالخ وعاصمتها مدينة اللالخ في سهل العمق ، انه قد لجأ الى بلاد كنعان التي لا نستطيع تعيين حدودها . ولكن من المرجح انها كانت تشمل المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد الشام طبقا لما ورد في رسائل العمارنة ، حيث وصفت السواحل الشامية الواقعة الى الجنوب من حوض نهر الكبير الجنوبي ببلاد كنعان ، ومملكة حاصور في سهل الحولة على انها من بلاد كنعان(١٩) . والى هذه المناطق انتسب « الفينيقيون » ايضا . ومهما يكن الامر فانه من الواضح ان معظم مناطق بلاد الشام كانت موطنا للكنعانيين فسميت باسمهم . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الوثائق التي وصلتنا من ماري وبابل واجاريت والعمارنة قد كتبت بلغة واحدة هي الكنعانية . لكل هذا اعتقد كثير من العلماء ان القبائل البدوية التي انتشرت في بلاد الشام

خلال القرنين الاخيرين من الالف الثالث ق. م. وانتقلت شرقا الى بلاد النهرين ، كانت كنعانية .

وحسما للخلاف ولازالة كل غموض تبنى عدد من العلماء التسمية الجديدة (الكنعانيون ـ الاموريون) . ونحن وان كنا لا نحبذ هذه التسمية ، ونفضل المصطلح (بلاد كنعان والكنعانيون) ، فاننا نقبل به آنيا ، حتى تكتمل دراسة وثائق ايبلا ، وينتج عنها ما يؤيد وجهة النظر هذه او تلك .

وكما هو واضح من العنوان لم تكن هناك مملكة بل ممالك . ويستدل من تعدد الممالك ان القبائل الكنعانية / الامورية حينما استقرت في بلاد النهرين والشام ، واسست دولا ، قد حافظت على شخصيتها القبلية ، ولم تسع للاتحاد فيما بينها . ومما يلفت النظر ان ممالك بلاد النهرين وممالك بلاد الشام الشمالية كانت اكبر واهم من الممالك الجنوبية . ولا نبالغ اذا قلنا ان الاهمية تنقص كلما انتقلنا من الشمال الى الجنوب .

ذكرت ان الدول الكنعانية / الامورية لم تسع للاتحاد او الوحدة ، ولم تكن متسالمة ، بل تصارعت مع بعضها احيانا . لذا سنصور الآن الوضع السياسي العام في بلاد النهرين والشام ، مع تسليط الانوار على اهم الاحداث والملوك .

١ ـ **مملكة بابل الاولى** : قبيل نهاية الالف الثالث وعند مطلع الالف الثاني ق. م. كانت بلاد بابل مجزأة الى ممالك عليها ملوك كنعانيون / اموريون ، برزت من بينها ممالك : إسين ، لارسا ، بابل واشنونة . التي كان همها التنازع فيما بينها . وقد تسلم الامر في لارسا نابلانوم ٢٠٢٥ ـ ٢٠٠٥ ، الذي اسس ملكا لقبيلته دام حتى عصر الملك ريم شين ١٨٢٢ ـ ١٧٦٣ . اما في إسين فقد اسس الماري إشبي ايرا ٢٠١٧ ـ ١٩٨٥ ملكا دام حتى عصر الملك سن مجير ١٨٢٧ ـ ١٨١٧ . وفي اشنونة حكمت سلالة ضعيفة كانت في اغلب الاحيان بعيدة عن مسرح الاحداث . وجلس على عرش بابل سومو آبوم ١٨٩٤ ـ ١٨٨١ ، الذي جاء بصدده

ملوك اقوياء كان اشهرهم حمورابي ١٧٩١ ــ ١٧٥٠ ، الذي اخذ على عاتقه مهمة توحيد البلاد ، وبعث امجاد المملكة الاكدية . فسلك الطريق الذي سلكه شروكين (سرجون) ، فاستولى على الممالك التي ذكرت ، واضبحت الزعامــة في بلاد النهرين والشام لبابل . وقد شهد الملك سمسوديتانا ١٦٢٥ ــ ١٥٩٤ نهاية حكم هذه السلالة ، التي عرفت بالتاريخ باسم سلالة بابل الاولى ، على يد الملك الحثي مورشلي الاول ، الذي مكن الكشيون من حكم بابل .

٢ ــ **آشور** : كانت مملكة الآشوريين ضعيفة عند بداية الالف الثاني ق.م. ولما تولى السلطة الملك القوي شمشي حدد (شمشي هدد) ١٨١٥ ــ ١٧٨٢ معاصر حمورابي البابلي ، استطاع بسط سيطرته على المناطق الواقعة شرقي الدجلة وغربيه فنافس بابل واحتل ماري ، واصبح اقوى ملوك عصره . ولما توفي اخضع حمورابي آشور لسلطانه(٢٠) .

٣ ــ **مملكة كركمش** : كانت عاصمتهــا كركمش او جرجمش الى الشمال من مدينة جرابلس التي كان اسمها جريبيس ، وهو تحريف للاسم القديم جرجمش . وقد سيطرت على حوض الفرات والسهول المجاورة من موقع يوسف باشا جنوبا حتى شمالي جرابلس . وكانت علاقاتها جيدة مع مملكة ماري التي ضمت دار محفوظاتها رسائل متبادلة بين ابلاخندا ويترامي ملكي جرجمش في القرن الثامن عشر ق. م. ويسمع هدد (= يسمخ حدد) ، وزمري ليم ملكي ماري المعاصرين .

والواقع ان اخبار هذه المملكة قد انقطعت او ندرت منذ حوالي عام ١٧٤٠ وحتى عام ١٣٥٠ حيث احتلها الحثيون ، واصبحت مركزا لنائب ملكهم ، الذي كلف بتنظيم علاقــات الحثيين مع ممالك بلاد الشام الشمالية .

مملكة يمحاد / حلب : كانت عاصمتها حلب ، وهي باستثناء ماري ، اكبر مملكة في بلاد الشام . وقد امتدت رقعتها من الفرات شرقا حتى

البحر المتوسط غربا . وحكمتها سلالة كنعانية منذ القرن التاسع عشر وحتى عام ١٣٥٠ حينما خضعت النفوذ الحثي . من اشهر ملوكها ياريم ليم الاول وحمورابي الاول اللذين حكما في النصف الاول من القرن الثامن عشر . ومن اهم الاحداث التي مرت بها ، دعم ومناصرة ياريم ليم الاول لابن اخته زمري ليم ، وتمكينه اياه من استعادة عرشه في ماري . لقد كان هذا الملك من اقوى ملوك عصره . وقد خضع له عشرون ملكا . اما ابنه وخليفته حمورابي الاول ، فقد اقام علاقات جيدة مع ماري وبابل ، حيث شكلت هذه الدول الثلاث حاجزا حال دون توسع الآشوريين نحو الجنوب والغرب . وفي عهد ابي بعل خليفة حمورابي الاول وأحفاده : ياريم ليم الثاني ، نقم عفا وغيرهم ، وصلت الى قمة المجد ، واصبحت اللالخ العاصمة الثانية ، ومقرا لنائب الملك .

وما ان اطل القرن السادس عشر حتى بدأ الصراع على بلاد الشام بين القوى العظمى : مصر والدولة الحورية الميتانية والدولة الحثية . وقد افلح الميتانيون في السيطرة على هذه الدولة اذ في عهد الملك ايلي ميليما (عند نهاية القرن السادس عشر) ، ولسبب نجهله ، نشبت ثورة في يمحاد ، أودت بحياته ، وفرت أسرته وولي عهده ادريمي الى ايمار حيث اخوالهم . ومنذ ذلك الحين حكم الميتانيون حلب حتى غزاها شوبيلوليوما الحثي (١٣٨٠ ـ ١٣٤٦) فأخضعها ، ووضع نهاية لاستقلالها ، والحكم الكنعاني فيها . سيطر الحثيون على حلب من ١٣٥٠ ـ ١٢٠٠ . ومن امنياتنا التنقيب على آثار هذه الدولة في عاصمتها حلب . ولكن كيف يتسنى لنا ذلك والاستيطان مستمر ، والآثار تحت القلعة والاحياء السكنية في التلل وغيرها .

٥ ـ **مملكة ماري** : تاريخ ماري في القرنين التاسع والثامن عشر ق.م . هو تاريخ بلاد الشام الشمالية . ولولا وثائق ماري لما استطعنا كتابة تاريخ كركمش وايمار ويمحاد وقطنة خلال هذين القرنين ، ناهيك عن تاريخ الدولة الآشورية القديمة في عهد شمشي حدد الاول .

ولا غرابة في هذا ، فمن ماري انطلقت القبائل الكنعانية الامورية الى بلاد بابل وسومر وآشور ، بعـد أن تجمعت بها قادمـة من البادية الشامية ، وبها تنقيبات اثرية جارية منذ خمسين عام ونيف .

ورغم ذلك نجد ان اهميتها الحضارية قد فاقت اهميتها السياسية . وقد اشتهر بها الملكان يخدون ليم وزمري ليم فقط . حكم يخدون ليم ١٨٢٥ ــ ١٨١١ ق. م. تقريبا . وكغيره من ملوك القبائل المعاصرين حاول ضم الممالك المجاورة لمملكته . فقاد حملة نحو الغرب في محاولة لاخضاع بلاد الشام الشمالية من الفرات حتى البحر المتوسط . ولما لم يفلح في الوصول الى غايته ، اقام علاقات حسنة مع ملوكها .

لم يصمد ولده الثاني زمري ليم امام الآشوريين ، بل فر هـاربا الى حلب ، فعين شمشي حدد الاول ابنه يسمخ حدد (يسمع هدد) ملكا عليها . ظل زمري ليم عند اخواله في حلب يترقب الفرص حـتى مات شمشي حدد ، فعاد الى ماري وطرد الآشوريين منها . وما كاد يستقر ، حتى هاجمه حمورابي ملك بابل ، ودمر المدينة في عام ١٧٥٩ ق.م تقريبا . وبذلك تكون قد اختفت سلالة زمري ليم ، وفقدت ماري مكانتها كأهم مركز حضاري في بلاد الهلال الخصيب(٢١) .

٦ ــ **ايبلا** : ليس من قبيل الصدف ان تمر مملكتا ماري وايبلا في مراحل تاريخية متشابهة . فسكان المملكتين من اصل واحد ، وظروفهم الاجتماعية واحدة . ففي النصف الاول من الالف الثالث ق. م. استقر شيوخ القبيلتين « ماري » و « ايبلا » في المدينتين اللتين سميتا بنفس الاسم على الارجح ، واسسوا دولتين قويتين ساهمتا في صنع حضارة بلاد الشام . وعندما أسس شروكين (سرجون) المملكة الاكدية ، ووسع احفاده رقعتها ، خضعت الدولتان لهم . واستطاع نارام سن (٢٢٦٠ ــ ٢٢٢٣) ان يغير خارطة بلاد الشام السياسية باحتلاله ايبلا ، التي لم تستطع تجنب الكارثة كماري . وعند مطلع الالف الثاني ، لم تستطع السلالة الكنعانية استرداد ماضيها ، كما فعل يخدون ليم وزمري ليم

في ماري . وقد حصلنا من المكتشفات الاثرية على اسم واحد من ملوكها ، هو ابيت ليم ، الذي حكم في القرن التاسع عشر . وان كانت الحقبة الكنعانية الاموريه (٢٠٠٠ – ١٦٠٠) غير هامة من الناحية السياسية ، فانها من الناحية الفنية والعمرانية غنية جدا كما سنرى .

٧ – مملكة قطنة : مدينة قطنة مركز المملكة هي تل المشرفة ، ١٨ كم الى الشمال الشرقي من حمص . ولو لم تكن قرية المشرفة فوق اطلال المدينة القديمة ، ولو تمكن الباحثون الآثاريون من الاستمرار في تنقيباتهم التي اجروها خلال الاعوام ١٩٢٤ و ١٩٢٧ – ١٩٢٩ ، لكشفوا على خرائب مدينة قد لا تقل اهمية عن ايبلا وماري .

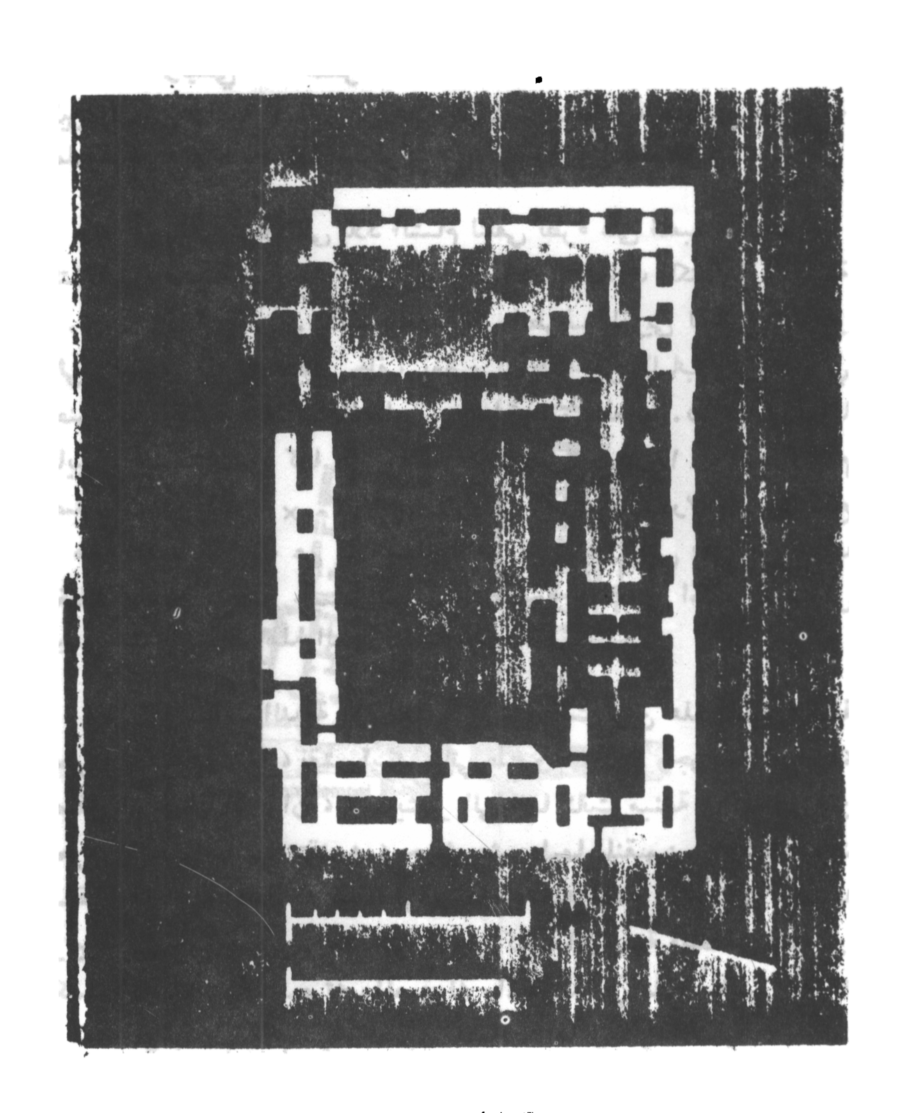
نستقي اخبار هذه المملكة من وثائق الدول المجاورة ، وخاصة من وثائق ماري التي كانت لها علاقات جيدة معها . فقد تزوج يسمخ حدد ملك ماري من ابنة ملك قطنة (لعلها اخت يسمي حدد ملك قطنة) . وفي عهد خليفته عموتفيل ، الذي عاصر حمورابي البابلي وزمري ليم الماري ، احتلت قطنة مكانة مرموقة بين ممالك بلاد الشام . ومنذ نهاية القرن الثامن عشر ق. م. اخذت تفقد اهميتها وبحلول القرن الخامس عشر كانت قد اصبحت دولة صغيرة مثل جاراتها نوخشي ، نعيا ، تونيب وقادش وخضعت مثلهم لنفوذ الفراعنة والحثيين ، اللذين دمروها في القرن الثالث عشر على ما نعتقد(٢٢) .

وهكذا فقد شهد النصف الاول من الألف الثاني هذه المجموعة من الممالك ، التي لم تكن على علاقات جيدة مع بعضها في اكثر الاحيان ، ومع ذلك فقد شهدت البلاد تطورا حضاريا خلاقا في كافة المجالات ، ارتكزت على التقاليد الفنية الموروثة القديمة ، وامتازت بابتكارات كثيرة جديدة سنتبينها فيما يلي :

١ – العمارة : سوف يقتصر بحثنا في هذا المجال على الابنية الدينية والقصور ، والتحصينات وما يتصل بها من اسوار وابواب .

أ ـ الابنية الدينية :

عند التحدث عن فن العمارة في العصر السابق . نوهنا الى انجازين رئيسيين هما الزقورة والمعبد ذي الحرم المزدوج ، او بالاحرى ذي المصليين المتساويين . وحتى الآن ، لم يتوفر الدليل القاطع ، على ان الكنعانيين ، قد ساروا على هذا التقليد . والابنية الدينية التي تعود الى هذا العصر قليلة ، واقسامها الرئيسية مماثلة لاقسام الابنية الدينية من العصور السابقة . اكتشف في مدينة تربتوم ، (موقع اشجالي الحالي) بحوض الديالي في العراق ، مجمع مستطيل الشكل يضم ثلاثة معابد . الغربي منها معبد عشتار ـ كتيتيوم ، له مدخل رئيسي جنوبي ، نمر عبره الى باحة سماوية مستطيلة الشكل ، نجد في جدارها الشمالي مقابل البوابة الرئيسية بابا يؤدي الى المصلى الامامي ، الذي يقع خلفه المصلى الاهم الثاني ، الذي يضم المحراب . يحيط بالباحة وبالمصلى حجرات عديدة . والواقع ان مخطط هـذا المعبد لا يختلف كثيرا عن مخططات معابد العصر السابق . وان المعبد الآخر ، الذي يقع عنـد الزاوية الشمالية الشرقية لباحة المجمع الرئيسية ، فيه ايضا خلف الباحة السماوية مصلى عرضاني مع محراب مقابل باب المصلى ، كما كان عليه الحال في المعابد السابقة . والمخطط الجديد الذي لم نعهده من قبل هو مخطط المعبد الثالث ، الذي يقع بين المعبدين ، عند الزاوية الشمالية الغربية للباحة الرئيسية للمجمع ، والذي نرى فيه باحـة سماوية ، يليها مصلى طولاني وليس عرضاني تحيط بهما الحجرات . والجدير بالذكر ان هذا المجمع يعود الى مطلع هذا العصر اي الى القرنين الاولين من الالف الثانية ق. م. (مخطط ٢٨) . ومن مدينة تربتوم ننتقل الى مدينة شادوبوم (اي شادوف او شادوب) الصغيرة المتمثلة بتل حرمل بجوار بغداد ، حيث كشفت التنقيبات الاثرية على مدينة مستطيلة الشكل تقريبا ، يحيط بها سور دفاعي قوي ، فيه بوابة واحدة في الجهة الشمالية ، وتفصل بين مباني المدينة شوارع وازقة طولانيـة او عرضانية مستقيمة . والى الشمال من الشارع المستقيم الرئيسي ،



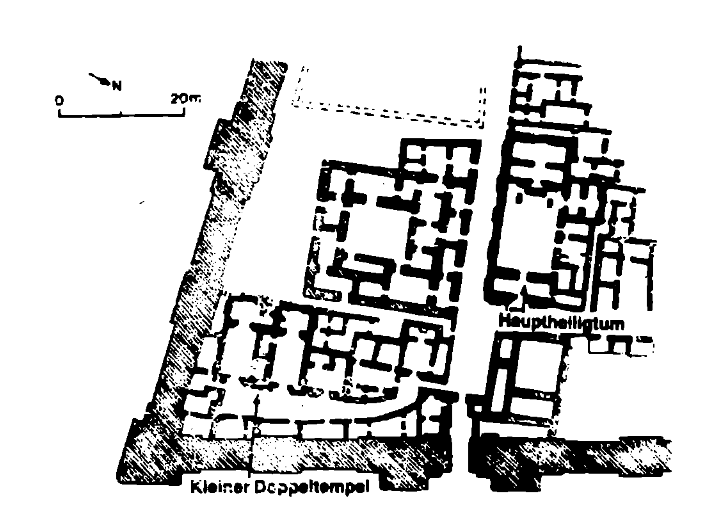
مخطط رقم ٢٨

يقع المعبد الكبير الذي يتجه نحو الشرق . ونجد وراء الباب حجرة عرضانية تليها باحة مستطيلة الشكل تنتهي الى مصلى امامي عرضاني يليه مصلى رئيسي فيه المحراب . وتحرس المدخلين تماثيل أسود من الطين المشوي . اما المساكن في هذه المدينة الصغيرة ، فتتالف من باحة سماوية كبيرة ، تحيط بها الحجرات من كل جانب (مخطط ٢٩) .

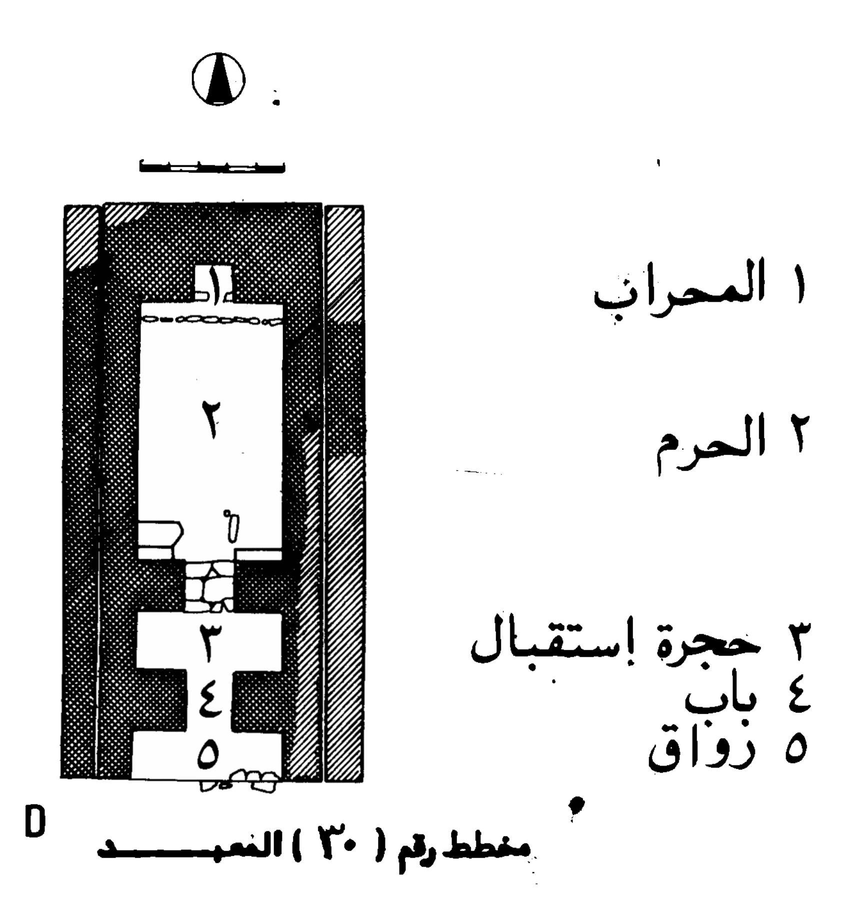
ومن العراق ننتقل الى بلاد الشام لنلقي نظرة على المعبد د او D المكتشف في مدينة ابيلا ، والذي يعود الى عصر الممالك الكنعانية القديمة ٢٠٠٠ – ١٦٠٠ ق. م. شيد المعبد على الطرف الغربي للرابية . وهو ثلاثي الشقق التي تتتابع خلف بعضهـا بدءا من الباب الرئيسي في الجنوب ، وتشكل ثالثتها المصلى . ويبلغ عمق المعبد ٢٨٫٥٠ م ، اما مقاييس الشقق فهي كما يلي : المصلى الرئيسي ١٨٫٥٠ × ١١٫٥٠ م المصلى الامامي ٧٫٣٠ × ٧٫٣٠ م ، الرواق ٢٫٥٠ × ٧٫٣٠ م . والواقع ان هذا المعبد مختلف عن المعابد التي تعرفنا عليها حتى الآن من حيث المخطط . وان كان من حيث التقسيم الى باحة + مصلى امامي + مصلى رئيسي مشابه لمعابد هذا العصر (مخطط ٣٠) .

ومن المكتشفات الدالة على النقوش التي كانت تزين هذا المعبد ، كتلة حجرية مكعبة مهشمة ، نقش اسد جاثي على وجهين من وجوهها الجانبية، وصقل الوجهان الآخران ، مما يشير الى انها كانت مبنية في المدخل بين الحرم والحجرة التي تتقدمه ، حيث عثر عليها المنقبون . وكما اشرت سابقا ، فان هذا المعبد قد شيد فوق انقاض معبد اقدم ، وجددت أرضيته مرتين خلال هذا العصر . ففي المرة الاولى كانت الارضية قطعا من الحجارة الكلسية والبازلتية المنحوتة والمصقولة والمغموسة في ملاط طيني . وقد فرشت فوقها طبقة جصية كلسية ناعمة . اما في المرة الثانية ، فكانت الارضية طينية عادية .

الى جانب هذا المعبد كان في ابيلا معابد اخرى، حررتها معاول ورفوش المنقبين وهي المعبد N الى الشمال من مركز المدينة ، والمعبد B1 الى الجنوب الغربي منه والمعبد B2 الى جواره .



مخطط رقم ٢٩


١
٢
٣
٤
٥
١ المحراب
٢ الحرم
٣ حجرة إستقبال
٤ باب
٥ زواق
D
مخطط رقم (٣٠) المعبد

مخطط رقم ٣٠

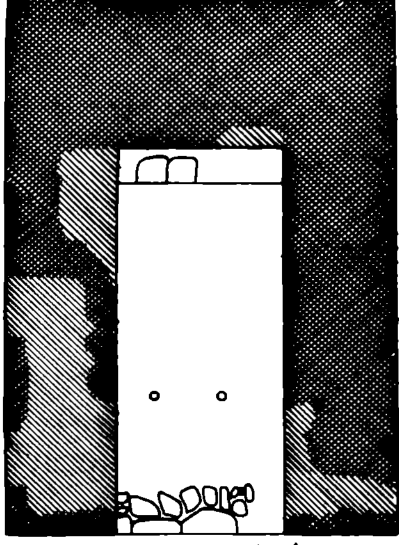
المعبدان N و B1 صغيران عاديان ، لانهما في أحياء المدينة الشعبية ، حيث يكفي بيت صغير بسيط لاقامة الشعائر الدينية بين جدرانه . يتالف كل معبد من حجرة فيها مذبح على شكل بلاطة كبيرة ، لها ميزاب تسيل عبره دماء الذبائح ، وتصب في حوض وجوهه مزخرفة . (مخطط ٣١) .

يختلف المعبد B2 في حجمه ومخططه واسلوب بنائه عن المعابد التي ذكرتها في ايبلا ، والتي تتالف عادة من حرم أو مصلى لتادية الشعائر الدينية . فالمعبد B2 آبدة فريدة ، تضم باحة وحرما وحجرات أخرى لها وظائف مختلفة ، مثل حجرة الخلوة للتعبد وحجرات النذور وحجرات لنحر الذبائح (مخطط ٣٢) .

وتتصل بهذا المعبد مجموعة من المغاور والكهوف المحفورة في الاراضي الصخرية الى الشمال منه ، بينه وبين المعبد B1 والتي يبدو انها كانت ديماس . ومن هذا المنطلق يفترض السيد باولو ماتييه ان هذا المعبد لم يكن مخصصا للعبادة ، بل لاقامة مراسم الدفن ، واقامة الشعائر الدينية المتصلة به .

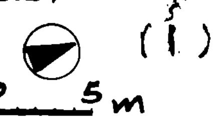
بعد هذا العرض لاهم المعابد في ايبلا ، لا بد من الاشارة الى ان اسلوب بنائها مماثل لاسلوب بناء البيوت والهياكل المقدسة في بلاد الشام . فالبيت أو الهيكل المقدس الكنعاني عبارة عن حرم كبير او صغير لاقامة الطقوس الدينية . وقد يتقدم الحرم الرئيسي حرم اصغر ، كما هو الحال في معبد الرب بعل في اجاريت ، أو المعبد (د = D) في ايبلا . واذا ما تهدم الهيكل او البيت جدد وبني في نفس المكان ، فيصبح مرتفعا عن الارض المجاورة له ، ويصبح الدخول اليه بوساطة درج . وهذا ما نلاحظه في المعبد (د = D)بايبلا ، ومعبد الطبقة السابعة في اللالخ بسهل العمق . ان عناصر المقارنة بين معابد ايبلا ومعابد مدن بلاد الشام الاخرى كثيرة ، ولكنني اكتفي بهذا القدر ، واضيف ان تجهيزات المعبد الداخلية مثل المذبح والحوض المتصل به والمحراب كانت ايضا متشابهة في المعابد الكنعانية .

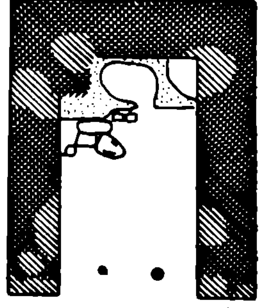




مخطط المعبد B1

(أ)





مخطط المعبد N

ب

مخطط رقم ٣١



0 5 m

البيت المقدس B 2

مخطط رقم ٣٢

وفي هذا الصدد ، لا بد من الاشارة الى معابد مجدو بفلسطين ، والتي تعود الى نهاية الالف الثالثة ، وبداية الالف الثانية ق.م . يبدو انها تجددت مرارا ، ثم حل بها الخراب ، وما بقي الا مصلى مستطيل الشكل امامه باحة ، او مصلى امامي كما كان في ايبلا ؟ او في اللالخ . حيث كشف في الطبقة ٧ (١٧٨٠ ـ ١٧٥٠ ق.م) على معبد بني حسب التقاليد القديمة ، مصلاه مربع الشكل تقريبا ، تتقدمه حجرة مستطيلة . تلتصق بجدران المصلى مقاعد الجلوس وفيه ايضا المذبح المدرج .

ب ـ القصور :

هذا وصف موجز لاهم المعابد في العصر الكنعاني القديم ، ننتقل بعده الى استعراض القصور ، ونبدأ بمدينة ماري ، التي اكتشف فيها القصر المنسوب الى زمري ـ ليم ، الذي حكم في القرن الثامن عشر او التاسع عشر ق.م . .

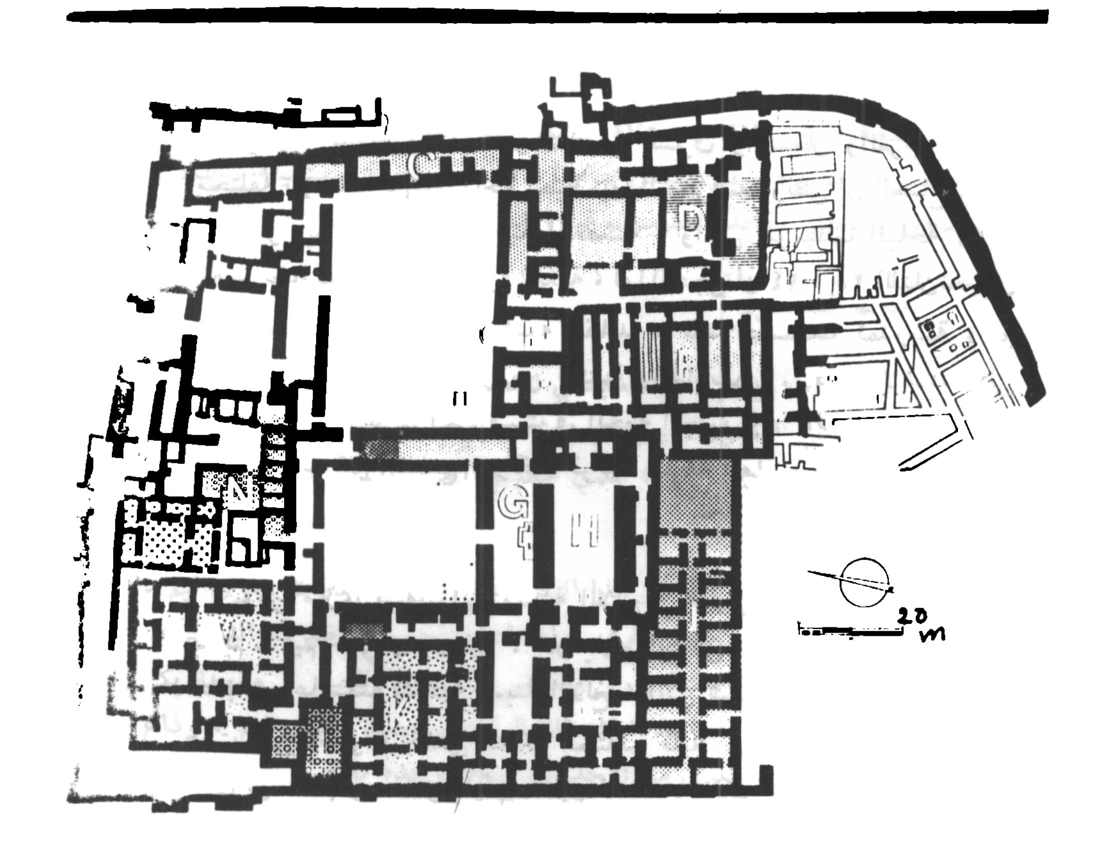
والاعتقاد السائد الآن ان هذا القصر ، ليس من انجازات زمري ليم ، بل ساهم في بنائه ، ملوك ماري ، اسلافه ، حسبما اظهرت الدراسات الجديدة للتلوينات الجدارية ، ولبعض قاعات القصر . ومهما يكن الامر ، فان القصر قد اخذ شكله النهائي ، في عهد زمري ليم ، وذاع صيته في عهده ، لذا نرى من الاجدى وصفه كوحدة تامة .

تشكل الباحتان ١٠٦ و١٣١ نواة القصر ، اما المدخل الرئيسي الوحيد، الذي نعبره لنصل الى هاتين الباحتين وجميع حجرات القصر ، فيقع في الشمال ، ويتألف من بوابة يحيط بها اطار بارز، يعقبها حجرة عرضانية، خلفها باحة سماوية ، ثم حجرة مستطيلة الشكل لها مدخلان غير متقابلان، ندخل منها الى الباحة ١٣١ ، حيث نجد امامنا ، وعند طرفها الجنوبي ، قاعة طولانية كبيرة نعتقد انها قاعة العرش ، كانت جدرانها مزخرفة وفيها منصة . نخرج من الباحة ١٣١ الى حجرة المحفوظات ١١٥ ، ثم الى حجرة اخرى ، ثم الى الباحة ١٠٦ ، التي زينت جدرانها بأشكال متنوعة مستمدة من مواضيع وطقوس دينية . يكمل الباحة المعبد الذي يقع في جنوبها ،

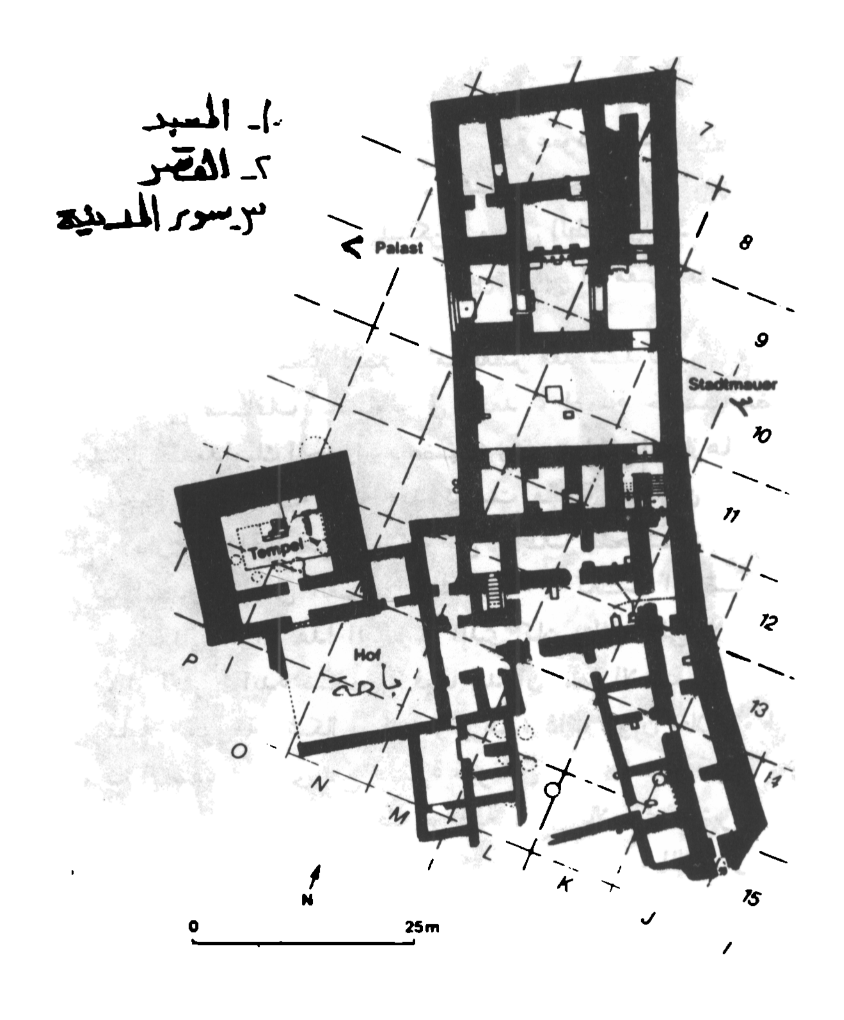
ويتالف من حجرة طولانية (رقم ٦٤) فيها منصة . ويصلها بحجرة مماثلة خلفها (رقم ٦٥) بابان وعند الضلع العرضاني الشرقي لهذه الاخيرة ، يقع المصلى (٦٦) ، الذي رفع فوق ارضية الحجرة ٦٥ (مخطط ٣٣) .

يحيط بالباحتين ١٠٦ و١٣١ من الشرق والشمال والغرب اجنحة مختلفة تتوسط كل منها باحة تحيط بها الحجرات. ونظن ان الجناح الواقع عند الزاوية الشمالية الغربية المحصنة ، والتي تتوسطها الباحة ٣١ ، كانت مخصصة لسكن الاسرة الملكية ، اما الحجرتان ٢٤ ، ٢٥ اللتان تحويان على مصاطب غير مرتفعة تشبه المقاعد ، فقد خصصت كمدرسة ، أو مكاتب عمل موظفي القصر من الكتبة والدارسين . هذا بالاضافة الى المستودعات والمطابخ التي بنيت في الجهة الجنوبية . هذا هو قصر ماري ونلاحظ انه كبير متسع ، ولكنه قريب بشكله العام ، من قصور العراق القديم .

ومن ماري ننتقل الى مدينة اللالخ في سهل العمق ، لنصف قصر ياريم – ليم حمي زمري ليم . كان ياريم ليم من اقوى ملوك عصره ، مقره حلب ، وعاصمته الثانية مدينة اللالخ ، التي شيد فيها معابد وقصور ، دلت على أسلوب خاص مبتكر مختلف قليلا عن اسلوب عمارة بلاد النهرين . يجاور قصر ياريم – ليم المعبد . شكله ، او بالاحرى محيطه غير منتظم . شيد في أحد زوايا سور المدينة . يتالف من جناحين تفصل بينهما باحة كبيرة يتوسطها موقد ضخم . الجناح الاداري في الجهة الشمالية الغربية يضم الحجرات ١ – ٨ ، ويتالف من طابقين أو أكثر وقد جدد ، اذ كان الدخول اليه من الباحة (٩) ثم الى قاعة الانتظار (٨) ومنها الى بيت الدرج (٣) ، أو الى قاعة الاستقبال ٥ و(٥ آ) ، التي قسمت بوساطة أعمدة الى قسمين ألحق بالقسم الشمالي الشرقي منها الحجرة رقم (٢) . وعند التجديد سد الباب المنفتح على الباحة ٩ ، وفتح بابان في الحجرة (٧) التي اصبحت مدخل الجناح الاداري أو الرسمي (مخطط ٣٤) .



مخطط رقم ٣٣


١- المعبد
٢- القصر
٣- سور المدينة
Palast
Stadtmauer
Tempel
Hof
باحة
7
8
9
10
11
12
13
14
15
P
O
N
M
L
K
J
I
N
0
25m

مخطط رقم ٣٤

يقع جناحا السكن الى الجنوب الشرقي من الباحة (٩) ، وكانت جدران الحجرات (١١ ـ ١٣) باقية حتى ارتفاع ٨٥ر٢ م عند الكشف عليها . وقد بني فوقها قاعة كبيرة قسمت بوساطة اعمدة خشبية الى قسمين ، وكان لها نافذة كبيرة جزأت بوساطة عمودين خشبيين يستندان على قواعد حجرية الى ثلاثة أجزاء . تشكل الباحة (١٨) مركز هذا الجناح ، وتحيط بها الحجرات للسكن ، وطهي الطعام والمستودعات ... الخ . ويظن ان الحجرة ١٧ كانت عبارة عن ضريح أو مقبرة ملكية .

هذا فيما يتعلق بأجنحة القصر ، اما القصر فقد شيد باللبن ، ووضعت بالجدران وعلى مسافات متساوية في البعد ، اعمدة خشبية مضلعة كعصابات لربط مداميك الجدران ببعضها ، وتقويتها لمنع انهيارها بسهولة . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فقد كسيت قاعدة الجدران الخارجية للجناح الاداري بنعلة حجرية مؤلفة من بلاطات منحوتة ، لمنع تآكل اساسات الجدران بفعل العوامل الطبيعية . كانت الارضية شبه اسمنتية . والواقع أن هذا القصر ، الذي كان يتألف على الارجح من طابقين ، أو اكثر ، آبدة ضخمة ، فيها جدران قاعة الاستقبال ، وقاعات اخرى هامة ، مزوقة بأشكال نباتية وغيرها ، ذات الوان خلابة ، لم يبق منها ، مع الاسف ، سوى بقع صغيرة ميزنا في احداها صورة بناء ، رسم باللون الابيض ، وأحيط بخطوط عريضة ، أو بالاحرى باشرطة الوانها زرقاء وصفراء تلتقي عند الزوايا باشكال ثيران سوداء اللون وهي اطار البناء (صورة ١٠٦) .

يتضح من مقارنة قصر زمري ليم ، مع قصر حمية ياريم ـ ليم ، أن هناك فوارق اساسية بينهما من حيث الاتساع ، وعدد الطوابق ، ومواد البناء المستخدمة .

ويشتركان بميزة فريدة هي ، زخارفهما الجدارية البديعة .

كان علماء الآثار واساتذة العمارة يعتمدون على القصور التي ذكرت في تدريسهم لفن العمارة خلال هذا العصر . وبعد ان جرت حفريات ايبلا



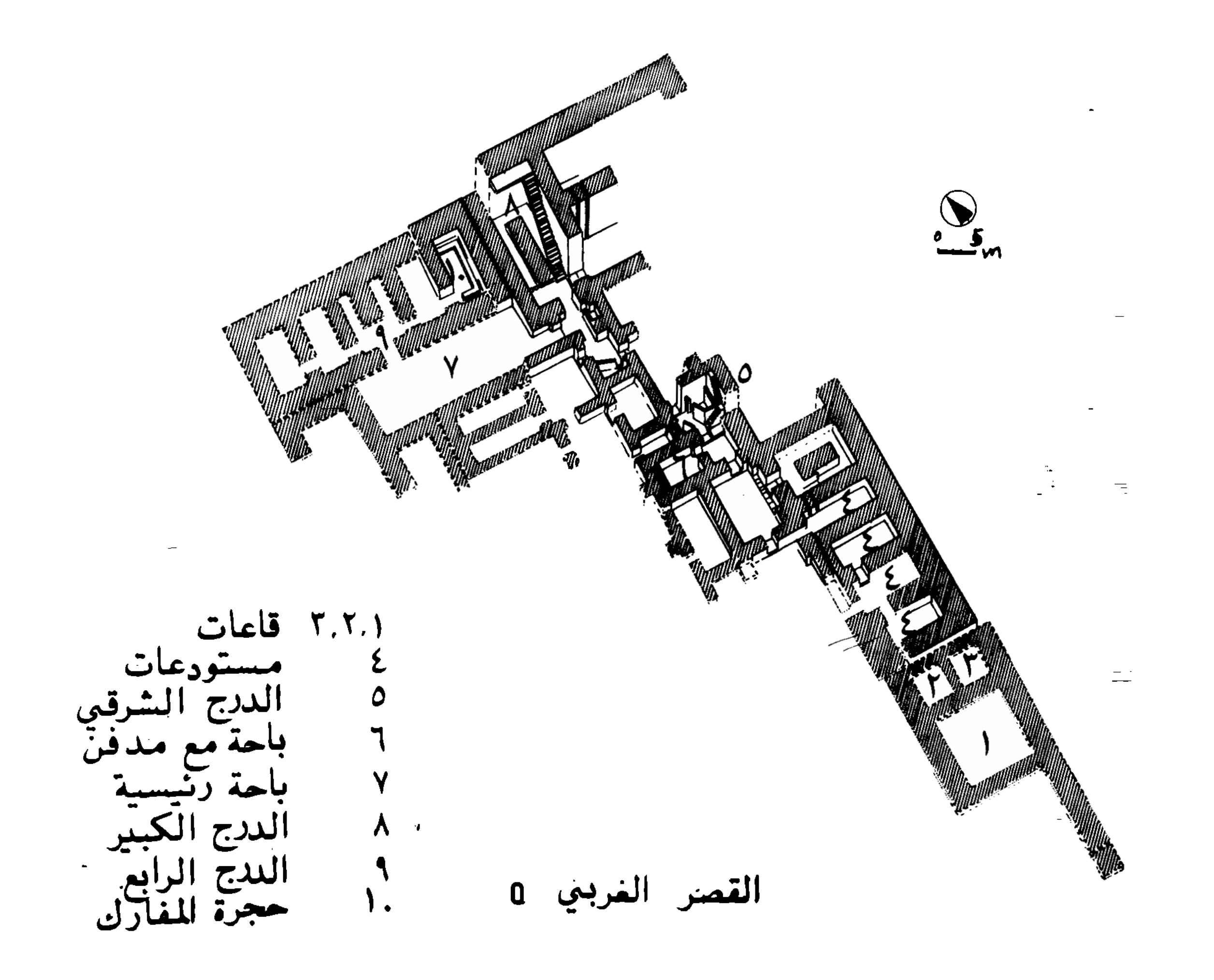
الصورة رقم ١٠٦

اضيف قصران جديدان للاوابد المعمارية الشهيرة في هذا العصر همـا القصر Q والقصر E .

القصر الغربي في القاطع Q ١٨٠٠ـ١٦٥٠/ق.م.١٦٠٠ : يقعفي الحي الغربي المنخفض ، ويمتد على أطراف السفح الغربي للرابية ، التي تتوسط المدينة ، وتقوم عليها مباني رئيسة مثل القصر G والمعبد D ، الذي كرس لعبادة الربة عشتار في هذا العصر ، اي في نفس الوقت الذي كان فيه هذا القصر مقر الحكم في ايبلا . يفصل بين هذا القصر والرابية ساحة مبلطة ، تمتد على الاطراف الغربية للرابية ، وتتصل بالزاوية الجنوبية الشرقية للقصر ، الذي يمتد كالمعبد من الجنوب الى الشمال بطول حوالي ١١٥ م (مخطط ٣٥) ، ومن الغرب الى الشرق بعرض حوالي ٦٧ م . لم يكشف عليه كاملا ، وانما كشف على جداريه الشرقي والشمالي وعلى جزء بسيط من جداره الجنوبي، وبهذا تكون قد تحددت زاويتاه الشمالية الغربية ، والجنوبية الشرقية . وامكن تتبع آثار امتداد جداره الغربي الذي نظن انه يوازي الجدار الشرقي ويساويه طولا .

دلت الاسبار في وسـط القصر ، وفي أجنحته الشـمالية الغربية والجنوبية الغربية على تعرضه لخراب فظيع حوالي عام ١٦٥٠ أو ١٦٠٠ ق.م . ثم هجر حتى عصر الاحتلال الروماني حيث شيدت اساسات حجرية فوق انقاضه ، فاقتضى تخريب أجزاء من جدرانه وحجراته ، علما بأن اقسامه الشمالية الغربية ، والجنوبية الغربية ، والجنوبيـة الشرقية ، كانت قد تعرضت للدمار والتخريب خـلال العصر الآرامي الوسيط (العصر الحديدي الثاني) ٩٠٠ ـ ٧٥٠ والاخير (العصر الحديدي الثالث) ٧٥٠ ـ ٥٣٥ ق.م .

وبالاستناد الى الاقســام المكتشفة تقدر مســاحة القصر بحوالي ٧٣٠٠ م ، وترتفع واجهتاه الشمالية والشرقية ٣٫٢٠ م حتى الآن . ومن الخارج كسيت قواعد الجدران بنعلة مؤلفة من بلاطات حجرية كلسية ، مقاييس كل بلاطة (١٫٤٠ × ٠٫٥٠ ، ٢ ، م) . بنيت الجدران باللبن فوق


القصر الغربي ٥
١،٢،٣ قاعات
٤ مستودعات
٥ الدرج الشرقي
٦ باحة مع مدفن
٧ باحة رئيسية
٨ الدرج الكبير
٩ الدرج الرابع
١٠ حجرة المفارك
0 5 m

مخطط رقم ٣٥

اساسات حجرية مؤلفة من صفين متوازيين متباعدين من الحجارة الكلسية الكبيرة ، وضعت بينهما حشوة من الحجارة الكلسية الصغيرة . واذا توفرت الارض الصخرية الطبيعية ، شيد الجدار فوقها مباشرة ، كما كان عليه الحال في الجزء الشمالي من جدار الواجهة الشرقية ...

وبحسب الدلائل المتوفرة تشكل جدران القصر الخارجية شبه منحرف ، ضلعاه المتوازيان الواجهتان الشرقية والغربية ، وقاعدته الصغرى الواجهة الشمالية ، والكبرى الواجهة الجنوبية ، اي الرئيسة ، التي فيها بوابة القصر . يبدو واضحا ان الجزء الشمالي يضم ثلاثة أجنحة متميزة عن بعضها . اثنتان في الجهة الشرقية وثالثة في الغربية . اما الجزء الجنوبي الشرقي ففيه ثلاث قاعات ، واحدة كبيرة وهامة ، واثنتان صغيرتان تقعان الى الشرق من البوابة الرئيسة . يلي ذلك كله اربع حجرات متساويةتشكل المستودع الشرقي الملاصق للجدار الخارجي. يقابله الدرج الغربي المعزول تماما ، الذي كان يربط بين اجنحة متعددة من القصر كما نظن . ونرجح انه كان يدور اربع مرات حول عضادة او رفادة الى الشمال من المستودع الشرقي ، وفي وسط الواجهة الشرقية ، نشاهد الدرج الشرقي ، الذي يربط بين الباحة الصغرى والغرف المحيطة بها . والجدير بالذكر انه وجد تحت ارضية هذه الباحة ضريح ضم ثلاثة مدافن تعود الى نهاية العصر البرونزي الوسيط الاول ، وبداية العصر البرونزي الوسيط الثاني (حوالي ١٨٢٥ – ١٧٠٠ ق.م .) وسوف نتحدث عنه فيما بعد . اما الى الشمال فقد كشف المنقبون على جناح الخدم ، الذي يتألف من باحة وحجرات محيطة بها . ومن الباحة يتجه المرء الى الدرج الشرقي في الجنوب ، والى الجناح الشمالي الشرقي في الشمال . ويمكن له ايضا الانتقال الى مركز القصر ، الذي لم يكشف عليه بعد .

توجد باحة كبيرة في القسم الشمالي . مقاييسها ٣٠ ، ٢٣ × ٥٠ ، ٧م. ينفتح بابها الرئيسي على ممرات تقود الى الجناح الشمالي الشرقي ، والدرج الشرقي الكبير في الجنوب . يظهر الجناح الشمالي الشرقي اكثر

اجنحة القصر تماسكا وترابطا ، اذ يبدو وكأنه كتلة معمارية متميزة ، يتوسطها ممران قصيران ، فيهما درج هو الدرج الرابع في القصر . ويحيط بها من كل جانب حجرتان مستطيلتان ، احداها التي تقع الى الشمال الشرقي بابها في زاويتها الجنوبية ، وفيها مصطبة امام ثلاث من جدرانها. وبنيت بالحجارة ، وكسيت بطبقة طينية سميكة غمست بها جواريش محدبة بازلتية ، وجدت بحالة تامة فوقها المفارك البازلتية .

يطرح هذا القصر الكبير سؤالا هاما وهو هل بني وفق مخطط واحد ؟ ام عدة مخططات وعلى مراحل ؟ يعتقد المنقبون انه بني وفق مخطط واحد ، بدليل ترابط جدرانه الخارجية . الا ان تنفيذه قد تم على مراحل . وأهم ما نلاحظه فيه تعدد الباحات ، التي انشئت موازية للجدران الخارجية . وكانت الصغيرة في الشرق ، والكبيرة في الشمال . والغرض منها ربط الاجنحة والحجرات ببعضها ويبدو جليا واضحا ان القصر قد قسم منذ البداية الى اجنحة ، لكل منها وظيفته ، التي سنتعرف عليها بعد انتهاء اعمال التنقيب .

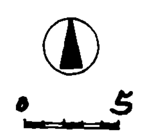
في الحقيقة ان هذا القصر كغيره من القصور الكنعانية الامورية قد استخدم كمقر للدولة فيه ادارات متعددة عسكرية ، زراعية ، تجارية ، دواوين ... الخ . وهو قريب او شديد الشبه بقصر ياريم ليم ، الذي وصفناه قبل قليل ، من حيث المخطط والوظائف . ونحن لا نستغرب ذلك ، اذ نعلم من رسالة موجهة من احد امراء اجاريت الى حمورابي ملك حلب ، ان هذا الاخير قد نقل الى ملك ماري ، رغبة ملك اجاريت في زيارته لمشاهدة قصره العظيم . وان دل هذا على شيء فهو يدل على معرفة ملوك ذاك العصر بالمنجزات المعمارية التي تتم في البلاد ، وعلى رغبتهم في تقليد الشهير منها .

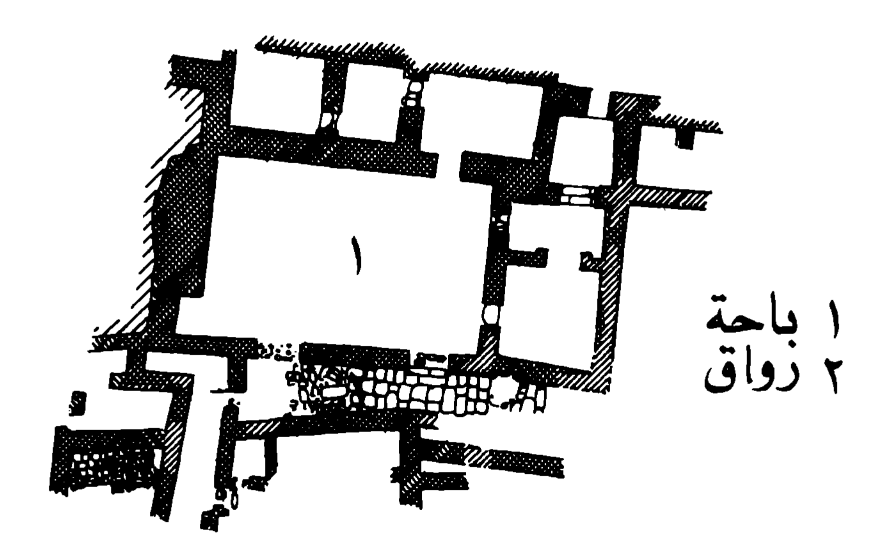
وفي الختام لا بد من الاشارة الى ان تاريخ القصر في العصر : (مرديخ III A-B ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م.) قد استند الى الاواني الفخارية ، التي وجدت فيه ، والتي يعود اقدمها المكتشف في ارضيات القصر الاولى ،

الى العصر البرونزي الوسيط الاول (٢٠٠٠–١٨٠٠ ق.م) ، والاخرى الاحدث الى العصر البرونزي الوسيط الثاني (١٨٠٠ – ١٦٠٠ ق.م .).

هذا باختصار وصف للقصر Q ، الذي لم ينته العمل به . وننهي دراستنا لقصور ايبلا بوصف مختصر للقصر E ، الذي كشفت البعثة على جناحه الشمالي فقط . شيد القصر على الطرف الشمالي للرابية ، وتتوسط الجناح المكتشف باحة مستطيلة (١٥ x ٢٨ م) ، جداراها الغربي والشمالي اعرض واقوى من الجدارين الآخرين . تحيط بها حجرات من الشمال والشرق ، ورواق من الجنوب . ومما يدل على ان القصر كبير ، ويتألف من بضعة اجنحة ، كون الحجرتين الواقعتين الى الشرق من الباحة لا تتصلان مباشرة بالحجرات التي تليها . ولا بد في هذه الحالة من ان تكون باحة اخرى الى الشرق من الباحة المحررة من الانقاض ، قد يكشف عليها مستقبلا ، فيظهر ان تلك الحجرات محيطة بها . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الحجرات الممتدة الى الجنوب والجنوب الغربي من الرواق منخفضة مقدار (١٠ر٢ م) عن الجناح الشمالي ، ولا تتصل به الا عن طريق الرواق . لهذا نظن انها تحيط بباحة اخرى . واخيرا وفيما قدمنا من وصف لقصور ، بينا انها كانت تتالف من عدة اجنحة ، ولا نظن ان هذا القصر شاذ عنها (مخطط ٣٦) .

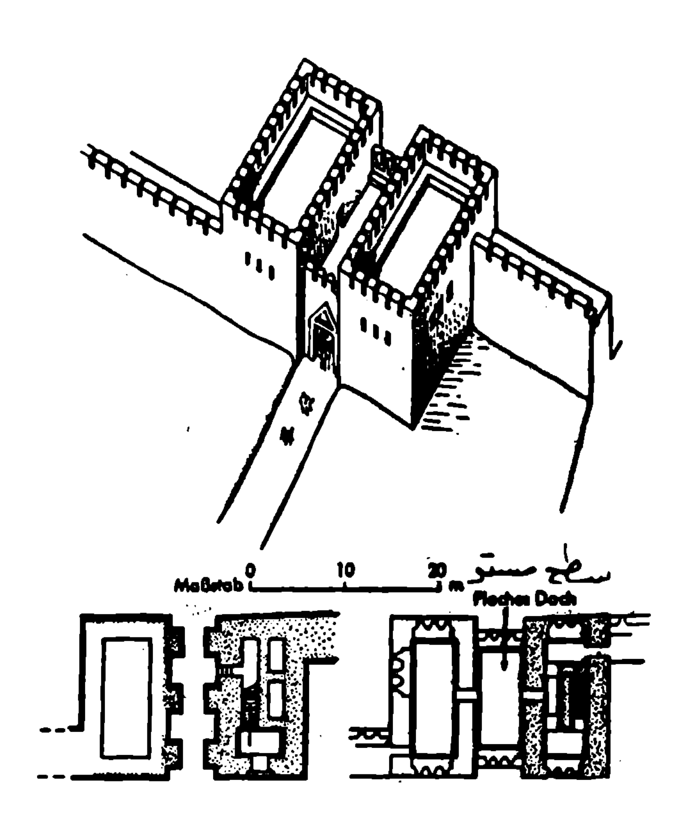
وقبل ان ننهي استعراضنا لفن العمارة ، لا بد من الاشارة الى الاسوار والبوابات ، التي كانت تحيط بالمدن الهامة عادة . ونختار هنا مدينة اللالخ ، التي كانت محاطة بسور ، ولها بوابة رئيسة ، هي البوابة الشمالية الغربية ، المطلة على الطريق الرئيسي بين حلب وانطاكية . الطريق الواصلة بين البوابة والسهل المجاور للمدينة شديدة الانحدار ، وللبوابة ثلاثة ابواب متتالية ، تفصل بينها حجرتان مستطيلتان ، تحيط بها حجرات الحرس في الطابق الارضي والطابق العلوي . والبوابة باكملها تشبه البرج الذي بني باللبن ، وربطت جدرانه بعصابات من اعمدة الخشب المضلعة . وكسيت قواعد جدرانه الخارجية بنعلة حجرية تتالف من بلاطات منحوتة . ويمكن القول ان هذا الطراز من البوابات كان مالوفا في كل مكان من بلادنا (مخطط ٣٧) .





مخطط القصر الملكي E
الجناح الشمالي

مخطط رقم ٣٦

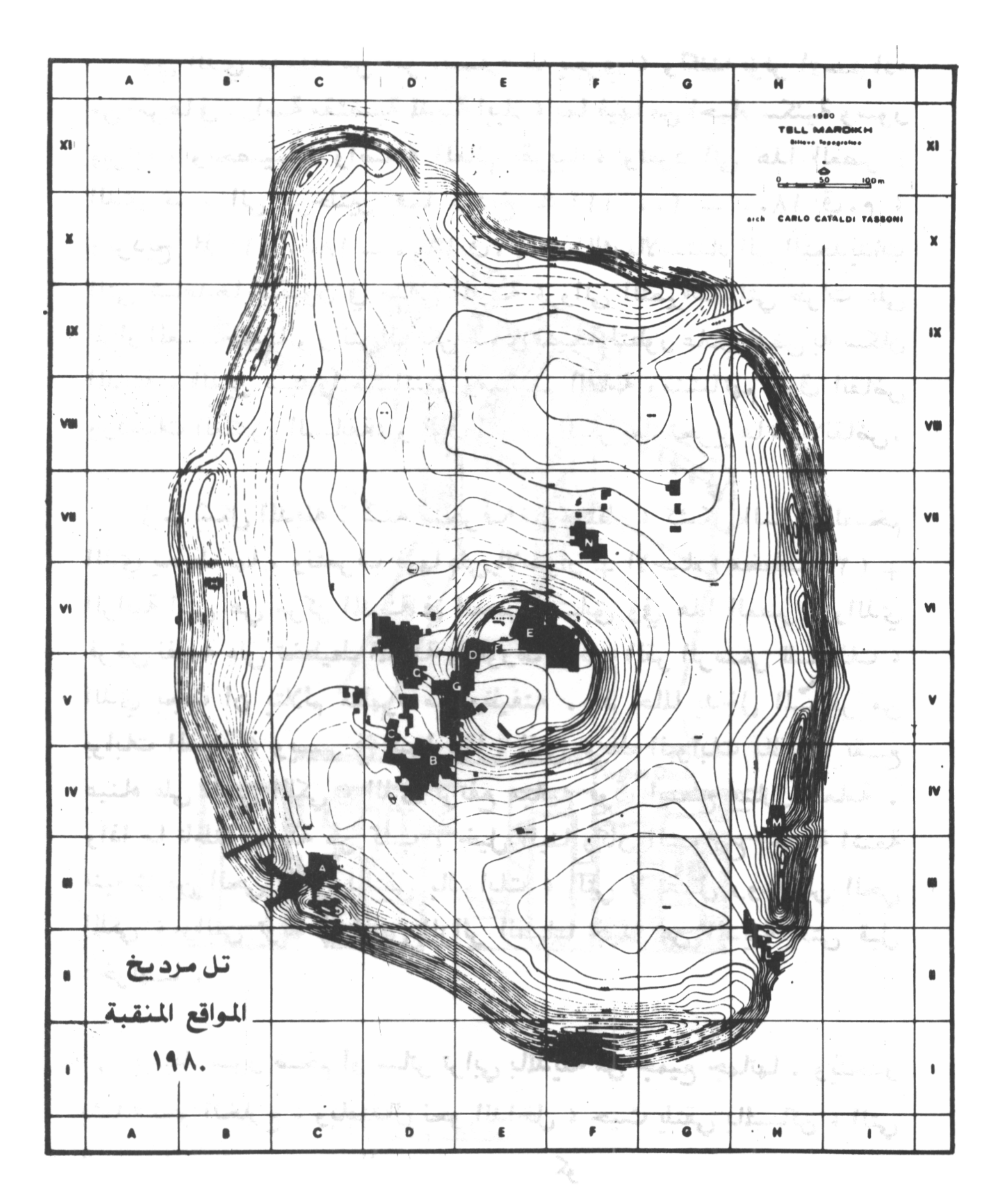


مخطط رقم ٣٧

وفي الذي قدمناه من أمر العمارة ما يجزي ، ولكننا نؤثر الاستزادة من امرها في دراسة مقتضبة لمدينة ايبلا ، بما فيها من احياء سكنية وسور وبوابات وتحصينات واضحة المعالم تقريبا ، وتعود الى هذا العصر ، الذي قسم الى مرحلتين هما مرديخ A ۱۱۱ ۲۰۰۰ – ۱۸۰۰ ق.م ، ومرديخ B ۱۱۱ ۱۸۰۰ – ۱٦۰۰ ق.م . وذلك بالاستناد الى التجديدات التي شاهدها المنقبون في مباني المدينة ، والى التغيرات التي طرأت على طراز المعيشة فيها . والتي لم تكن سوى نتيجة لتطور عادي نهض به سكان المدينة ، الذين شيدوا مساكنهم ومبانيهم العامة ومنشآتهم فوق انقاض وردميات العصور السابقة،أو فوق الارض البكر بعد تحريرها من الانقاض.

١ – **شكل المدينة** : شبه منحرف غير منتظم ، كشكل السور الضخم الذي يحيط بها . ونتعرف فيها على الاسوار + الاحياء (مخطط ٣٨) + الرابية التي هي مركز المدينة في العصر السابق وفي هذا العصر ، والذي فرض نفسه على تخطيط المدينة وتطورها . فهو المقر الرسمي للسلطات ، الذي يجب أن يتلائم مظهره مع وظيفته . اذ حالما يدخل المسافر من بوابات المدينة ، ويسير في شوارعها ، التي تربط البوابات بالمقر ، تقع عيناه على الحي الملكي ، الذي ترتفع مبانيه فوق أسطح منازل العامة . واذا ما تاملنا المدينة عن كثب ، خيل الينا وكأن الشوارع أحزمة اشعة تنبعث من الحي الملكي لتلتقي بالبوابات ، التي لا تقل روعة عن الحي الملكي ، والتي تولد في نفس الزائر انطباعا جيدا عن المدينة حتى قبل دخولها .

. يحيط سور ضخم أو ساتر ترابي بالمدينة من جميع جهاتها . وينحدر بشدة نحو الخارج ، وباعتدال نحو الداخل ، حيث يلتقي بالمساكن ، التي زحفت نحو قمته بمرور الزمن . وحيث يكون منبسطا وملائما ، اقيمت بعض المنشآت الدفاعية فوقه ، مثل المهاجع والمستودعات الحربية . اما على السفوح الخارجية فشيدت الابراج الدفاعية ، التي بقيت اساساتها شاهدا عليها .

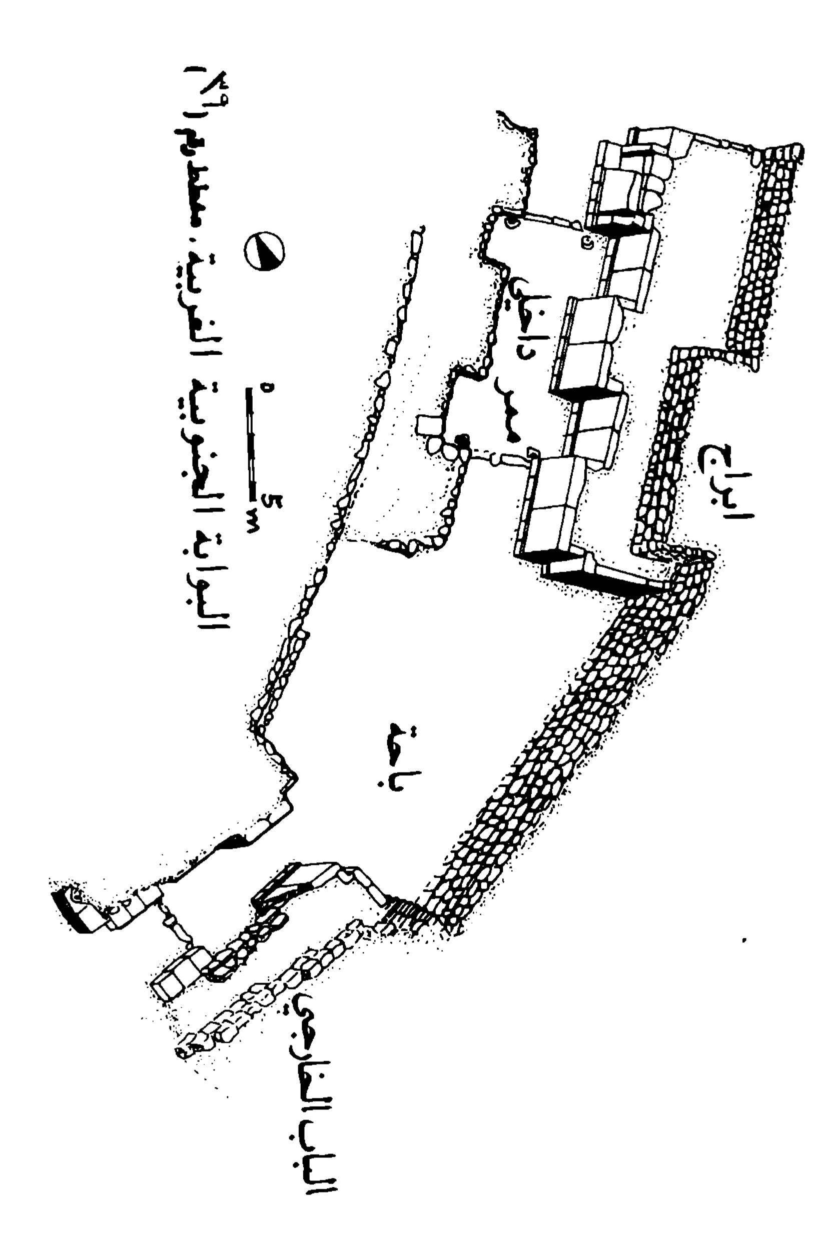

1980
TELL MARDIKH
0 50 100m
CARLO CATALDI TASSONI
تل مرديخ
المواقع المنقبة
١٩٨٠
A B C D E F G H I
XI X IX VIII VII VI V IV III II I
N
E
D
G
G
C
B
A
M

مخطط رقم ٣٨

٢ ـ **السور** : كشفت التنقيبات على اجزاء منه وعلى بعض بوابات المدينة ، التي تعطينا فكرة واضحة عن هذا الفن ، يتألف السور من حاجز ترابي يرتفع مقدار ٢٠ م فوق السهول المجاورة ، وحوالي ١٢ م فوق اطلال المدينة . تبلغ سماكته عند القاعدة حوالي ٥٠ م ، وعند القمة أقل من ذلك بكثير بحسب الوضع الراهن . جلبت له الاتربة من السهول المجاورة ومن الانقاض المرحلة من داخل المدينة .

وبما أنه كشف على كسوة حجرية لقاعدة السور قرب البوابة الجنوبية الغربية ، فمن المرجح أن سفوحه الخارجية قد كسيت بالحجارة ، جريا على عادة الكنعانيين الذين خلفوا مدنا مسورة ، كسيت اسوارها بالحجارة ، حتى لا تنهار ، وحتى يصعب على المهاجم تسلقها . ومن الاسوار التي لا تزال قائمة حتى الآن سور موقع تل شهاب . هذا فيما يتعلق بالسور ، اما فيما يخص البوابات ، فان البوابتين الجنوبية الغربية والشمالية الغربية اكبرهن ، والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية اصغرهن . ومن المرجح أن الجنوبية الغربية هي الرئيسة ، لانها مبنية بتقنية عالية مع مراعاة دقيقة للناحية الجمالية كما سنرى . (مخطط ٣٩) .

قسمت هذه البوابة الى ثلاثة قواطع : مدخل ينفتح على السهل ويحيط به زوجان من الدعامات الحجرية ، ويليه باحة مكشوفة ذات شكل شبه منحرف ، ثم ممر يقود الى المدينة تسده ثلاثة أبواب متتالية دعاماتها الحجرية بارزة ، ومحاورها ليست على استقامة واحدة ، بل نجد أن محور البابين اللذين يليا الباحة منحرفين نحو الشمال الغربي . يبلغ طول المدخل الخارجي ١٠٫٥٠ م والداخلي ٢١٫٥٠ م . ان ما يميز هذا المعبر ابوابه الخمسة المتتالية ، التي احدثت بوساطة دعامات حجرية داخلية ، اسندت على الجدران ، فبرزت نحو الداخل . يغلق كل باب بمصراعين ، وكانت الابواب من الخشب الذي وجدت بقاياه المحترقة في المدخل وفي الزماربر .


البوابة الجنوبية الغربية
ابراج
ممر داخلي
باحة
الباب الخارجي
5 m 0

مخطط رقم ٣٩

وقد لوحظ أن ثلاثة من الابواب كانت تغلق . وينفتح البابان الاول والثاني نحو الداخل ، والثالث الداخلي نحو الخارج . كسيت الواجهات الداخلية للمدخل الاول ببلاطات حجرية منحوتة وضعت فوق نعلة من الحجارة الضخمة . ويبدو من ميلها نحو الداخل أن السقف كان معقودا . ونجد في الزاوية الجنوبية الشرقية للباحة برجا عاليا نصعد اليه بوساطة درج ، الغرض منه الدفاع عن هذه البوابة الخارجية .

لقد كسيت واجهات دعامات ابواب المدخل الثاني المحصن ببلاطات بازلتية منحوتة ، وواجهات حجراته ببلاطات منحوتة من الحجر الكلسي . ونشاهد في سطوحها العلوية ثقوبا اسطوانية شاقولية ، كانت تدخل فيها القضبان الخشبية او المعدنية ، التي تربط بين البلاطات والجدار اللبني فوقها . ولا شك أن سقف هذه المدخل كان معقودا ايضا .

وفي الختام لا بد من الاشارة الى أن الجانب الشرقي أو الايمن كان بحالة جيدة ، والغربي او الايسر كان بحالة سيئة . وبما انه لم يعثر على شواهد تدل على أن سطحه الداخلي كان مكسوا ببلاطات حجرية ، بل عثر على حجارة ضخمة تتدرج من أسفل الى أعلى ، نظن أن الابراج وغيرها من التحصينات كانت في الجانب الشرقي ، وأن الحجارة في الجانب الغربي كانت لدعم وتثبيت الساتر الترابي أو السور .

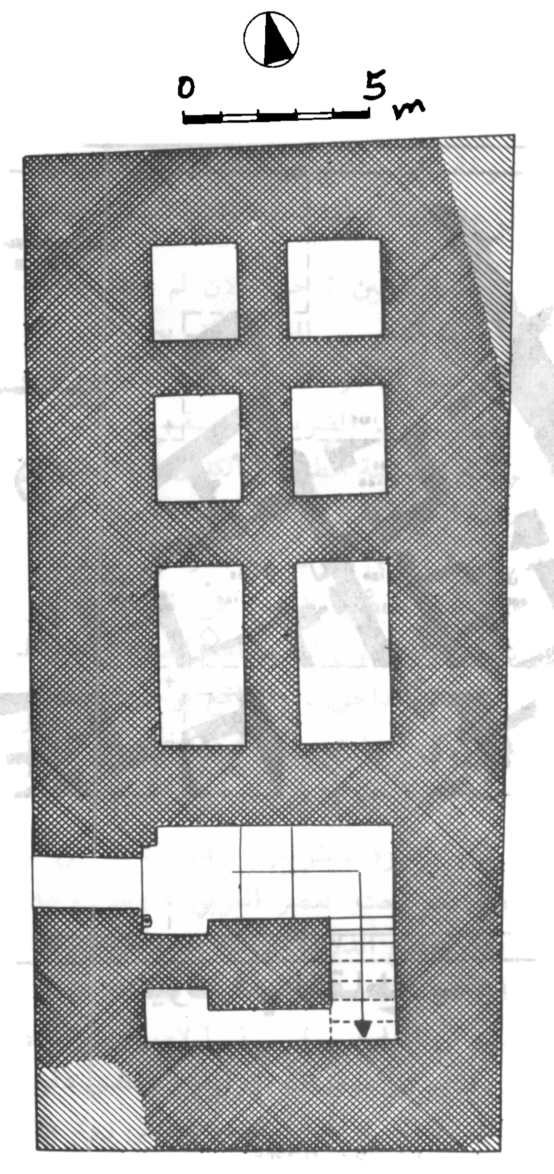
تدل آثار الابواب المكتشفة في مدينة اللالخ ، وقطنه وجيزر على ان هندسة بناء باب ايبلا هذا مشابهة لهندسة بناء الابواب اياها . وتدل الآثار المتبقية من باب مدينة اللالخ ان سقفه كان معقودا ايضا . ورغم التشابه الواضح بين مخططات هذه الابواب ، فان باب ايبلا متميز عليها بوجود باحة فاصلة بين بابيه الخارجي والداخلي . والواقع ان هذا المخطط ليس فريدا ببلاد الشام ، بل نلاحظه في موقع تل عشترة . فكل من يسير نحو التل من الجهة الغربية يخطو فوق ارض صخرية ، ثم يمر عبر باب خارجي ، يحيط به برجان (قد يكونان حجرتان) ، ثم يجتاز باحة شكلها مثلثي ، فيصل الى فجوة في سور المدينة ، تمثل الباب الداخلي ، الذي لم يكشف عليه بعد .

نستنتج مما ذكرناه ان الباب الجنوبي الغربي في ايبلا ، انموذج جيد لابواب مدن بلاد الشام في هذا العصر ، وليس له قرائن في العراق وتركيا ، بل هو على ما نظن من الابتكارات الكنعانية .(٣٢)

اذن كانت البوابات في ايبلا ممرات محصنة ، وكانت الابراج تحمي الاسوار والمدينة . والى جانبها كشف على « حصن » هو الحصن

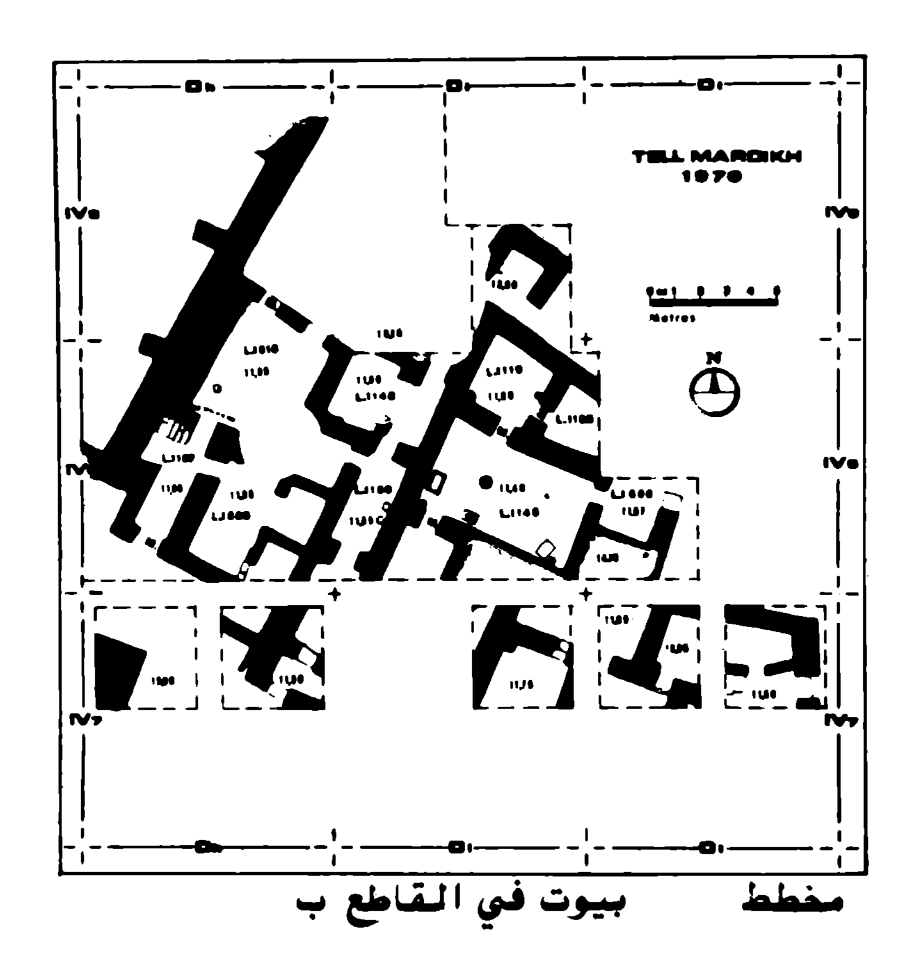
M الذي شيد فوق السفح الداخلي للسور الشرقي ، الى الشمال من البوابة الجنوبية الشرقية (مخطط ٤٠) . يبدو ان هذا الحصن كان ايضا مستودع سلاح ، وبلغت مقاييسه ٢٧ × ٥٠ر١٢م . ضم جزؤه الشمالي ثلاثة ازواج من الحجرات ذات الشكل المستطيل ، والتي تتدرج بالحجم من الجنوب الى الشمال . كانت ارضيات الحجرات مبلطة بقطع اللبن . يقع مدخل المستودع في الجنوب ، ومنه ندخل الى ممر يتعامد مع سلم يصعد الى الطابق العلوي ، او الى السطح . ومن الملاحظ ان حجرات المستودع لم تكن لها مداخل فوق ارضياتها ، بل ينزلون اليها من فتحات السقوف . واذا كان الامر هكذا ، فان لهذه المنشأة العسكرية وظيفتان اولهما : خزن العتاد الحربي في الحصن جاهز للاستعمال من على الحاجز أو السور حين الهجوم على المدينة ، وثانيهما قيام حراسة دائمة على القطاع الشرقي من المدينة . ورغم ذلك لم تصمد أمام الاعداء فقد كان الحصن متهدما من جراء حريق هائل ، اتى عليه ، حين احتلت المدينة عند نهاية هذا العصر .

كان هذا اختصار عن تحصينات المدينة ، والآن نلقي نظرة على مساكنها في الاحياء المنخفضة المنتشرة فوق قطاع دائري حول المعابد المتوضعة على اطراف الرابية . ونخص القاطع B ، الذي يقع الى الجنوب الغربي من الرابية ، والذي يحوي بيوت شعبية ، بنيت جدرانها باللبن فوق اساسات من الحجر ، يتراوح عرضها من ٤٠ـ٧٠سم . يتألف المسكن من رواق او ممشى ، تتبعه باحة داخلية مستطيلة الشكل غير مسقوفة ، ثم حجرتان قبالة الرواق أو الممشى (المخطط ٤١) . هذا



الحصن M

مخطط رقم ٤٠



مخطط بيوت في المقاطع ب

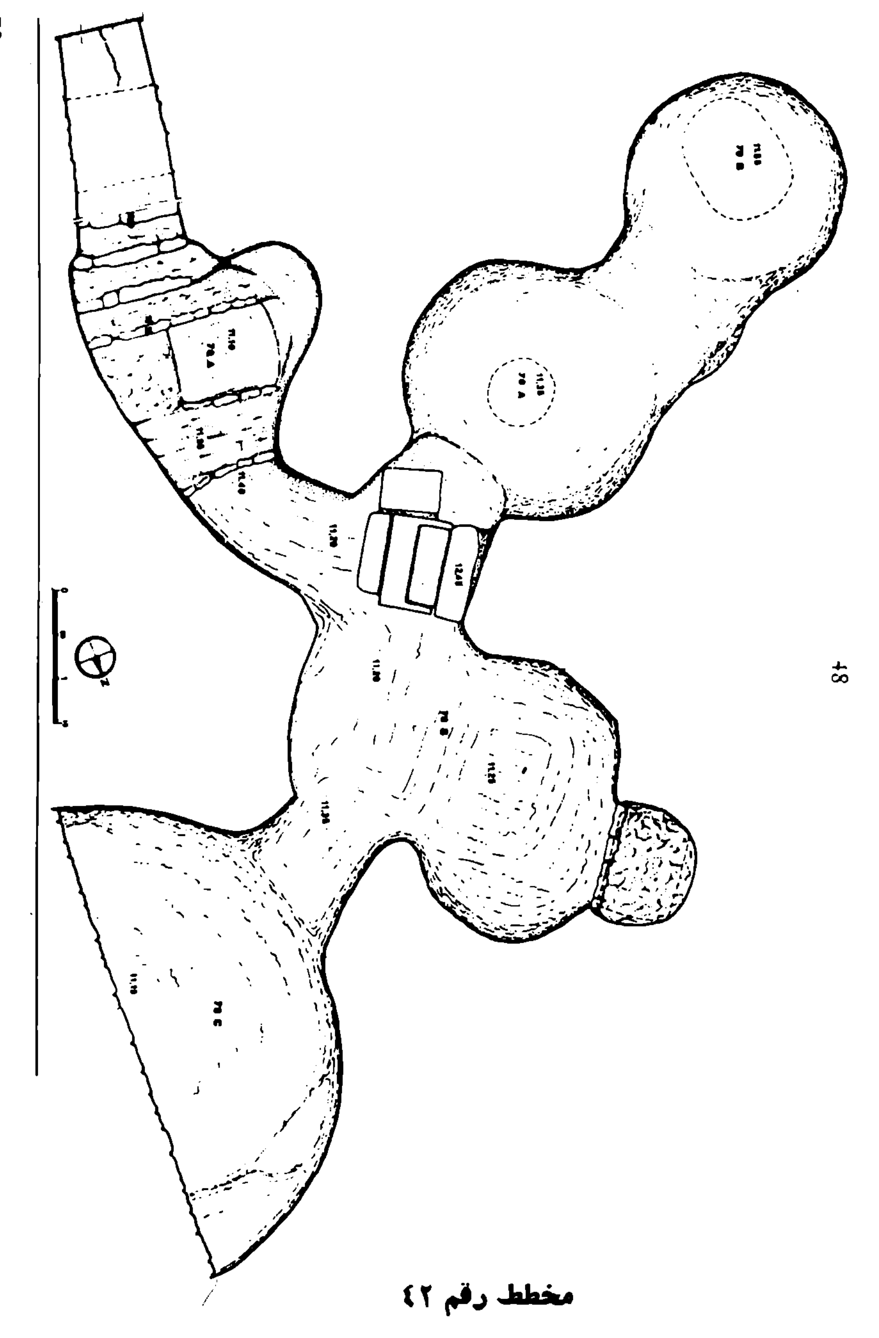
مخطط رقم ٤١

هو المخطط العادي لبيت ابلوي . وقد لاحظ المنقبون ان بعض البيوت قد توسعت ، حينما اضيفت اليها حجرة او اكثر من هذا الجانب او ذلك للباحة المكشوفة . ونستنتج من ذلك ان بيوت ايبلا لم تكن متراصة، او متقاربة ، بل متجاورة بينها ساحات ، تسمح بتوسعها .

عادة الدفن عند الابلويين : حتى الان لم تكتشف مقبرة في ايبلا ، بل بضعة مدافن منها المدفن ـ البئر والضريح الذي اشرنا اليه اعلاه والمكتشف تحت ارضية القصر الغربي . فهو دليلنا الوحيد على عادات الدفن عند الايبليين . الضريح كهف او مغارة ، حفرت في الطبقة الصخرية الكلسية الطرية (الكدان) ، تحت ارضية القصر ، وننزل اليه بوساطة اربع درجات ، لنصل الى ممر يتجه نحو الشمال ، لينتهي الى المغارتين ٢ ، ٣ في الغرب ، والمغارة الدائرية (٤) في الشرق،التي قسمت بوساطة جدار مبني بالحجر غير المنحوت الى نصفين . ان المغارة ٢ صغيرة جدا ،وقد تكون فسحة امام المغارة ٣ ذات الشكل غير المنتظم والجوانب المنحنية نحو الداخل . والواقع يوجد لهذ الضريح ، بالاضافة الى المدخل الرئيسي في الجنوب ، ثلاثة مداخل اخرى : آ ـ ينفتح نحو الشرق ، ـ ب ـ نحو الجنوب و ـ د نحو الغرب (المخطط ٤٢) .

كان هذا وصفا موجزا للضريح ، الذي يتألف من عدة مغاور وكما اشرنا اعلاه ، فهو يقع تحت القصر الغربي ، وعلى وجه التحديد تحت الباحة (٦) . وتدل جميع الدلائل الى ان الضريح مرتبط بالقصر معماريا وهو تابع له ، اي ضريح لاصحاب القصر ، من كان منهم ملكا او اميرا . ويظن باولو ماتييه ان المغارة ـ ١ ـ قبرا لاميرة ، والمغاورتان ـ ٣و٤ ـ قبرا لسيد الماعز لذي كان بمصاف الاولياء ، والذي دفن بعدها بعشرات السنين ، كما تشير نتائج دراسة التحف ، التي زود بها الاثنان . اما البئران فهما مدفن احدث .

في قبر الاميرة الذي يلي الدرج مباشرة ، وضع عدد كبير من الجرار ، بينها جرة حجرية متميزة ، في الجهة الشرقية ، وفي الجهة المقابلة وضع عدد اقل من الجرار . وكان بينها بقايا عظام الحيوانات ، التي

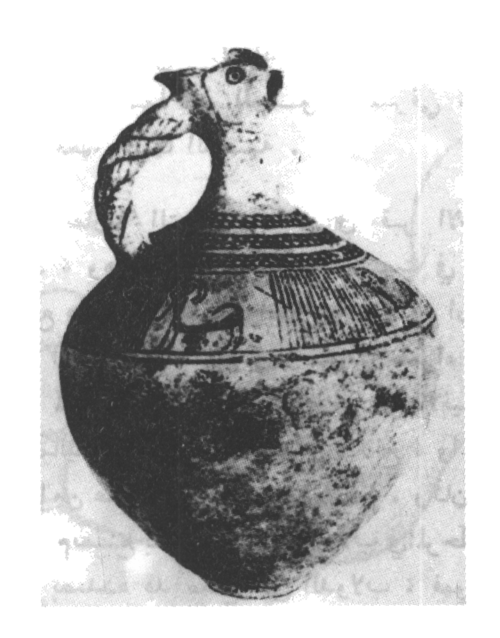


مخطط رقم ٤٢

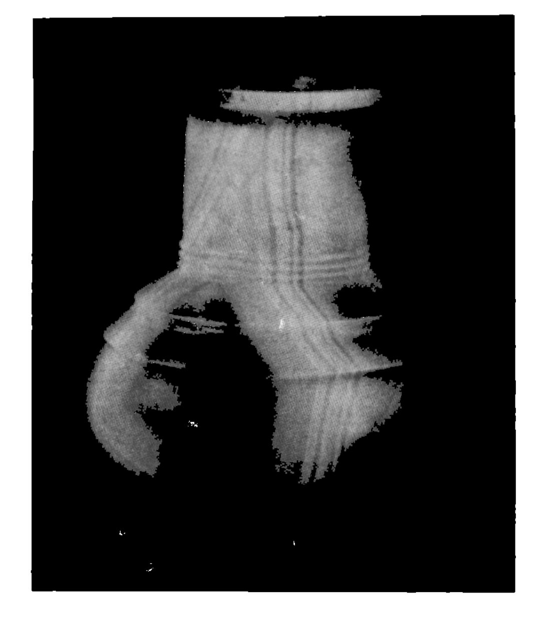
ضحيت بالدفن .. وفي المشى قبالة الدرج وجدت جثة فتاة صغيرة ، مسجاة على ظهرها . راسها نحو الجنوب الشرقي ، واقدامها نحو الشمال الغربي ، ومعها حليها الذهبية .

تعود الانية الفخارية التي اكتشفت في قبر الاميرة الى العصر البرونزي الوسيط ، وهي من الانواع التي صنعت في بلاد الشام ، واكتشفت في مواقع عدة مثل اللالخ واجاريت . واود ان اشير الى ابريق كبير ، قسم كتفه الى حقول ، تحوي زخارف حمراء اللون ، فوق ارضية مصقولة ، لماعة ، ترابية اللون . وهو من الانية الفخارية الملونة في بلاد الشام الشمالية ، الذي عثر عليها في اللالخ ، واجاريت ،ومرسين واستمر استعمالها من عام ٢٢٠٠ ــ ١٨٠٠ ق.م . وكان في المرحلة الاولى ٢٢٠٠ ــ ٢١٠٠ ق.م يصنع باليد،ثم على الدولاب في المرحلة الثانية. وبما ان الابريق الذي نحن بصدده قد صنع على الدولاب ، فهو من نتاج المرحلة الثانية اي من العصر البرونزي الوسيط الاول ٢١٠٠ ــ ١٨٠٠ ق.م (صورة ١٠٧) . ونشير كذلك الى حقه بعروتين ناقصتين ، صنعت من عجينة زجاجية خضراء . حافتها عريضة متدلية نحو الخارج عنقها مخصور ، كتفها مزين بأربعة أثلام دائرية افقية ، بدنها مخروطي ومزوق باثلام شاقولية . كعبها مدبب . هذا الوعاء فريد بنوعه ، وليس له شبيه الا بعض الانية المعدنية التي وجدت في جبالا (بيبلوس) (صورة ١٠٨) . هذا فيما يخص الاواني الفخارية ، أما فيما يخص الحلي فنذكر منها حبات ذهبية فرط عقدها ، ولم يبق منها الا القليل ، شكلها روماني او بطيخي . ونذكر كذلك اساور ومشابك واقراط ذهبية .

في قبر سيد الماعز عثر على بقايا عظام حيوان كبير ، ولم يعثر على عظام بشرية . وبالمقابل فاننا نجد القطع التي زود بها المدفون ، مختلفة عن التي كانت مع الاميرة . فالى جانب الاواني الفخارية التي هي من الانواع المعروفة ببلاد الشام ، نجد بعض القطع التي كانت رصائع اثاث مثل مقدمة عنز من البرونز كانت تثبت على كرسي العرش ، ولوحة عظمية صغيرة ، تتالف من ستة قطع وصلت ببعضها بوساطة مسامير برونزية او عظمية ، واحيطت باطار من العظم ، وثبت عليها



الصورة رقم ١٠٧

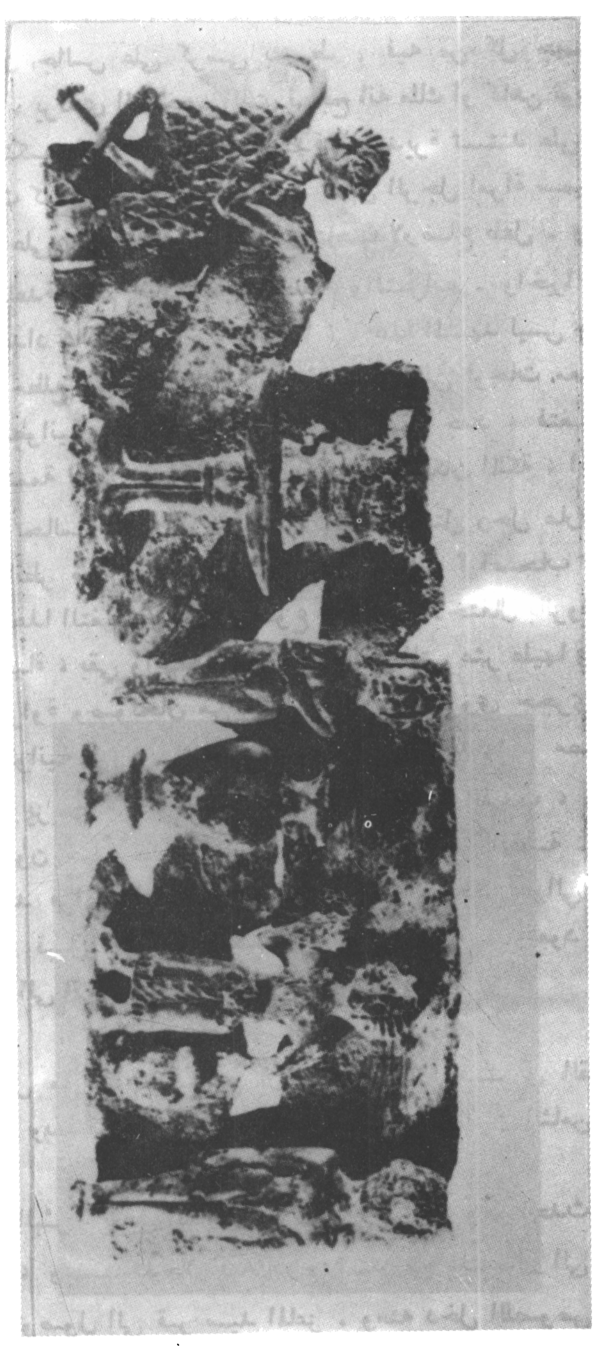


الصورة رقم ١٠٨

شكل انسان جالس على كرسي بسيط ، فيه من كل جهة قائمتان متصالبتان . يرتدي الشخص الذي نرجح انه ملك أو كاهن ثوبا فضفاضا معذقا ، يتنكب عكازا ، وامامه منضدة مستديرة تستند على قائمتين ، وفوقها ثلاث كعكات ترمز الى الطعام . تقابل الرجل امراة سمينة عارية ، تضع يديها على ثديها الايمن ، وكأنها تتاهب لارضاع طفل . والى جانبها دن فوق قاعدة ، ثم خادم ينقل الطعام والشراب . واخيرا رجل يقف بحالة استعداد كالجندي (صورة ١٠٩) . هذا المشهد ليس جديدا ، بل نعرفه منذ مطلع فجر السلالات . وقد نقش على لوحات معبدية نذرية واختتام اسطوانية ... الخ . وهو هنا قد جدد ، فتغيرت بعض العناصر المتممة له . حيث احتلت امراة عارية مكان الملكة ، او الكاهنة ، التي كانت تجالس الملك او الكاهن الاكبر . واحتل رجل عار أيضا مكان الحرس (انظر صورة ٦١) ، الذي كان يحرس ؟ اصحاب العظمة . ومهما كان هذا التغيير ، فان الموضوع الذي هو الاحتفال بالزواج المقدس، وتجدد الحياة ، بقي واضحا . ان اهم اللقى التي عثر عليها في قبر سيد الماعز ، هراوة وصولجان من العظم ، راسها كروي حجري ، وتغطي قطعة اسطوانية برونزية بضع سنتميترات من بدنها . مصرية المنشأ والصنع . يزينها قردان براس كلب صنعا من الذهب ، ويحرسان خاتم الفرعون ختف ــ اب ــ رع ، الذي صنع من الفضة . ختف ــ اب رع هو احد فراعنة السلالة الثالثة عشر الذي حكم حوالي عام ١٧٧٠ قبل الميلاد قبيل استيلاء الهكسوس على السلطة . وتعود اهمية هذا الاكتشاف الى الاستفادة منه في تأريخ المدفن .

من كل ما تقدم نستنتج ان الاميرة قد دفنت في القرن التاسع عشر ق.م وبعدها سيد الماعز ، قبل منتصف القرن الثامن عشر .

القبر البئر : يقابل المغارة ٤ من جهة الغرب ، وهو احدث من القبرين السابقين ، ويضم مدخلا فيه درج يمتد من الشمال الى الجنوب ، ويسمح بالوصول الى قبر سيد الماعز . ومنه دخل اللصوص اليهما . في



الصورة رقم ١٠٩

الواقع ان هذا القبر ليس لامير او عظيم كالقبرين الاخرين . وهو يحتوي على كسر اواني فخارية وحجرية وبعض الحلي وجمجمة انسان . ويتألف من بئرين متجاورتين فقدتا وظيفتهما ، فردمتا ، ثم سدتا بحجارة كبيرة . ومن المرجح ان الناس قد دفنوا به موتاهم حديثا ، كما نستنتج من بعض الكسر الفخارية التي اكتشفت به . اما استعماله كمدفن ، فكان اولا في الحقبة ١٧٠٠ ـ ١٦٥٠ ق.م . اي قبل تدمير ايبلا على يد الحثيين بين ١٦٥٠ ـ ١٦٠٠ .

ـ **فن النحت** : سوف نستعرض تحت هذا العنوان فنونا مختلفة مثل الحفر على الاختام الاسطوانية ، التماثيل ، النقش على الحجر ..الخ

آ ـ الاختام الاسطوانية :

استوحى معلمو مهنة الحفر على الاختام بعض المواضيع من العصر السابق ، مثل موضوع التقديم او الامتثال امام الارباب . والى جانب هذا الموضوع الهام طرقوا مواضيع اخرى ، مثل المصارعة بين اثنين او الصراع بين كائنين على كائن ثالث . وكان الموضوع المحبب لحرفي هذا العصر تمثيل الارباب مع شعاراتها مثل : ربة الحرب بأسلحتها تدوس بقدمها فوق الاسد ، ورب الحرب بأسلحته ايضا ، يدوس بقدمه فوق اسد ، الرب ذي العصا المعوج ، التي لها راس مثل راس أسد . ارباب بشعارات مختلفة،رب الشمس والمنشار بيده اليمنى،والجبل تحت قدمه اليمنى ، الرب ذي الصولجان ، صاحب الدور الرئيسي بالمشهد ، او واقف أمام ارباب آخرين ، رب الطقس واقف فوق ثور حامل بيده صورة البرق ، الرب ذي العكاز (اي العصا المعقوف) ، ارباب مجهولة الوظائف . ومن المواضيع المحببة ايضا نص خطي في الوسط تحيط به ربتان . هذه هي المواضيع التي نقشها الحرفي على سطوح اختامه ، بدقة واتقان ، او بغير اتقان . ونلاحظ ان معظم الاختام المتقنة ، قد حفرت عليها مواضيع المصارعة ، وصورة ربة الحرب ، وصور الرب الذي يحمل العصا المعوج التي هي على شكل سد ،

وصور رب الشمس ، بينما حملت الاختام غير المتقنة صور رب الطقس فوق الثور ، الرب ذي العكاز (اي العصا المعقوفة) ، الربة العارية وحاشيتها . ومن المؤكد ايضا ، ان الاختام ذات الصنعة البسطية ، والمواضيع العادية احدث من غيرها،لان نهاية العصر . كانت قدشهدت اهمالا لهذه الحرفة ، والابتعاد عنها . ويحسن أن نشير ايضا الى مجموعة من الاختام ، التي وجدت طبعاتها على العديد من الرقم الطينية في كانش في تركيا قرب قيصرية ، حيث اسس الاشوريون القدماء ، محطة لقوافلهم هناك ، يقلبون فيها بضعائهم الموردة من بلاد النهرين ، لتصدر الى بلاد الاناضول وبالعكس . وتعرف هذه المجموعة باسم المجموعة الكبدوكية (صورة ١٠٩) ، التي فيها قليل من الاشكال مشابه لاشكال الاختام البابلية . ومن الرسومات التي تميز المجموعة الكبدوكية عن غيرها صور ثور يقف طائر على ردفه ، وبجانبه رب جالس على العرش ، يستقبل المتعبدين . كذلك موكب ارباب يقفون على ظهور الحيوانات ، نعرف من بينهم رب الطقس فوق ثوره ، ورمز البرق بيده ، وسلاح باليد الاخرى خلافا لما هو متعارف عليه في بابل .

ومما يميز الختم الكبدوكي عن غيره من الاختام ، ان الكتابة لم تكن معكوسة حتى تظهر بشكل صحيح عند الطبع ، لذا لا بد لنا من الاستعانة بمرآة عند قراءة النص المطبوع . وهذا يدل على ان صانع الاختام . لم يكن ليعرف الخط المسماري .

وإن كانت الاختام الكبدوكية مميزة عن غيرها ، فاننا نلاحظ فيها تاثيرات آشورية وبابلية وسورية واناضولية ، وتبعا لهذه المؤثرات فقد قسمت الاختام الى اربعة اصناف : آشورية ، بابلية ، اناضولية ، وسورية (صورة ١١٠) .

هذا في بلاد الاناضول ، اما في بلاد الشام ، فان طريقة الحفر على الاختام الاسطوانية ، والاشكال المنقوشة عليها لم تكن لتختلف بجوهرها عن بلاد النهرين . ومع ذلك فاننا نلاحظ بعض الفروق . فالصانع لم







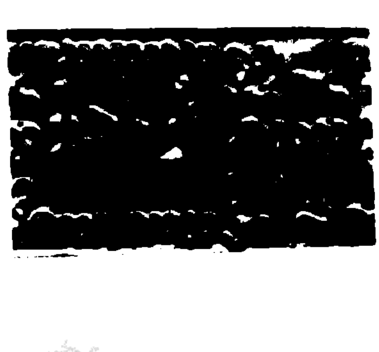


الصورة رقم ١١٠

يتقيد بالاشكال والمواضيع المعروفة ، بل اضاف اليها اشكالا اخرى . وصور اكثر من مشهد على سطح ختم واحد ، قسمه الى حقول ، أو حقلين في كل منها اشكال بشرية ، أو حيوانية ... الخ . ومما يميز هذه الاختام عن غيرها ، لباس الرجال ، الذي هو عباءة ذات جزفة سميكة وتعميق الاشكال عند حفرها ، لتظهر بارزة جدا عند الطبع . وقد ميزنا ثلاثة مجموعات تعود الاولى منها فقط الى هذا العصر (صورة ١١١) .

ب ـ التماثيل :

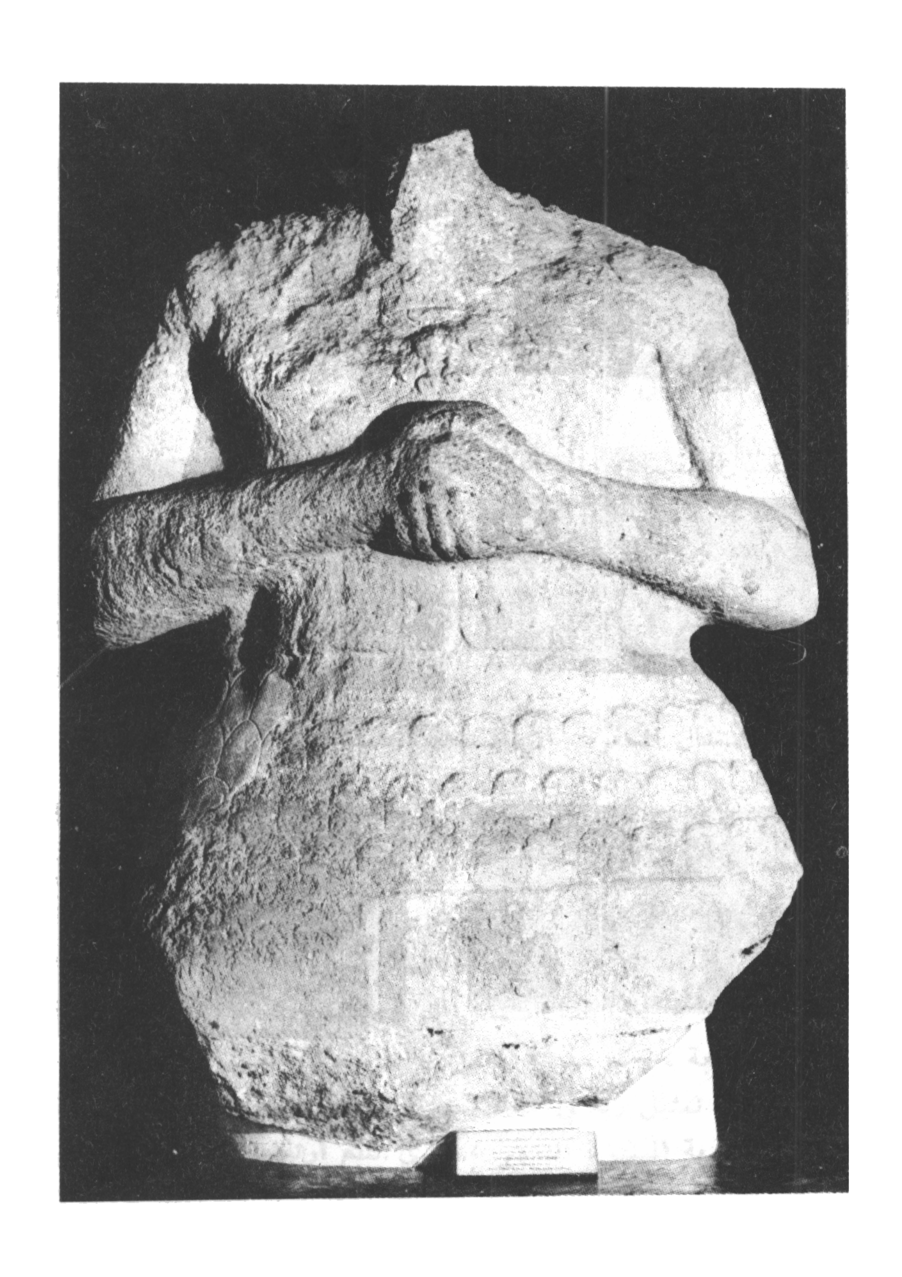
كشفت التنقيبات الاثرية في ماري وايبلا واللالخ على عدد قليل من التماثيل ، التي لا تمت بصلة الى التماثيل السومرية ـ الاكدية ، بل تمثل بداية مرحلة جديدة . اقدم التماثيل الكنعانية الموثقة بوساطة كتابة ، هو تمثال اكتشف مصادفة بمدينة ماري ، وقد امر بنحته ونصبه في المدينة للرب شمش ، ملك ماري يسمع ـ هدد بن شمشي هدد (يسمخ ـ ادد بن شمشي ـ ادد) كما تقول الكتابة المنقوشة على ظهر التمثال المحفوظ الان بمتحف حلب . وهو فريد من نوعه ، ليس له نظير (صورة ١١٢) . مشوه ، بقي منه الجذع العاري ، والقسم السفلي من الجسم ، الذي هو على شكل كتلة مخروطية ، تزين سطحها نقوش تشبه الحراشف ، ترمز الى الجبل ، (وتشكل زخارف الثوب الذي يرتديه) ويثبته على خصره حزام عريض . اما ما تبقى من لحيته فوق الصدر ، فتشير الى ان شعر اللحية كان مضفورا كتمثال بوزور عشتار الاقدم . كان هذا التمثال للرب شمش ، الذي تعرفنا اليه من خلال الكتابة ، ومن صورة الجبل ، التي تغطي القسم السفلي منه . اما عن كيفية تمثيل ربه في هذا العصر وبمدينة ماري بالذات ، فينبؤنا بذلك تمثال ربة الينبوع الشهير ، الذي يبلغ ارتفاعه ١٫٤٢ م . وهو من حجر أبيض . وقد وجد الجسم في الحجرة ٦٤ من المعبد الملحق بالقصر ، اي قصر . زمري ليم ، بينما وجد الراس في الحوض المشيد بالباحة ١٠٦ . ومن المرجح ان يكون التمثال قد نصب قرب هذا الحوض الذي كان يتلقى الماء الدافق من الجرة التي تمسك بها الربة .





الصورة رقم ١١١



الصورة رقم ١١٢

والتمثال مع ما يرتبط به من مجارير مياه وحوض هو تجسيم للصورة الجدارية المرسومة بالالوان على الجدار الجنوبي للباحة ١٠٦ . ترتدي الربة ثوبا جزؤه العلوي اشرطة متقاطعة تغطي الصدر وتظهره ، خلافا لما كان مالوف سابقا . وقد تزينت بالحلي مثل الاساور الثلاثية والاقراط والقلايد . يتدلى الشعر على جانبي الراس ليسترخي على الكتفين ، ويربطه قرنان رمزا لربوبية صاحبة التمثال (صورة ١١٣) .

ومن ماري ننتقل الى ايبلا لنتعرف على فن نحت التماثيل فيها . يعتقد باولو ماتييه ان فن النحت قد ازدهر في هذه المدينة خلال النصف الاول من هذا العصر (٢٠٠٠ — ١٨٠٠) ، ثم تدنى في النصف الثاني (١٨٠٠ — ١٦٠٠) ، عندما اضمحلت مكانة ايبلا السياسية . ولسوء الحظ لم يكتشف التمثالان الوحيدان اللذان نملكهما من ايبلا في مكانهما ، بل عثر عليهما بين ردميات مباني متهدمة تعود الى عصور مختلفة . ولهذا السبب اعتمدنا في تاريخهما على مقارنتهما مع منحوتات من بلاد النهرين .

يخص التمثال الاول ملك ايبلا ابيت — ليم ، وهو من البازلت ومشوه . لم يبق منه سوى الجذع ، الذي تبرز فوقه كتلة اسطوانية تزينها خطوط منكسرة تمثل الذقن وبعض خصل شعر الراس . ويحيط بالذقن خطان بارزان يمثلان قبة الثوب . وقد نقش على الجذع نص مؤلف من عدة اسطر يفيد بأن ابيت — ليم قد نذر تمثاله للربة عشتار (صورة ١١٤) .

يمثل التمثال الثاني رجلا جالسا نجهل اسمه ، وقد يكون من اعيان ايبلا . تشوه التمثال بفقدان رأسه واطراف ثوبه . وهو من حجر البازلت (صورة ١١٥) . يبدو من الكتلة الحجرية المشوهة والملتصقة بالصدر ، ان شعر لحيته كان مضفورا ، وفيه مالا يقل عن عشرة ضفائر تتدرج في الطول من الوسط نحو الجانب . يريح ذراعيه فوق فخديه ، ويمسك بكفه الايمن على وعاء . يرتدي مئزرا وعباءة مخططة يلفها فوق جسمه ، فيبقى كتفه الايمن عار . يسند قدميه على مسند الكرسي الذي



الصورة رقم ١١٣



الصورة رقم ١١٥

يجلس عليه ، والذي ليس له مسند خلفي ، أو مراكي جانبيه ، شانه في ذلك شأن تماثيل بعض امراء اشنونه ، وجوديه ملك لجش . ولو ان لحيته وذقنه تامين ، لكانتا بالتأكيد مشابهتين للحية وذقن بوزور عشتار أحد ملوك ماري . في الحقيقة ان هذا التمثال من نتاج مدرسة فنية مؤثرة ومتأثرة بأساليب النحت الكنعاني في بلاد الهلال الخصيب ، وماري ، وبابل ، واسين ، ولرسا ، واشنونه ، وغيرها . وقد لا نكون مخطئين ،اذا افترضنا ان امراء تلك الدول قد تباروا في كسب ود النحاتين ، الذين تنقلوا من بلاط الى بلاط ، ونحتوا تماثيل ظهرت وكأنها من نتاج مدرسة واحدة .

من المؤسف حقا أن هذه التماثيل التي تكلمنا عنها ، كانت ، باستثناء تمثال ربه الينبوع ، بدون رؤوس ، وبالمقابل فانه لدينا رؤوسا بدون اجسام ، تعطينا فكرة عن ملامح انسان ذلك العصر . عثر في قصر زمري ليم بماري على راس محارب من الحجر بارتفاع ٢٠ سم . فوق الدرج الواصل بين الباحة ١٤٨ والحجرة ٢١٠ يعود الى القرن الاول من الالف الثاني ق.م، ويعتبر من اجمل المنحوتات الكنعانية وادقها . والوحيد من نوعه الذي يعطينا فكرة عن لباس رأس محارب من هذا العصر . وكما عودتنا ماري على مشاهدة رسوم جدارية ، تصور موضوعا معينا ، الى جانبها تماثيل تجسد أو تجسم المشهد ، فاننا نرى نظيرا لهذا الراس في المشاهد التاريخية التي تزين قاعة العرش من قصر زمري ـ ليم (صورة ١١٦) .

ورغم أن المحارب يرتدي خوذة ثبتت على الراس بوساطة رباط أوزناق مشدود تحت الذقن ، فان ذلك لا يخفي الابتسامة الخفيفة على وجهه ، كما أن الخوذة نفسها لا تخفي القسوة ، التي يتحلى بها المحارب المرسوم على التلوينات الجدارية ، والذي ينكب على القتال ، رغم انه أصيب بالسهام في جسده .

من بين الرؤوس القليلة التي وصلت الينا ، يكتسب راس يلريم ـ ليم ملك حلب واللالخ المصنوع من حجر الديوريت الصلب ، والمكتشف



الصورة رقم ١١٦

في معبد المدينة ، الذي يعود الى الطبقة VII (١٧٨٠ — ١٧٥٠ ق.م) شهرة واسعة ، لانه الوحيد الذي يمثل نتاج مدرسة النحت في اللالخ . لم يبق من لحية الملك الا القسم القصير الذي يغطي الفكين . وهذا لا ينتقص من هيبة الرجل ووقاره وحيويته التي يجسدها الحاجبان المقوفان ، والعينان الواسعتان ، والشفتان الكبيرتان . وتتجلى مهارة الفنان على احسن صورة في معالجته لشعر الراس ، الذي يربطه عصاب ، ويبدو وكانه لفة او عمامة لولا أن ضفائر الشعر الدقيقة المتموجة ظاهرة تحت العصاب . وكل مافي الراس يشير الى أن النحات قد حاول تصوير ياريم — ليم كملك عظيم وقور ومهيب (صورة ١١٧) .

وكدليل على عمق هذا الاتجاه الفني ، نتعرف على راس آخر ينسب الى حمورابي العظيم (١٧٩٢ — ١٧٥٠ ق.م) مصنوع من حجر الديوريت ايضا . وقد وجد في سوزا (سوسه) ، بعد أن نقله العيلاميون من بابل الى هناك . لقد وفق الفنان تماما في رسم وجه حمورابي العجوز الذي يبدو عليه الارهاق والالم الروحي . وقلما نجد بين الاعمال الفنية النحتية في بلادنا ، والتي تعود الى العصور القديمة عملا فنيا من هذا النوع .

وقبل أن نختتم حديثنا عن التماثيل ، نستعرض بعض التماثيل والاعمال البرونزية ، ومنها زوج وجد في اشجالي بالعراق ، احدهما يمثل ربا يرتدي ثوبا معذقا طويلا ، ويمسك بيده اليمنى سلاحه المعوج، بينما يدوس بقدمه اليسرى على كبش . وثانيهما يمثل ربة جالسة على كرسي بسيط ، ترتدي ثوبا من نوع ثوب ربة الينبوع ، وتحمل بكلتا يديها ايضا كربة الينبوع — وعاء يتدفق منه الماء . والشيء الجديد ، هو أن لكل واحد منهم اربعة وجوه ولا ندري ما الحكمة من ذلك .

وفي مدينة لرسا القديمة بالعراق ، عثر ايضا على قطعة فنية رائعة ، تمثل ثلاث معز تقف على القوائم الخلفية فوق حوض يحمله رجلان ملتحيان . كانت وجوه الرجال والمعز مغطاة بالذهب والفضة ، ويعبر هذا العمل الفني الممتاز ، عن الحركة والحيوية ، كتمثال متعبد عثر عليه



الصورة رقم ١١٧

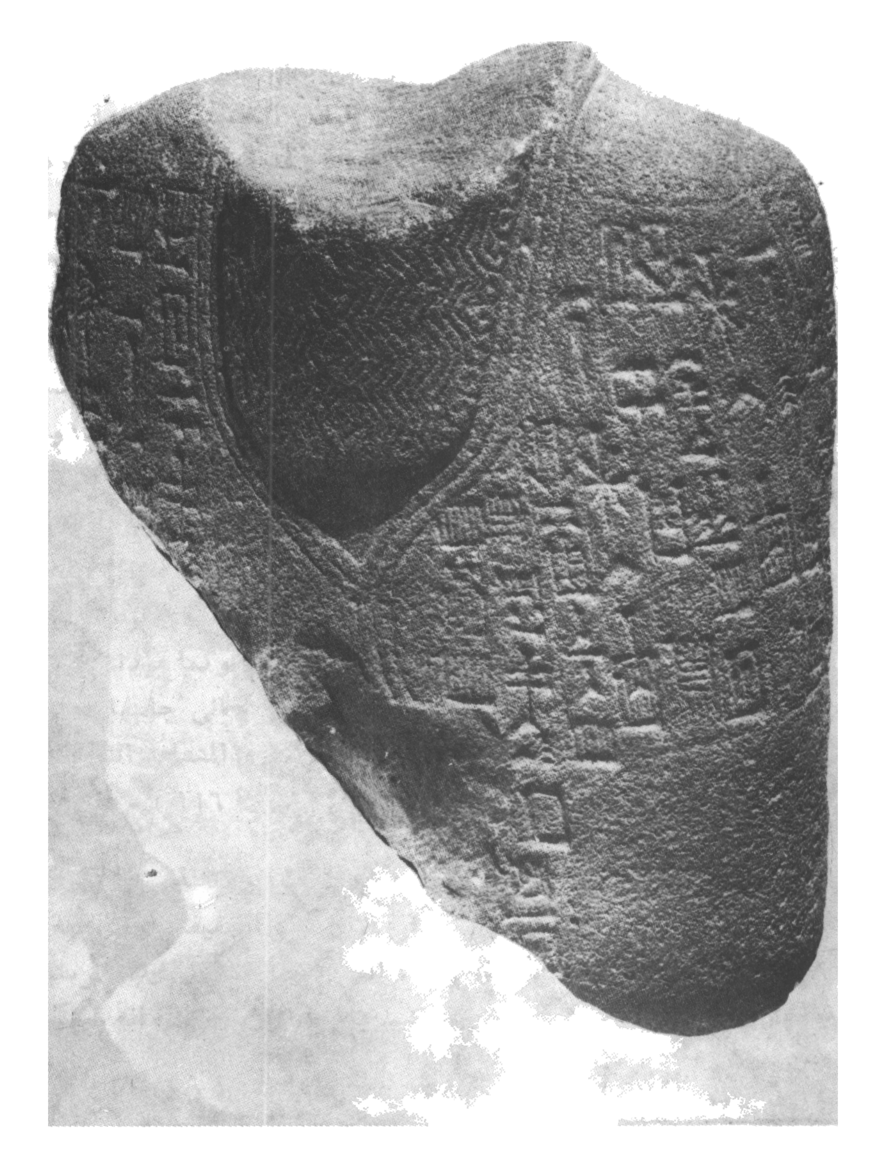
في نفس الموقع . يجثو المتعبد على ركبته اليمنى ، ويرفع يده اليمنى متسائلا ، وتغطي وجهه ويديه قشرة رقيقة من الذهب . والوضعية العامة للتمثال ، تدل على أن الفنان ، آراد أن يصور لنا بكل وضوح خشوع المتعبدين وركوعهم امام الرب ، ليجسم المشهد المصور على قاعدة التمثال ، والذي هو عبارة عن ربة جالسة يركع امامها متعبد .

والواقعية التي نراها هنا ، نجدها في تماثيل الاسود البرونزية من ماري ، التي كانت تحرس مدخل معبد داجان وباحته . لقد صور هذا الحيوان المفترس وهو متوثب فاغر فاهه ، يكاد أن يقفز على فريسة حاولت دخول الحرم دون حق . ومما يدل على أن الاسد محترس ، عيناه البيضاوان الواسعتان ، والبؤبؤ الازرق اللامع في وسطها . ولم يكن هذا التقليد مقتصرا على ماري ، بل نراه متبعا في مواقع أخرى ، مثل مدينة شادوبوم (تل حرمل الحالي الواقع بالقرب من بغداد) . والفرق هو أن اسود تل حرمل قد صنعت من الطين ، وشويت لتكتسب قوة وصلابة (صورة ١١٨)

ج ـ فن الحفر :

تندرج تحت هذا العنوان مجموعة من الاعمال الفنية الحجرية ، مثل المسلسلات والاحواض واللوحات وغيرها،التي نقشت عليهامشاهد بوساطة الحفر ، فبرزت الاشكال فوق السطح أو غارت تحته .

ونبدأ من ايبلا حيث عثر على ثلاثة احواض منها ما كان قائما في المعبد، ومنها ما وجد في غير موقعه الاصلي . لقد استخدمت هذه الاحواض المحفوظة بمتحف دمشق وحلب الآن ، لاغراض دينية ، مثل ذبح الضحايا فوقها لحفظ دمها ، وزينت بمشاهد مختلفة كما سنرى . احد الاحواض البازلتية او المذبح المحفوظ بمتحف دمشق شبه تام ، مستطيل الشكل، مقسم الى قسمين . تزين الجوانب الثلاثة الرئيسة من قاعدته صفوف من الاسود الجاثية التي يظهر منها الراس والقائمتان الاماميتان فقط .



الصورة رقم ١١٤



الصورة رقم ١١٨

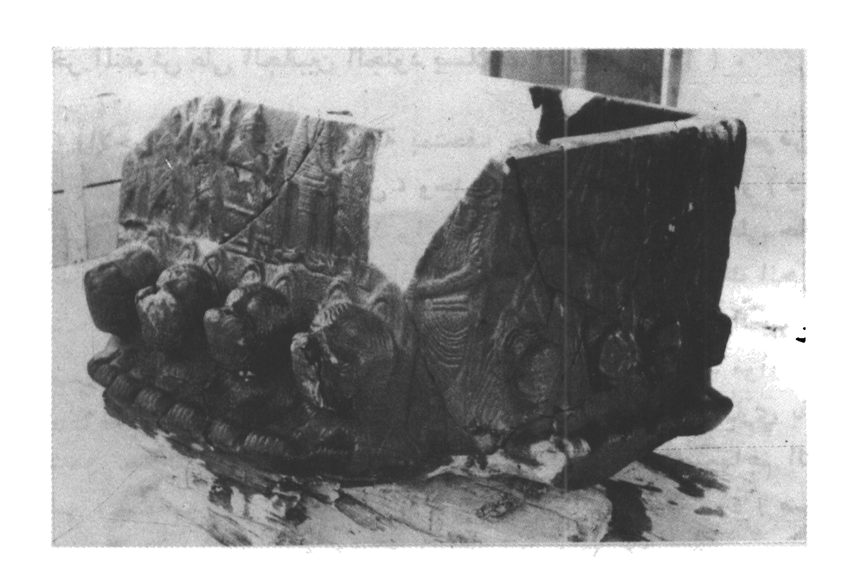
ويصور المشهد الرئيسي على الواجهة الامامية مجلس شراب ، والمشهد الآخر المنقوش على الجانبين الجنود بسلاحهم (صورة ١١٩) .

والاحواض الاخرى المحفوظة بمتحف حلب شبيهة بهذا الحوض . احدها من الحجر الكلسي الابيض ، وجد في مصلى المعبد D او (د) ، ويمثل المشهد الرئيسي مجلس الشراب . اذ يجلس الملك والملكة على جانبي المائدة ، ويقف خلف الملكة السقاة من الخدم ، وخلف الملك الحرس بأسلحتهم ، وتحت هذا الشريط نشاهد شريطا آخر يمثل منظر الحيوانات التي يسوقها الراعي للذبح . على الصفحتين الاخريين نشاهد مواضيع اخرى اسطورية . فهذا هو التنين في المقدمة يمسك البطل العاري بذيله ويتبعه محاربان . وتحت هذا المشهد منظر الاسد الذي سيهاجم الثور امامه ، فيهاجمه من الخلف الراعي ، الذي يصوب سهمه نحوه (صورة ١٢٠) .

ويبدو جليا واضحا ان المواضيع المنقوشة على الحوض مستمدة من عصر فجر السلالات مثل مجلس الشراب ، ومن العصر الاكدي مثل البطل العاري وغيره . اما الازياء فتعبر عن ازياء محلية . بينما يرتبط الاسلوب بأسلوب فن النقش على الاختام الاسطوانية الذي ساد في بلاد الشام خلال القرنين الاولين من الالف الثاني ق.م وعلى هذا الاساس يؤرخ السيد مأتيه الحوض في عام ١٨٥٠ ق.م تقريبا .

ولابد لتوضيح معنى هذه المشاهد من الاشارة اولا الى انها لا ترتبط بعصر معين ، بل هي من المواضيع التي طرقها النحاتون وغيرهم في جميع العصور .

والارتباط بين مشهد مجلس الشراب، والصراع بين الحيوانات المؤنسة والوحشية من جهة، والراعي الذي يحمي الحيوانات الاليفة من جهة اخرى، ارتباط وثيق له صلة بالمعتقدات الدينية . فمجلس الشراب ليس احتفالا دنيويا فحسب ، بل هو احد الطقوس الدينية التي تجسد الاعتقاد بتجدد الحياة اي بالبعث .



الصورة رقم ١١٩



الصورة رقم ١٢٠

الحوض البازلتي ، او المذبح الثالث ، المكتشف في المعبد N (= ن) مغاير بشكله ونقوشه للحوضين السابقين . وهو على مايبدو أحدث منهما، وقد يعود الى بعد عام ١٨٥٠ ق.م.. نشاهد على احد جوانبه صور ثلاث ربات يرتدين لثوب المعذق كالربات المصورات على جدران قصر ماري . ويعصبن شعرهن بعصاب صور على شكل قرون ليرمز الى ربوبيتهم ، تماما كقرون ربات ماري ، وخاصة ربة الينبوع . اما على الجانب الآخر نشاهد ازواجا من الرجال يتصارعون ، أو يمسكون براية الى جانب رجل يجلب ضحية (صورة ١٢١) .

هذا ما كان في ايبلا ، اما في بابل فنكتفي بالاشارة الى مسلة حمورابي الشهيرة ، التي صنعت من حجر الديوريت ، ونقشت عليها مواد وفقرات شريعته . اقيم النصب بمدينة سبار مقر اله الشمس ، ومنها نقله الملك العيلامي شتروك ناختتي عند نهاية الالف الثانية ق.م الى سوزاكغنيمة حرب . وان كان شكلها غير منتظم فهو أقرب الى متوازي مستطيلات ، راسه العلوي على شكل قوس خصص لتصوير اله الشمس وامامه حمورابي مصليا .

يجلس رب الشمس على مقعد يشبه واجهة معبد ، ويرتدي تاجا تزينه القرون ، وتنبعث من كتفيه الاشعة . تتدلى لحيته الطويلة المتجعدة على الصدر فوق الثوب المشقف . يقدم الرب الى حمورابي الخاتم والصولجان ، تماما كما تفعل الربة عشتار ، التي تقدم ايضا الخاتم والصولجان الى زمري ليم عند تنصيبه ملكا في ماري كما سنرى . يقف حمورابي متعبدا امام الرب شمش ، كما يقف زمري ليم متعبدا امام عشتار . والفرق بين الاثنين هو ان زمري ليم يمد يده ليتناول الخاتم والصولجان ، بينما لا يفعل حمورابي هذا (صورة ١٢٢) .

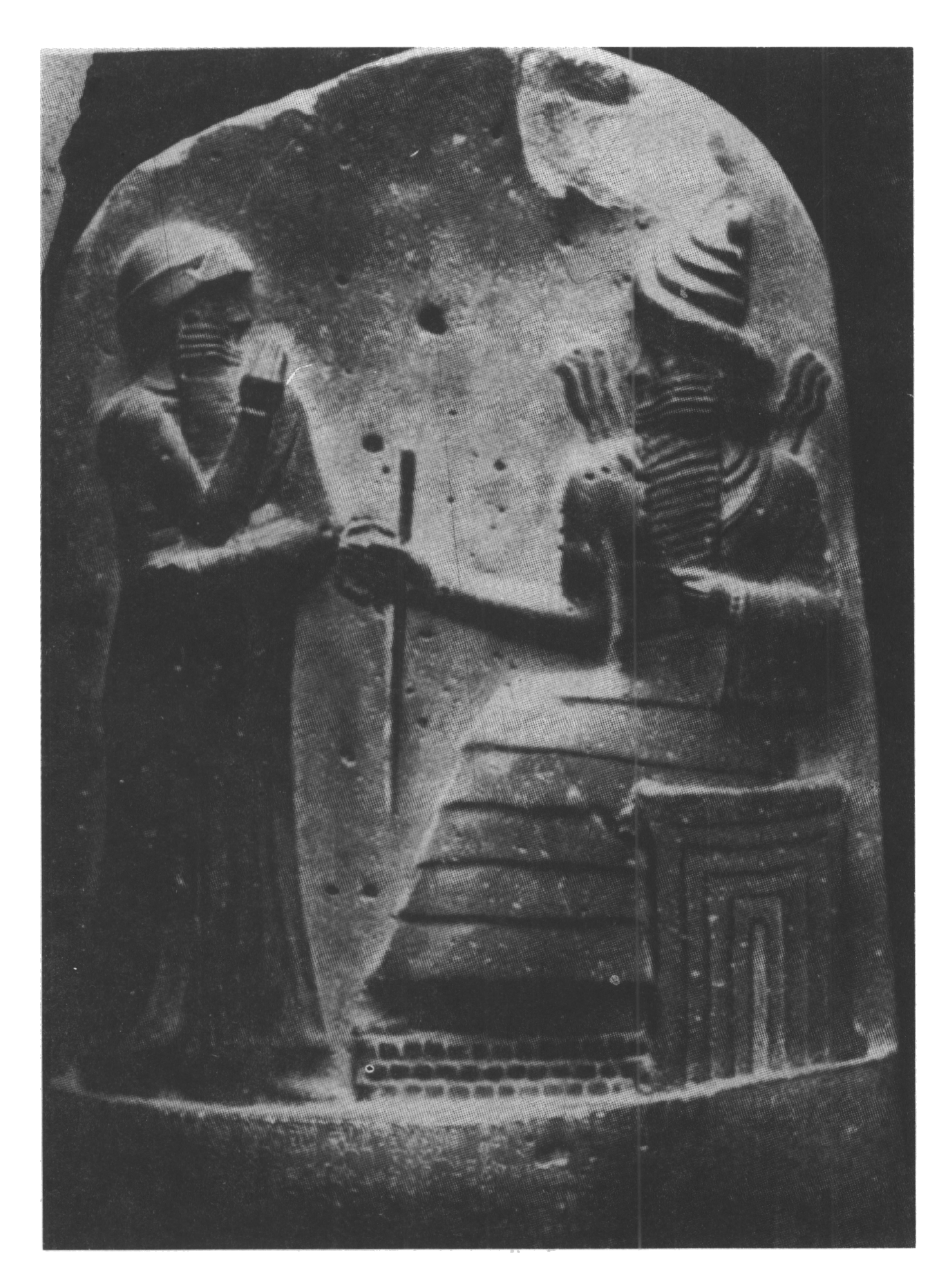
واذا انتقلنا الى اللوحات الطينية المشوية ذات الاشكال النافرة ،نرى انها تصور عالم ذلك العصر وحياته اليومية . فهذه لوحة من خفاجي بالعراق ، تصور كيف يطعن رب عفريتا بخنجر في بطنه ، وهو يمسك بيده اليسرى على عنقه . ولوحة اخرى تصور ربا يدوس على عدو فوق حصن



الصورة رقم ١٢١



الصورة رقم ١٢١



صورة رقم ١٢٣

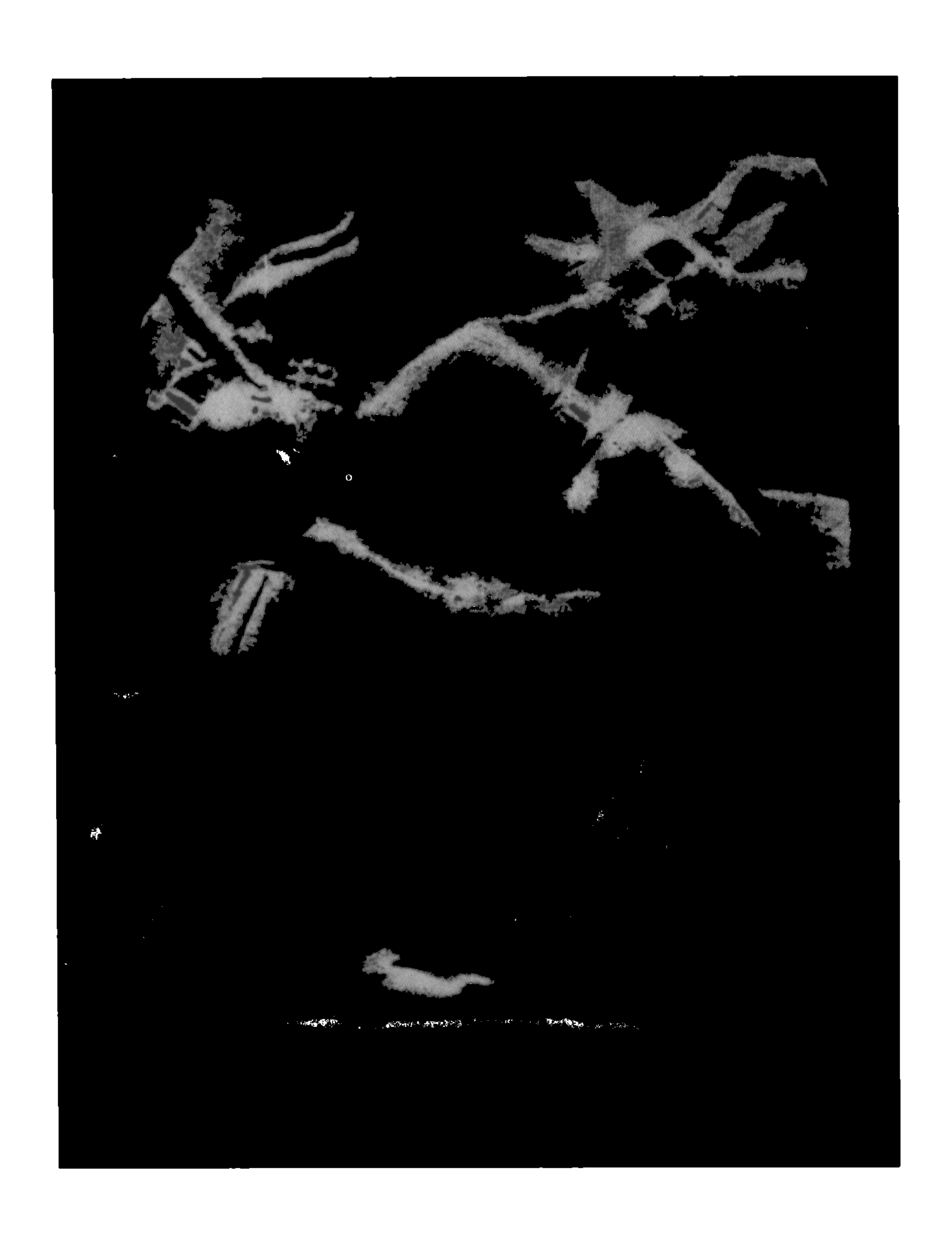
اما المواضيع المستمدة من عالم الانسان وحياته اليومية فمتعددة : منها فلاح يركب ثورا ، وموسيقيين يعزفون على آلات موسيقية وهم جلوس أو وقوف ، ورجل يروض القرود ، واخر نجار يصنع الخشب ، وملاكمون في حلبة المصارعة (صورة ١٢٣) .

على الدوام كانت لمشاهد الصيد اهمية ، ولم يخل منها عصر . وها نحن نرى على احدى اللوحات مشهد صيد الايله من قبل صياد يرافقه السلوقي (كلب الصيد المشهور) . وعلى لوحة أخرى نشاهد حيوانا مفترسا يقفز على فريسته ، والى جانبه حيوانات اخرى لعلها عجول . ومن عالم الحيوانات يصور الفنان كلبة ترضع أولادها الاربع ، وذلك بدقة متناهية تصور غريزة الحياة عند الصغار الذين يتدافعون نحو امهم ، وعند الام التي تستلقي على الارض لتمكن الصغار من المسك بضرعها (صورة ١٢٤) .

ومن عالم الواقع ننتقل الى عالم الخيال والاساطير ، فنرى أن صورة الشيطان هو مبابا لا تبعث بالنفس القرف والاشمئزاز فحسب ، بل الخوف من شيطان يكشر عن أنيابه ، ويهدد بيده وهو عار . ومع أن صور الربات العاريات المجنحات لا تثير بنفس المشاهد ذات الشعور ، فان تصوير ارجلهن على شكل مخالب الحيوان ، ووقوفهن فوق الاسد المحاط بطائر البوم ، لا يبعث على الاطمئنان ، حتى لو صورن برفقة حيوانات مؤنسة . ان المواضيع المصورة على اللوحات الطينية متعددة ، ولا يمكن حصرها في هذا المجال . والمهم أن هذه اللوحات تدلنا على تعلق فناني هذا العصر بتصوير القصص بأنواعها المختلفة من خيالية وواقعية. فالفنان الكنعاني لا يتوانى عن تصوير مشاهد حياة مجتمعه اليومية وأعياده واحتفالاته ..... الخ .

٤ ـ الرسوم الجدارية :

قلنا في معرض حديثنا عن التلوينات الجدارية لقصر ملوي انهاليست من عصر واحد . وهذه الحقيقة تقدم لنا الدليل القوي على مدى تمسك



الصورة رقم ١٢٣



الصورة رقم ١٢٤

حكام ماري الكنعانيون بهذا التقليد . والواقع ان المواضيع التي صورت بالوان زاهية فوق طبقة كلسية على جدران بعض قاعات القصر ، لاتختلف عن المواضيع التي نقشت على الاختام الاسطوانية ، او حتى على اللوحات الطينية المشوية .

والذي يهمنا أن نذكره ، هو ان المشهد المرسوم على احد جدران القاعة ١٠٦ ، والذي يمثل على الارجح تنصيب الملك زمري ليم . لم يصور فقط على الجدران ، بل على مواد اخرى نسيجية مثلا . ان القطعة التي خصصت للمشهد محاطة باطار تبدو حافته السفلى مزينة بشراريب تشبه شراريب قطعة نسيج ، وبما أن هذا غير مألوف ، فنحن نرجح ان الفنان قد نقل المشهد بدقة متناهية عن مشهد مرسوم على قطعة نسيج . واذا كان الامر كذلك ، فاننا نستطيع ان نتصور كم كانت هناك من كنوز فنية في ماري ، ضاعت لانها كانت من مواد تالفة ، لا تقوى على البقاء (صورة ١٢٥) .

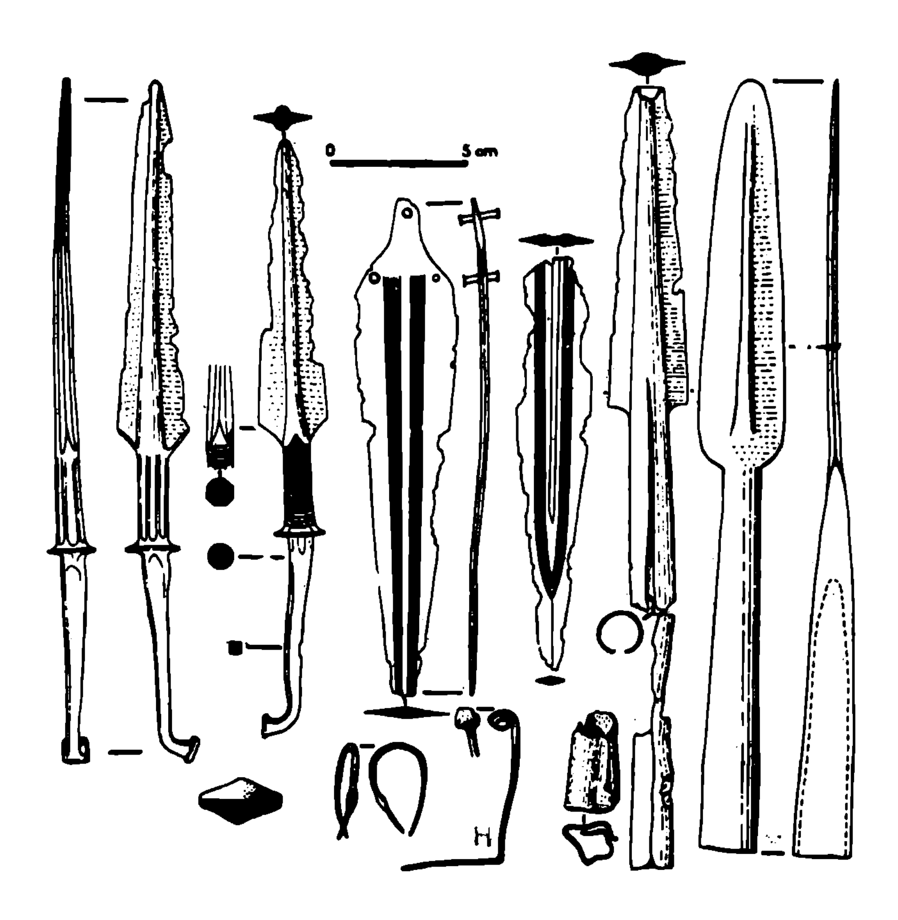
وفي الختام علينا أن نشير بشكل موجز الى مخلفات أخرى مثل الاسلحة وأدوات الزينة والفخار وخاصة في بلاد الشام .

ا ـ **الخناجر** : كانت صنعتها متقنة حادة الرأس ويفصل بين الحدين ضلع بارز في الوسط . أما المقبض فكان من مادة اخرى ثبتت على الخنجر بالمسامير (صورة ١٢٦) .

ب ـ **الفؤوس** : لها عروة في الوسط تدخل فيها العصى ، ويتفرع من العروة حد يقابله على الطرف الاخر ثلاثة انياب طويلة . والحكمة في ذلك استعمال الفأس بطرفيه . وقد تكون الفؤوس مزخرفة بزخارف بسيطة ، او باشكال حيوانية . والى جانب هذا النوع يوجد نوع آخر بسيط له عروة لتلقي العصى ، ويتصل بالعروة جسم مقوس فيه فتحتان (صورة ١٢٧) .



الصورة رقم ١٢٥



الصورة رقم ١٢٦

ج ـ **المشابك** : لها جسم يشبه المخرز ينتهي الى رأس هرمي ـ على الغالب ـ تحته بقليل ثقب بيضوي . وقد يزين القسم الواقع بين الراس والثقب بخطوط حلزونية . ومن أجمل المشابك ، المشابك ذات الرؤوس الرمانية الشكل المحززة (صورة ١٢٨) .

د ـ **الاواني الفخارية** : لا يمكن التطرق الا بشكل موجز للاواني الفخارية ، لذا سنكتفي بابراز اهمها واكثرها شيوعا .

١ ـ **صحائف** : تمتاز بكونها واسعة وذات كعب مستدير صغير (صورة ١٢٩) .

٢ ـ **السرج** : يبين شكلها انها تطورت عن الصحون والحقق ، وتختلف عنها بأن ضغط الفاخوري احد جوانبها ، ليشكل المثعب الذي يوضع فيه الفتيل (صورة ١٢٩) .

٣ ـ **القصعات** : اشكالها متعددة ، وابرز أشكال هذا الدور القصعة ذات الكتف الحاد الذي يعلوه العنق (صورة ١٢٩) .

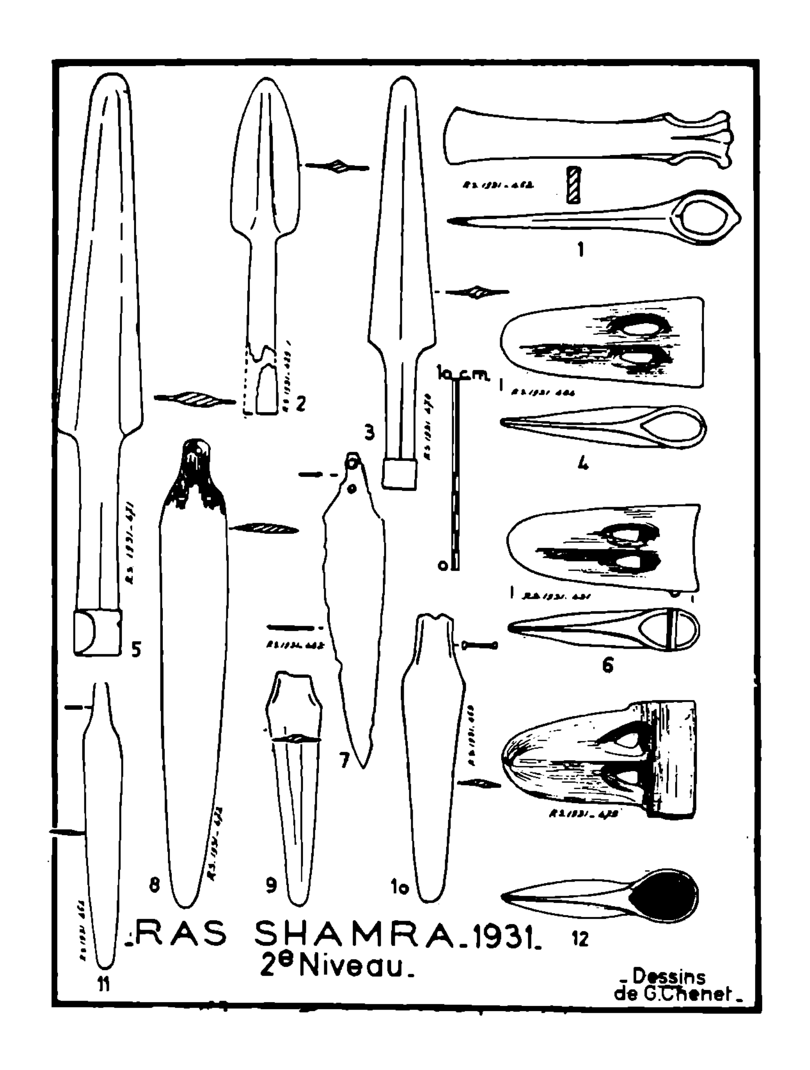
٤ ـ **الحقق** : شكلها على الغالب اجاصي او تفاحي ، عنقها قصير مزينة بخطوط عادية ملونة (صورة ١٢٩) .

٥ ـ **اباريق** : نميز منها : اباريق بدون عروة شكلها يشبه شكل الجرة . لها مثعب لونها احمر عليه خطوط بيضاء . او اسود عليه خطوط حمراء او بيضاء (صورة ١٢٩) .

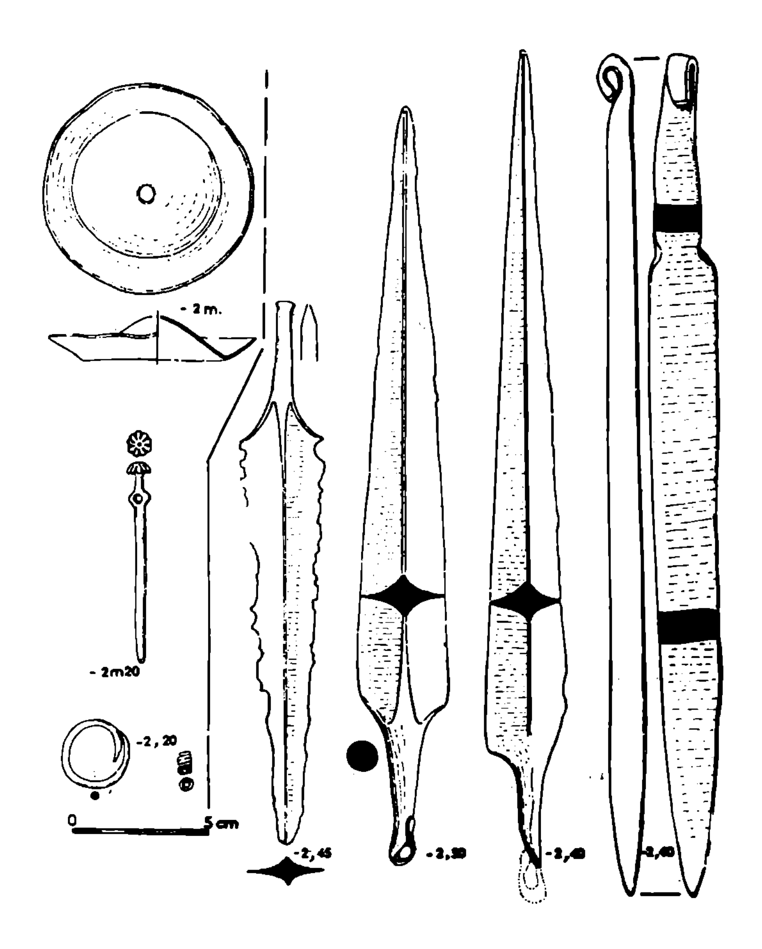
اباريق بعروة وبدون مثعب يزينها تلوينات هندسية كخطوط مستقيمة او متعرجة او مثلثات (صورة ١٢٩) .

اباريق بعروة وفوهة مضغوطة ليتشكل لها مثعب على شكل ميزاب .

٦ ـ **جرار** : ذات كعوب مسطحة وعروات على العنق . واهم شيء نفتقده في هذا العصر هو الكؤوس او الاقداح التي حلت محلها على مايبدو الحقق ، التي شاع استعمالها كثيرا (صورة ١٢٩) .



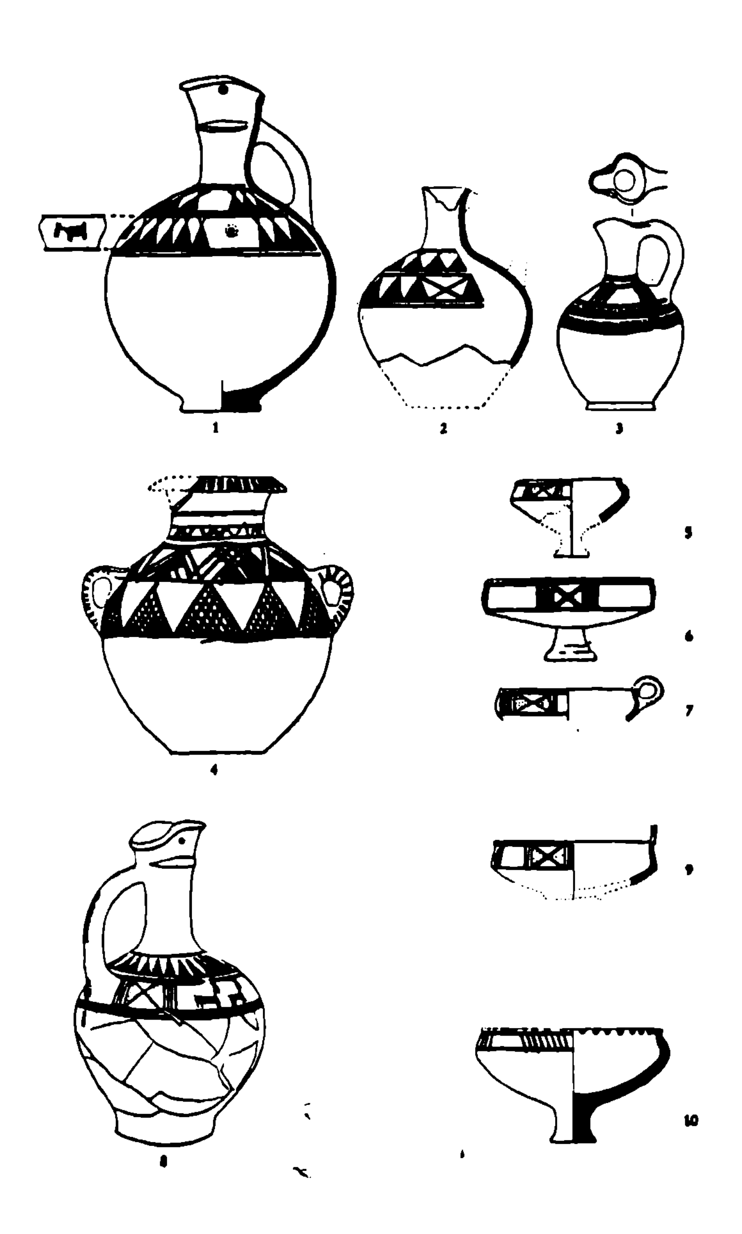
الصورة رقم ١٢٧



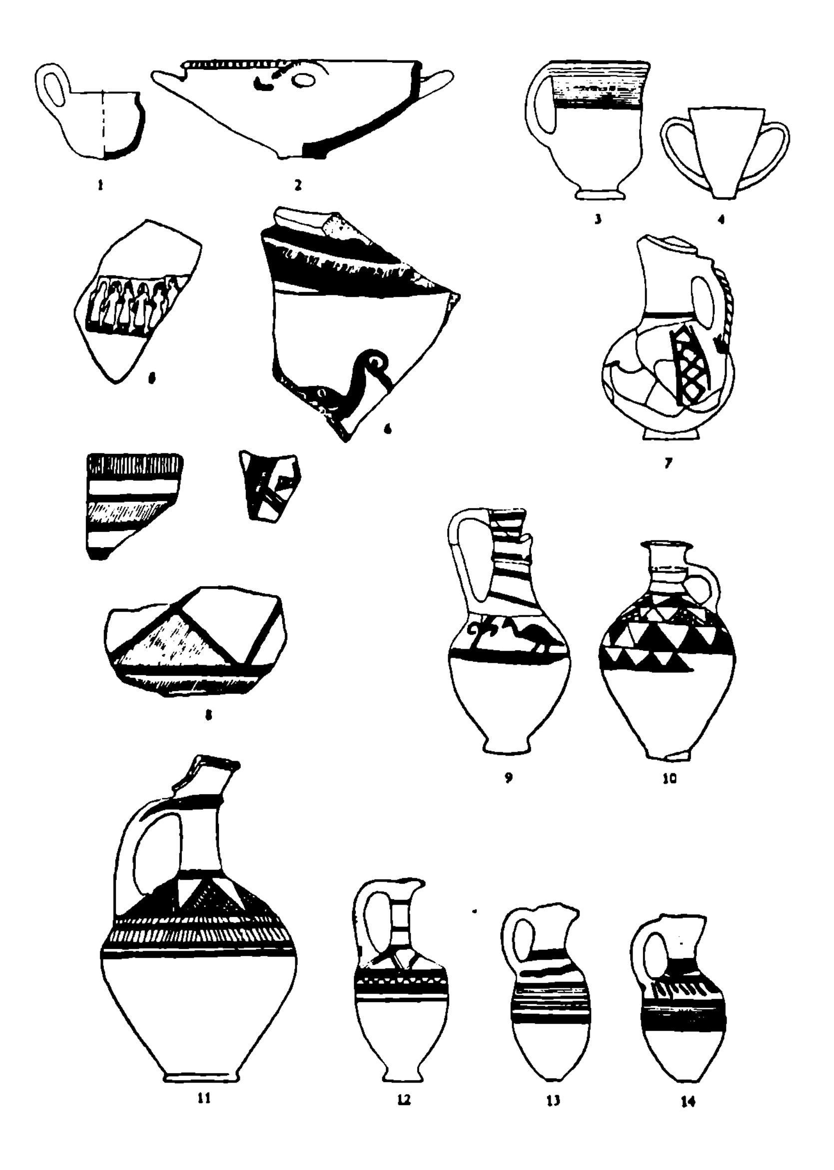
صورة رقم ١٢٨

٧ ـ اباريق اجاصية الشكل : منشأها بلاد الشام ، يطلق عليها احيانا اسم أواني تل اليهودية ، نسبة الى هذا الموقع بدلتا مصر . وتتميز بزخارفها التي هي عبارة عن خدوش أو اخاديد أو اثلام مملوءة باللون الابيض فوق ارضية سوداء او حمراء ، وهي على العموم صغيرة الحجم كعبها مدبب . (صورة ١٢٩) .

وإن جاز لي أن الخص هذا الفصل بعبارات قصيرة ، فانني أقول أن هذا العصر هو العصر الذهبي الكنعاني ، الذي ازدهرت فيه حضارة المشرق بجميع فروعها . ومن الناحية السياسية فاننا نلاحظ انه عندما تصارعت الممالك الاكدية والكنعانية ، وشنت الحروب على بعضها، فتح المجال أمام الكوتيين ليقضوا على الاكديين في بلاد مابين النهرين . وعندما حاول حمورابي توحيد البلاد وشن الحروب على الممالك الكنعانية وخاصة ماري ، فسح المجال أمام الكاشيين ليقضوا على بابل ، وطمع الحثيون والحوريون وغيرهم ببلاد الشام ايضا كما سنرى في الفصل القادم .



الصورة رقم ١٢٩



صورة رقم ١٢٩

الفصل السابع

الممالك الكنعانية الأمورية الثانية

١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م

وكما رأينا في الفصل السابق ، لم يحقق الكنعانيون الاموريون وحدة سياسية ، ولم يؤسسوا دولة تجمعهم ، بل تفرقوا الى ممالك قبائل كانت في النصف الاول من الالف الثاني ق.م . قليلة العدد ، ثم زاد عددها في النصف الثاني منه . وبحلول القرن السادس عشر ق.م انتهى عصر الممالك الكنعانية الكبيرة المستقلة ، ليأتي عصر الممالك الكنعانية الصغيرة الضعيفة التابعة ، الذي كان مليئا بالاحداث الداخليةوالخارجية ولا شك ان تفككها قد اضعفها ، فطمع بها جيرانها من حثيين وحوريين وكيشيين . ففي عام ١٥٩٤ ق.م قاد مورشلي الاول حملة قوية على بابل واحتلها . والواقع ان هذا الحدث قد توج سلسلة من الاعمال العدوانية التي قام بها الحثيون والحوريون والكيشيون قبل هذا التاريخ . اذ كانوا يتسللون الى المنطقة مهاجرين . ومع مرور الزمن تمكنوا من تأسيس امارات هنا وهناك رغم مقاومة الكنعانيين لهم .

وبعد حملة مورشيلي تمكنوا من السيطرة على اجزاء كبيرة من البلاد ، فخضعت بلاد بابل للنفوذ الكيشي ، بينما خضعت المناطق الممتدة من جبال زاغروس حتى البحر المتوسط ، والتي تشمل الجزيرة والاجزاء الشمالية من بلاد الشام ، الى النفوذ الحوري الميتاني . ومنذ وصول السلالة الثامنة عشرة الى الحكم في مصر ، وطرد ومطاردة الهكسوس الى وفي بلاد الشام ، تعاظم النفوذ المصري . والحق يقال ان الفراعنة

لم يدخلوا بلاد الشام لمطاردة الهكسوس فقط ، بل ليقفوا بوجه السيطرة الحثية والحورية ـ الميتانية .

وانطلاقا من هذا الواقع نتعرف اولا على الاثار الكيشية ، ثم الحورية ـ الميتانية ، ثم الكنعانية في بلاد الشام .

آ ـ بلاد بابل في العصر الكيشي

١٥٨٠ ـ ١١٥٧ ق.م

بعد حملة مورشيلي على بابل ، تقدم الكيشيون من ايران نحو بلاد بابل ، وتمكن ملكهم آكوم (آجوم) الثاني نحو عام ١٥٨٠ من احتلال بابل العاصمة ، وتاسيس دولة حكمتها سلالة بلغ عدد ملوكها ستة وثلاثون ملكا . واشتهر من ملوكهم كرايندااش (١٤٤٥ ـ ١٤٢٧) ، وكوريكلزو الاول ، وكدش مان انليل (١٣٨٥ ـ ١٣٧٥ ق.م تقريبا) ، وبرنابرياش الثاني (١٣٧٥ـ١٣٤٧ ق.م) ، وكدشمانخرب الثاني ١٣٦٥ـ١٣٣٠ق.م هؤلاء الملوك وغيرهم شنوا الغارات والحروب على جيرانهم الاشوريين في الشمال ، وقبائل السوتيين على ضفاف الفرات . وفي عهد آخر ملوك الكيشيين انليل نادن اخي ، هاجم الملك العيلامي شوترك ـ ناخنتي عام ١١٥٧ ق.م بابل ، فدمرها ، ونهب كنوزها وتحفها ، ونقلها الى سوسة. ولقد اهتمالكيشيون بمختلف أنواع الفنون وافلحوا في تطويرهاكماسنرى

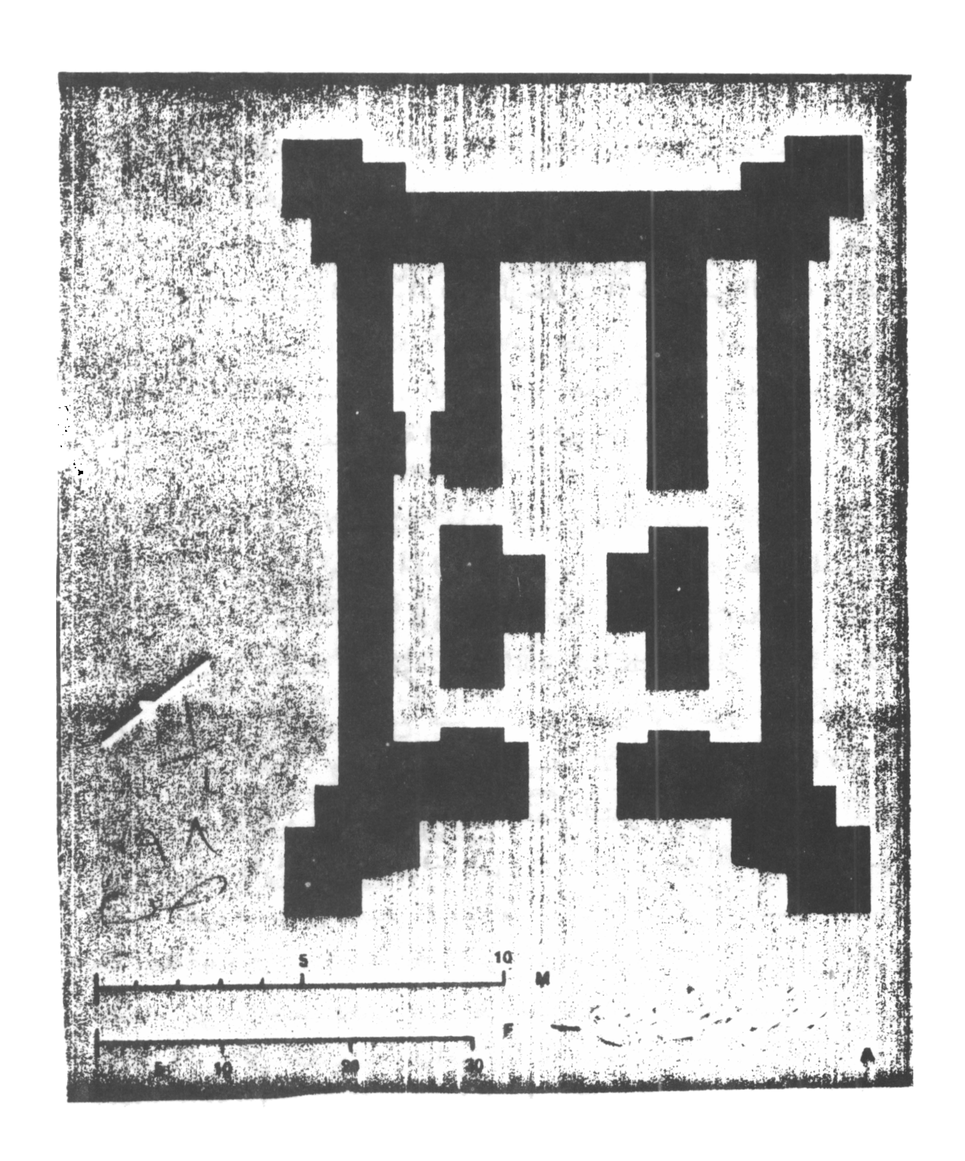
١ ـ **العمارة** : قدس الكيشيون ارباب بلاد النهرين ، وبنوا لهم بيوت العبادة . فقد بنى الملك كرايندااش معبدا للربة انين في احدى باحات حرمها المقدس بمدينة الوركاء . شكله مستطيل ، ولا نعرف له مثيلا حتى الآن . تتجه زواياه الاربع نحو الاتجاهات الجغرافية المعروفة . المصلى مستطيل الشكل له بابان جانبيان متقابلان ، وباب رئيسي تتقدمه قاعة لها بابان جانبيان متقابلان ، وباب رئيسي ينفتح نحو الجنوب الشرقي ويقابل الباب الرئيسي للمصلى . يحيط رواقان بالمصلى من الشمال الشرقي ومن الجنوب الغربي . قويت ودعمت كل زاوية من زوايا المعبد

الخارجية ببرجين مربعين . وفي صدر المصلى بنيت الدكة التي يوضع فوقها تمثال الرب (مخطط ٤٣) .

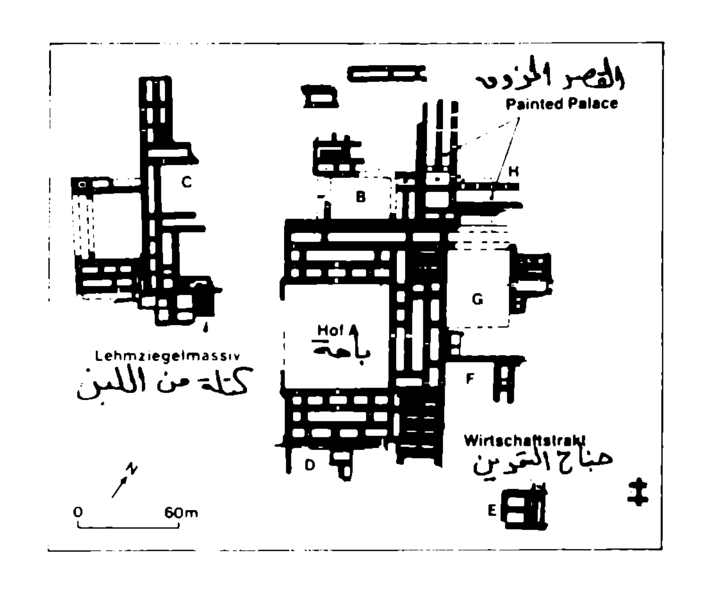
ويختلف هذا المعبد عن المعابد المعروفة بمخططه ، وبتفاصيل الواجهة التي زينت بالمحاريب ، وكسيت بنطلة من الطوب ، ووضع في كل محراب وبالتنلوب ، تمثال ربة ورب ، وفي يديها او يديه ، وعاء يتدفق منه الماء . ويتالف جسم الربة والرب والزخارف الاخرى من الطوب ، الذي صنع بقوالب خاصة ، ليتمكن المعمار من جمعها وتكوين اجساما او اواني او نافورة ماء او اسماك ... الخ . تمثل هذه الارباب رب الجبل المميز بزخارف ثوبه الحرشفية وربة النهر ؟ غير المميزة .

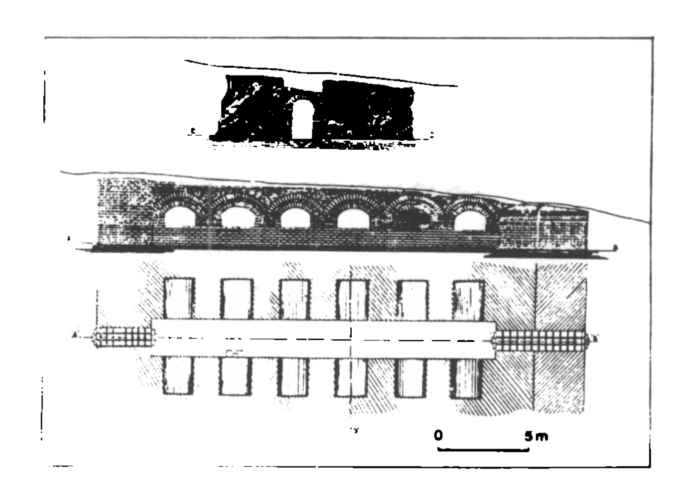
ويبدو ان هذا الاسلوب الجديد المبتكر ، قد اتبع في مدن اخرى ، شيد فيها الكيشيون معابد اندثرت ، ولم يبق منها سوى طوبها المتناثر ، كما في اور ، ونفر ، ودور كوريكالزو (عقر قوف الان) ، التي سميت بهذا الاسم ، نسبة الى مؤسسها الملك كوريكلزو الثاني ، الذي ترك بابل عند نهاية القرن الرابع عشر ، وبنى دور كوريكلزو جديدة له ولخلفائه من بعده . وقد كشفت التنقيبات الاثرية فيها عن بقايا معابد وقصور وزقورة . والذي يهمنا هنا القصر لنتعرف من خلاله على المباني المدنية الكيشية ، بعد أن تعرفنا على بناء المعابد . يقع القصر فوق جزء المدينة المعروف بالتل الابيض ، ويتالف من باحة سماوية رئيسية ، تحيط بها القاعات والاجنحة المختلفة ، التي تتوسطها باحات . وغالبا ما يحوي الجناح على قاعة مستطيلة ، تحيط بها القاعات ، او الحجرات الصغيرة والكبيرة من كل جانب . والواقع أن هذا القصر ، قد توسع مرارا ، واضيفت اليه اجنحة كان اخرها الجناح H او (ح) الذي يعود الى نهاية العصر الكيشي (مخطط ٤٤) .

٢ ــ **فن النحت** : لم يبق شيء من آثار فن النحت الكيشي ، وقد بقيت بضع دمى بشرية وحيوانية من الطين المشوي جيدا .



مخطط رقم ٤٣


القصر الحزوني
Painted Palace
H
C
B
G
Hof A
باحة
Lehmziegelmassiv
كتلة من اللبن
F
Wirtschaftstrakt
جناح التموين
D
E
N
0
60m


0
5m

مخطط رقم ٤٤

فلدينا رأس انسان من الطين المشوي ، وجد بالحجرة (VI) من القصر الملكي في دور كوريكلزو ، ومحفوظ الآن بالمتحف العراقي في بغداد ، ارتفاعه ٣ر٤ سم ، مصبوغ باللون الاحمر النبيذي . أما شعر الرأس واللحية فقد صبغ باللون الاسود ، ومثله الفنان بوساطة خدوش مختلفة الاشكال والاحجام . وبالاضافة الى هذه الدمية لدينا دمية لبوة من الطين المشوي ، ومن قصر دور كوريكلزو أيضا . ارتفاعها ٧ سم ، وطولها ١٣ سم . محفوظة بالمتحف العراقي في بغداد ، وتعبر الدميتان عن اتقان في الصنعة ، ودقة في تصوير أجزاء الجسم ..... الخ . (صورة ١٣٠ و ١٣١) .

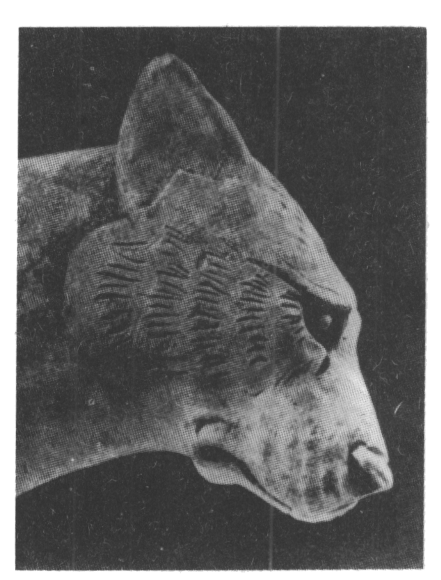
٣ ـ **الرسوم الجدارية** : كان لهذا الفن اهمية بالغة في بلاد النهرين والشام . وقد تحدثنا في الفصل السابق عن الرسومات الجدارية في قصر ماري ، التي قلدها كوريكلزو بعد بضعة قرون ، وزين بعض جدران قاعات قصره بالصور الملونة ، التي رسمت فوق كسوة طينية ، أو فوق طبقة جصية وضعت فوق الكسوة الطينية . كانت هذه الرسوم ذات أشكال هندسية الوانها أسود وابيض واحمر .

أما الرسومات الاحدث التي كشف عليها في الملحق H (= حـ) من القصر ، فتصور ارتالا من الرجال ، يسيرون نحو الباب . منهم من يعصب شعر رأسه الطويل ، ويرتدي ثوبا طويلا . ومنهم من يضع فوق رأسه قلنسوة ، ويرتدي ثوبا طويلا يشده على جسمه حزام عريض ، ويتشح وشاحا تتدلى منه الشراريب . ومما يلفت النظر في هذه الصور ، أن الاشخاص بلا رقاب تقريبا . واذا ما قارنا هذه الصور مع تماثيل معبد انين بالوركاء ، نجد اختلافا بينا في الاسلوب . فهل مرد ذلك الى تطور عادي ، أم ان الارامييين ، الذين وصلوا بابل خلال هذا العصر ، وانتشروا فيها ، قد ساهموا في تطوير الفن الكيشي ؟ (صورة ١٣٢) .

٤ ـ **فن الحفر على الحجر** : لا توجد قطع فنية تميز الفن الكيشي عن غيره من الفنون سوى الكودورو (= علامات الحدود أو حجارة



الصورة رقم ١٣٠



الصورة رقم ١٣١



الصورة رقم ١٣٢

المساحة) ، التي انتشر استعمالها في بلاد بابل من القرن الرابع عشر ، وحتى نهاية الالف الثانية ق. م. والكودورو قطع حجرية متطاولة يتراوح ارتفاعها من ٣٠ر. ـ ١ م . قاعدتها مستطيلة ، او مربعة ، او بيضوية ، وراسها محدب او على شكل قوس . نقشت عليها كتابة بمثابة صك يبين فيها الملك انه اهدى قطعة ارض للمعبد ، او الى موظف ، او الى شخص ما . وما تبقى من سطح الحجر نقشت عليه مواضيع مختلفة . اهمها واعمها رموز الارباب ، واحيانا الملك يقدم سند التمليك الى المستحق ، او يقف الاثنان امام الرب . وغالبا ما يحيط براس الحجر وبقاعدته حية او حنش (صورة ١٣٣) .

٥ ـ **فن النقش على الاختام الاسطوانية** : ارتبط هذا الفن بالتقليد البابلي ، الذي كان متبعا في صنعة الاختام الاسطوانية . ففي المرحلة الاولى نجد اشكال او صور عباد طوال القامة ، بجانب كتابة طويلة ، تتضمن دعاء او ابتهالا . وفي المرحلة الثانية صورت اشكال اخرى مثل : متعبد واحد فقط ، او رب والى جانبه رموز ، واشكال زخرفية اخرى لملىء الفراغات (صورة ١٣٤) .

ب ـ الميتانيون :

حينما كانت الدولة الأكدية ، والدول الكنعانيـة التي اتت بعدها قوية ، تحمي حدودها ، وترد غزوات الشعوب المجاورة القادمة من الشرق والشمال الشرقي خاصة ، هاجـر الى بلادهم جماعـات من الحوريين امتزجوا معهم . ولم يكونوا قـوة سياسية تهـدد الدول الكنعانية . وحينما بدأت تضعف وتتفكك وتتجزأ ، شكلت الشعوب الحورية ، ومنهم الميتانيون الآريون ، خطرا عليهم . وبحلول منتصف الالف الثاني ق. م. ، تأسست الدولة الميتانية في الجزيرة ، في حوض الخابور ، وتنازعت السلطة والسيطرة على الجزيرة وبلاد الشام الشمالية مع الآشوريين في الشرق ، والحثيين في الشمال ، والفراعنة في الجنوب. واشتهر من ملوكهم شوشتار (القرن الخامس عشر ق. م .) الذي



الصورة رقم ١٢٣.

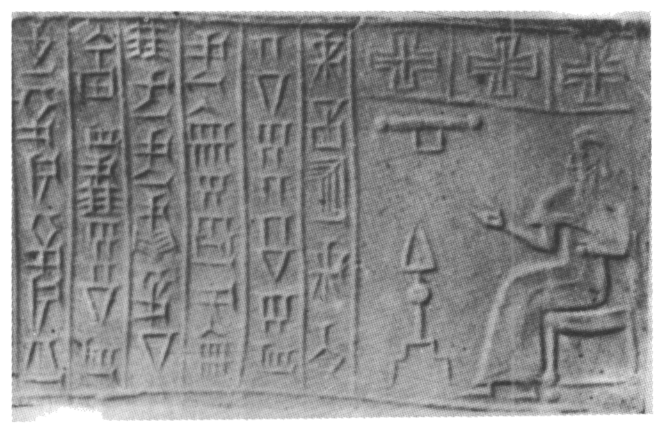
جعل عاصمته واشوكاني ، التي نجهل موقعها حتى الآن . وقد تكون تل الفخيرية قرب راس العين . والمدينة التي عثر فيها على وثائق وآثار ميتانية هي مدينة نوزي (يورغان – تبه الآن) . الى الشرق من مدينة آشور ، بالقرب من كركوك(٢٥) .

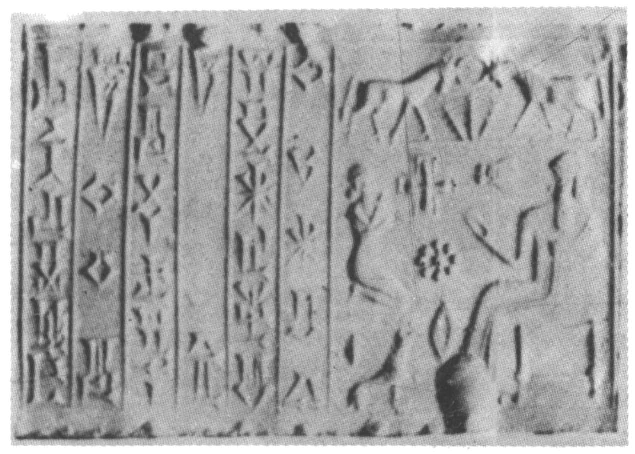
وفيها كشف على جزء من قصر حاكمها ، وعلى معبدين . والواقع أن فن العمارة الميتاني قد سار على التقاليد القديمة ، وخاصة التقاليد الآشورية . فمخطط القصر الذي يتألف من باحة رئيسة ، تحيط بها الاجنحة ، التي تتوسطها الباحات ، مشابه لما عرفناه في ماري واللالاخ وآشور وغيرها . ومخطط المعابد مطابق تقريبا لمخططات المعابد الاقدم في نوزي ذاتها ، والتي تعود الى عصر سلالة أور الثالثة ، والعصر البابلي القديم . هذا في مجال العمارة ، اما في مجال النقش على الاختام الاسطوانية ، فانه عثر في هذه المدينة على اختام وطبعات اختام على الرقم ، تعطينا فكرة جلية واضحة عن هذا الفن . والاختام الاسطوانية من هذا العصر قد وجدت أيضا في انحاء متفرقة من بلاد الشام ، مثل اللالاخ بسهل العمق ، ويبرود ، وتل المتسلم بفلسطين (صورة ١٣٥) .

ونصنف الاختام الميتانية في مجموعتين : مجموعة عادية ، ومجموعة متقنة . وتتميز المجموعة الاولى بأن الاشكال قد نقشت بوساطة مثقب غليظ خشن ، وكانت مادة الاختام عجينة زجاجية ، أو حجر الستياتيت ، أو حجر الهيماتيت . وتتميز المجموعة الثانية باستعمال مثقب ناعم دقيق ، وبصغر حجم الختم ، الذي صنع على الغالب من مادة الهيماتيت ، ومن احجار شبه كريمة . وأهم المواضيع التي صورت أو نقشت على المجموعة الاولى شجرة ذات اوراق كروية ، أو على شكل نقطة ، يحيط بها انسان وحيوان ، أو كائنان فقط . كانت هذه المجموعة قليلة بالمقارنة مع المجموعة الثانية ، والتي صنفت الى مجموعات تبعا للاشكال التي صورت عليها :

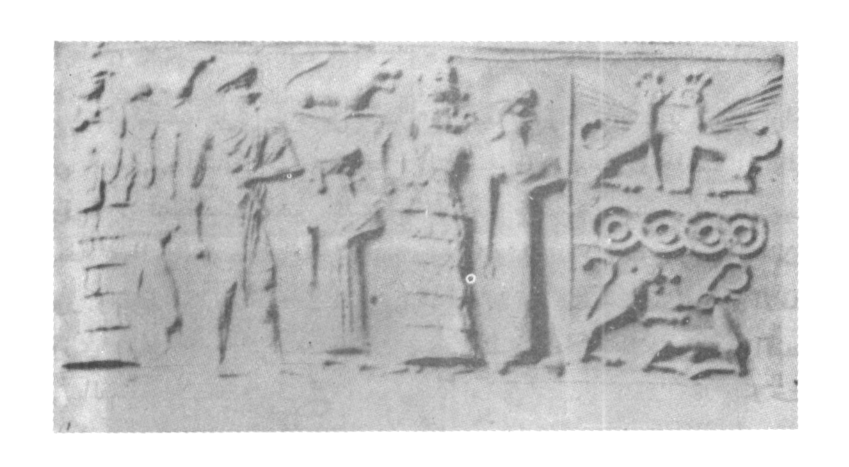
– المجموعة ذات المواضيع البابلية القديمة مثل : الصراع بين البطل







الصورة رقم ١٣٤





الصورة رقم ١٣٥

العاري ، والحيوانات المفترسة ، تمثيل إله الطقس وامامه المصلون يحمل احدهم غصنا اوراقه كروية قد يكون رمز البرق .

ـ المجموعة ذات العناصر الزخرفية السورية : ومما يميزها عن الاختام السورية لباس الاشخاص الذي هو تقليد للاردية السورية ، والاغصان ، والاشجار ذات الاوراق الكروية .

ـ المجموعة ذات العناصر الزخرفية المتنوعة التي صنعت بأسلوب ميتاني مميز بوساطة الاشكال الهندسية : ومواضيعها مجالس الشراب ، والتقدم من الآلهة ، والاشكال الهندسية والزخارف القماشية ... الخ .

ومما يلفت النظر في هذه المجموعة ، ان الاشكال قد وزعت على سطح الختم من غير تقسيمه الى حقول لتوزيع الاشكال عليها ، الا في بعض الحالات حيث ميزت الحدود بين الحقول بوساطة ضفائر .

واستعمال الضفائر للفصل بين الحقول ، نشاهده على الرسومات الجدارية ، التي كانت تزين بعض قاعات قصر نوزي . تلك الرسومات التي كشف على قطعة منها في القاعة ١٥٦ . طولها ٣٥ر١ م ، وارتفاعها ٤٥ سم . كانت الارضية جصية رسمت فوقها الاشكال بالالوان ، الاحمر الوردي ، والابيض ، والاسود ، والرمادي . يبدو المشهد بأكمله وكأنه واجهة بناء او مقطع له . اما العناصر الزخرفية داخل الحقول ، فمنها شجرة الحياة ، وراس ثور ... الخ . وكلها عناصر قديمة .

جـ ـ الاشوريون (المملكة الوسطى حوالي ١٧٠٠ ـ ١١١٧) :

بعد وفاة شمشي حدد (هدد) الاول ١٨١٥ ـ ١٧٨٢ ق.م.، وابنائه الاقوياء ، خضعت بلاد آشور للبابليين ، وحكمتها سلالة ، غير سلالة شمشي حدد الاول ، اسسها المدعو اداسي حوالي عام ١٧٠٠ ق. م. وتميز عهدها بقلة الوثائق ، ولم تقم باي عمل يذكر ، بل سارت أيضا في ركاب الميتانيين حينا ، واستقلت عنهم حينا آخر . واشتهر من ملوكها آشور ـ نادين ـ اخي ١٤٠٢ ـ ١٣٩٣ ق.م. الذي أنشأ علاقات جيدة

مع مصر ، وآشور ـ اوبليط ١٣٦٥ ـ ١٣٢٠ ق.م. الذي حرر البلاد من نير التبعية الميتانية . وتعاقب على عرش آشور ، بعد هذا الملك ، عدة ملوك كان عليهم التصدي للكيشيين ، والقبائل البدوية احلامو ـ آرام ، التي اقضت مضاجعهم . ومن ابرزهم : آرك ـ دين ـ ايلو ١٣١٩ ـ ١٣٠٨ ، سلمانو نصر الاول ١٢٧٤ ـ ١٢٤٥ ، وتيكولتي ـ نينورتا الاول ١٢٤٤ ـ ١٢٠٨ .

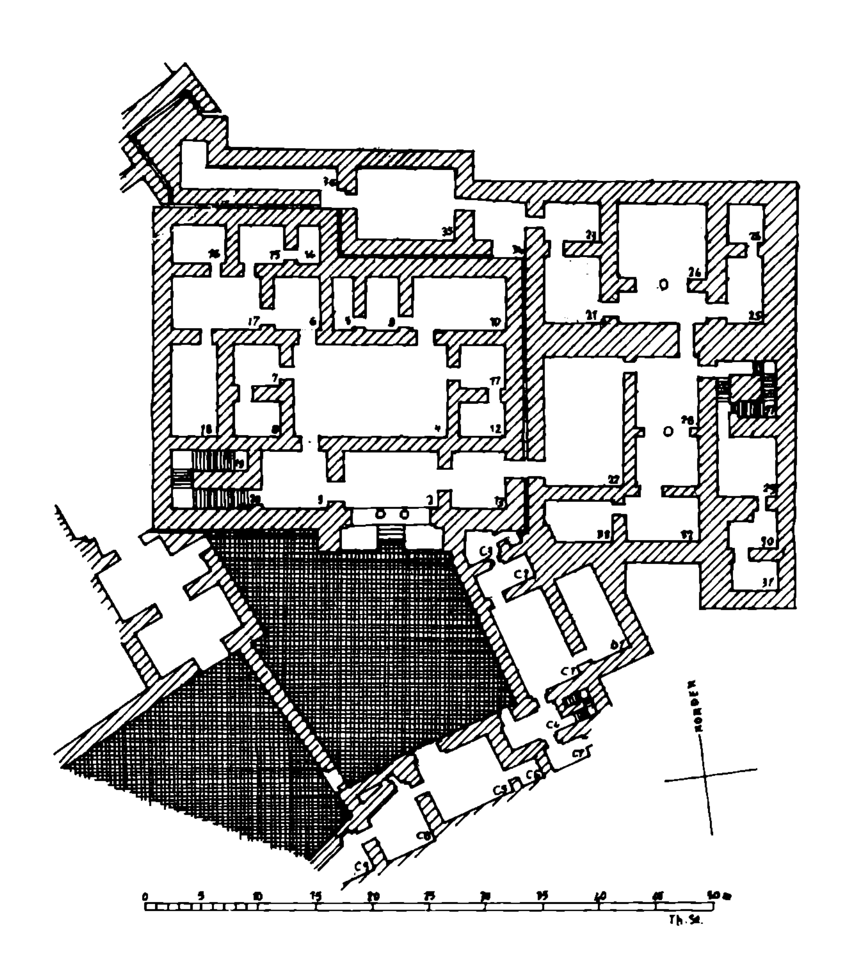
وبعد وفاة هذا الاخير دب الوهن في كيان المملكة الآشورية ، حتى أعاد لها عزيمتها تيجلات فليصر الاول ١١١٧ ـ ١٠٧٧ الذي يعتبر آخر الملوك الاقوياء خلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة .

وكما قدمنا ، فان الفن الآشوري ، خلال هذه الحقبة ، قد تطور مع الفن الميتاني . وفي مجال العمارة نجد ان المعبد الاول للربين سن ـ شمش في آشور ، مغاير لما سبقه من معابد . تتوسط باحة كبيرة البناء وعلى جانبيها صالتان مستطيلتان تتقدمان الحرمين او المصليين، وتحيط بهم الحجرات الصغيرة (مخطط ٤٥) . وقد يدل هذا المخطط على تأثير حوري ـ ميتاني في العمارة الآشورية كما تدل عليه بعض القطع الفنية الصغيرة ، التي عثر عليها في آشور مثل : الاواني الفخارية او الزجاجية.

وما ان اطل القرن الثالث عشر ، حتى تحرر الفن الآشوري من المؤثرات الخارجية ، وتمكن المعلمون الآشوريون من ابداع اساليب فنية جديدة في مختلف المجالات . وتتمثل هذه الاتجاهات الفنية الجديدة في زقورة ومعبد آشور بمدينة كار ـ تيكولتي ـ نينورتا الاول ، ومعبد عشتار الآشورية بآشور ، اللذين بناهما تيكولتي ـ نينورتا الاول ، وفي مجموعة من الاختام الاسطوانية ، وفي قاعدة نصب لهذا الملك(٣٦) .

د ـ الممالك الكنعانية في بلاد الشام :

وبينما كان الكيشيون يوطدون اقدامهم في بابل ، والحوريون الميتانيون في الجزيرة ، كان الفراعنة يغزون بلاد الشام (تحوتمس الاول ١٥٢٤ ـ ١٥٠٢ والثالث ١٥٠٢ ـ ١٤٤٨) لبسط نفوذهم ، ولمنع الميتانيين



مخطط رقم ٤٥

والحثيين من السيطرة عليها . هذا على الصعيد الخارجي ، اما على الصعيد الداخلي ، فقد تمزقت البلاد ، وتاسست ممالك كثيرة نعرض لها فيما يلي من غير وصف دقيق لحدودها ، لأننا نجهلها(٢٧) .

١ ـ مملكة موكيش / الالخ : واذا تعذر التنقيب في حلب حتى الآن ، فان الكشف عن آثار مدينة الالخ ، عاصمة هذه المملكة ، قد أمدنا بالوثائق المتعلقة بتاريخها وتاريخ يمحاد ، التي تبعت لها عشرات السنين. ونعرف من ملوكها الملكين ياريم ـ ليم وعمي ـ تاكوم ، اللذين حكما خلال القرنين الثامن والسابع عشر . ويحتمل أن يكون تدمير المدينة على يد الملك الحثي خاتوشيلي الاول (النصف الثاني من القرن السابع عشر) قد تم في عهد هذا الاخير . وبعد ذلك فقدت الالخ اهميتها كعاصمة مملكة ، وكمدينة الى أن عاد اليها الملك ادريمي ، حوالي عام ١٥٠٠ ، فأعاد اليها قوتها وشهرتها . وقد خلف لنا معبدا وقصرا ودار محفوظات حوت على وثائق كثيرة ، تتعلق بتاريخ الالخ والممالك المجاورة . وكغيرها من ممالك بلاد الشام ، خضعت هذه المملكة للحثيين منذ عام ١٣٥٠ ، وحتى عام ١٢٠٠ تقريبا حينما دمرتها غزوات شعوب البحر .

٢ ـ مملكة آرشو :

تقع الى الشمال الغربي من جرابلس / جرجمش ، في السهل الممتد بين نهر الفرات ورافده الساجور . ولم يكن لها دور في الاحداث السياسية ، بل لعبت دورا بارزا في التجارة بين الهلال الخصيب وبلاد الاناضول .

٣ ـ مملكة خشو : كانت الى الشمال من آرشو ، وذت أهمية بسيطة مثلها .

٤ ـ مملكة ايمار : ايمار عاصمة المملكة قامت على أطلالها فيما بعد مدينة مسكنه ، التي غمرت بمياه سد الطبقة . جرت فيها تنقيبات اثرية هامة ، اعطت نتائج باهرة . ومن المكتشفات وثائق تجارية تعود

الى منتصف الالف الثاني ق. م. وبحكم موقعها عند منعطف الفرات نحو الشرق ، كانت ملتقى القوافل القادمة من الشرق او من الغرب ، من البادية جنوبا او من الجزيرة شمالا . هذا بالاضافة الى كونها ميناء فراتيا هاما ترسو فيه السفن القادمة من جرجميش او من ماري . وتذكر وثائق ماري ان شحنات الدقيق كانت تنقل من ايمار الى ماري . وهذا يعني أن ايمار كانت تصدر الدقيق . ويستفاد من وثائق بابل أن تجار ايمار قد وصلوا الى تلك المملكة ايضا . لقد فاقت اهمية ايمار التجارية اهميتها السياسية ، بل ان مملكتي ماري ويمحاد قد تسابقتا للسيطرة عليها لموقعها الجغرافي الهام . ففي القرن التاسع عشر ، وفي عهد ملك ماري يخدون ـ ليم خضعت لماري ، وبعد وفاته خضعت لحلب ثم للميتانيين والحثيين .

٥ ـ مملكة نوخشي :

واحتلت بقعة من الارض ، في الوسط بين حلب وحماة . وعاصمتها (نو ـ خا ـ ش ـ شي) أو (ن غ ث) كما في الاجاريتي او (نو ـ ج ـ شا) كما في المصرية ، مجهولة الموقع . قامت هذه الدولة بعد سقوط يمحاد وقطنه ، وعاشت فترة قصيرة من (القرن ١٥ ـ ١٣ ق. م.) . وفي القرن الخامس عشر نصب تحوتمس الثالث الامير تاكو على عرشها . وفي عهد ملكها شاروبشي (القرن الرابع عشر) خضعت للميتانيين . اما في القرن الثالث عشر ، وفي عهد ملكيها هدد نيراري وتيت فخضعت للحثيين .

٦ ـ مملكة ناعيا :

تقوم قلعة المضيق فوق أطلال مدينة ناعيا ، عاصمة هذه المملكة ، التي سيطرت على سهل الغاب ، وبعض الاراضي الواقعة الى الشرق منه . عاصرت مملكة نوخشي ، وخضعت مثلها للفراعنة والميتانيين والحثيين . ونعرف من ملوكها تاكوا وآجي ـ تشوب اللذين حكما في القرن الثالث عشر ق. م.

٧ ـ مملكة تونيب :

مملكة صغيرة كناعيا . كانت تسيطر على المناطق الممتدة الى الغرب من حمص ، ومن ضمنها منطقة الحولة ، وخضعت تجاراتها للنفوذ الاجنبي. ومن ملوكها آري ـ تشوب ، الذي عقد معاهدة مع نقم ـ عفا ملك اجاريت نظمت العلاقات بين المملكتين . ولا زلنا نجهل موقع عاصمتها .

٨ ـ مملكة كنزا/قادش :

اطلال عاصمتها كنزا/قادش هي الان تل النبي مند على الطرف الجنوبي لبحيرة قطينة ، الى الجنوب من حمص . كان اسمها كنزا ثم تحول الى قادش . سيطرت على بقعة من الارض ، امتدت من حمص شمالا حتى سهل البقاع جنوبا ، ومن البادية شرقا حتى سهل البقيعة غربا . وان زاد هذا الموقع الجغرافي الممتاز من اهميتها ، جعلها من المناطق التي سعى الفراعنة والحثيون لاحتلالها ، لانها كانت تسيطر على طرق المواصلات بين شمال وجنوب بلاد الشام . في عهد تحوتمس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦) ، وعند منتصف الالف الثاني ، خضعت للمصريين بعد معركة مجدو ، التي خاضتها الممالك الكنعانية بقيادة قادش ضد هذا الفرعون . وعندما هاجم الملك الحثي شوبي ـ لي ـ ليوما (١٣٧٠ ـ ١٣٣٠) نوخشي ، تصدى له شوتاترا ملك قادش وابنه ايتاكاما ، وانهزما امامه . ظل المصريون والحثيون يتنازعون عليها ، حتى وقعت معركة قادش الشهيرة عام ١٢٨٥ ، بين رعمسيس الثاني (١٢٩٠ ـ ١٢٢٣) وموفاتلي (١٣٠٠ ـ ١٢٨٠) ، فبقيت هي وبلاد الشام الجنوبية تحت النفوذ المصري ، بينما خضعت الممالك الشمالية للحثيين .

٩ ـ مملكة آمورو :

كانت مملكة صغيرة ، سيطرت على السهول الممتدة حول نهري الكبير والابرش ، وعلى المنطقة الساحلية من طرطوس وحتى البترون .

كانت عاصمتها صميرا او صمورا ، التي هي على الارجح تل الكزل على نهر الابرش . اسس فيها عبدي ـ عشيرته سلالة قوية ، تسلمت زمام الامور منذ مطلع القرن الرابع عشر وحتى القرن الثاني عشر ق.م. وكان من ابرز ملوكها آزيرو (عزيرو ؟) الذي حكم في (القرن الرابع عشر) . اصطدم بجاراته تونيب واجاريت وجبالا حينما حاول توسيع منطقة نفوذه . وخضعت المملكة للفراعنة حينا ، وللحثيين حينا آخر الى ان قضت عليها موجات شعوب البحر ، عند نهاية القرن الثالث عشر ق. م. تقريبا .

١٠ ـ مملكة اجاريت :

عاصمتها مدينة اجاريت (تل راس الشمرا الى الشمال من اللاذقية) حيث سكنها الانسان منذ الالف الخامس ق.م. الا انها لم تكن مملكة قوية، ولم تكن عاصمتها مزدهرة كماري وايبلا مثلا ، بدليل ان حمورابي الاول ملك يمحاد نقل لزمري ليم ملك ماري ، رغبة شيخ اجاريت (اسمه غير معروف) بزيارة قصره الذائع الصيت . والواقع انه في هذه الاثناء كان في اجاريت قصران صغيران اقل اهمية من القصور المعاصرة ، ومن القصر الذي بني بعدهما في اجاريت نفسها ، ونسميه الآن القصر الملكي . ومنذ نهاية القرن السادس عشر اصبحت مدينة اجاريت المركز الحضاري الاهم في بلاد الشام، وبقيت كذلك حتى تدميرها عام ١٢٠٠ ق.م. تقريبا على يد شعوب البحر. تعاقب على حكمها تسعة ملوك كان اولهم ابرا. ومن بينهم عم ـ ثتمر الاول الذي عاصر الفرعون آمنوفس الثالث (١٤٠٣ ـ ١٣٦٤) ، وحافظ على علاقات جيدة معه. اما نقم هدد الثاني فكان من أعظم ملوك اجاريت ، اهتم بالعلم والادب والعمران ، وعقد معاهدة مع شوبي ـ لي ليوما الاول (١٣٧٠ ـ ١٣٣٠) . ومنذ ذلك الحين حافظ ملوك اجاريت على علاقات طيبة مع البلاط الحثي ، ولم يقطعوا علاقاتهم بالفراعنة .

هـذه هي ممالك بلاد الشام الشمالية ، التي تخاصمت فتفرقت ولم تتحد ، حالها حال ممالك بلاد الشام الجنوبية ، التي زاد عددها على عدد ممالك بلاد الشام الشمالية ، وكانت في معظمها مدينة تسيطر

على بقعة من الارض حولها . وجاءتنا معظم اخبارها من رسائل العمارنة مدينة اخناتن ، وهي رسائل متبادلة بين الفرعونين آمنوفس الثالث والرابع ، وامراء تلك المشيخات خلال القرن الرابع عشر ق.م. وكثيرا ما تضمنت الرسائل المرسلة من الامراء شكاوي او طلب النجدة من الفرعون على بعضهم . ونظرا لضآلة اهمية تلك الامارات ، سنكتفي بتعدادها ، والاشارة الى بعض الاحداث التاريخية والاثار ان وجدت (٢٨)

١١ ـ مملكة ارقاتا :

وهي بلدة عرقا ، الى الشمال الشرقي من طرابلس . وكان بجوارها اردااتا (اراده) ، امبيا (= انفا) ، شيقاتا (= شقا) . وقد تنازعت عليها كل من مملكتي آمورو جبلا .

١٢ ـ مملكة جبلا :

عاصمتها جبلا وتعرف حاليا باسم بيبلوس (جبيل) . من اقدم ممالك بلاد الشام ، مثلها مثل ماري وايبلا . كانت على علاقات جيدة مع مصر ، وكشفت التنقيبات الاثرية فيها عن معابد وقصور ومساكن وآثار منقولة هامة .

١٣ ـ ممالك بيروت ، صيدا : (وكان اسمها القديم صي ـدو ـو صدن وصيدون) ، وصور (وكان اسمها القديم صور = صخر باليونانية تير) : ذكر ان امراء هذه المدن قد تحالفوا باديء الامر مع عبدي عشيرته ملك آمورو ضد رب ـ عدي ملك جبلا ، ثم تخلوا عنه وناصروا رب ـ عدي عليه ، وذلك قبيل مطلع القرن الرابع عشر ق.م

١٤ ـ مملكة كوميدي : وكانت عاصمتها كوميدي التي يطلق على اطلالها الآن كامد الوز في البقاع الجنوبي ، مركزا لمقاطعة اوفه والوالي المصري عليها . وشملت اراضيها مناطق الجولان ودمشق وحوران واربد تقريبا . جرت فيها حديثا تنقيبات اثرية كشفت عن اثارها الهامة .

١٥ ـ مملكة دمشق :

في عهد ملكها بيراوزة (النصف الاول من القرن الرابع عشر ق.م) اصبحت دمشق عاصمة اوافه بدلا من كوميدي . ولا شك ان بيراوزة كان اقوى امراء الجنوب . وعندما حاول التوسع نحو الشمال ، تصدى له ايتاكاما ملك قادش، وعرزاوي امير روخيزي (= حسيا)، وتعيواني امير لوبانا التي يفترض انها واقعة الى الشمال من دمشق، ووقف الى جانبه كل من : بيري امير خشابو ، الدايا امير خزي ايدي ـ ريشا امير عيشازي ، وكلها في سلسلة جبال لبنان الشرقية ، بين بعلبك ومنابع العاصي . كما ناصره امراء مدن حوران التالية : شارونا (تل عين عفا قرب دير العدس) ششخيمي الى الشرق منها ، دوبو (تل الدبة جنوبي قريــة بريكة في محافظة السويداء) زيري ـ باشاني (تل الشيخ حمد غربي الشيخ مسكين) ، عشتروت (تل عشترة جنوب الشيخ سعد) نصيبا ، (قرية نصيب الى الشرق من درعا) وموشيخنا قرب عشترة .

١٦ ـ مملكة حاصور اي الحظيرة : كانت عاصمتها الى الغرب من نهر الاردن في الوسط بــين بحيرتي الحولة وطبرية . وهي من العواصم الكنعانية القديمة الهامة ، التي كشف فيها عن قصور ومعابد تشهد على رقي العمران ، ومنحوتات تشهد على تقدم فن النحت .

١٧ ـ مملكة يانوعما : في حوض الاردن الى الجنوب من بحيرة طبرية . وتتمثل عاصمتها في تل النعمان ، ونعرف من حكامها بيريدداشو .

١٨ ـ مملكة بيلا : واطلال عاصمتها بيلا هي الآن تل فحيل ، الى الجنوب من يانوعما . ومن ملوكها موت ـ بعلو ، الذي في عهده نشبت اضطرابات ادت الى انفصال بعض القرى عنه . ولكنه بمساعدة ايوب ملك عشتروة ، سيطر عليها ثانية .

١٩ ـ مملكة اكشف : الى الجنوب من عكا في موقع تل لسان ومن ملوكها اندروتا .

٢٠ ـ شكما (شكم) : وتتمثل اطلال عاصمتها شكما بتل بلاطة على بعد ٢ر٥ كم الى الشرق من نابلس . وقد حاول ملكها لبايا وولداه من بعده السيطرة على جيرانهم ، فهاجموا سونيم ، وبوركانا وخرابو الى الشمال من نابلس . أما في الجنوب فقد أوقف توسعهم شو ـ ورداتا امير حيبرون واردا ـ خيبا امير اورشليم . وفي الغرب تصدى لهم اندرونا امير اكشف ، وزوراتا امير عكا . وحينما هاجم لبايا مجدو ، خرج اليه اميرها بيري ـ دايا واسره .

٢١ ـ مملكة مجدو : وعاصمتها مجدو ، من اقدم مدن كنعان ، وفيها حدثت المواجهة بين تحوتمس الثالث والتحالف الكنعاني بزعامة قادش ، التي تمكنت ولاول مرة، من حشد جيع الكنعانيين تقريبا تحت قيادة اميرها لمحاربة جيش الفرعون الذي هزمهم ، ودخل المدينة ، وعين واليا مصريا عليها . وفي القرن الرابع عشر قاوم اميرها بيري ـ دايا حلفا ضم امير جيزر واولاد لبايا امير شكم ، ومنعهم من احتلالها . وقد كشفت التنقيبات عن اثارها الهامة ، التي كان من ابرزها القطع العاجية ، اجمل ما صنعته يد الفنان الكنعاني في القرن الثالث عشر ق.م. والجدير بالذكر انه كان لمدرسة مجدو هذه تأثير واضح على صناعة العاج في بلادالشام خلال الالف الاول ق.م .

٢٢ ـ مملكة غزة : وعاصمتها غزة من المدن القديمة في بلاد الشام ، على الحدود مع مصر . جعلها تحوتمس الثالث من املاك الفرعون الخاصة مثل يافا . كانت مقر مملكة زاهرة ، ثم اصبحت مقر الممثلية الفرعونية ببلاد كنعان في القرن الرابع عشر ق.م .

في سياق هذا العرض اغفلنا ذكر عدد من مدن الامارات لقلة اهميتها ولان اسمها لم يقترن باحداث تاريخية بارزة . وفي الختام لا بد من الاشارة الى قبائل الخابيرو (او العبيرو) التي انتشرت في معظم مناطق بلاد الشام ، ولعبت دورا متميزا في الصراعات بين امرائها . فاذا اعتدى الخابيرو على اهل امارة ما ، استنجدت بجارتها . واذا ما تخاصمت امارتان ، استنجدت واحدة بهم . ولهذا الدور المزدوج وصفهم بعض المؤرخين

بالمرتزقة . واذا ما القينا نظرة على ما قدمناه استنتجنا ان الممالك الكبيرة قد قامت في الشمال والصغيرة في الجنوب . فهل مرد ذلك لوجود القبائل الكبيرة في الشمال والصغيرة في الجنوب ؟ أم ان هناك عوامل اقتصادية وجغرافية لعبت دورها في خلق هذا الوضع ؟ وأيا كان الامر ، فان النظام القبلي قد سيطر عليها ، فمنعها من توحيد نفسها ، او حتى الاتحاد الفعلي ضد الاخطار الخارجية .

من اهم المدن الكنعانية التي جرت وتجري فيها تنقيبات اثرية اللالخ واجاريت ، حيث كشف فيهما على آثار عظيمة . وقد كشف على آثار مدن كنعانية اخرى ، مثل جبلا ، مجدو ، حاصور وعشتروت ... الخ سنأتي على ذكرها عند الحاجة وعند المقارنة فقط .

١ ـ العمــارة :

اكتشف بالطبقة الرابعة في اللالخ ، التي تؤرخ في الفترة (١٤٤٧ ـ ١٣٧٠ ق.م)، قصر كبير بناه الملك ادريمي، ثم وسعه وجدده ولداه حدد ـ نيراري ونقم ـ عفا ، وحفيده اليما ـ ليما . ويبدو أن القصر قد شيد على انقاض قصر اقدم . وتتقدمه باحة سماوية كبيرة ، تحيط بها الحجرات التي كانت مخصصة للطبخ وخزن المواد الغذائية وسكن الخدم . يتجه مدخل القصر نحو الجنوب ، اي نحو الباحة . وقد قسم الى ثلاث ممرات بوساطة عمودين يحملان ساكف الباب . ومن الحجرة رقم(٢) التي تقع خلف المدخل ، نتجه نحو اليمين ، الى الجناح الاداري ، ومنها نحو اليسار ، الى الحجرة رقم (٣) ، حيث نصعد الدرج الى حجرات النوم المبنية فوق الجناح المعد لسكن الاسرة المالكة ، والذي تتوسطه باحة سماوية رقم (٤) ، تحيط بها حجرات الاكل والحمامات ... الخ (مخطط ٤٥) . ومن اللالخ بسهل العمق على العاصي ننتقل الى اجاريت على الساحل شمالي اللاذقية حيث الاوابد المعمارية الكثيرة ، ومنها الحي الملكي او حي القصر ، الذي شغل الجزء الشمالي الغربي من المدينة . يتوسطه شارع يمتد من الشرق الى الغرب ، ويضم ثلاثة قصور ، وحصن ومعبد ، ومباني اخرى مختلفة .

يقع الحصن على السفح الغربي ، او في الجهة الغربية من المدينة ، وله مدخل جميل صغير نسبيا هو مدخل المدينة ايضا . تحيط به جدران مائلة نحو الداخل ، ويقع الى اليسار منه البرج ، الذي احيط من الخارج بجدران مائلة نحو الداخل ايضا . وفي هذا الحصن مستودعات التجهيزات العسكرية وله باب في الشرق ، ينفتح على باحة أمام القصر الملكي ، الذي يعتبر من القصور الكبيرة ، والجميلة في بلاد الشام .

بني القصر على مراحل ، وبقي مقرا عامرا لملوك اجاريت طيلة ثلاثة قرون أي من القرن الخامس عشر الى القرن الثالث عشر ق.م . ويغطي مساحة مقدارها ٦٥٠٠ م٢ ، ويضم ٩٠ قاعة وحجرة ، وخمس باحات، واربع ممرات ، بالاضافة الى حديقة وبرج . ونجد فيه اثني عشر مطلع درج تقود الى السطوح ، والطابق العلوي المهدم (مخطط ٤٦) .

بنيت جدران القصر الرئيسة بحجارة منحوتة ، والاخرى بحجارة عادية ، وترتفع الآن حتى اربعة امتار . اما الواجهة الشمالية المطلة على الشارع ، فقد كسيت قاعدتها بصف من البلاط لتقويتها ، وكسيت الجدران من الداخل بالطين الجيد .

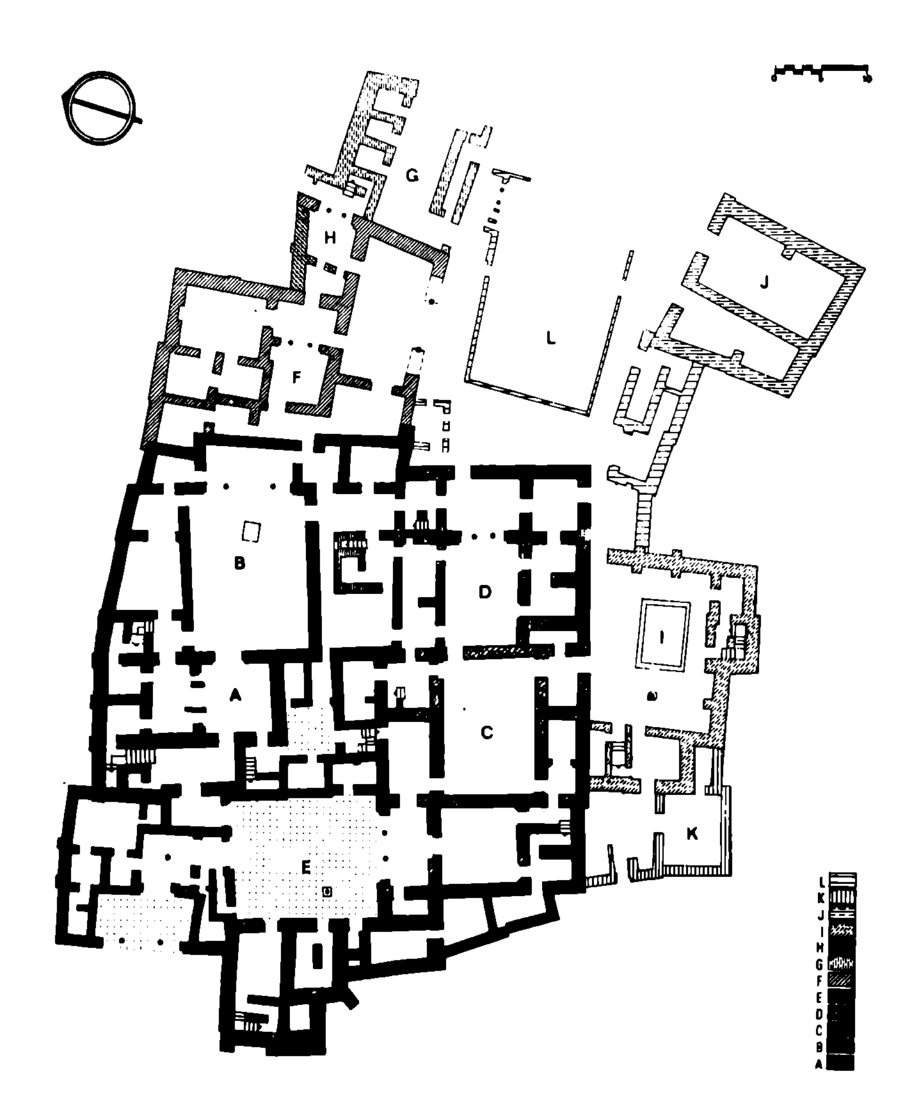
ضم الطابق الارضي قاعات الاستقبال ، والحجرات الملحقة بها ، وحجرات الوثائق والمكاتب والمستودعات ، وجناح الحراس والخدم . أما الطابق العلوي فكان مخصصا لاقامة الاسرة المالكة .

قسم المدخل الى ثلاث ممرات بوساطة اعمدة خشبية تحمل السقف ويتبعها بهو مستطيل الشكل فيه مصاطب للجلوس . يأتي بعد البهو حجرات الوثائق الغربية والى يمين الباحة رقم ٤ ، فالى جنوبها توجد قاعة الاستقبال . هذا بالاضافة الى باحات اخرى تحيط بها الحجرات من كل جانب . والى الشمال من الباحة رقم ٦ توجد مدافن . لقد استخدمت الباحة رقم ١١ لاغراض شتى ، اذ توجد فيها بركة ماء جميلة، وافران لشي الرقم الطينية ، وبئر تمتد منها اقنية الماء الى كافة انحاء

القصر . اما الباحة رقم ١٤ فكانت حديقة القصر الداخلية ، وكانت دار الوثائق الملكية حول الباحتين ٨ و ٩ . تشعرنا اطلال هذا القصر بعظمته وفخامته ، بينما يدل القصر الجنوبي على البساطة . يقع القصرالجنوبي الى الجنوب من القصر الملكي ، ويفصله عنه فراغ يتراوح عرضه ما بين ٤ ـ ١١ م وهو أصغر من القصر الملكي . ويشغل مساحة قدرها ١٦٠٠ م٢ تقريبا . بنيت جدرانه بالحجارة ايضا . ويقع مدخله في الجهة الغربية ، يعقبه باحة مبلطة الى الشمال منها مدخل قسم بوساطة عمودين خشبيين الى ٣ ممرات . وفي شرقها قاعة رقم (٣) ، وجدت فيها مدافن تحت جزء من ارضيتها . وكذلك مدافن اخرى تحت ارضية القاعة رقم (٤) . وفي القاعة رقم (٥) ، وجدت مدافن تحت الارض ايضا . وفي الحجرات ٨و ٩ حفظت وثائق ملكية ، غالبيتها تجارية ، تتعلق بتجارة أجاريت مع قبرص ومصر وبلاد الشام . ومن المرجح أن هذا القصر قد استعمل للدفن بعد هجره . وقد يكون من القصور القديمة ، التي سبقت بناء القصر الملكي . وقد ينطبق هذا الشيء على ما يسمى بالقصر الشمالي الواقع الى الشمال من القصر الملكي (مخطط ٤٧) .

ويتبع هذه القصور أماكن عبادة ، ومساكن لكبار الموظفين ، واصطبلات . هذا فيما يتعلق بالقصور وملحقاتها اما فيما يتعلق بالمعابد فلدينا هيكل الرب بعل ، الذي شيد عند مطلع الالف الثاني ق.م ، وبقي مستخدما كمعبد عدة قرون ، وكذلك معبد الرب دجن ، وبجوارها كان يوجد بيوت الكهنة ومكتباتهم (مخطط ٤٨) .

المعبدان متجاوران يتجهان نحو الجنوب ، معبد بعل اكبر من معبد دجن . ابعاده ٢٢ x ١٦ م وحالته أحسن ، ويتالف من مصلى مستطيل الشكل يتقدمه بهو او قاعة ضيقة مستطيلة ، نصعد اليها بوساطة درج عادي ، لان المعبد قد شيد فوق مصطبة ترتفع فوق الباحة حوالي ٢٠ر١م. المعبد متهدم ، وتوحي بقايا جدرانه، التي هي الآن بارتفاع ٧٠ر١ م انه كان عاليا . يحيط جدار ضخم بالمعبد ، ويفصله عن محيطه ، ولا تزال اقسام منه ، بامتداد ٢٠ م ، في الجهة الشرقية . يوجد في الباحة أمام الدرج، وعلى محور المدخل ، مذبح مربع يرتفع قليلا فوق الباحة وحوله طريقان.

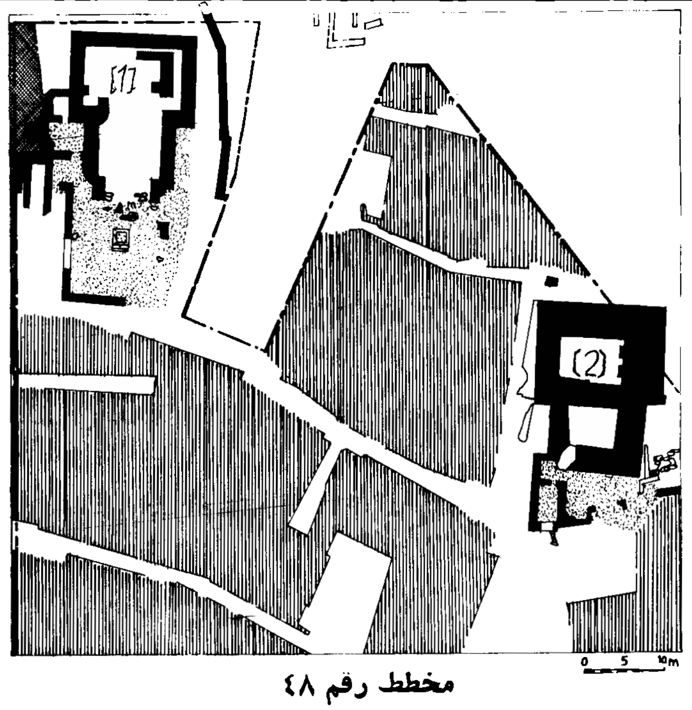


مخطط رقم ٤٦

6 4 8 3 5 9 2 7 1

0 5 10 m

مخطط رقم ٤٧



0 5 10m

مخطط رقم ٤٨

معبد دجن : هو بيت علاة صغير جداً وعادي ، مخططه شبيه بمخطط معبد بعل ، وقد بني فوق مصطبة ايضا . والمعبدان من المعابد الكنعانية المتميزة التي عثر عليها في ايمار ، ايبلا ، عين دارا ... الخ .

وبما اننا تعرفنا على حصن مدينة اجاريت ، والذي يمثل مدخلا من نوع خاص في بلاد الشام ، يحسن بنا التعرف على بوابة من نموذج آخر. اكتشف في مدينة مجدو بفلسطين بوابة مدينة تعود الى الطبقة ٨ وهي لاتختلف في مخططها واسلوب بنائها عن مخططات البوابات التي عرفناها من العصر السابق . تتالف البوابة من ممر طويل قسم بوساطة ثلاثة ازواج من الركائز الى ثلاثة ابواب تشكل ثلاثة مداخل متتالية يمكن اغلاقها . ويجدر بنا التنويه الى أن معظم المدن الكنعانية كانت محصنة . وغالبا ما يكون للمدينة بوابة خارجية وبوابة داخلية ، يقع بينهم الربض ، الذي هو ساحة كبيرة ، تجرى فيها المبادلات التجارية وغيرها . كما كان عليه الحال في مدينة عشترة في جنوبي بلدة نوى بحوران . ونرجح ان مثل هذه الساحة أحدثت زيادة في الحذر والحيطة ، حتى لا يسمح للاجانب دخول المدن ، واستطلاع احوالها . وغالبا ما تكسى السفوح المحيطة بالسور برصفة حجرية مائلة نحو الداخل ، ليستطيع المدافع المراقبة ، وليصعب على المهاجم الاقتراب والتسلق .

٢ ـ **نحت التماثيل** : وحسب معلوماتنا الراهنة ، التماثيل قليلة ، اذا ما قورنت بتلك المجموعة الكبيرة من التماثيل الكنعانية ، التي درسناها في الفصل السابق . ولا ندري فيما اذا كان الكنعانيون قد عزفوا ، في النصف الثاني من الالف الثانية ق. م. عن نحت تماثيل لملوكهم ، او ان منحوتاتهم لا تزال تحت انقاض مدنهم ، التي لم ينقب بها حتى الآن لسبب او لآخر .

وأيا كان الامر ، ففي ضوء ما لدينا من منحوتات نستطيع رسم صورة عن هذا الفن .

اكتشف في مدينة اللالخ ، وفي أحد المعابد الذي يعود الى الطبقة ٣ ، المؤرخة في القرن الرابع عشر ق. م. تمثال للملك ادريمي ، الذي حكم في القرن الخامس عشر ق. م. يبلغ ارتفاع التمثال مترا واحدا . وقد

مثل الملك ادريمي وهو جالس على كرسي العرش ، يضع اليد اليمنى على صدره ، واليسرى على حضنه . يتوج راسه تاجا يشبه الخوذة . يغطي الراس حتى لا يظهر شيء من شعره ، ويشده الى راسه عصاب . اما لحيته فقد كانت قصيرة ناعمة تبرز قليلا فوق الوجه . ورغم صعوبة التعرف على نوع ملابسه ، فمن المرجح انه كان يرتدي ثوبا طويلا ، فوقه جبة ، ثم يلتف ببردية اهدابها سميكة او مجزفة . وتظهر البردية لاول مرة في هذا العصر ، كما سنرى عند دراستنا للتماثيل المعدنية . تتالف العينان والحاجبان من حجر اسود منزل في الحجر الابيض ، الذي صنع منه التمثال (صورة ١٣٦) .

التمثال كتلة حجرية جامدة لا تظهر عليه الحيوية والحركة ، لان الثياب تلف الجسم فيبدو كانه ميت . وفي رايي ان الفنان ، او النحات ، لم يلجا الى هذا الاسلوب في النحت ، الا لضرورة كتابة قصة حياة ادريمي على جسمه . . لذا تعمد ان يجعل السطح املسا ، ليتسع للنص ، الذي يقص علينا ، كيف ان ادريمي قد طرد من حلب ، فالتجأ الى ايمار بلد اخواله ، ومنها عاد الى بلده ليعتلي العرش .

ومن الاعمال الفنية الجميلة المعاصرة ، راس من البازلت ، وجد في قرية الجبول قرب سبخة الجبول ، الى الشرق من حلب حوالي ٢٠ كم . نظن ان هذا الرأس من انتاج استاذ في فن النحت ، عرف كيف يمثل القوة والصرامة بوساطة الوجه المعظمي . ورغم ان الانف مجدوع ، نجد في بقية الملامح التعبير الصادق عن الشجاعة او الحزم . وبما انه يلبس تاجا ذا قرون ، فقد يكون راس إله ، او ملك ادعى الالوهية (صورة ١٣٧) .

٣ ـ النحت او الحفر على اللوحات الحجرية : ان معظم اللوحات قد اكتشفت في اجاريت . وسنتعرف اولا على اللوحة القضائية المحفوظة في متحف حلب (صورة ١٣٨) . قاعدتها على شكل متوازي المستطيلات . وجسمها على شكل قوس شديد الانحناء . ارتفاعها ٢١٫٨ سم ، عرضها



الصورة رقم ١٣٦



الصورة رقم ١٣٧



الصورة رقم ١٣٨

١٣٫٦ سم ، سماكتها ٦٫٩ سم . والواقع أن شكلها لا يشذ عن شكل اللوحات المعروفة لدينا . والاشكال المرسومة بارزة فوق السطح ، ومن حولها اطار بارز يحيط بالمشهد ، الذي يتألف من شخصين واقفين متقابلين ، بينهما منضدة ، وهما يتصافحان ، ويضع كل واحد منهم المرفق الايسر ، او الايمن ، فوق رقيمين على طرفي المنضدة . وتتدلى فوق راسيهما وردتان فهل تشير الوردتان المتدليتان الى أن الشخصين يقفان تحت عريش ام انهما عناصر زخرفية ؟ وايا كان الامر يمثل المشهد تبادل شخصين لوثائق بيع وشراء ، وترمز الرقم الى الوثيقة الدينية ، التي تشهد على القسم ، او العهد . والى جانب هذه اللوحة الغريبة التي تصور جانبا من الحياة الاجتماعية في المدينة . توجد لوحة أخرى تمثل الرب بعل . وهي أكبر من سابقتها ، ورسمت الاشكال فوقها بنفس الطريقة اي حفر الاجزاء المحيطة بالتمثال ليصبح بارزا فوق السطح . مثل الرب بعل وهو يلوح بالدبوس المرفوع بيده اليمنى ، بينما يغز شلفة الرمح او نصله بالارض . مثل جسم الرمح على شكل غصن شجرة ، يرمز الى البرق ، الذي هو من أعمال الرب بعل ، رب المطر والانواء . يرتدي تاجا على شكل غطاء وعاء ، ولا نعرف له مثيلا من قبل ، يبرز منه الى الامام قرنان ، والى الاعلى مقبض وتدي الشكل . تتدلى ضفيرتان على جانبي الراس نهايتهما حلزونيتين ، وتدلان على تأثير مصري . ويرتدي الرب مئزرا يشده الى جسمه حزام عريض ، يضع فيه سيفا او خنجرا . يقف الرب فوق قمم الجبال التي يشير اليها خط منحني عميق وعريض ، وبجوارها تجري الانهار التي يشير اليها خط متعرج دقيق غير عميق متميز عن خط الجبال . وامام الرب يقف متعبد يبلغ طوله ربع طول الرب تقريبا (صورة ١٣٩) .

بعد وصف هاتين اللوحتين ، أو المسلتين الاجاريتيتين ، نعرض الى لوحة من بيسان بفلسطين فريدة بشكلها ومضمونها . اللوحة من البازلت ، وجدت بالقرب من مدخل معبد ميكال (أو ميكا ايل) ، قسمت اللوحة الى حقلين يفصل بينهما خط نافر . نشاهد في الحقل العلوي صراعا بين أسد وكلب (كلبة) متعادلين ، ولا يتميز الاسد عن الكلب ،



الصورة رقم ١٣٩

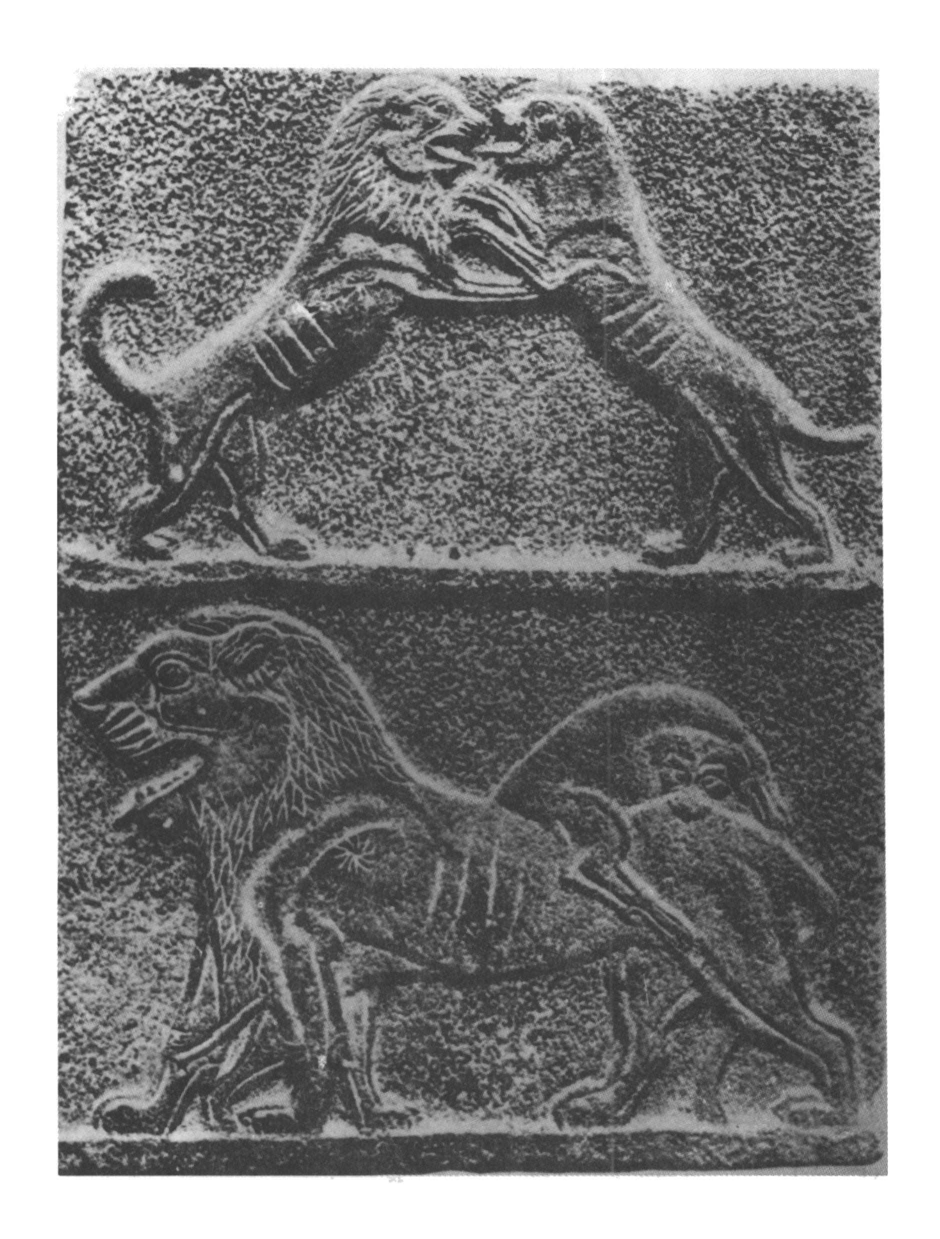
الا بوساطة اللبدة ، وملامح الوجه . وليس أدل على عنف الصراع بينهما اكثر من الاضلاع النافرة والظاهرة تحت الجلد .

اما في الحقل السفلي فنرى الكلب قد تغلب على الاسد ، فركب فوقه ، وعضه من مؤخرته حتى تألم الاسد وزأر (صورة ١٤٠) .

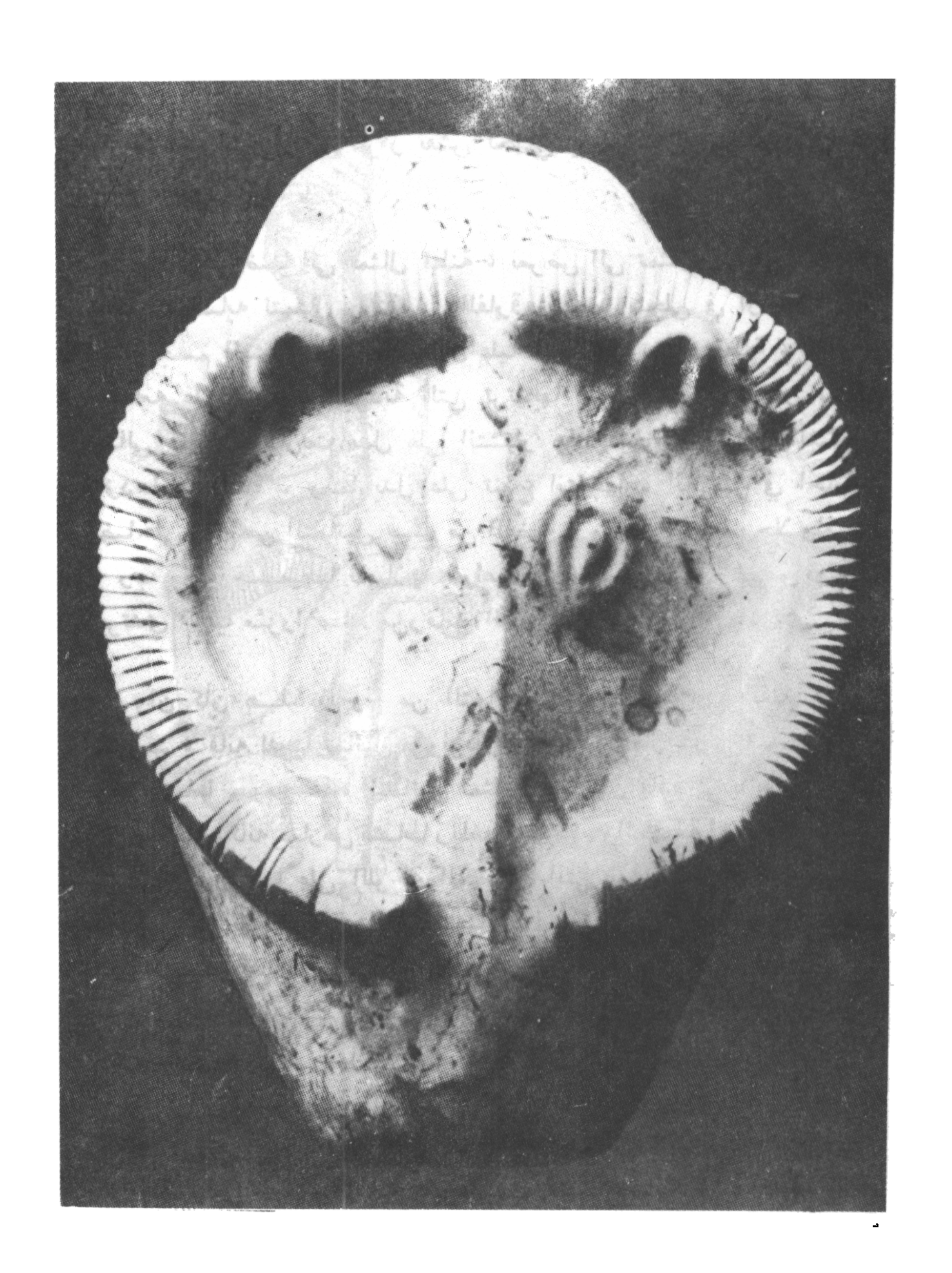
والى هذه الاعمال الفنية المتميزة ، نضيف رأس كبش عثر عليه في الحجرة ٢٩ من القصر الملكي الذي كشف عليه بالطبقة ٤ بمدينة اللالخ . يبلغ ارتفاعه حوالي ٣٠ سم . فيه ثقب شاقولي يمتد من قفا الرأس الى الفم . لذا يرجح انه كان يستعمل نافورة ماء . ان تصوير القرنين والعينين والاذنين قد تم بطريقة تجريدية رمزية فيه من الواقعية ما يدل على نوع أو صنف المنحوتة فقط (صورة ١٤١) .

٤ ـ **التماثيل البرونزية** : اشرنا آنفا الى التماثيل البرونزية ، وشهرتها في بلاد الشام منذ الألف الثالث ق.م . وفي هذا العصر شاع استعمال التماثيل البرونزية بكثرة . وغالبا ما نجد تماثيل ارباب قد كسيت بقشرة ذهبية ، أو ان لباس بعض التماثيل كان من مادة أخرى مثلا . والجدير بالذكر ان لباس معظم التماثيل البرونزية كان مشابها تماما للباس التماثيل الحجرية ، وللباس الاشخاص المرسومين على الاختام الاسطوانية . وان دل هذا على شيء ، فانه يدل على ارتباط هذه الحرفة بغيرها من الحرف .

ومن اشهر هذه التماثيل تمثال رب وجد في قطنة ، اي تل المشرفة الحالي قرب حمص . رأسه يشبه تماما الرأس الحجري ، الذي وجد في الجبول ، واتعرفنا عليه قبل قليل ، يرتدي بردية مشابهة لبردية ادريمي ، ويعتبر بحق من التماثيل البرونزية القليلة في بلاد الشام ، التي يتقن فيها الفنان تقليد الجسم البشري . يجلس الرب على كرسي ثلاثي الارجل نرجح انه كان يثبت على قاعدة من مادة اخرى . يضع قدميه على دواسة خاصة ، ويلبس بردية تتألف من قطعة قماش ، اهدابها



الصورة رقم ١٤٠



الصورة رقم ١٤١

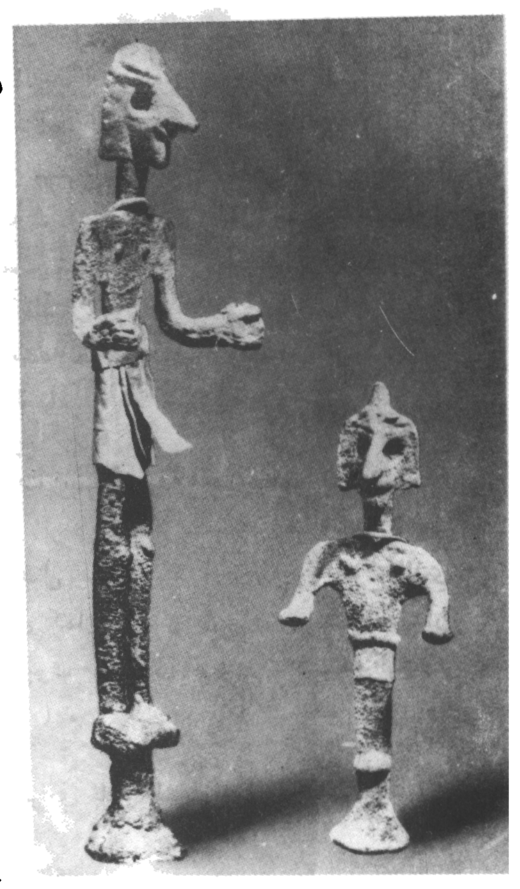
مشرشبة ، تلف جسمه ، بحيث غطته كله باستثناء صدره الذي بقي مكشوفا . كانت العيون مطعمة بمادة اخرى . ولا شك انها كانت جميلة . لقد نقشت اللحية على غرار نقش لحيتي ياريم – ليم وادريمي ملكي اللالخ (صورة ١٤٢) .

بعد أن عرضنا الى تمثال قطنة ، نعرض الى تمثال ربه من اجاريت معاصر ومشابه لتمثال قطنة ، والفارق بينهما يتجلى في أن الفنان لم يقلد الجسم البشري بدقة كما كان عليه الحال في تمثال قطنة ، بل ركز اهتمامه على زخرفة البردبة التي ترتديها الربة . والواقع ان تشابه تمثالي قطنة واجاريت يدل على انتشار هذه الحرفة في بلاد الشام ، وازدهارها أيضا . ومما يدل على تنوع انتاجها ، انه عثر في اجاريت أيضا على زوج من التماثيل صنع من الفضة . ويمثل الزوج رجلا وامراة، أو رب وربة جسميهما نحيلان ، واعضاء الجسم مختزلة غير واقعية . ويرتدي الرب مئزرا صنع من رقائق الذهب (صورة ١٤٣) .

وان كان هـذا الزوج من التماثيل معبرا عن نزوع الفنان نحـو التجريد ، فانه لدينا تماثيل برونزية اخرى من اجاريت ، تعبر عن نزعة مغايرة تماما . ومن هذه التماثيل تمثالان ينسبان عادة للرب بعل ، الذي مثل واقفا، وكأنه يمارس نشاطا رياضيا معينا . والحقيقة أن حركة ذراعيه مشابهة لحركتهما على اللوحة الحجرية التي نقش عليها صورة الرب بعل . واذا نظرنا الى هذين التمثالين نجـد فيهما القوة التي تتجلى بالعضلات ، وكذلك التأثير المصري في شكل تاج الرب بعل . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ، ان كثيرا من التماثيل التي وجدت في بلاد الشام ، وفي اجاريت وبيبلوس (جبيل) مثلا ، كانت فيها تأثيرات مصرية واضحة في لباس الرأس ، وحركة الجسم ، ادركنا ما لهذه الحرفة من اهميـة آنذاك . والطريف في الامر ، ان كثيرا من الارباب المشهورين في بلاد الشام مثل بعل وايل (رب الارباب وابوهم) ، قد مثلا بثياب كنعانية ، وبتاج مصري ، هو التاج الذي يطلق عليه اسم (تاج عاطف) ، ويتالف من قلنسوة لها مسكتان على شكل زنبقة . والواقع اننا لا نستغرب هذه الظاهرة ،



الصورة رقم ١٤٢



الصورة رقم ١٤٣

لان عددا من ارباب الكنعانيين قد عبدها المصريون والعكس صحيح ايضا . هذا بالاضافة الى أن العلاقات بين بلاد الشام ومصر كانت متميزة في هذا العصر (صورة ١٤٤) .

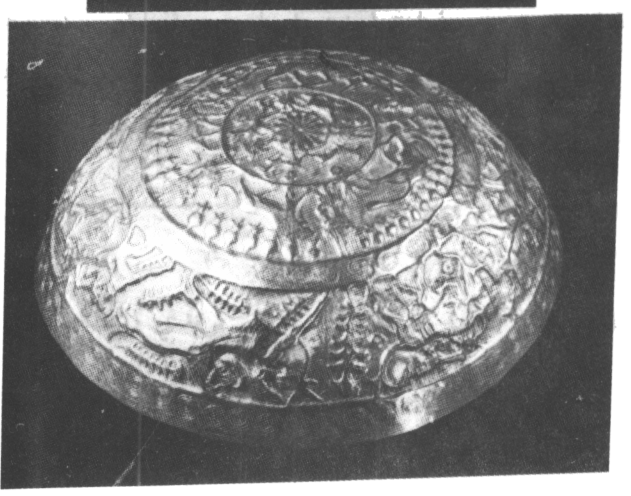
٥ ــ النقش على الاواني المعدنية : ومن خلال استعراضنا لحرفة صناعة التماثيل المعدنية ، اشرنا الى التأثير المصري بها . ويظهر هذا التأثير جليا في حرفة النقش على الاواني المعدنية . فقد اكتشفت في اجاريت قصعة من الذهب الخالص ، قطرها ١٧ سم ، نقشت عليها اشكال متنوعة ، تؤلف بمجموعها مشهدا معينا ، تتكرر عناصره على الكثير من أدوات تعود الى عصر توت عنخ آمون . القطعة عمل فني رائع ظهرت فيه مهارة الكنعاني في توفيقه بين العناصر المحلية والخارجية . ان اجنحة الاسود المبسوطة عنصر زخرفي مصري ، أما مهاجمة الاسد من قبل المحاربين ، فهو من العناصر الزخرفية المعروفة في بلاد الشام وبلاد النهرين . وهذا ينطبق ايضا على شجرة الحياة ، والحيوانات الاليفة . واكثر ما يبهج النفس ان الفنان قد قسم السطح الى ثلاثة اقسام منسجمة مع انسياب وانحناء سطح القصعة . ووضع بكل حقل مشهدا معينا . اذ نشاهد في الدائرة المحيطة بالكعب شجرة الحياة تحيط بها الحيوانات الاليفة ، وفي الدائرة التي تليها ، الثيران والاسود التي تهاجمها . اما في الدائرة الخارجية ، فقد جمع بين هذه العناصر كلها ، واضاف اليها مشهد دفاع الانسان عن الحيوانات الاليفة المفيدة له (صورة ١٤٥) .

الى جانب هذه القصعة ، وجدت ايضا قصعة اخرى قطرها ١٩ سم ، من الذهب الخالص . نشاهد في المركز منظر سباق الحيوانات ، وفي الاطار الثاني صيد الحيوانات من قبل صياد يركب عربة من النوع الذي يكون فيه الصندوق فوق العجلتين كما في مصر . وليس اجمل من أن نرى جري الحيوانات ضمن دائرة طبوق مع شكل الوعاء ، لذا يبدو المشهد وكأنه مصور في ملعب (صورة ١٤٦) .

٦ ــ النقش على الاختام : عثر في بلاد الشام على اختام تعود الى



الصورة رقم ١٤٤



صورة رقم ١٤٥



الصورة رقم ١٤٦

الفترة ١٦٠٠ ــ ١٣٥٠ ق. م. تتميز عن مجموعات الاختام التي سبقتها ، واصطلحنا على تسميتها « المجموعة السورية الثانية » . تطورت صناعة النقش ، أو بالاحرى حرفة النقش على الاختام كغيرها من الحرف ، وتأثرت بعوامل خارجية مثل حرفة النقش على المعادن . وكما احب النحاس تغطية الآنية بالنقوش ، احب حرفيو النقش على الاختام زخرفة سطوح اختامهم بالاشكال المختلفة . ورغم انه هناك فرق واضح بين اختام بلاد الشام ، والاختام الميتانية ، الا انه من الملاحظ وجود عناصر زخرفية مشتركة بينهما مثل الضفيرة ، والاشكال الحيوانية والبشرية الثانوية المتممة للمشهد (صورة ١٤٧) . ومن المشاهد الجديدة :

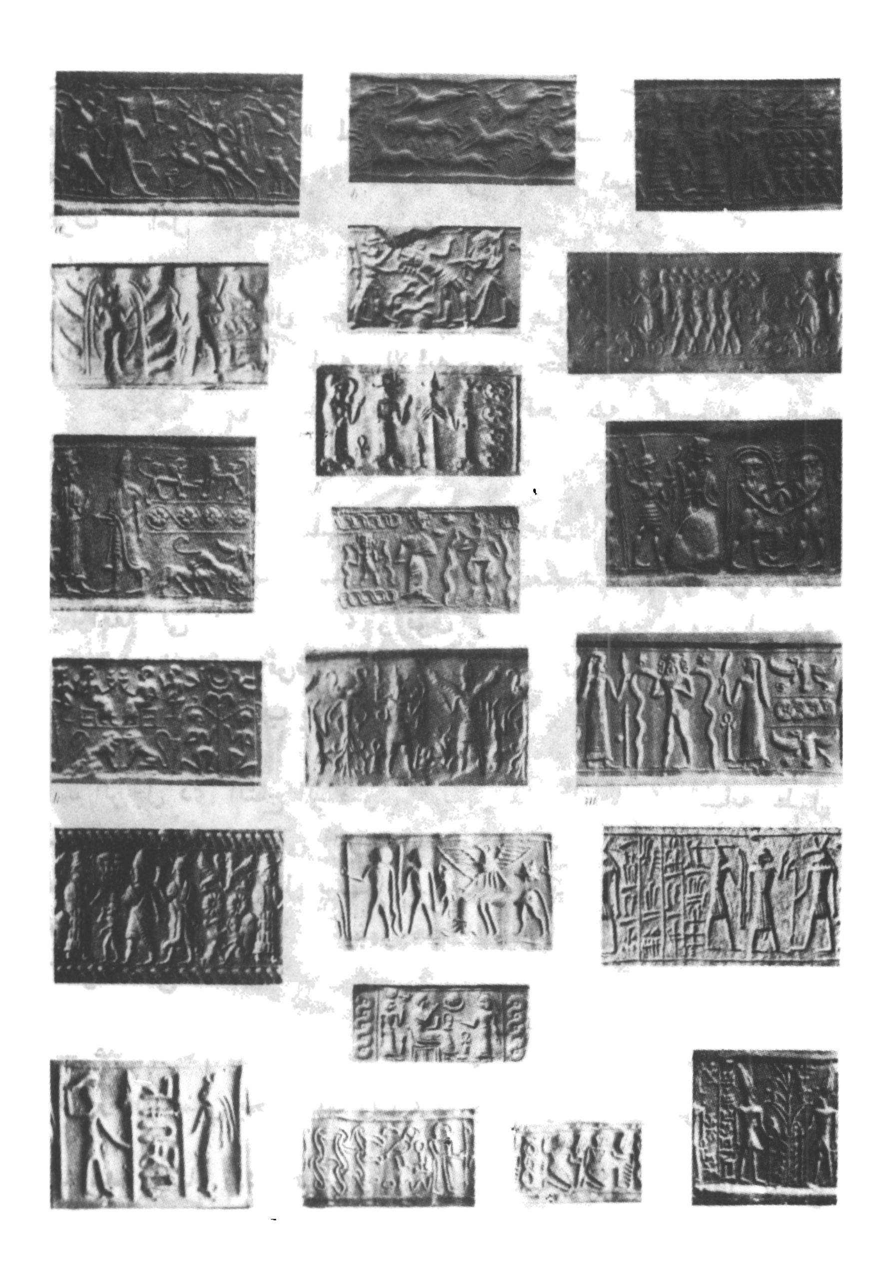
ــ **الانثى العارية** : مثلت امراة ترفع أطراف الثوب ، وتكشف عن جسمها . ويتقدم منها متعبد ، او تقف بين متعبد ورب جالس . وقد تكون واقفة على منصة عادية ، او فوق ثور داخل هودج . ومن المشاهد المصاحبة لها : ضفيرة فوقها أسدان متقابلان ، وتحتها أسد مجنح يهاجم حيوان . ومجلس شراب يقف تحته رياضيان .

ــ الرجل ذي التاج البيضوي : يظهر هذا الرجل ، وكأنه بطل المشهد ، فهو يجلس على العرش ، ويتقدم منه المتعبدون . او يقف قبالة رجل آخر ، تفصل بينهما مسرجة او مذبح ، ويجانبهما مجلس شراب وضفيرة . واخيرا قد يظهر هذا الرجل امام ربه ، وهو بلا شك من كبار الناس .

ــ عدة اختام في وسطها شاهدة عليها راس انسان ، او وعاء ، او صورة الشمس يحيط بها رب ، ورجل ، وصف من الزهرات .

ــ عدة اختام نقش عليها رب مجنح بجانبه بطلان ، او بطل يصرع حيوانا ، او اسد وثور بينهما ضفيرة . وقد يقف الرب المجنح ضمن اطار على شكل ضفيرة .

عدة اختام مثل عليها رب الطقس وهو يرتدي التاج ذي القرنين



الصورة رقم ١٤٧

الذي يشبه تاج الرب بعل الموصوف سابقا ، وبجانبه الانثى العارية فوق اسد ، او واقفة وبجانبهم مجلس شراب ، وضفيرة ، ورتل من الرجال .

ـ مجموعة متفرقة : مشاهدها متنوعة مثل عربة ورجال ، ارتال من الرجال حول رب وملك .... الخ .

٧ ـ صناعة العاج :

ان استخدام سن الفيل كمادة تصنع منها ادوات جميلة صغيرة معروف منذ القدم . وقد ازدهرت هذه الحرفة في بلاد الشام في النصف الثاني من الالف الثاني ق.م. كغيرها من الحرف الجميلة. ونتيجة للمبادلات التجارية الواسعة مع بلاد حوض البحر المتوسط ، فقد صدر الكنعانيون منتجاتهم من هذه المادة ، واستوردوا مثلها من الخارج . ولذا تنوعت زخارفها ومواضيعها ، لتلقى رواجا في الخارج والداخل . ومن الملاحظ ان معظم المواضيع مشابه للمواضيع المنقوشة على الادوات المعدنية والاختام الاسطوانية . ولم يقتصر استعمال العاج على صناعة الادوات الصغيرة ، بل استخدم في ترصيع وتطعيم قطع الاثاث ، كما ظهر في راس الشمرا (اجاريت) ، ومجدو ، وجبلا (بيبلوس) .... الخ .

عثر في اجاريت او بالاحرى في مينة البيضا المجاورة لها على غطاء علبة عاجي جميل ، نقش عليه صورة سيدة جميلة ، بقي النصف العلوي من جسمها عار ، بينما ستر النصف الآخر مئزر واسع ذو خارف هندسية . يبدو الغطاء وكانه مستورد من العالم الايجي (صورة ١٤٨) . تطعم هذه السيدة او الربة الحشيش ، او الاعشاب لعنزتين . هذا المشهد ليس جديدا ، بل قديما ، نعرفه في بلاد الشام والعراق منذ الالف الثاني ق.م .

واكتشف في الزاوية الشمالية الغربية من حديقة القصر الملكي باجاريت ، قطع عاجية من اثاث ، معروض معظمها بالمتحف الوطني بدمشق . منها راس جميل شعره خيوط فضية . امراة جاثية تدق على الطبل وتمثل على ما يبدو جارية مصرية . وكذلك لوحات منها واحدة



الصورة رقم ١٤٨

نقش عليها صورة الربة عنه او عناية بلباس مصري يشبه لباس الربة هاتور . ونراها هنا ترضع ربين او اميرين وقوفا ، وعلى الاخرى نشاهد ملك وملكة اجاريت ، رصدهما الفنان في لحظة حب ، واظهر عليهما ملامح مصرية (صورة ١٤٩) .

٨ ـ صناعة الفخار :

تطورت هذه الصناعة كغيرها من الصناعات . ومن الانواع المشهورة :

آ ـ **فخار نوزي** : نسبة الى نوزي بالعراق قرب كوكوك ، ووجد هذا النوع من الفخار في بلاد النهرين ، وفي مواقع بلاد الشام الشمالية . وفيه كؤوس جميلة ذات كعاب على شكل زر او على شكل ختم ، وهي رقيقة. ثخن الوعاء ما بين ٣ر. ــ ٥ر. سم . الى جانب كسرات اسمك يبدو انها من آنية اخرى . الطين غالبا ناعم وجيد او متوسط الخشونة والجودة . لونه اصفر ضارب الى الرمادي ، أو اصفر يشوبه لون بني . وقد يكون لونه احمر . والاشكال التي تظهر على اوعاء نباتية ، وحيوانية ، وهندسية .... الخ ، لونها فاتح ابيض ، او اصفر ضارب الى البياض .

ويبدو أن هذه الانية قد استمر استعمالها في الفترة ما بين ١٥٠٠ ــ ١٢٠٠ ق.م ، وقسمت الى ثلاثة أنواع حسب زخارفها . زخارف النوع الاول غالبا هندسية . زخارف النوع الثاني غالبا نباتية . زخارف النوع الثالث عادية هندسية وحيوانية (صورة ١٥٠) .

ب ــ **جرار وحقق** : غالبا بعروة تزينها اشرطة بلون اسود او احمر . وقد يقسم سطح الوعاء الى حقول مثلثية ، مستطيلة .... الخ فيها اشكال طيور او اسماك . (صورة ١٥١) .

ج ــ **فخار مستورد** : كان الفخار المستورد في النصف الاول من الالف الثاني ق.م . قليلا ، وفي النصف لثاني اي في العصر البرونزي



الصورة رقم ١٤٩



الصورة رقم ١٥٠



الصورة رقم ١٥١

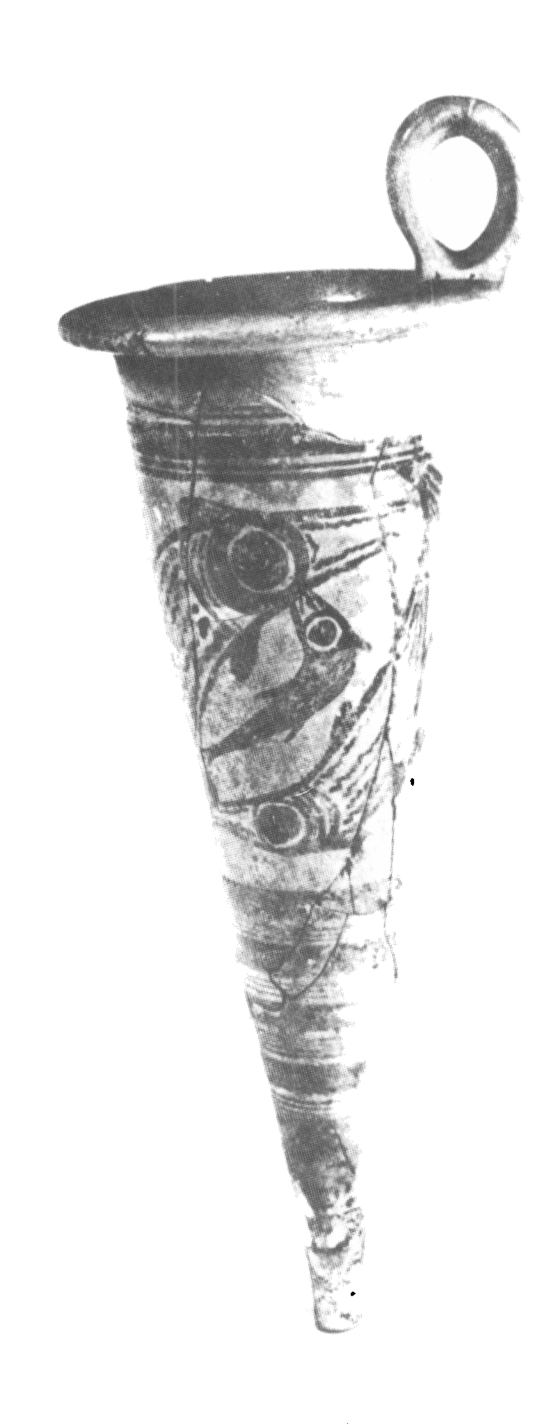
الاخير استورد الناس فخار قبرصيا ومسينيا منه جرار وقصعات واباريق وخاصة قدور الحليب ذات العروتين الافقيتين على الجانبين بالقرب من حافة القدر . ومن الاباريق ما هو مزخرف بدوائر او خطوط هندسية . والى جانب هذه الانية انتشر استعمال الانية التي تسمى مطرة . لها عروتان على جانبي العنق الطويل ، وجسم شبه دائري ، عليه زخارف دائرية ايضا . (صورة ١٥٢) .



الصورة رقم ١٥٢



صورة رقم ١٥٢



صورة رقم ١٥٢



الفصل الثامن

الآراميون

١٢٠٠ ـ ٥٣٣ ق.م

قلنا في الفصل السابق ان الكيشين قد سيطروا على بلاد بابل ، والميتانيون على بلاد آشور وأراضي الجزيرة السورية ، والاجزاء الشمالية من بلاد الشام الممتدة من الفرات شرقا حتى سواحل البحر المتوسط غربا، وتفككت بلاد الشام ، واستقلت فيها ممالك ، وامارات عديدة ، ارتبطت بالحثيين طورا ، وبالفراعنة طورا آخر .

وفي النصف الاول من القرن الرابع عشر ق.م ، انحسر النفوذ الميتاني شرقا ، ليحل محله النفوذ الحثي . فكان من الطبيعي أن تقع مواجهة بين الحثيين والفراعنة للسيطرة وبسط النفوذ على بلاد الشام . وفي عهد رمسيس الثاني ١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ ق.م. اشتد الصراع بين الدولتين العظميين آنذاك ، وتهيأت الفرصة لبدء الصدام ، فوقعت معركة قادش الشهيرة في السنة الخامسة لاعتلاء رمسيس عرش مصر (١٢٨٥ ق.م) ، وخرجت منها الدولتان متعادلتان ، وبقيت السيطرة في الشمال للحثيين ، وفي الجنوب للمصريين .

لم يستمر الوضع على هذا النحو في بلاد الشام طويلا ، ولم يتمكن الحثيون والمصريون من البقاء فيها ، فقد ظهرت دولة آشور في شمالي العراق ، كقوة تنافس الحثيين ، واقبلت شعوب البحر نحو شواطىء آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر ، ونزلت فيها فسقطت المملكة الحثية ،

واختفت ممالك بلاد الشام الكنعانية ، وبقيت مصر وحدها في نزاع مع شعوب البحر الذين ارتدوا عن شواطئها . وبينما كانت مصر وبلاد حثي مسيطرة على بلاد الشام ، وتقف بوجه تقدم شعوب البحر نحو الداخل ، كان الآراميون يجهدون في فتح بلاد الشام ، وبلاد النهرين ، فتم لهم ذلك عند مطلع القرن الثاني عشر ، وتاسست الممالك الآرامية في بابل ، والى الجنوب منها ، وفي منطقة الجزيرة السورية ، وعلى ضفاف الفرات من كركميش حتى عانة ، وفي بلاد الشام الداخلية من جبال طوروس حتى نهر الزرقاء بالاردن . اما على الساحل فقامت بعض الممالك الكنعانية ، التي سميت بالممالك الفينيقية ، مثل سيانو قرب جبلة ، واوراد وجبلا (بيبلوس) ، وصيدا . وفي فلسطين قامت مملكة داوود والى الشرق من نهر الاردن ممالك عمون ومواب وآدوم .

والى جانب هذه الممالك ، قامت في الشمال من بلاد الشام ، ممالك حثية مثل كركميش ومرعش(٢٩) . أما في بلاد آشور فنهضت المملكة الآشورية التي ناصبت جميع دول المنطقة العداء ، وما انفك ملوكها يشنون الحروب ضدها ، حتى أخضعوها ، وضموها لمملكتهم بعد حروب طويلة بدأت في عصر حدد نيراري الثاني (هدد نيراري ٩١٢ — ٨٩١) ، وانتهت في عصر آشور بانيبال (٦٦٩ — ٦٢٦) .

وهكذا نرى ان القبائل الآرامية لم تتوحد تحت راية واحدة . ولم تقم في بلاد الشام والنهرين دولة واحدة ، رغم محاولات الآشوريين فرض الوحدة على البلاد عن طريق البطش والتنكيل بأهلها . والواقع أن عرى القرابة بين السكان كانت قوية ومتينة . فلما لم تقم وحدة ؟.

كان الآراميون والآشوريون وبنو اسرائيل وبنو عمون ومواب وآدوم وغيرهم قبائل لا يعبدون رباً واحداً ، لهذا ما كانوا لينصاعوا لقيادة واحدة . وقد ذهبت جهود الآشوريين في توحيد البلاد سدى ، لانها كانت تهدف الى فرض الزعامة الآشورية وليس الوحدة .

وتأسيسا على هذا الواقع سوف نعرض الى آثار بعض الممالك الارامية كل على حده ثم نعرض الى آثار الآشوريين .

١ ـ دولة جوزان : عند نهاية الالف الثانية ق. م. استولت قبيلة (بيت بحياني الآرامية) على منابع الخابور ، واتخذت من مدينة جوزان (تل حلف الآن) ، عاصمة لها ، واشتهر من ملوكها كباره الذي خلف لنا أوابد معمارية هامة تعود الى القرن العاشر ق. م. وهو الذي تفاخر وتباهى بقوله (إن ما فعله هو ، لم يفعله احد من أسلافه) اما خلفه الثالث هد يسعي ، الذي حكم بعيد منتصف القرن التاسع ق. م. فقد بنى معبدا للرب هدد في مدينة سيكاني (الآن تل الفخيرية جنوبي رأس العين) حسبما ذكره في نقش على تمثاله المحفوظ في المتحف الوطني بدمشق . كانت جوزان مدينة كبيرة يحيط بها سور مستطيل الشكل تقريبا يشكل نهر جرجب ضلعه الشمالي ، وفيها حيان : الحي الملكي ، والحي السكني . وبما أن التنقيبات الاثرية قد تركزت في الحي الملكي ، وكشفت على اوابده سنكتفي بدراستها .

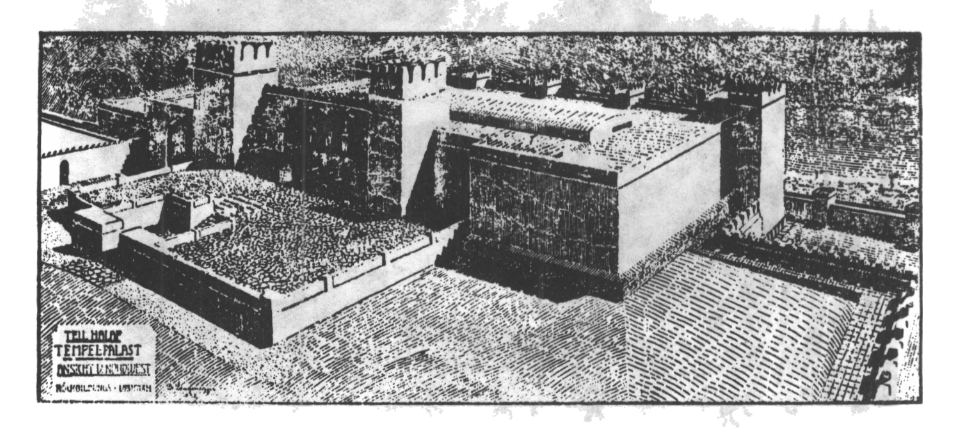
الحي الملكي : على رابيه مطلة على نهر جرجب في الشمال . وقد احيط بسور مستطيل الشكل له ثلاثة اضلاع مبنية بالحجارة واللبن ، بينما يشكل نهر جرجب ضلعه الرابع ، اي الشمالي . والواقع ان هذا الحي كان حصنا داخل مدينة محصنة . ومن اشهر مبانيه المعبد القصر الذي يعود الى القرن العاشر ق. م. والذي بناه كباره في الجهة الغربية من الحي الملكي .

بني القصر حسب النموذج المعروف باسم بيت عيلاني (واحيانا بيت حيلاني ، خيلاني هيلاني) ، أي البيت العالي الذي أصبح من مميزات العمارة في كافة انحاء بلاد الشام ، وخاصة في الشمال ، وهو من المبتكرات المعمارية التي انتشرت في عهد الآراميين ، وقلدها الآشوريون والحثيون . وبيت عيلاني نوع من هندسة البناء ، يمتاز بصفات خاصة ، له قاعة امامية مستطيلة الشكل ذات مدخل واسع ، يرفع ساكفه على

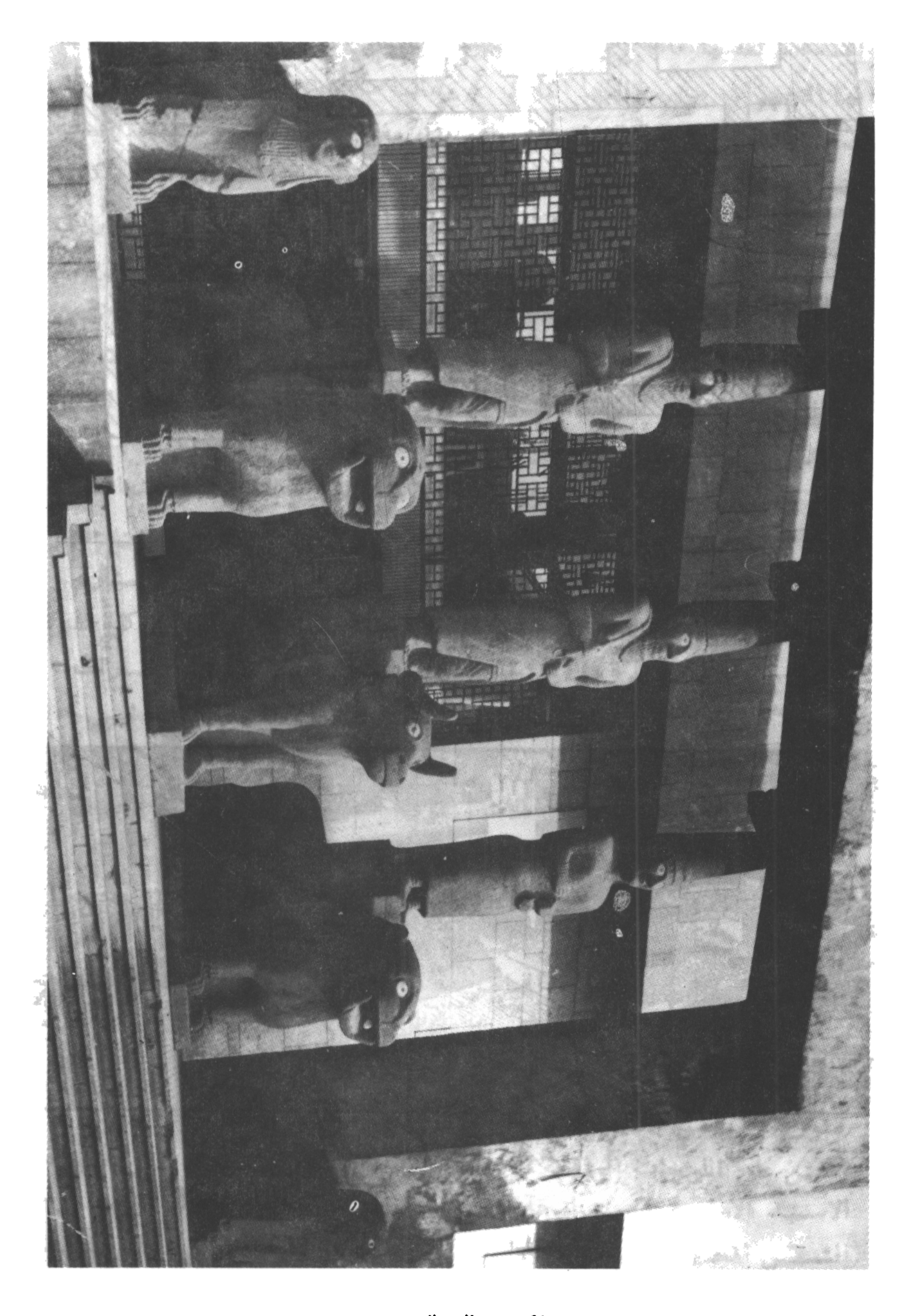
اعمدة ، تعقبها قاعة رئيسة مستطيلة الشكل ايضا فيها موقد ، وتحيط بها الحجرات من جوانبها الثلاث . وغالبا ما نجد بيت الدرج عند أحد ضلعي العرض للقاعة الامامية . وهو بناء مغلق ، لا يمكن توسيعه باضافة حجرات عليه ، لانها سوف لا تنسجم مع مخطط البناء ، وستبدو وكانها ادران تلتصق بالجسم فتشوهه (مخطط ٤٩) . والمعبد القصر في تل حلف ، اي في جوزان ، أقدم واحد في هذا النوع من الاوابد المعمارية . ويتالف من قاعة أمامية(٣٦٫٧٥ × ٥٫٢٢ م) كبيرة، تليها قاعةرئيسةبنفس الطول ، ولكنها أعرض (عرضها ٨٫٠٥ م) ، تحيط بها الحجرات من جوانبها الثلاث . يحيط بالمدخل الرئيسي للمعبد برجان بارزان نحو الخارج . ويبلغ عرض المدخل تسعة أمتار تقريبا ، وارتفاعه ٦ امتار . وقد قسم الى اربعة ممرات بوساطة ثلاثة اعمدة ، يتالف كل منها من : قاعدة على شكل حيوان ضخم يبلغ طوله حوالي ثلاثة امتار وهي من حجر البازلت . والحيوانات الثلاث هي ثور في الوسط ، أسد على يساره ، لبوة على يمينه . أما الاعمدة فهي ثلاثة أصنام ضخمة ، ارتفاع كل منها ٢٫٦٠ م ، تنتصب فوق ظهور الحيوانات . وهي ايضا من حجر البازلت ، وتمثل اربابا ذي تيجان مخروطية عالية تحمل السقف الخشبي . والجدير بالملاحظة أن صنمي الربين المذكرين قد نصبا فوق الاسد والثور ، بينما صنم الربة الانثى فوق اللبوة . اما دعامتا المدخل الجانبيتان فهما تمثالان لابي الهول . مقدمته وصفحته الظاهرة للناظر منقوشة . يبرز راس ابي الهول وقائمتاه الأماميتان حوالي ٩٠ سم نحو الخارج ، بينما يختفي جسمه في الجدار . ويذكرنا هذا المدخل بمداخل القصور الآشورية المعاصرة . كسيت الواجهة بنطلة تتالف من ست لوحات بازلتية ، ثلاث من كل جانب . نقش على اللوحات الواقعة الى يسار المدخل (بالنسبة للناظر اليه) . مشهد صيد ثور ، يليه صورة الشمس المشعة المجنحة ، ثم صورة أسد يخطو نحو اليمين . ونقش على اللوحات الواقعة الى يمين المدخل صورة أسد ، تقابل صورة الاسد الاول ، يليه لوحة عليها صورة إله الطقس ، كنظير لصورة الشمس المجنحة ، ثم لوحة عليها صورة مشهد صيد ايل ، كنظير لمشهد الثور الوحشي (صورة ١٥٣) .

METER 0 5 10 20 30 m

NORDEN



مخطط رقم ٤٩



الصورة رقم ١٥٣

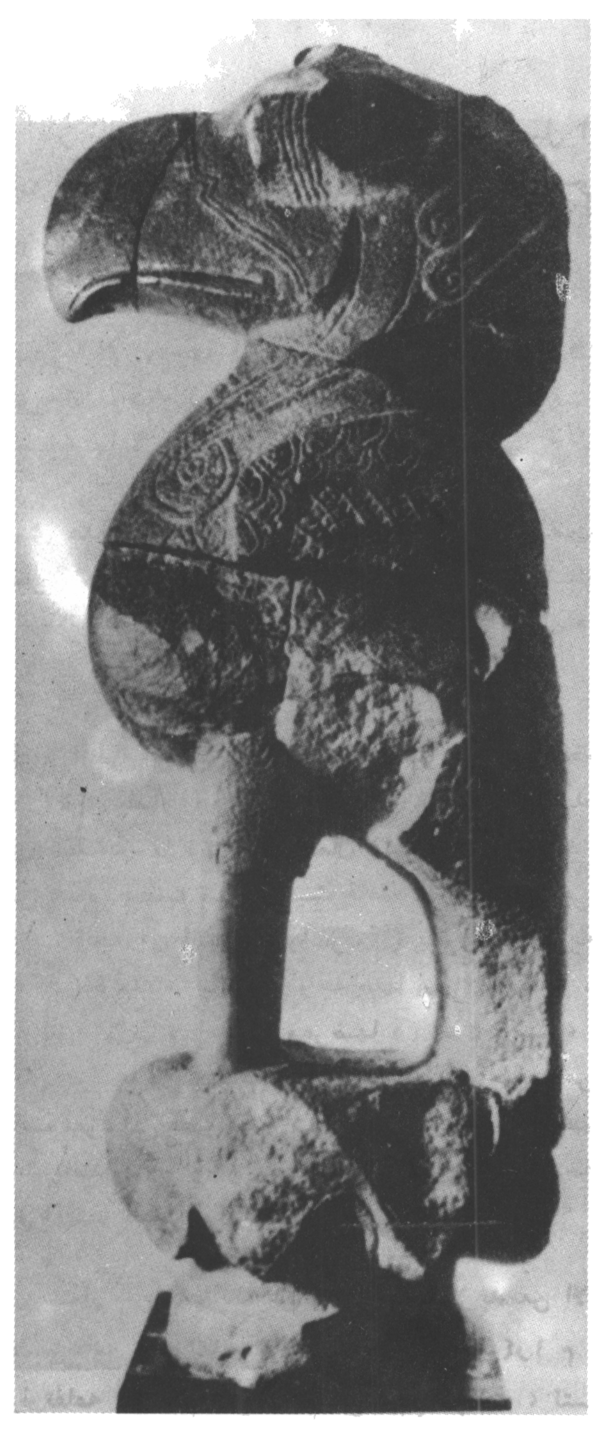
بعد أن نعبر المدخل ، ونجتاز القاعة الامامية ، نصل الى مدخل القاعة الكبرى ، الذي يقع على امتداد محور المدخل الرئيسي ، ويبلغ عرضه ٤ م . زين المدخل من كل جانب بتمثال تنين ضخم يبلغ طوله ٢٫٤٠ م ، وتعلوه بلاطة حجرية ضخمة ترتفع حتى السقف .

واذا ما نظرنا الى واجهة المعبد الضخمة ، تذكرنا أن الناظر اليها لا بد أن يعتريه الخوف من أصنام الارباب ، وبنفس الوقت لا بد أن يتعجب من ضخامتها ، ويشعر بعظمتها وفخامتها .

ومما يقوي هذا الشعور تمثال طير جارح ضخم ، يقف منتصبا ، فوق تاج حجري ، على شكل زهرة ثمانية الاوراق . ولا شك أن التاج وفوقه التمثال كان يتوج عمودا مرتفعا ، نصب في الباحة أمام المدخل ، فتحطم ولم يبق له أثر .

يبلغ ارتفاع الطير حوالي ١٫٨٤ م وهو أكبر طير من الحجر ، عثر عليه حتى الآن ، في بلدان آسيا الغربية . ورغم انه لا يوجد طير بهذا الحجم ، فان ضخامته لا تؤثر على جمال منظره ودقة نحتـه (صورة ١٥٤) . ليس هذا فحسب ، بل كسيت قاعدة الجدار الجنوبي ، وبعض اجزاء من قواعد الجدران الشرقية والغربية ، بلوحات حجرية مزخرفة بنقوش متنوعة . بلغ عددها مائتان ، وجد منها ١٧٨ في مكانها . ويتراوح ارتفاع اللوحة بين ٦٠ ــ ٨٠ سم ، وعرضها ٤٥ ــ ٥٥ سم ، وسماكتها ٢٠ سم . كان بين هذه اللوحات عدة لوحات اكبر حجما من غيرها ، ويبدو انها كانت تعود الى عصر اقدم ، ثم اعيد استخدامها في هذا البناء . صفت اللوحات بالتناوب : لوحة من حجر البازلت الاسود تليها لوحة من الحجر الكلسي المصبوغ باللون الاحمر .

وقبل ان ننتقل الى الحديث عن بناء آخر ، لا بد من الاشارة الى منقل كبير مصنوع من الحديد والبرونز ، يبلغ طوله ١٫٤٠ م ، وعرضه ١٫٢٠ م ، وارتفاعه ٢٠ سم . يستند الى اربع عجلات ، لتسهيل نقله



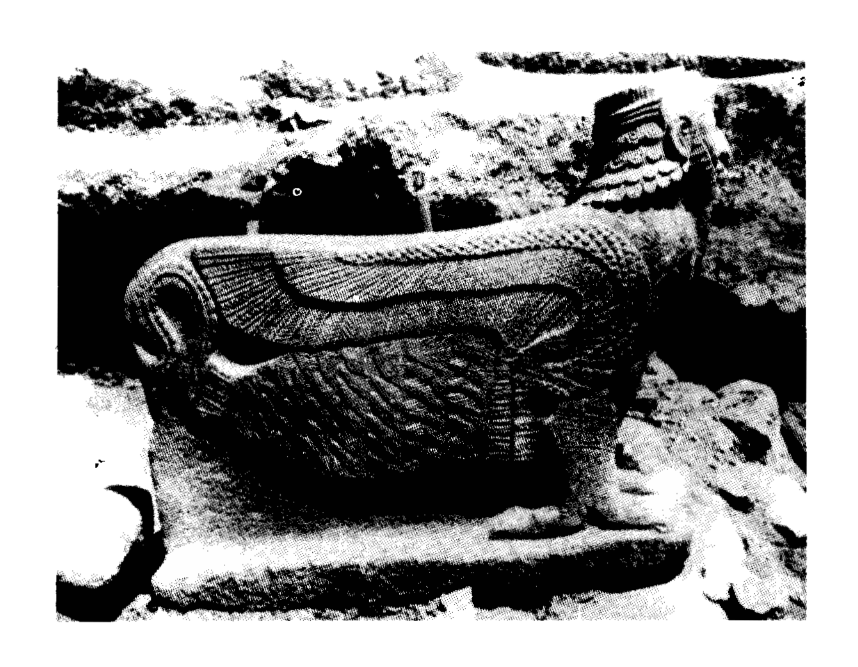
الصورة رقم ١٥٤

من مكان الى آخر ، فوق ارضية القاعة الكبرى المبلطة حيث وجد فوقها مشوها .

كان هذا هو المعبد القصر ، الذي يعود الى نهاية القرن العاشر قبل الميلاد . والى الشمال الشرقي منه ، يوجد قصر السكن الملكي الذي يبعد عنه عشرات الامتار . بينما التصق به من الجهة الشرقية بناء ملحق ، لا يفصله عن المعبد القصر سوى بوابة معروفة باسم (بوابة العقارب) . والبوابة اياها ، هي التي ربطت بين الباب الخارجي للحي الملكي المسور ، وبين المعبد القصر . وقد سميت بهذا الاسم ، لان صفحيتها مزينتان بمنحوتتين ضخمتين ، تمثل كل منها ، كائنا غريبا له رأس انسان ، وصدر طير ، وجسم عقرب (صورة ١٥٥) .

ـ **فن النحت** : لا شك ان دولة بيت بحياني قد استفادت من حضارة شعوب المنطقة الذين سبقوها . فهي من الناحية الجغرافية وريثة مركز الدولة الميتانية ، التي كانت عاصمتها واشوكاني ، بجوار بلدة رأس العين ، اي قرب جوزان عاصمة بيت بحياني الواقعة الى الجنوب الغربي من رأس العين . وهي وان كانت أقل رقعة من الدولة الميتانية ، فان موقعها الجغرافي الممتاز في قلب الجزيرة ، جعلها على صلة ببلاد آشور ، وبلاد بابل .

ولا شك انهم اقتبسوا من تراث من سبقهم من آشوريين وميتانيين ، الا انهم لم يكتفوا بالاقتباس او التقليد ، بل ابدعوا وابتكروا . وقد رأينا ان الاوابد المعمارية في جوزان كانت من الانموذج الشهير ببيت عيلاني ، الذي يعد ابتكارا آراميا ، مستوحا من مخططات ابنية اقدم . وان اقتبسوا عن غيرهم طريقة تزيين المباني باللوحات الحجرية المنقوشة والمزخرفة ، فقد استعملوها وفق اسلوب خاص بهم ، وحين رسموا عليها اشكالا وصورا منقولة عن غيرهم ، جمعوها الى مبتكراتهم وتكيفوا بها وفق تفكيرهم ونظراتهم الى فن التصوير .





الصورة رقم ١٥٥

نملك من جوزان مجموعة كبيرة ومتنوعة من المنحوتات . منها اللوحات التي تمثل فن الحفر او النقش على الحجر ، ومنها التماثيل المجسمة الى جانب بعض المنحوتات ، التي هي تماثيل مجسمة ، ولوحات بنفس الوقت . فان نظرت اليها من الامام رايت مقدمة الحيوان ، وان نظرت اليها من الجانب رايت صفحته فقط .

ـ **فن الحفر او النقش على اللوحات** : لدينا مجموعتان : مجموعة اللوحات الكبيرة ، ومجموعة اللوحات الصغيرة .

عدد اللوحات الكبيرة ست ، زينت بها واجهة المعبد ـ القصر الشمالية . ونرى عليها منظر صيد ايل ، وثور واسد ، وصورة الشمس المجنحة ، التي كانت ترفعها كائنات خليطة من حيوان وانسان . ورب الطقس واسد . تبرز الرسومات فوق سطح اللوحات ، ونلاحظ دقة متناهية في تصوير قوائم الحيوانات ، وحركتها ، وجناحي الشمس ،بينما نلحظ اهمالا في تصوير سواعد واقدام الانسان (صورة ١٥٦) .

هذا فيما يخص مجموعة اللوحات الكبيرة . اما فيما يخص اللوحات الصغيرة التي زين بها جدار المعبد ـ القصر الجنوبي الخلفي ، واجزاء من الجدارين الشرقي والغربي ، فعددها حوالي مائتي لوحة نقش على كل منها منظر مستقل مثل : فارس ، رجلان يتعاركان ، مشهد صيد او رحلة صيد بعربة يجرها حصانان ، ايل يقفز ، تيسان يتسلقان شجرة ، اسد مجنح له راس انسان بجانب راسه ، او قرون ، انسان براسي اسد وجناحين ، او نصفه السفلي سمكة ، حيوانات تدق على آلات موسيقية ، واخرى ترقص ، او تجلب اواني (صورة ١٥٧) .

التماثيل المجسمة : ونقسمها الى فئتين :

الفئة الاولى : استخدمت كاعمدة لتحمل ساكف مدخل المعبد القصر . وعددها ثلاث ، تمثل رجلين وامراة ، يبلغ ارتفاع التمثال حوالي ٢٫٨٠ م ، ويقف على حيوان ارتفاعه حوالي ١٫٥٠ . يرتدي كل



الصورة رقم ١٥٦



الصورة رقم ١٥٧

من الرجلين قلنسوة ، وقميصا قصيرا ، يلفان فوقه عباءة ، تترك الساق اليسرى من الركبة حتى القدم عارية . وترتدي المرأة قلنسوة ، وثوبا طويلا شفافا ، تبرز من تحته بعض اعضاء جسمها (صورة ١٥٣) .

والشيء الهام الذي يلفت النظر ، ان النحات ، قد وفق تماما في تجسيد الجهد الذي يبذلونه لحمل الساكف ، وذلك عن طريق ابراز العضلات المشدودة . ولو نظرت الى الحيوانات ، لوجدتها تأن تحت وطأة حملها الثقيل ، فقوائمها مشدودة ، وظهورها محنية قليلا .

الفئة الثانية : وتضم تمثال رجل واقف ، وتمثالي امرأتين جالستين، وتمثال زوجين (رجل وامرأة) . لا يختلف تمثال الرجل الواقف ، الذي عثر عليه في احد المباني الدينية بالحي الشعبي بالمدينة ، عن تمثيل الرجال الذين يحملون ساكف مدخل المعبد القصر . فهو مثلهم عنصر زخرفي في بناء . اما تمثالا المرأتين الجالستين ، فقد عثر عليهما في احد الجدران ، الذي يعود الى عصر كبارة ، فوق مدافن حرق الجثث. تجلس المرأة على كرسي ذى مسند خلفي عالي ، وتضع قدميها فوق عارضة بارزة . شعرها مضفور ، يتدلى منه ضفيرتان من السالفين حتى الصدر ، وترتدي ثوبا طويلا فضفاضا . وتضع اليد اليسرى فوق الفخذ اليسرى ، بينما تحمل باليمنى كأسا تسندها على الفخذ الايمن . هذا من ناحية الشكل ، اما من ناحية الاسلوب ، فان النحات قد كيف بين شكل الكرسي وشكل الجسم الجالس ، الذي جعله متدرجا . فقد جعل طي الساقين على شكل زاوية قائمة تعلوها زاوية قائمة اخرى تتألف من الفخذين والصدر . (صورة ١٥٨) .

واذا ما نظرنا الى تمثال الزوجين ، الذي عثر عليه في احد المباني الدينية ايضا ، نجد انه نحت بنفس اسلوب تماثيل النساء الجالسات ، مع فرق بسيط في تسريحة الشعر .

واخيرا لا بد من الاشارة الى التماثيل التي وضعت على جانبي مدخل القصر ، وبوابة العقارب ، والتي قلنا انها تجمع بين خصائص التماثيل



الصورة رقم ١٥٨

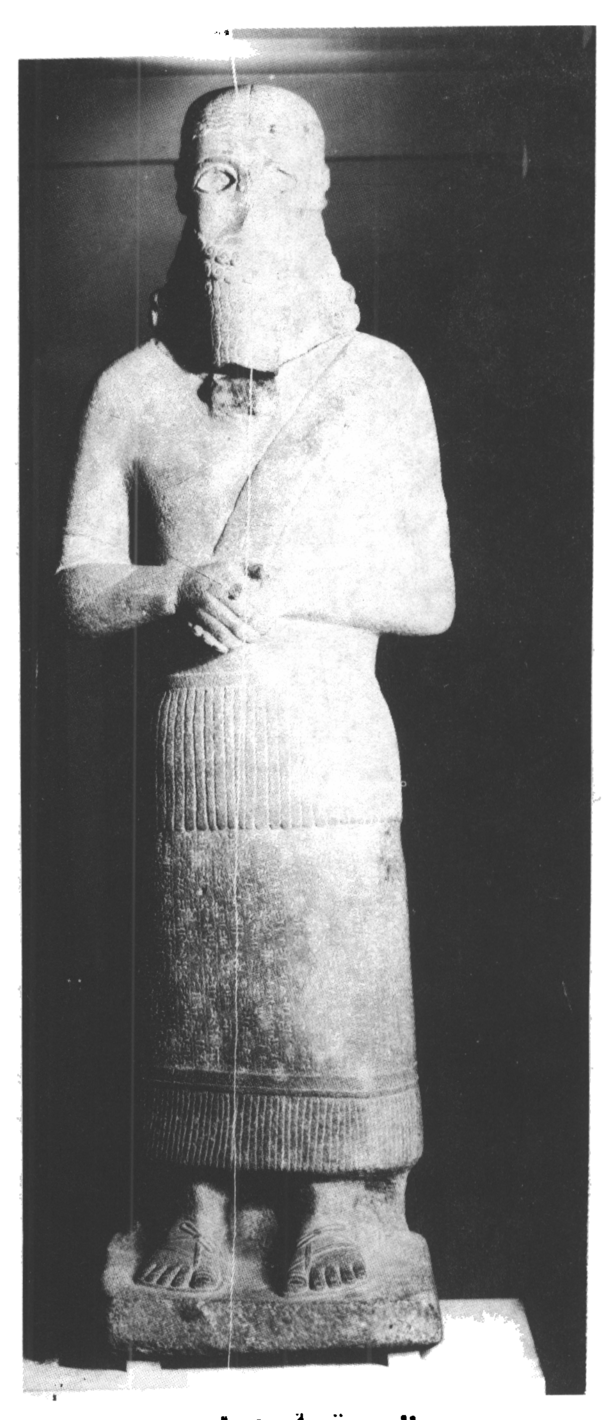
المجسمة واللوحات . وكل ما نريد أن نقوله حولها ، أن أجسامها غريبة ، مركبة من رأس انسان ، وقوائم أسد وثور ، وجسم طائر مع جناحين ، أو من رأس انسان ومقدمة طير وجسم عقرب . انها اشكال اسطورية ، أراد بها النحات التأثير على نفوس المشاهدين ، وابراز قدرته على تشكيل كائن من كائنات مختلفة .

والجدير بالذكر أن هذه المنحوتات من القرن العاشر ق.م . وقد اكتشف حديثا في تل الفخيرية تمثال للملك هديسعي منحوت بالحجر البازلتي ، وفيه شبه بالتماثيل الاشورية ، ويعود الى النصف الثاني من القرن التاسع ق.م . (صورة ١٥٩) .

٢ ـ **ترقة** : مدينة ترقة القديمة ، هي بلدة العشارة الواقعة على الفرات ، بين بلدة الميادين في الغرب ، والبوكمال في الشرق . وفي العصر الارامي ، كانت تابعة لدولة لاقي الارامية . وقد عثر فيها على مسلة للملك الاشوري تيكولتي نينورتا الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م) نقش عليها نص قصير يتعلق بانتصاره على لاقي . (صورة ١٦٠) .

ورغم أن المسلة لملك آشوري ، الا انها ليست من صنع فنان آشوري ، بل آرامي على الارجح . شكل المسلة غير منتظم ، وهي اشبه ما تكون بحجارة الحدود البابلية (الكودورو) . نقش على أحد وجوهها حية ملتوية تمثل بلاد لاقي ، وعلى الوجه الاخر الرب حدد (هدد) ، وهو يشد بقبضة يده اليسرى على عنق الحية ، ويرفع الفاس بيده اليمنى ملوحا . اما على الوجه الثالث ، فنرى حدد نيراري الثاني والد تيكولتي نينورتا الثاني ، يقف منتصرا ، حاملا الصولجان بيمناه ، والاغصان بيسراه .

يرتدي الرب قلنسوة لها قرنان، ويتدلى شريط من قمتها حتى الركبة، وضفيرة من تحتها حتى الكتف ، تنتهي برأس معقوف حسب الطريقة الحثية . اما الملك فليست له ملامح الملوك الاشوريين ، ولا يرتدي



الصورة رقم ١٥٩



الصورة رقم ١٦٠

لباسهم ، ولم يراع النحات التناسب بين اعضاء الجسم . (صورة ١٦٣) .

والواقع انه لا جدوى من محاولة تصنيف هذه المسلة في اية مجموعة من المنحوتات الارامية لان شكلها غريب ، واسلوب نحتها مغاير . وهذا ما يدعونا الى الاعتقاد ، بأنها تمثل باكورة الاعمال النحتية الارامية ، التي انتجوها في ترقة ، عند مطلع القرن التاسع ق.م ، وهم في بداية عهدهم بالنحت .

٣ ـ بيت عديني : كانت مملكة بيت عديني من أكبر الممالك الارامية ، وعاصمتها مدينة تل برسيب هي تل احمر الحالي ، على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، قرب مصب ساجور ، والى الجنوب من بلدة جرابلس حوالي ٥٠ كم ، امتد نفوذها شرقا حتى البليخ ، وغربا عبر الفرات حتى بلدة الباب تقريبا . ولم تنج هذه المملكة من غزو الاشوريين ، وكان آخر من غزاها ، واحتل عاصمتها تل برسيب ، في عام ٨٥٦ ق.م ، الملك الاشور سلما نصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٧) الذي دمرها ، وحولها الى عاصمة لولاية آشورية ، سماها كارشولمانو آشريد ، اي قلعة او حصن سلما نصر . ونعرف من ملوكها الاراميين الملك آخوني الذي فر منها هاربا ، ثم عاد اليها بعد عام ، فقبض عليه ، وسبي مع اتباعه الى آشور . ومن ولاتها الاشوريين المشهورين نينورتا نصر ، الذي كان مولعا بالبناء ، والتوسيع وتجميل المدن ، التي كانت تابعة لها مثل صران (صرين الان) ، خداتو (ارسلان طاش الان) .

وبنتيجة الدمار الذي لحق بالعاصمة ، لم يبق شيء من مبانيها ، التي تعود الى العصر الارامي . اما المنحوتات ، فقد عثر على بعضها مبعثرا هنا وهناك ، ولم يبق منها الا جزء يسير ، حفظ قسم منه بمتحف حلب ، والاخر بمتحف اللوفر بباريس .

ويظهر جليا ، ان المنحوتات لوحات تزين جدران المباني ، او

بوابات المدينة ، كما كان عليه الحال في جوزان . وبما ان الاشـوريين قد جعلوا من تل برسيب عاصمة ولاية آشورية ، فقد خلفوا ايضـا منحوتات . لذا نجد في تل برسيب منحوتات آشورية ، واخرى ارامية متاثرة بالاسلوب الحثي .

والصور المنقوشة عليها ، مشابهة للصور المنقوشة على لوحات تل حلف (جوزان) ، واللوحات المكتشفة بكركميش (صورة ١٦١) .

ومن المشاهد التي نقشت على بعض اللوحات المحفوظة بمتحف حلب : خيال او فارس ، تيسان يتسلقان شجرة في الوسط ، رب الطقس مع كتابة لوفية ، هيروغليفية ، امراة مع طفل ، حاكم . وان كان الكثير من الاعمال الفنية الآرامية ، وخاصة التماثيل المجسمة التي كنا نتوقع وجودها بتل برسيب قد ضاع ، فانه قد عثر مصادفة في صرين ، على ضفة الفرات اليسرى ، الى الجنوب الشرقي من تل برسيب ، على تمثال ملك محفوظ الان بمتحف حلب . يقف الملك جامدا يشد ساعديه على خاصرتيه ، وكأنه يستعد للعدو ، يختفي الجسم تحت الثياب حتى لا يكاد يظهر شيء من اعضائه ، وفوقه الراس بلا عنق تقريبا . وهذه الحالة من خصائص النحت الارامي المجسم . اما الشعر فقد ضفر وقسم الى صفوف تتدرج من أعلى الى اسفل تقليدا للاسلوب الحثي . واذا ما نظرنا الى اللحية ، نجد انها تحيط بالوجه ، وكأنها زناق . يرتدي ثوبا طويلا يشده حزام عريض ، فيه سيف تزينه شرابه طويلة . وجريا على عادة الاشـوريين زين الملك عنقه بحلية على شكل هلال ، وساعده الايسر بسوار مزدوج . اما في اليد اليمنى فقد قبض على عروة دبوس . وفي الختام لا بد من الاشارة الى ان هـذا التمثال من اعمال القرن التاسع ق.م ، وان البقايا المعمارية التي كشف عليها في التل ، كانت مبعثرة ، بحيث يصعب الربط بينها ، لذا سوف نكتفي بدراسة أثر معماري هام ، اكتشف في مدينة خداتو الارامية (أرسلان طاش) ، التي كانت تتبع لتل برسيب .



الصورة رقم ١٦١

تقع خداتو في سهل ساروج ، وتبلغ مساحتها ٧٠٠ × ٥٥٠ م . يحيط بها سور بيضوي مبني باللبن فوق اساسات حجرية ، وفيه ثلاثة بوابات كانت تحرسها تماثيل الاسود ، التي نقلت الى متحف حلب، ومدينة الرقة قبل سنوات . وقد نقشت عليها كتابات آرامية وآشورية ولوفية ، تفيدنا في معرفة احوالها .

كشفت التنقيبات الاثرية على قصر وبيت العاجيات ، وبيت عبادة قديم ، وآخر من عصر الاحتلال اليوناني .

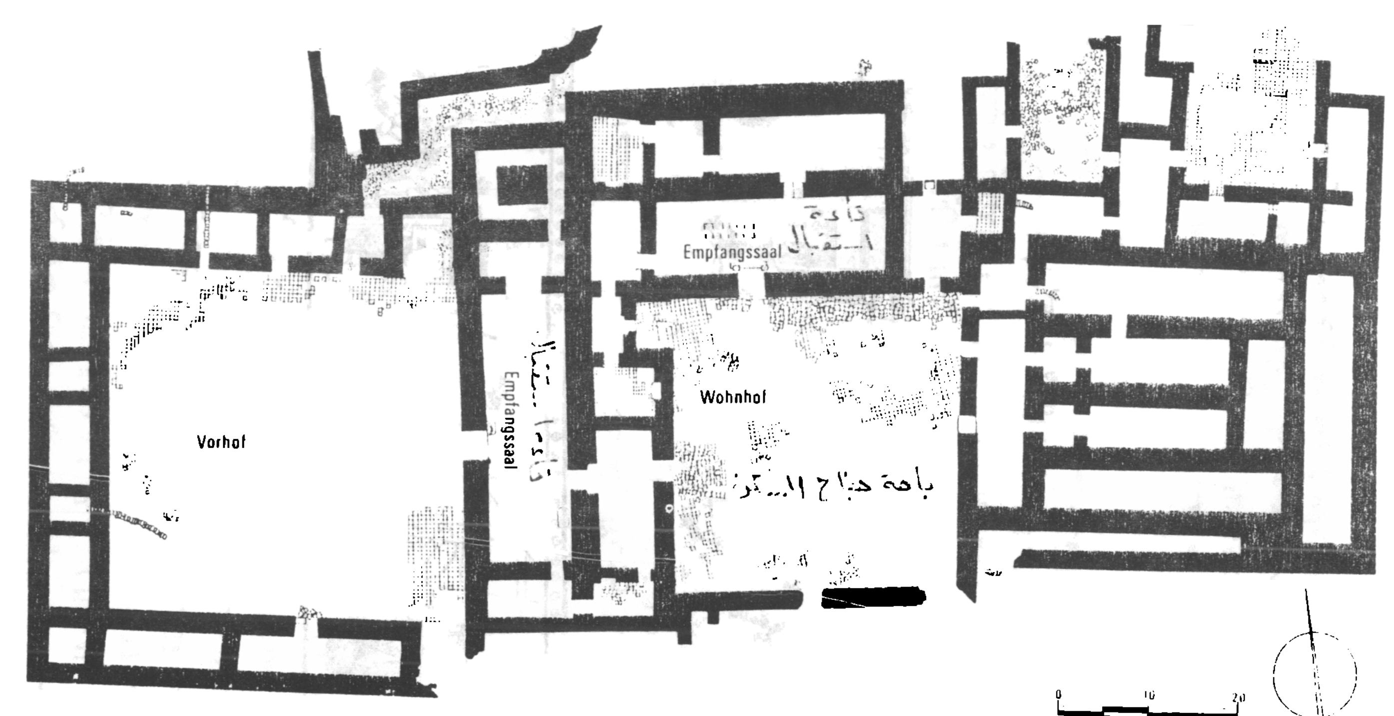
يتألف القصر من ثلاثة اجنحة وهي من الغرب الى الشرق (مخطط ٥٠) :

١ ـ جناح الاستقبال الذي يضم ساحة تحيط بها الحجرات من الشمال والجنوب والغرب ، وقاعة الاستقبال من الشرق .

٢ ـ جناح السكن : وفيه باحة تحيط بها الحجرات وقاعات الاستقبال.

٣ ـ المستودعات التي كانت مخصصة لخزن المواد الغذائية ، وقطع الاثاث وغيرها . وقد تبين أن بعض حجرات القصر كانت مزوقة بالزخارف المتنوعة ، التي لا تضاهي تلك التي كشف عليها في قصر تل برسيب ، والتي سنعرض لها فيما يلي ، حتى نأخذ فكرة عن فن التصوير على الجدران في هذا العصر .

كان قصر تل برسيب متهدما ، وكانت الصور الجدارية مكسرة ، وقد امكن التعرف على بعض المشاهد ، التي كانت مرسومة بالوان جميلة زاهية زرقاء ، وصفراء ، وحمراء ، على جدران الحجرات ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٧ . ومن دراسة هذه الصور ، ثبت أن زخارف الحجرات ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٧ من عصر الوالي الاشوري (تورتان) شمشي ايلو ٧٨٠ ـ ٧٥٢ ق.م ، وتزويقات الحجرتين ٢٢ و٢٧ من عصر الملك الاشوري آشور بانيبال ٦١٨ ـ ٦٢٧ ق.م . والذي يهمنا مشاهد الحجرتين ٤٧ و ٢٤ . والتي تعود الى هذا العصر الذي نحن بصدده . (صورة ١٦٢) .



مخطط رقم ٥٠





الصورة رقم ١٦٢

يعالج المشهدان موضوعا واحدا وهو استسلام الاعداء للملك ، كما في المشهد المرسوم على جدران القاعة ٤٧ ، او للوالي (التورتان) شمشي ايلو ، كما في المشهد المرسوم على جدران القاعة ٢٤ . جميع الاشخاص الذين يظهرون في المشهد يرتدون الملابس الجميلة المزركشة ، التي تليق بالمناسبة ، والتي نراها على بعض التماثيل الاشورية المجسمة ، وخاصة تمثال اله عثر عليه في معبد عشتار بخداتو . ارتفاعه ١٫٧٣ م وارتفاع القاعدة ٣٤م ، ومحفوظ بمتحف حلب ، ويعود الى عصر الملك تجلات فلصر الثالث ٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق.م يرتدي الرب التاج ذي القرون ، وثوبا ذي أكمام قصيرة ، ووشاحا ، وحافي القدمين ، وبين يديه صندوق صغير للنذور (صورة ١٦٣) .

٤ ـ مملكة ارفاد :

كانت عاصمتها ارفاد ، التي كانت على الارجح تل رفعت ، الى الشمال الغربي من حلب حوالي ٣٥ كم . وامتد نفوذها الى حدود مملكة بيت عديني شرقا ، اي الى الباب وسبخة الجبول ، وجنوبا الى سراقب ، وشمالا الى اعزاز ، وغربا الى حوض عفرين . ولا شك انها تاسست منذ مطلع الالف الاول ق.م . حيث ان اخبارها بدات تتوارد في النصوص الاشورية منذ بداية القرن التاسع ق.م . وقد ذكر اسم ملكها جوشي مؤسس المملكة ، او احد احفاده . وفي القرن الثامن ق.م حكمها الملك متع ايل ، الذي عقد معاهدة مع برجاية ملك كتك الواقعة شرقي حلب ، يتعهدان فيها بالتعاون ضد الاعداء ، وعدم الاعتداء على بعضهما . ولم تنفع المعاهدة ، فقد انتقم منه الملك الاشوري تجلات فلصر الثالث بين عامي ٧٤٢ ـ ٧٤٠ ق.م . وضم ارفاد الى الدولة الاشورية ، وجعلها ولاية يديرها حاكم اشوري .

جرت تنقيبات اثرية في ارفاد ، لم تكشف على آثار واوابد هامة . بينما عثر في حلب وضواحيها على بعض المنحوتات ، التي بقيت من آثار تلك الدولة . فقد وجد بقلعة حلب حجر ضخم على شكل متوازي المستطيلات نقش على احد وجوهه صورة بطلين ، يعدو كل منهما نحو

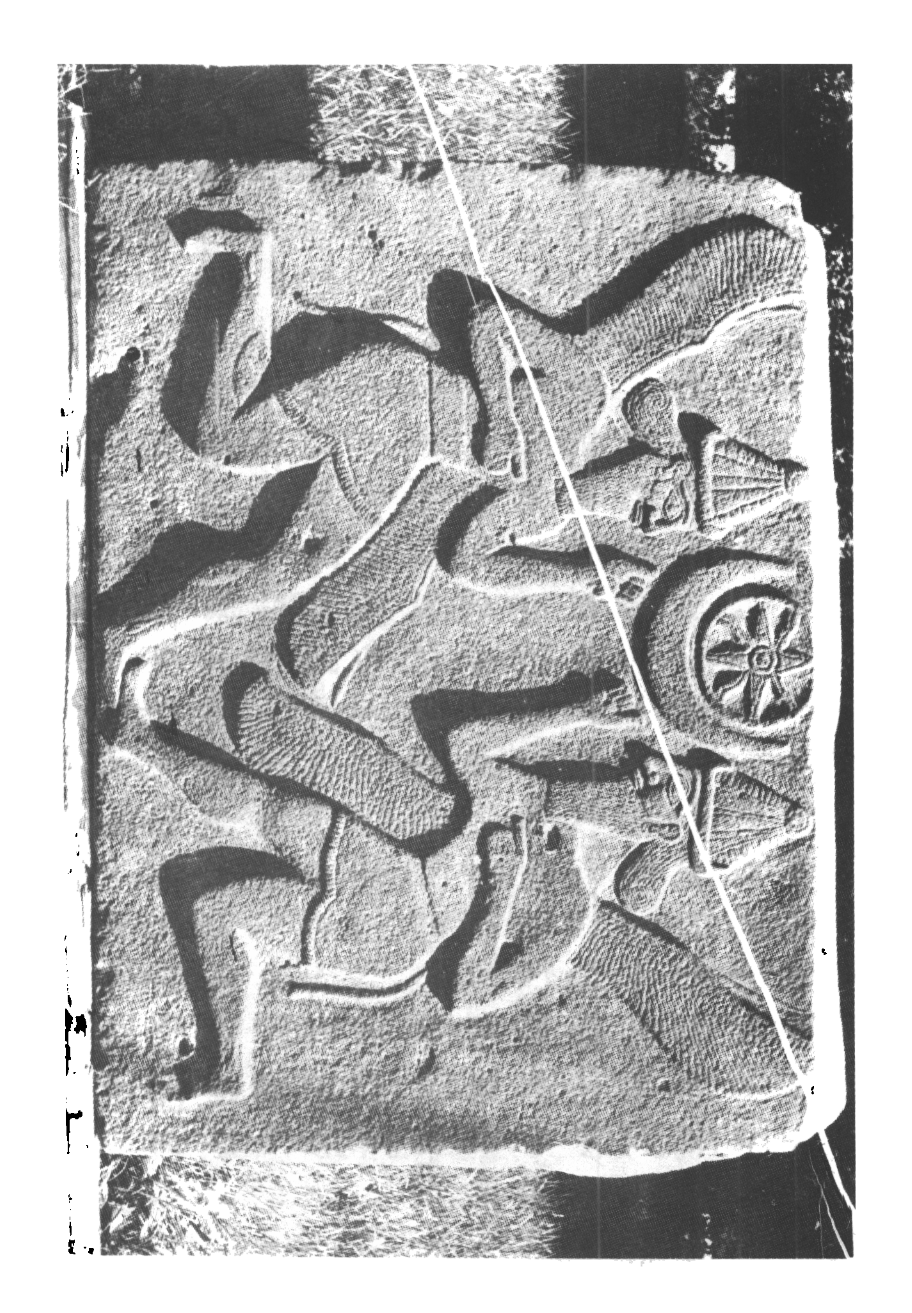


الصورة رقم ١٦٣

الآخر ، ويبدوان وكانهما في حلبة الملاكمة . وقد زود كل منهما بجناحي طائر للتعبير عن سرعة الحركة . يفصل بين راسيهما هلال بوسطه نجمة . والواقع ان هذا المشهد بعيد عن الفن الحثي ، والاشوري . والاسلوب الذي نفذ به النقش يوحي بانه من الاعمال الارامية التي تنم عن فهمهم للفنون القديمة في بلاد الشام ، وخاصة فن الحفر على العاج (صورة ١٦٤) .

هذا فيما يخص فن النقش ، او الحفر على اللوحات الحجرية ، اما فيما يخص النحت المجسم ، او نحت التماثيل ، فقد عثر في ضاحية عين التل بحلب ، على تمثال امير جالس متصنع ، كتمثال صرين ، وقد اسند كفيه على الفخذين فبدا وكانه يتامل شيئا ما . يبدو ان شعر راسه المضفور كقبعة مزخرفة ، وشعر لحيته كزناق مزخرف . يرتدي ثوبا طويلا باكمام قصيرة ، ويتمنطق بسيف ، وفي عنقه قلادة فيها هلال وقرص شبيهة بقلادة تمثال صرين ، ويزين ذراعيه اساور ، كامير صرين . ينتعل خفا يستر عقب القدم ، ويترك الاصابع طليقة ، وتشده سيور جلدية . وان ابدع النحات في تصوير السيف والحلي والكرسي ، فانه اخفق في رسم الشعر الذي عالجه وكانه قطعة زخرفية . وقد نسي انه يصور اميرا جالسا لذا جعل الكرسي ضيقا ، فبدى التمثال وكانه لرجل واقف (صورة ١٦٥) .

والى جانب هذا التمثال من عين التل ، يوجد بمتحف حلب اثنان من تفتناز ، ونرجح انهما لرجل او امير صور مرة جالسا ، واخرى واقفا . يشبه التمثال الواقف تمثالي صرين وعين التل ، وان اختلف عنهما بوضعية اليدين اللتين يسندهما الى صدره حيث يحمل باليمنى كاسا ، وباليسرى صولجانا ، فقد ارتدى مثلهما ثوبا طويلا عاديا . اما التمثال الجالس ، فيذكرنا بتماثيل جوزان (تل حلف) الجالسة ، والتي اشرنا اليها سابقا . ووجه الشبه بينهم كبير يتجلى في وضعية اليدين ، والتوفيق بين شكل الجسم ، وشكل الكرسي . اضف الى ذلك ان جزء الثوب الذي يستر الساقين قد شد عليهما حتى ظهر كلوحة مستطيلة



الصورة رقم ١٦٤



الصورة رقم ١٦٥

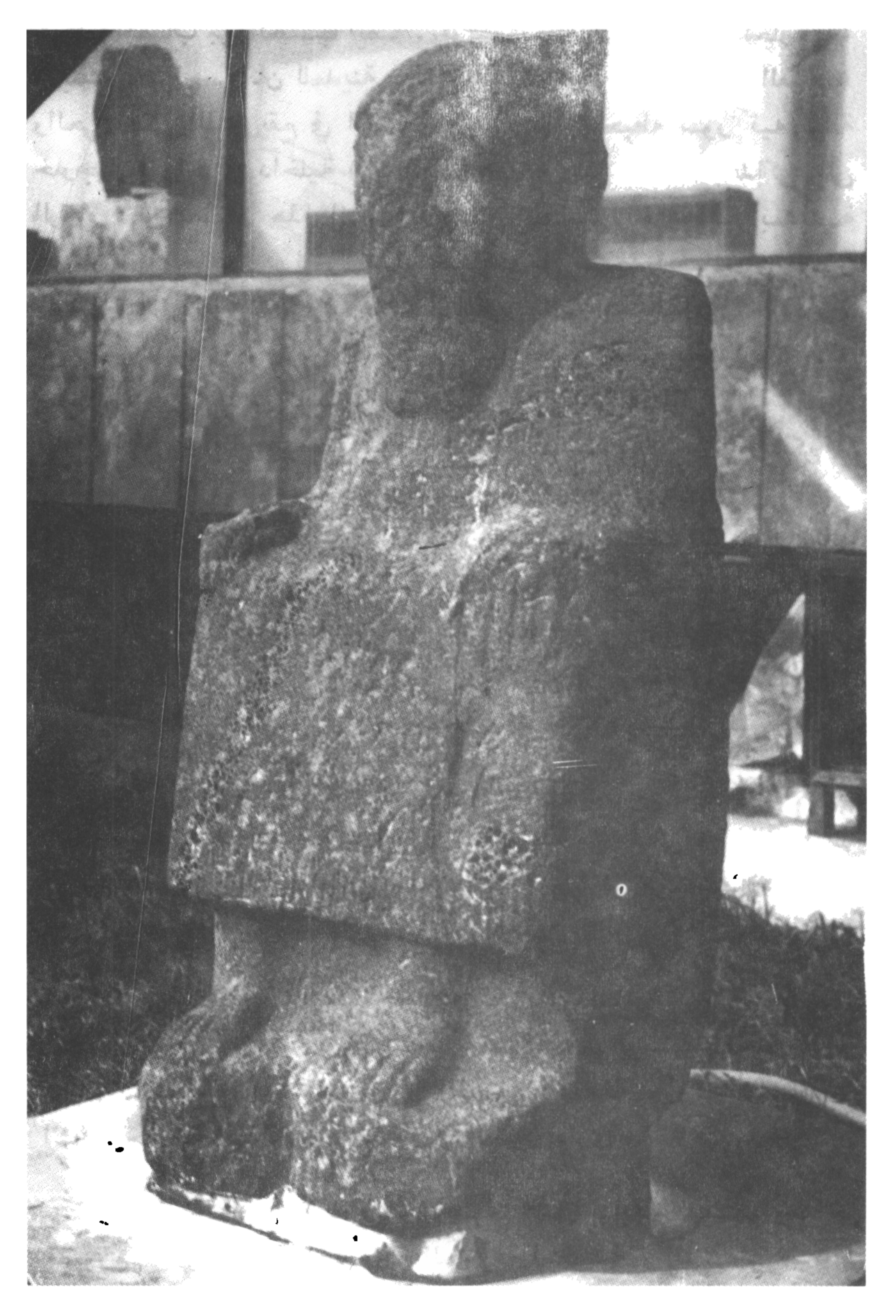
يحملها الرجل فوق قدميه . وتأسيسا على ذلك ، نظن انه كان هناك تعاون بين فناني مملكتي جوزان وأرفاد . وبالتالي تؤرخ التماثيل في القرن التاسع ق. م. مثل تماثيل جوزان (صورة ١٦٦) .

ه ـ مملكة شمال او مملكة الشمال :

نستدل من اسمها ، انها كانت المملكة الارامية الشمالية ، الواقعة في اقصى الشمال من بلاد الشام . عاصمتها مدينة شمال ، على السفح الشرقي لجبال الامانوس ، وعلى الضفة اليمنى لنهر الاسود . وقد سميت احيانا مملكة يادي ، نسبة الى مؤسسها يادي على ما نعتقد . وسماها الملك الآشوري سلما نصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤) بيت جبر نسبة الى احد ملوكها . واسمها الآن زنشرلي . تولى الحكم فيها جبر ، وبمه ، وحيا ، وشال وكلاموه بن حيا ، الذي خلد اسمه واسماء اسلافه في نقش شهير على لوحة محفوظة بمتحف برلين تعود الى الربع الاخير من القرن التاسع ق. م . بعد ملوك هذه السلالة ، تولى الحكم ملوك من سلالة أخرى نعرف منهم : قرل وابنه بناموه الاول ، برصر وابنه بناموه الثالث وابنه بر راكب . وقد حكموا خلال القرن الثامن ق. م. ترك كل من بناموه الاول والثالث وبر راكب نقوشا تتحدث عن اعمالهم واحوالهم. كما ذكرتهم بعض النصوص الآشورية .

نقبت في هذا الموقع بعثة المانية ، وكشفت على اوابد معمارية ضخمة ، وعلى تماثيل ولوحات حجرية كثيرة .

بنيت المدينة الآرامية فوق انقاض مدينة اقدم ، واحيطت بسور دائري مزدوج قطره ٧٢٠ م . يفصل بين الجدارين اللذين يشكلان السور ، فراغ عرضه ٧٫٣٠ م . بلغ عرض الجدار الخارجي ٣٫١٠ م ، وارتفاعه اكثر من ٣ م ، وبني بالحجارة الكبيرة والصغيرة ، في حين بلغ عرض الجدار الداخلي ٣٫٥٠ م ، وبني بالحجارة حتى ارتفاع متر واحد ، ثم نصبت فوقه عضادات من الخشب ، صفت بينها مداميك من الحجارة



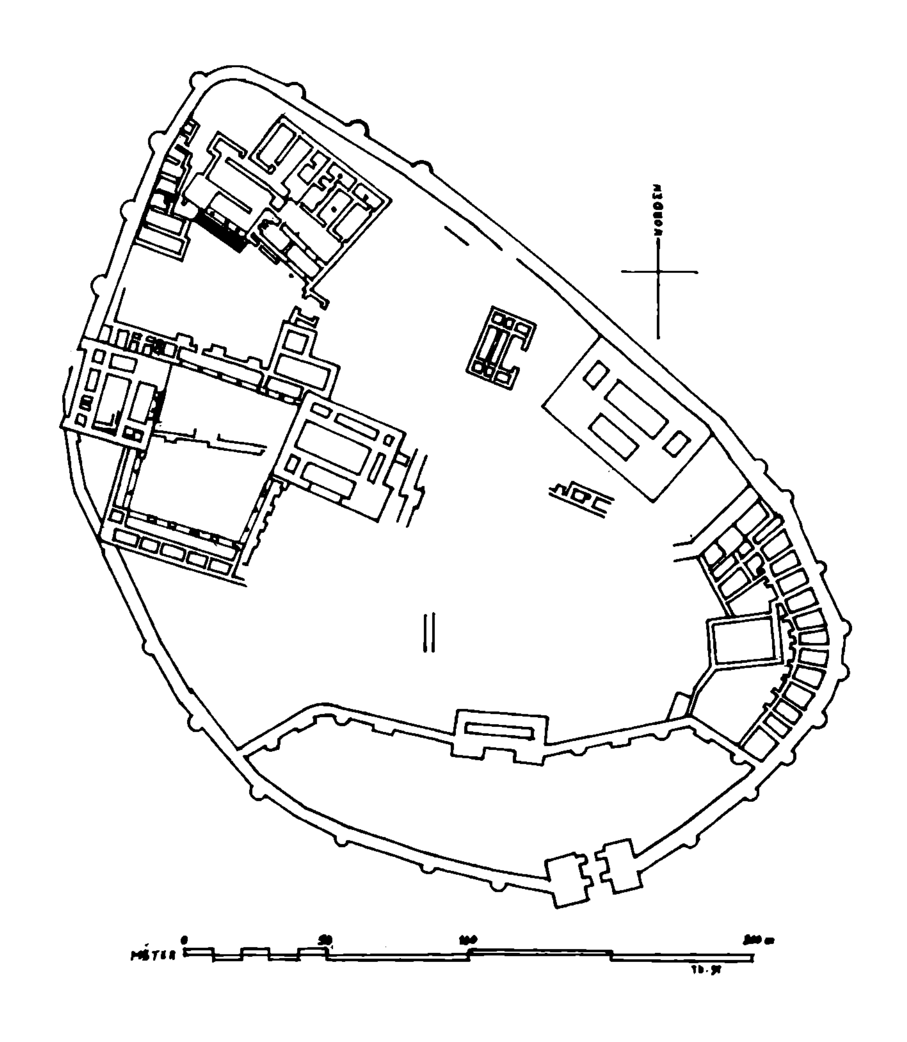
الصورة رقم ١٦٦

تتخللها اعصاب من الخشب ايضا . قويت الجدران بالدعامات الخارجية، وزينت بالابراج . كان للمدينة باب واحد ، وفيها حيان : حي العوام ، والحي الملكي الذي يقع في النصف الجنوبي ، ويحيطه سور فيه بوابة خارجية ، واخرى داخلية (مخطط ٥١) . واذا ما عدنا بالذاكرة الى الوراء ، وجدنا أن هذا التقسيم يشبه التقسيم الذي اتبع بمدينة جوزان (تل حلف) . ليس هذا فحسب ، بل سنجد ايضا ، أن قصور شمال ، من النوع المعروف باسم (بيت عيلاني) ، كقصور جوزان . تقريبا بعد مرور قرن من الزمن على بناء المعبد القصر بجوزان ، شيد القصر المعروف باسم القصر ج في شمال ، وقد قسم الى ثلاثة اقسام تقليدا للقصور الكنعانية القديمة : الجناح الرسمي ـ جناح السكن ـ وجناح المؤونة . يتالف الجناح الرسمي ، كما في جوزان ، من قاعتين كبيرتين متتاليتين . قياس القاعة الاولى التي قسمت فيما بعد الى قاعتين ٢٥ × ٦ م . اما الثانية فقياسها ٢٥ × ٨ م . يبلغ عرض المدخل الرئيسي الذي تتقدمه باحة كبيرة مبلطة ٨ م . ويبلغ عرض مدخل قاعة العرش الذي يليه حوالي ٤ م . وبدلا من أن يوضع في قاعة العرش منقل متحرك ، كما في جوزان ، وضع موقد ثابت مستطيل الشكل مبني بالحجارة (مخطط ٥٢) .

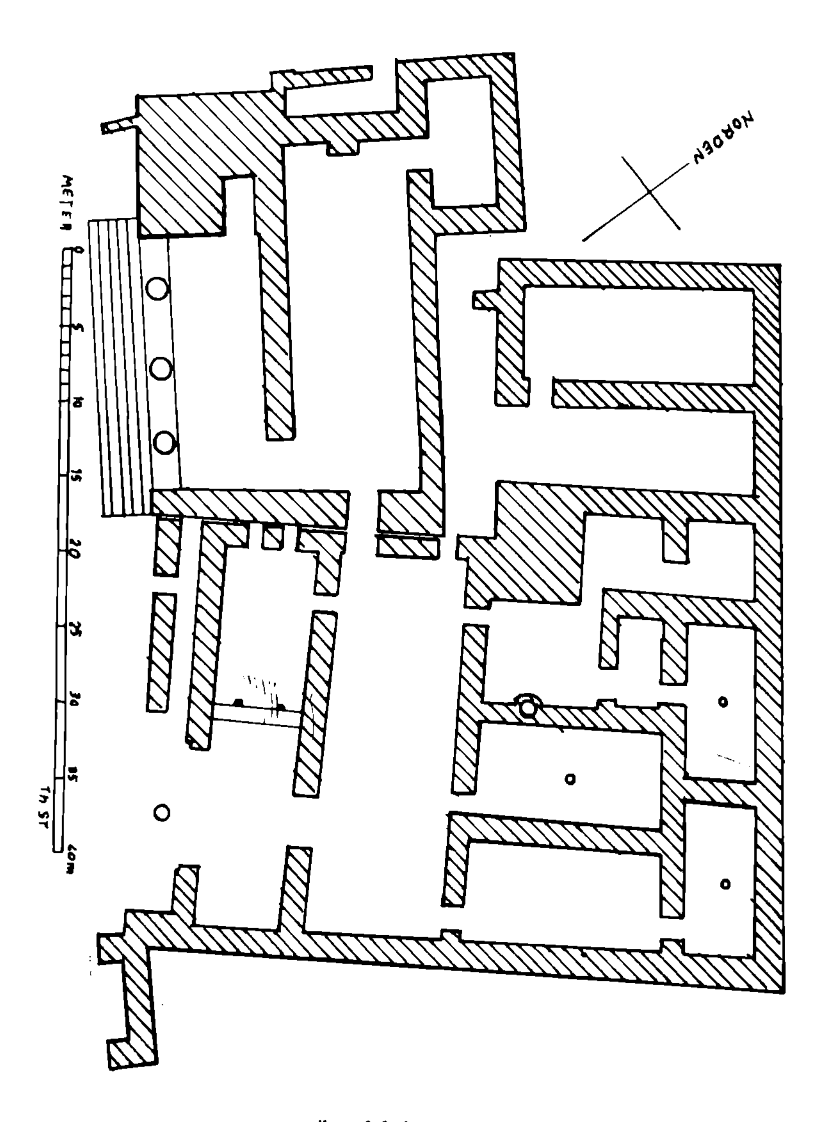
ومثلما افتخر كبارة ملك جوزان بما شيده من المباني ، كذلك افتخر كلاموه بالجهود التي بذلها في خدمة مملكته ، اكثر من اسلافه الذين لم يفعلوا مثلما فعل .

بعد وفاة كلاموه ، وسع خلفاؤه القصر ، فاضافوا اليه جناحا سماه المنقبون القصر K . ولم تنحصر جهودهم في توسيع القصر ، بل شيدوا اربعة قصور على غرار القصور السابقة . وقد ضم القصر الثالث حديقة كما كان عليه الحال في قصور ماري واجاريت .

وجريا على تقاليد العصر ، زين ملوك شمال بوابات مدينتهم ومداخل قصورهم ، وواجهاتها باللوحات الحجرية المنقوشة ، التي عثر عليها في مكانها ، او متساقطة ، او مبعثرة في ارجاء المدينة التي دمرها اسر حدون



مخطط رقم ٥١



مخطط رقم ٥٢

في أواخر القرن الثامن ق. م. وجعلها مقاطعة آشورية . يحكمها ولاة آشوريين . وبما ان ملوك شمال قد زادوا في عمران مدينتهم ، وتباروا في تجميلها على مدى قرنين من الزمن او اكثر . فاللوحات ليست من عصر واحد . ونصنفها في اربع مجموعات ، مرتبة حسب قدمها .

المجموعة الاولى :

كانت تزين الواجهات الداخلية لبوابة المدينة الجنوبية وعليها صور : كائن مركب من جسم انسان وحيوان وجناحي طائر ، فارس ، حيوانات برؤوس انسان واجسام أسود واجنحة طيور ، رجلان يتقابلان ويتبادلان التحية ، حيوانات برية ووحشية . والظاهر ان هذه الرسومات مقتبسة من رسوم لوحات جوزان وكركميش . غير أنها لا تبرز كثيرا فوق سطح اللوحة (صورة ١٦٧) .

المجموعة الثانية :

كانت تزين الواجهات الداخلية الباب الخارجي للحي الملكي ، ونقش عليها مشاهد عديدة منها : مشاهد حربية ، تمثل محاربا يرمي السهام وهو على الارض ، او فوق عربة يجرها حصان . مشهد مائدة حولها شخصان متقابلان . صور حيوانات مثل الاسود والايلة والغزلان والتيوس . صورة اله الطقس وهو يلوح بالفاس ، وفي يده اليسرى رمز البرق والسيف بنطاقه . هذا بالاضافة الى اشكال كائنات مركبة كما كان عليه الحال في جوزان واركميش (صورة ١٦٨) . تعود هاتان المجموعتان الى القرن التاسع ق.م . وهما اقدم من المجموعتين الاخريين .

المجموعة الثالثة :

كانت تزين القصر الرابع والبناء الملحق به ، وهي تمثل الملك بر راكب جالسا على العرش كالملوك الاشوريين ، وامامه الكاتب ، وخلفه الخادم



الصورة رقم ١٦٧



الصورة رقم ١٦٨

وبيده مروحة ، وبقربه موكب الموسيقيين ، الذين يعزفون على آلات موسيقية مثل القيثارة والطبل ، وكلها تعود الى النصف الثاني من القرن الثامن ق.م .

وان كان للفن الاشوري بعض الاثر في هذا المشهد ، فان الملابس التي يرتديها الملك ، مثل الثوب العادي الطويل والوشاح ، ارامية ، مثلما هو شكل ضفائر شعر راسه ولحيته . وينطبق الامر على الموسيقيين ، الذين مثلوا بزى آرامي مطلق متميز عن الزي الاشوري أو الحثي . (صورة ١٦٩) .

المجموعة الرابعة :

كانت تزين الواجهات الخارجية للقصر الثالث ، وعليها صور الملك بالزي الارامي . فهو يرتدي ثوبا طويلا عاديا، فوقه عباءة أو بردية أو شملة يمسك بطرفها المنتهي عند كتفه الايمن بيده اليسرى . وقد يكون حاسر الرأس او مرتديا قلنسوة (صورة ١٧٠) . والى جانب هذه المجموعات التي كانت تزين المباني عثر على قطع اخرى مبعثرة : منها لوحة تمثل الملك كيلاموه واقفا ، والى جانبه نقش بالخط الارامي يروى سيرته ، ولوحة الملك بناموه والى جانبه كتابة آرامية ... الخ . (صورة ١٧١) .

هذا فيما يختص بفن النقش والحفر على اللوحات الحجرية ، أما فيما يختص بفن نحت التماثيل المجسمة ، فقد عثر على تمثال ملك قرب الجدار الجنوبي الشرقي للقصر J ، وقد نصب فوق قاعدة يزينها أسدان يمسك بهما بطل . ارتفاعها ٧٢ سم وطولها ١٫١٠ م . أما ارتفاع التمثال فيبلغ ٣ م . ان اقامة هذا التمثال قرب جدار القصر يذكرنا بنصب النسر امام المعبد القصر في جوزان ، كما ان أسلوب نحته ، مطابق لاسلوب نحت التماثيل المجسمة ، التي عثر عليها في صرين ، وعين التل وتفتناز .



الصورة رقم ١٦٩



الصورة رقم ١٧٠

يرتدي الملك خوذة زخرفت بخطوط هندسية تشبه ضفائر الشعر ، الذي يتدلى تحتها . اما اللحية فتحيط بالوجه كالزناق، وتلتصق بالصدر. ليس للملك عنق تقريبا كمعظم التماثيل الارامية . يقف على قدمين متباعدين فوق قاعدة مستديرة تتصل بطرف الثوب الخلفي ، ويرتدي ثيابا عادية ، ويتمنطق سيفا كتمثال الملك الذي وجد في صرين (صورة ١٧١) .

٦ ـ مملكة حماة :

قامت في حماة مملكة آرامية سيطرت على أواسط بلاد الشام ، ونعرف من ملوكها : ارخو ليني الذي اشترك في معركة قرقر عام ٨٥٣ ق.م . ضد الملك الاشوري سلما نصر الثالث وعيني ـ ايلو الذي دفع الجزية لتجلات فلصر الثالث ٧٤٧ ـ ٧٢٧ ق.م . ومن اشهر ملوكها ذكير الذي وسع نفوذه شمالا حتى سراقب وافس ، وعاصر الملك الاشوري حدد نيراري الثالث ٨٠٩ ـ ٧٨٢ ق.م . وقد اخبرنا نقش عثر عليه في آفس ، ان عددا من الملوك الاراميين والحثيين ، قد تحالفوا بقيادة برهدد الثالث ملك دمشق ضده ، لانه على الارجح قد خرج عليهم ، وتحالف مع الاشوريين . وبعون الالهة خرج من هذه المحنة منتصرا ، كما يذكر النقش . لقد دمر الملك الاشوري شروكين (ساركون) ٧٢٦ ـ ٧٠٦ ق.م . حماة ، وضمها الىآشور،وجعل منها ولايةآشورية يديرها واليآشوري.

اسفرت التنقيبات الاثرية التي أجرتها بعثة دانمركية في الثلاثينات من هذا القرن عن الكشف على بقايا قصر من القرن الثامن ق.م ، وبوابة ، وغيرها تشعرنا بعظمة وفخامة مباني هذه المملكة ، التي قلدت بقية الممالك الارامية بفنونها المختلفة ، وجارتهم في البذخ والانفاق في مختلف الاتجاهات .

٧ ـ مملكة دمشق :

كانت مملكة دمشق اقوى الممالك الارامية ، وقد حاول ملوكها توحيد الاراميين ، فلم يوفقوا لاسباب خارجية ، مثل عداء الاشوريين للاراميين ،



الصورة رقم ١٧١

وداخلية تكمن في ان الممالك الارامية قد نشأت على اساس نظام قبلي بدائي لم يستطع أحد تبديله . لم تجر حفريات في عاصمتهم دمشق ، لذا لا نعرف عن حضارتهم شيئا . يقع معبد ربهم هدد ـ حسب الروايات ـ تحت المسجد الاموي ، وبالصدفة عثر في حرم المسجد على لوحة من حجر البازلت عليها صورة ابي الهول محفوظة بمتحف دمشق الآن . وهي الشاهد الوحيد على فن النحت في هذه المملكة (صورة ١٧٢) .

شواهد القبور عند الاراميين :

انفرد الاراميون بوضع شواهد على قبورهم . وقد عثر على العديد منها في شمال ، وارناد والنيراب وآفس .. الخ . وكلها متشابهة تقريبا . وعلى شاهدة من النيرب محفوظة بمتحف حلب ، نرى في الاعلى نصا يهدد كل من ينبش القبر بغضب الآلهة ، وانتقامهم . وتحت النص ، وضمن اطار مستطيل ، نرى شخصا يدعى اكبر جالسا ، وبيده كأس ، وامامه مائدة ، وبجانبه الخادم ، الذي يعمل على تجديدها ، وبيده مروحة . (صورة ١٧٣) .

العاجيات :

ازدهرت هذه الصناعة في بلاد الشام ، منذ نهاية الالف الثاني ق.م . وبلغت اوجها في العصر الارامي ، ولم تخل مدينة هامة وكبيرة ، من مجمع حرفي ، ينتج قطعا عاجية متميزة . ومن المراكز الشهيرة : صيدا ، وبيبلوس على الساحل ، السامرة في فلسطين ، دمشق ، حماة ، شمال ، جوزان في الداخل ، وقد انتجت هذه المراكز قطع اثاث عاجية كالاسرة والطاولات ، ولوحات زخرفية زينت بعض قطع الاثاث ، واخرى زينت بها الجدران . ولجودة انتاج هذه المراكز صدرت مصنوعاتها الى بلدان مجاورة ، وخاصة بلاد آشور ، التي وجد بها ـ خاصة في كلخو (نمرود) ، ودور شاروكين (كورس آباد) ـ مستودعات حفظت بها تحف عاجية اتت من بلاد الشام كغنائم او كهدايا او كجزية . ومما ساعد علي انتشار



الصورة رقم ١٧٢



الصورة رقم ١٧٣

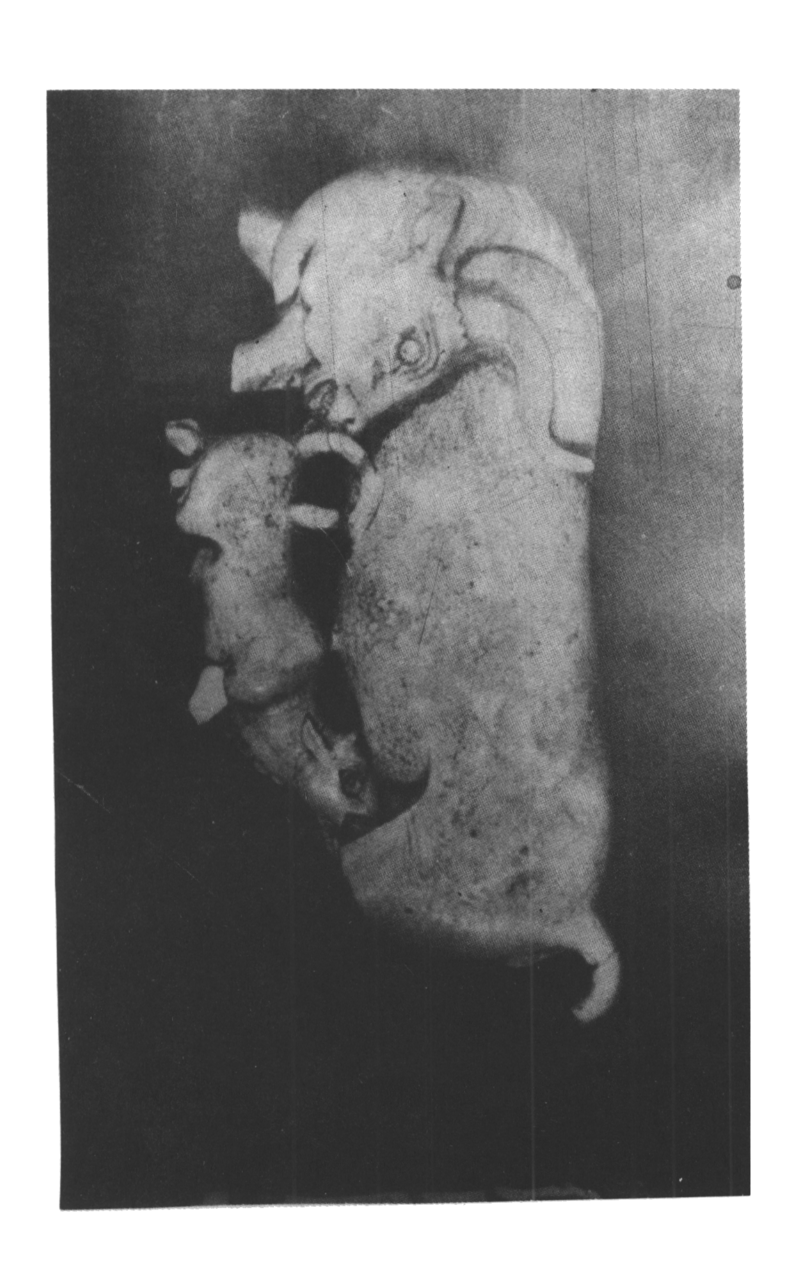
هذه الصناعة المجزية ، وجود الفيلة ببلاد الشام (في الغاب) ، وازدهار التجارة مع مصر وافريقيا ، وسهولة نقل هذه المادة . وقد عثر في مدينة خداتو الى الشمال الشرقي من جرابلس ، وهي اليوم موقع ارسلان طاش ، على قطع عاجية صغيرة وجميلة كانت تزين كرسي الملك حزائيل ملك دمشق الارامي (٨٤٤ ـ ٨١٢ ق.م) . ويبدو أن هذه الكرسي قد نقل الى هناك من دمشق بعد احتلالها عام ٧٣٤ من قبل الاشوريين . على احد القطع المتبقية من الكرسي نقشت صورة الملك حزائيل ، واقفا ويداه متشابكتان على صدره ، يرتدي ثوبا فوقه وشاح كغيره من الملوك الاراميين. والمأخذ الوحيد على هذه الصورة أن القدمين قد رسمتا من الجانب ، في حين صور الملك من الامام . وقد اساء هذا التعاكس الى الشكل (صورة ١٧٤) . ومن القطع الرائعة النادرة لوحات رسم عليها بقرات ترضعن العجول ، الذين يمصون الحليب بشراهة صورها الفنان بدقة واتقان ، كما صور حنان الامهات (صورة ١٧٥) .

ومن القطع الجميلة ، التي وجدت في كلخو ، والتي لا نرى مثيلا لها ، لوحة صور عليها باتقان، لبوة تفترس رجلا اسود في غابة من الزنبق. وحتى يكون المشهد تقليدا قريبا من الواقع استعمل الذهب وغيره في تطعيم اللوحة . فكانت زهرات الزنبق من حجر اللازورد الازرق ، والثمار من حجر كريم احمر،في حين كسيت الاغصان وشعر الزنجي ومئزره برقائق الذهب الاصفر (صورة ١٧٦).ان القطع العاجية اكثر من أن تحصى،وقد اكتفيت ببعض الامثلة ، التي تعطينا فكرة عن هذه الحرفة . وقبل ان ننهي حديثنا عن الاراميين في بلاد الشام ، لا بد من القول باننا اغفلنا دراسة آثار الدويلات الحثية الجديدة في الشمال مثل كركميش ، ومرعش وملاطية وغيرها ، لان فنونها تكاد تكون مطابقة لفنون جوزان وشمال .

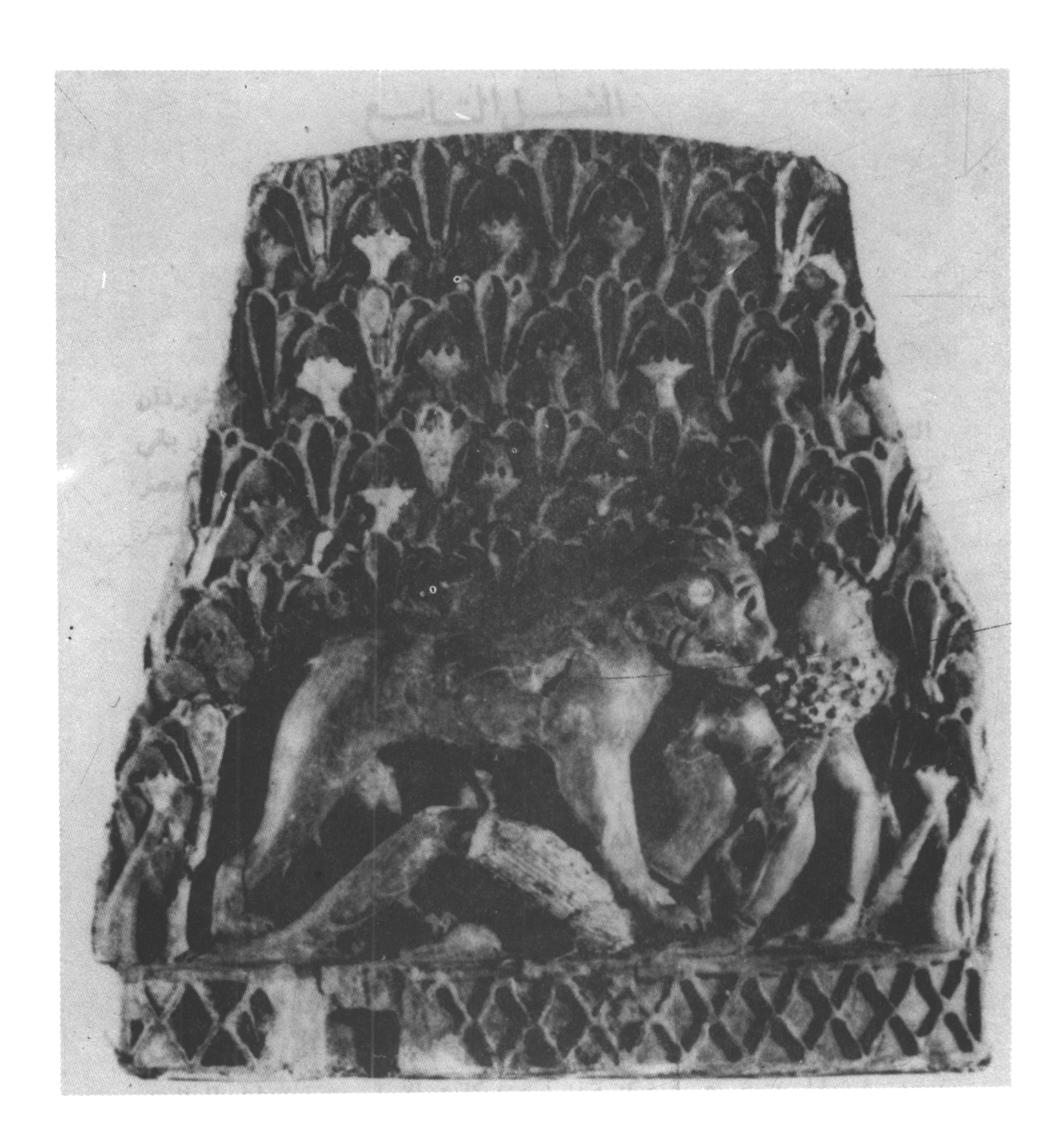
وكما اشرنا في مقدمة هذا الفصل لا بد من التحدث عن الفن الاشوري، لارتباطه بفنون بلاد الشام ، وتأثيره عليها تأثره بها .



الصورة رقم ١٧٤



الصورة رقم ١٧٥



الصورة رقم ١٧٦

الفصل التاسع

العصر الآشوري الحديث

سمينا العصر الذي يبدأ مع بداية حكم الملك الآشوري آشوردان الثاني ٩٣٥ ـ ٩١٢ ق.م ، وينتهي بنهاية حكم الملك الآشوري آشور باني بال ٦٦٨ ـ ٦٢٨ ق.م ، بالعصر الآشوري الحديث الذي سبقه العصر الآشوري الوسيط في النصف الثاني من الالف الثاني ق.م ، والعصر الآشوري القديم الذي يعود الى مطلع الالف الثاني ق.م .

من أشهر ملوك هذا العصر آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م) سلما نصر الثالث ٨٥٨ـ٨٢١ ، تجلات فلصر الثالث ٧٤٥ـ٧٢٧ شاروكين الثاني (سرجون) ٧٢١ ـ ٧٠٥ . سنحاريب ٧٠٤ ـ ٦٨٦ ـ اسار حادون ٦٨٠ ـ ٦٦٩ وآشور بانيبال ٦٦٨ ـ ٦٢٨ (٣٠) .

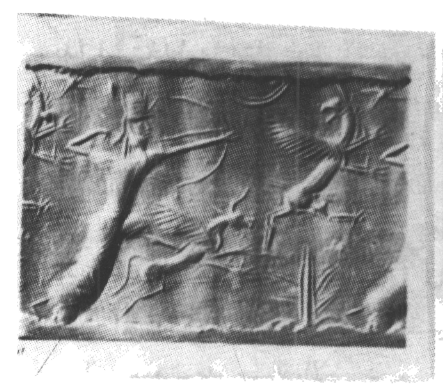
لقد شن هؤلاء الملوك الحروب على جيرانهم في ايران ، واناضول ، وبابل ، وعيلام ، وبلاد الشام ، ومصر ونجد ، والحجاز ، وقبرص . وأصبحوا طيلة ثلاثة قرون القوة الاعظم في المنطقة . ونقـرا في وثائقهم المتنوعة ، اخبار حروبهم ومواثيقهم مع جيرانهم . وثورات هذه السلالة ضد تلك ونعتبر آشور بانيبال ذو فضل على العلم ، لانه أمر بجمع آداب سومر ، وبابل ، وغيرهم في مكتبة بنينوى، كانت الاولى من نوعها في العالم، وضمت ٢٠٠٠٠ رقيما . وهو آخر الملوك الآشوريين الاقوياء ، وبعد موته اعتلى العرش ولده الاكبر (آشور عتل ايلانة ٦٢٧ـ٦٢٦) ثم ولده الثاني (رزن شار اشكن) ٦٢٦ ـ ٦١٢ ، ثم خلفه على العرش (آشور موبلط)

٦١٢ – ٦٠٩ وفي عهده سقطت الدولة الآشورية على يد الاخمينيين والكلدان .

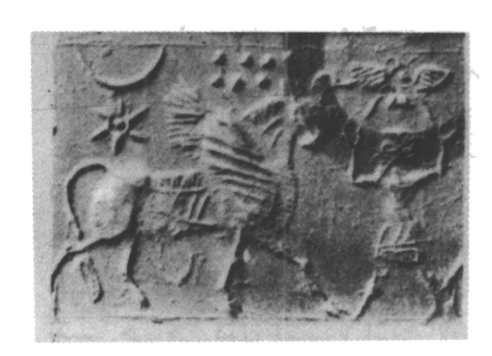
تبدلت عاصمتهم مرارا ، فالى جانب عاصمتهم الابدية الروحية آشور ، اسس آشور ناصر بال الثاني عاصمة جديدة هي كلخو (نمرود) ، وبنى فيها القصر المعروف باسم القصر الشمالي الغربي ، كلما بنى فيها خليفته سلما نصر الثالث القصر المركزي . اما شاروكين الثاني ، فقد بنى مدينة دور شاروكين (كورس آباد) ، وبنى فيها قصره الكبير . هذا وقد استقر كل من سنحاريب ، واسر حدون ، وآشور بانيبال في نينوى وبنو فيها القصور . اذ بنى سنحاريب القصر الجنوبي ، وآشور بانيبال الشمالي .

لقد اتيح لهذه الدولة السيطرة على بلاد غربي آسية ، فجلبت اليها الفنانين من كافة ارجائها ، ليساهموا في الحركة الفنية ، وفي بناء القصور والمدن وتحصينها. فلا بد من انهم نقلوا تجاربهم الفنية الى آشور فاغنوها . ولا بد كذلك من ان الآشوريين قد اثروا في البلاد المفتوحة . فنحن نرى ان التأثير الآشوري في فنون بلاد الشام واضح في اسلوب النقش على اللوحات الحجرية ، وتصوير الرجال والمحاربين .

والعكس صحيح فقد اثر سكان بلاد الشام في الفن الآشوري . وكان ذلك واضحا في فن العمارة ، حيث بنوا بعض قصورهم وفق مخطط البيت العالي . وبما ان الغرض من الفن الآشوري كان اظهار عظمة الدولة وقوة الملك ، فقد اهتموا بفروع معينة ، واهملوا فروعا اخرى . ففي مجال النقش والحفر على الاختام الاسطوانية نلاحظ اهمالا في العمل . فقد نقشت خطوط متعرجة متواصلة او ركبت مجموعة من الكرات لتكوين الاجسام . اما المواضيع التي نقشت عليها فكانت تقليدا للمواضيع التي شاعت في العصر الاشوري الوسيط مثل كائنات مجنحة تتعارك مع او يصطادها انسان ، فوقها الرب آشور المجنح او الشمس المجنحة . مشاهد دينية مختلفة . عربات . طقوس دينية . المثول امام الآلهة . وكذلك تقديس الاشياء التي ترمز الى الارباب مثل الشمس المجنحة والشمعدان ... الخ (صورة ١٧٧) .







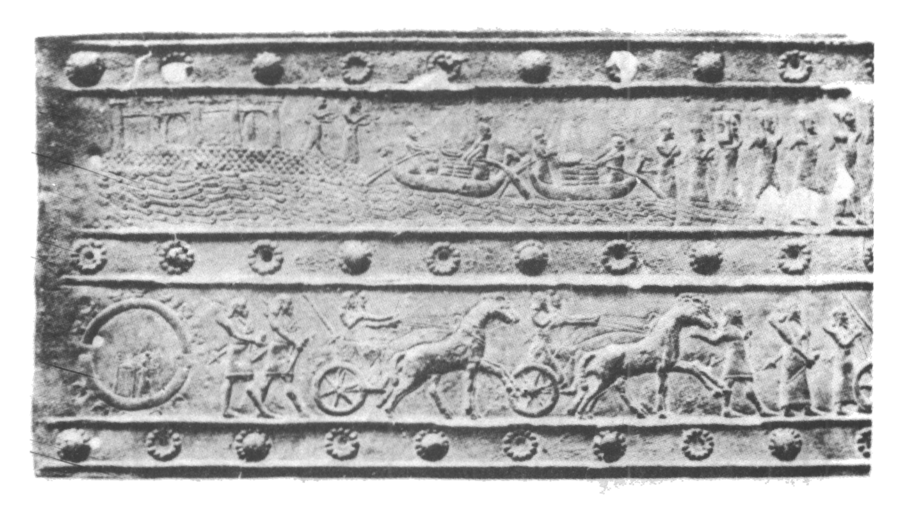

الصورة رقم ١٧٧

لا يعبر عن قوة وجبروت الملكية الآشورية ، الا اللوحات الحجرية التي بدأ استخدامها منذ عصر آشور ناصر بال الثاني (٨٨٢ ـ ٨٥٩ ق.م) ، الذي زين الجدران الداخلية لمعظم قاعات قصره في كلخو بلوحات ، كان الغرض منها تعظيم وتخليد اعماله . وبما انه اعترف باستخدام الآراميين في بناء قصره وتزيينه باللوحات ، فمما لا شك فيه ، انهم كانوا ذا خبرة واسعة اكتسبوها من بلادهم ، التي كانت فيها قصور عامرة مزينة باللوحات ، مثل المعبد القصر بجوزان الذي كان عامرا قبل عصر آشور ناصر بال . ومن المواضيع التي نشاهدها مصورة على لوحات قصر آشور ناصر بال الثاني : مشهد صيد الاسود . شجرة الحياة يحيط بها الجن . معارك ومهاجمة مدن وتدميرها . اسرى يساقون . ومغلوبون يجلبون الجزية للملك . الجنود الآشوريون يجتازون الانهار ... الخ (صورة ١٧٨) .

هذا من ناحية الموضوع ، اما من ناحية الاسلوب ، فتبدو الاشكال غير ثخينة ، وكأنها الصقت على السطح الاملس للوحة . وحتى يبرز الفنان بعض اعضاء الجسم ، أو اللباس ، أو السلاح ... الخ ، حددها بواسطة حزوز . ان اعظم الاعمال التي تنسب الى عصر سلما نصر الثالث ، خليفة آشور ناصر بال الثاني ، كساء باب من البرونز ، نقش عليه مشاهد حروبه (صورة ١٧٩) . اما من عهد تجلات فلصو الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧) ، فلدينا مجموعة اللوحات التي زينت القصر المركزي في كلخو (نمرود) ، ونرى عليها مشاهد مهاجمة المدن وتدميرها ، الشعوب المغلوبة تجلب الهدايا أو تسوق الماشية . وقد نقشت الاشكال بأسلوب مشابه لاسلوب نحت العصر الذي سبقه ، مع فارق بسيط يتجلى في ان الاشكال اصبحت اقل سماكة ، تبرز فوق السطح الذي حولها قليلا (صورة ١٨٠) . اما من عصر سرجون فلدينا اعمالا أفضل ، فالاشكال اقوى ، وبارزة فوق السطح اكثر . وينطبق هذا الشيء على عصر خلفائه . اما المواضيع فقد بقيت هي هي دون تغيير ، اللهم الا مشاهد صيد الاسود الذي ولع بها آشور بانيبال ، وصورها في أوضاع مختلفة ، كأن يطاردها في البرية ، أو تساق له من الحظائر ليصطادها . هذا فيما يتعلق بالاشكال وطريقة رسمها ، أما توزيعها على اللوحة ، فنرى انه مختلف بين عصر وآخر .



الصورة رقم ١٧٨



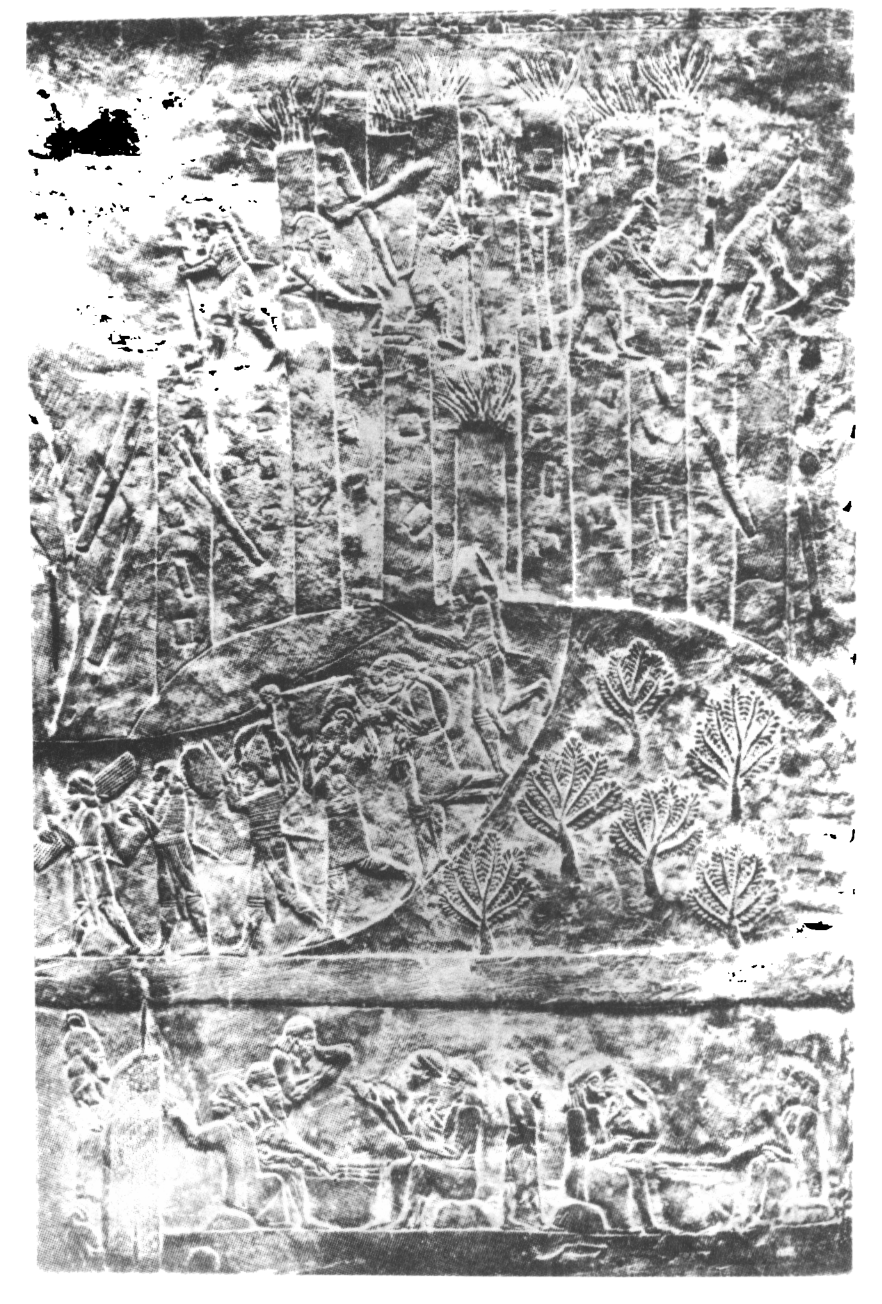
الصورة رقم ١٧٩



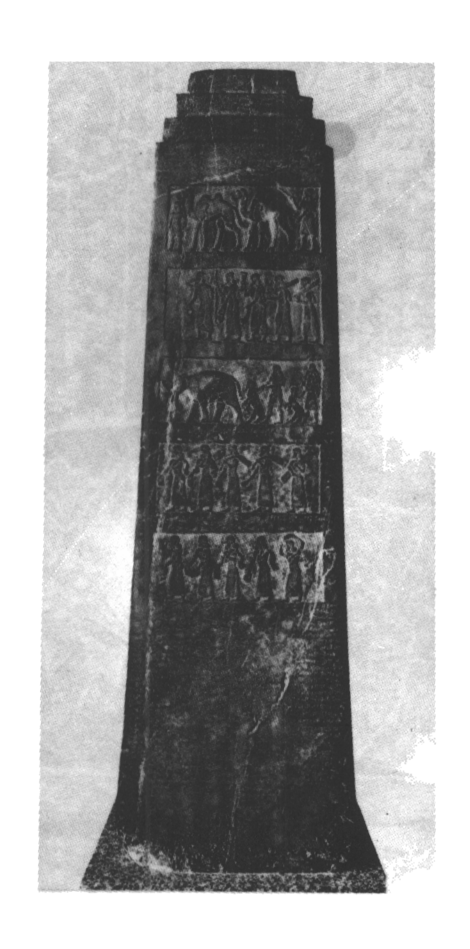
الصورة رقم ١٨٠

ففي عصر آشور ناصر بال الثاني ملأت بعض الاشكال الهامة الدينية سطح اللوحة بأكمله ، في حين وزعت مشاهد المعارك والصيد على حقلين ، بكل حقل مشهد خاص يصور حدثا معينا من عملية السيد . اما في عصر سرجون الثاني وخلفائه ، فقد وزع الفنان المشهد على سطح اللوحة بأكمله توزيعا يتناسب وترتيب الاحداث مكانيا . او بحسب الاهمية . (صورة ١٨١) .

وبالختام لا بد أيضا من الاشارة الى نوع من المنحوتات الاشورية القليلة النادرة التي تسمى (الاوباليسك) وهي حجر على شكل متوازي المستطيلات ، قمته هرمية ، شكلها شكل المسلة المضلعة . وهي وان كانت من الناحية الفنية قليلة الاهمية ، فانها من الناحية التاريخية عكس ذلك . فقد خلد بعض ملوك آشور ذكراهم على مثل هذه المسلات ، وصوروا لنا بالكلمة والحرف معاركهم وانتصاراتهم على اعدائهم . اقدم هذه المسلات المسلة البيضاء التي تعود الى عصر الملك آشور ناصر بال الثاني ، وهي من الحجر الكلسي ، ويبلغ ارتفاعها ٢ر٩٠ م . قسم سطح المسلة الى حقول رسمت فيها مشاهد المعارك والاسرى والمغلوبين ... الخ . تماما كما هو عليه الحال في اللوحات الجدارية . ومن المسلات المسلة السوداء المنسوبة الى الملك سلما نصر الثالث ، والتي وجدت في كلخو ، وهي من الحجر الاسود اللماع ، ارتفاعها ٢ م ، وعرضها حوالي ٦٠ سم . نقش وسطر عليها الملك مذكراته ، اي اعماله الحربية والعمرانية . ونرى في القسم العلوي منها ملك اسرائيل ياهو راكعا امام الملك يقدم له الطاعة ، وملك حلزان بالقرب من بحر ارميا . في الحقول السفلى نرى اتباع الملكين يجلبون الهدايا والجزية (صورة ١٨٢) .



الصورة رقم ١٨١



الصورة رقم ١٨٢

الفصل العاشر

العصر الآرامي الأخير

٧٢٠ – ٥٣٩ ق.م

وباعتلاء شروكين (سرجون) الثاني (٧٢٢ – ٧٠٥) عرش آشور ، انتهت سيادة السلالات الارامية الحاكمة ، واصبحت بلادهم ولايات يديرها حكام آشوريون ، وانتهت حقبة المجد التي امتازت بها عهود الممالك الارامية التي ذكرناها ، وتحولت عواصمهم امثال جوزن ، وخداتو ، وتل برسيب ، وشمال وأرفاد ، وحماة ، ودمشق الى مدن من الدرجتين الثالثة والرابعة . اذ دمرت قصورها ومعابدها ، وتداعت حصونها واسوارها ، ولم تقم بدائل لها .

وبينما انهارت الممالك الارامية في بلاد الشام الواحدة تلو الاخرى ، وخضعت للآشوريين ، ظهر في بلاد بابل الامير الكلداني الارامي نبو بولصر ، وأسس سلالة جديدة مستقلة عام ٦٢٦ ق.م . عرفت بالتاريخ باسم السلالة البابلية الاخيرة ، او المملكة الكلدانية (٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م) . كان وصول نبو بولصر الى السلطة في بابل ايذانا بتصفية الحساب مع الاشوريين ، الذين انصرفوا طيلة قرون عديدة لمحاربة الاراميين .

استغل هذا الملك الجديد بعض الاضطرابات الداخلية في آشور ، والصراعات بين السكيتيين والليديين والاشوريين من جهة والميديين من جهة اخرى . فاتفق مع كي إخسار ملك الميديين الذي كان قد هاجم بلاد النهرين ، على هدم اركان الدولة الاشورية . فهاجم كل منهم العاصمة نينوى واحتلاها عام ٦١٢ . وهكذا سقطت الدولة الاشورية التي ملأت

القرون الاربعة الاولى من الالف الاول ق.م . بحروبها . استولى كي اخسار على المقاطعات الشمالية والشمالية الغربية من المملكة الاشورية ، بينما استولى البابليون على مقاطعاتها الجنوبية ، ثم زحفوا على بلاد الشام ليرثوا السلطة الاشورية (٢١) .

لم يكتف المصريون بمراقبة الاحداث عن بعد ، بل وضعوا ايديهم على المقاطعات الجنوبية من بلاد الشام ، وتحالفوا مع الاشوريين ضد البابليين ، وهب الفرعون نخو لنجدتهم ، فاجتاز بلاد الشام من جنوبها الى شمالها ، والتقى بالجيش البابلي ، الذي كان بقيادة ولي العهد نبوخذ نصر بن نبو بلصر في كركميش عام ٦٠٥ . وبعد قتال عنيف وشرس ، انهزم الجيش المصري ، وتراجع عن بلاد الشام التي خضعت للبابليين .

تعاقب على حكل بابل : نبو بولصر ٦٢٦ ـ ٦٠٥، وولده نبوخذ نصر ٦٠٥ ـ ٥٦٢ ، وابنه اميل مردوك ٥٦٢ ـ ٥٦٠ ، ونرجلصر (نرجال شراوصر) ٥٦٠ ـ ٥٥٦ . ثم نبو نيد ٥٥٦ ـ ٥٣٩ الذي سقطت في عهده بابل بيد الاخميني كورش عام ٥٣٩ ، ثم سقطت بلاد الشام ، وتحولت الى ولايات يديرها حكام اخمينيون .

وفي عهد نبوخذ نصر ازدانت العاصمة بابل بالمباني العامة مثل : معبد ايسانكالا الكبير للرب مردوك ، وبرج بابل الشهير والقصر الصيفي ، والقصر الشمالي ، وباب عشتار ، ثم الجنائن المعلقة الخاصة بزوجته امانيس الميدية ، والتي اشتهرت بالتاريخ على انها من عجائب الدنيا السبع .

وفي عهد هذا الملك ازدهرت الثقافة البابلية ، وانتشرت في المشرق العربي والبلاد المجاورة .

هذا ما كان في بلاد النهرين ، اما ما حدث في بلاد الشام فيكتنفه الغموض ، لان الملوك الكلدانيين قد حكموا مدة قصيرة بالمقارنة مع الحكم

الاشوري ، ولم يتركوا حوليات تتحدث عن حروبهم واعمالهم في بلاد الشام كاسلافهم الاشوريين .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان التنقيبات الاثرية لم تكشف على وثائق محلية مجزية تساعدنا في كتابة التاريخ السياسي لهذه الفترة ، ولم تدرس المكتشفات الاثرية العائدة لهذه الحقبة الزمنية من تاريخ بلاد الشام على نحو مرض حتى الآن . وعلى كل حضارتها استمرار للحضارة الارامية التي ازدهرت في العصر الحديدي الثاني ٩٥٠ ـ ٧٥٠ ، كما يظهر من الاثار المكتشفة في العديد من المواقع الاثرية في القطر العربي السوري مثل :

١ ـ **تل مرديخ ايبلا** : وتنسب المرحلة الاخيرة من الطبقة الخامسة الى هذا العصر . مرديخ Vc ٧٢٠ ـ ٥٣٥ ق.م تقريبا .

٢ ـ **عين دارة** : وفيها تعود الطبقة الخامسة لهذا العصر ٧٠٠ ـ ٥٣٥ ق.م . تقريبا .

٣ ـ **تل ابوصنه** : وفيه الطبقتان IIc ٧٥٠ ـ ٦٠٠ ق.م . تقريبا . و IIb ٦٠٠ ـ ٣٩٠ ق.م . تقريبا منسوبتان الى هذا العصر .

ان هذه الطبقات ، كغيرها من الطبقات المعاصرة في مواقع اخرى : امثال النيرب ، وقادش (تل النبي مند) ، وتل الكزل ، وتل دينيت ... الخ . فقيرة باثارها .

ومن اهم اللقى المميزة لهذا العصر :

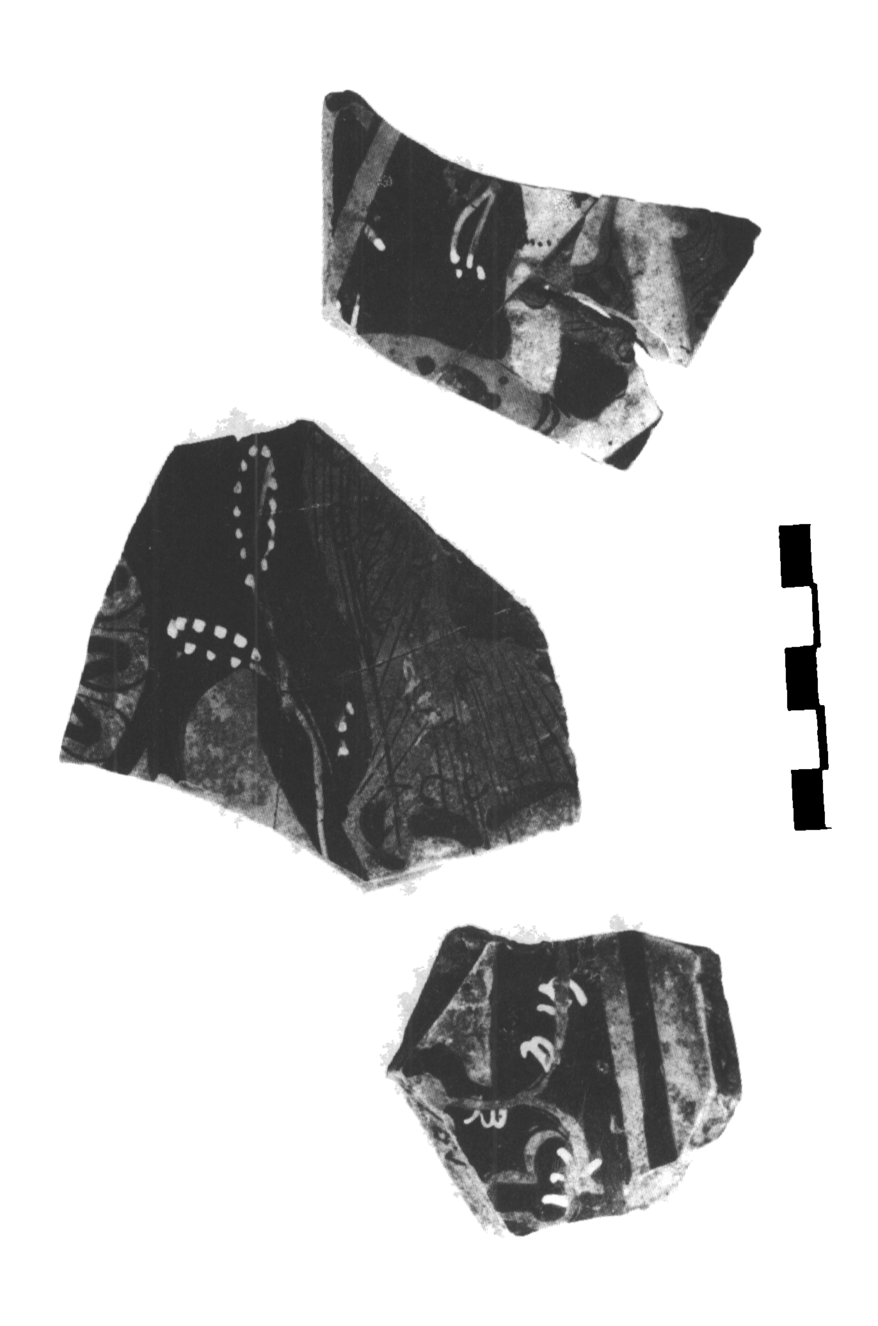
١ ـ **الانية الفخارية** وهي من صنع محلي او مستوردة :

آ ـ الانية المصنوعة محليا متعددة الاشكال ، جيدة او رديئة الصنع . من اشهر انواعها الدنان والجرار ذات الكعب المدبب الذي يثبت في الارض بوساطة ثقوب .

ب ــ الفخار المستورد ، واهم انواعه الفخار الاتيكي المستورد من بلاد اليونان . (صورة ١٨٣) .

٢ ــ الدمى الطينية التي صنعت بوساطة قالب ، وتمثل على الغالب الربة عشتار باشكال متعددة ، وبأساليب متنوعة . (الصورة ١٨٤) .

٣ ــ الدمى الطينية التي صنعت بوساطة قالب ، وتمثل فرسانا ذي اشكال مختزلة ، وتعرف عند علماء الآثار باسم الفرسان الاخمينيين . (الصورة ١٨٥) .



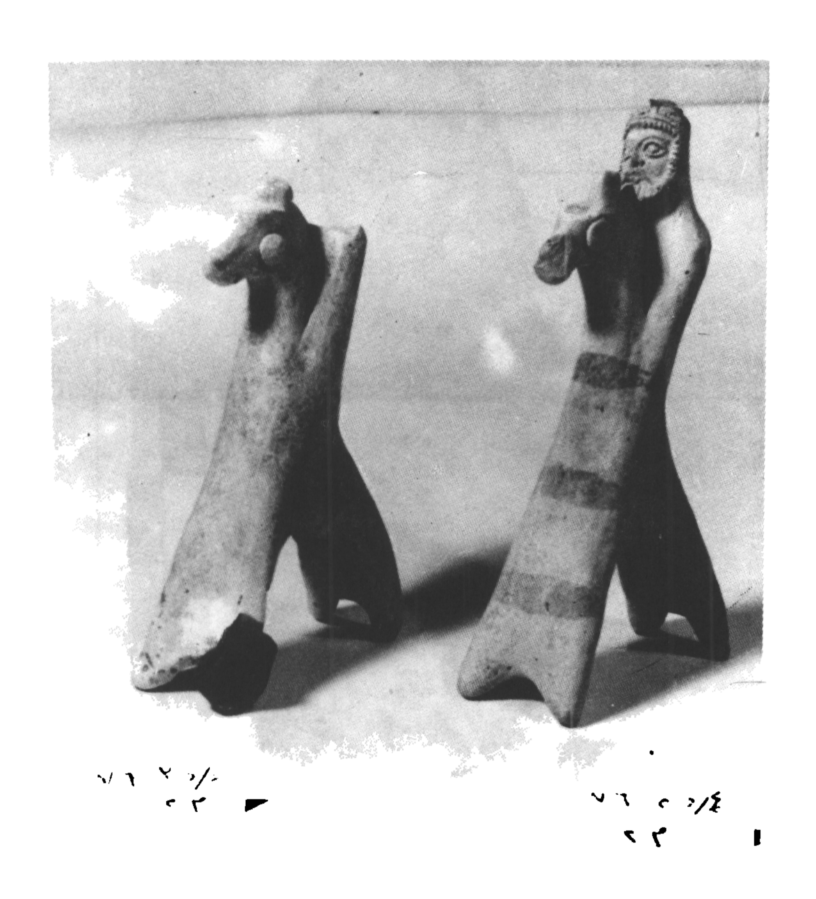
الصورة رقم ١٨٣



صورة رقم ١٨٤



الصورة رقم ١٨٤



الصورة رقم ١٨٥



AASOR : Annual of the American Schools of Oriental Research

AFO : Archiv für Orient Forschung

BASOR : Bulletin of the American Schools of Oriental Research

CRIA : Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles Lattres

MDOG : Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesselschaft

الهوامش

1 — IRAQ II, S. 25ff.

2 — A. Falkenstein, Das Sumerische (1959), 15-16.

3 — E. Strommenger, Habuba Kabira. Eine Stadt vor 5000 Jahren (1980), S. 62 F, Abb. 59.

4 — A. Falkenstein
٤ ـ المصدر السابق ص ١٤ ـ ١٥

5 — I. J. Gelb Ebla and Kish Tradition, La Lingua di Ebla, (ed. L. Cagni) Napoli (1981), PP. 54-61.

6 — P. Matthiae, Ebla, An Empire Rediscovered (1981) 156.

7 — A. Moortgat, Tell Chuera In Nordost-Syrien (1973) Abb. 81, plan I

8 — A. Parrot, Summer (1960) Fig. 189 B

9 — I. J. Gelb
٩ ـ المصدر السابق ص ٥٤ ـ ٥٥

10 —
١٠ ـ اندريه بارو ماري ترجمة د. رباح نفاخ ص ٢٧ ـ ٢٨

11 — I. J. Belb
١١ ـ المصدر السابق ص ٦١ ـ ٦٢

12 — D. O. Edzard, Studi Eblaiti IV (1981), 89-97.

13 — H. Hirsch, Die Inschriften der Könige von Agade Afo 20 (1963).

14 — A. Moortgat, Die Kunst des Alten Mesopotamien. Sumer und Akkad (1982) 100ff.

15 — Mari Annales de Recherches Interdisciplimaires 4 pp. 147-172.

16 — P. Mathiae
١٦ ـ المصدر السابق ص ١٠٥ ـ ١١١

17 — A. Archi, Mardu in the Ebla Texts, Orientalia 54 (1985), 7 - 13.

18 — D. O. Edzard ١٨ ـ المصدر السابق ص ٩٥

19 — W. Helek, Die Beziehumgen Agyptens zu Vorderasien Im 3, und 2, Jahrtausend (1962), 279-280.

20 — Fischer Weltgeschichte Bd. 2, Die Altorientalischen, Reiche I (1965) S. 165 f, 178 f.

21 — H. Klengel, Geschichte Syriens Im 2-Jahrtausend Teil 1-Nordsyrien (1965), 15-87, 120-199.

22 — H. Klengel ٢٢ ـ المصدر السابق الجزء الثاني ص ٩٦ ـ ١٣٢

23 — R. Naumann, Architektur Kleinasiens (1955) 265-268.

24 — A. Moortgar, Die Kunst des Alten Mesopotamien Bobylon und Assur (1984) 39-57.

25 — A. Moortgat. ٢٥ ـ نفس المصدر ص ٦٢ ـ ٧١

26 — Moortgat ٢٦ ـ نفس المصدر ص ٦٠ ـ ٨٤

27 — H. Klengel. ٢٧ ـ المصدر السابق

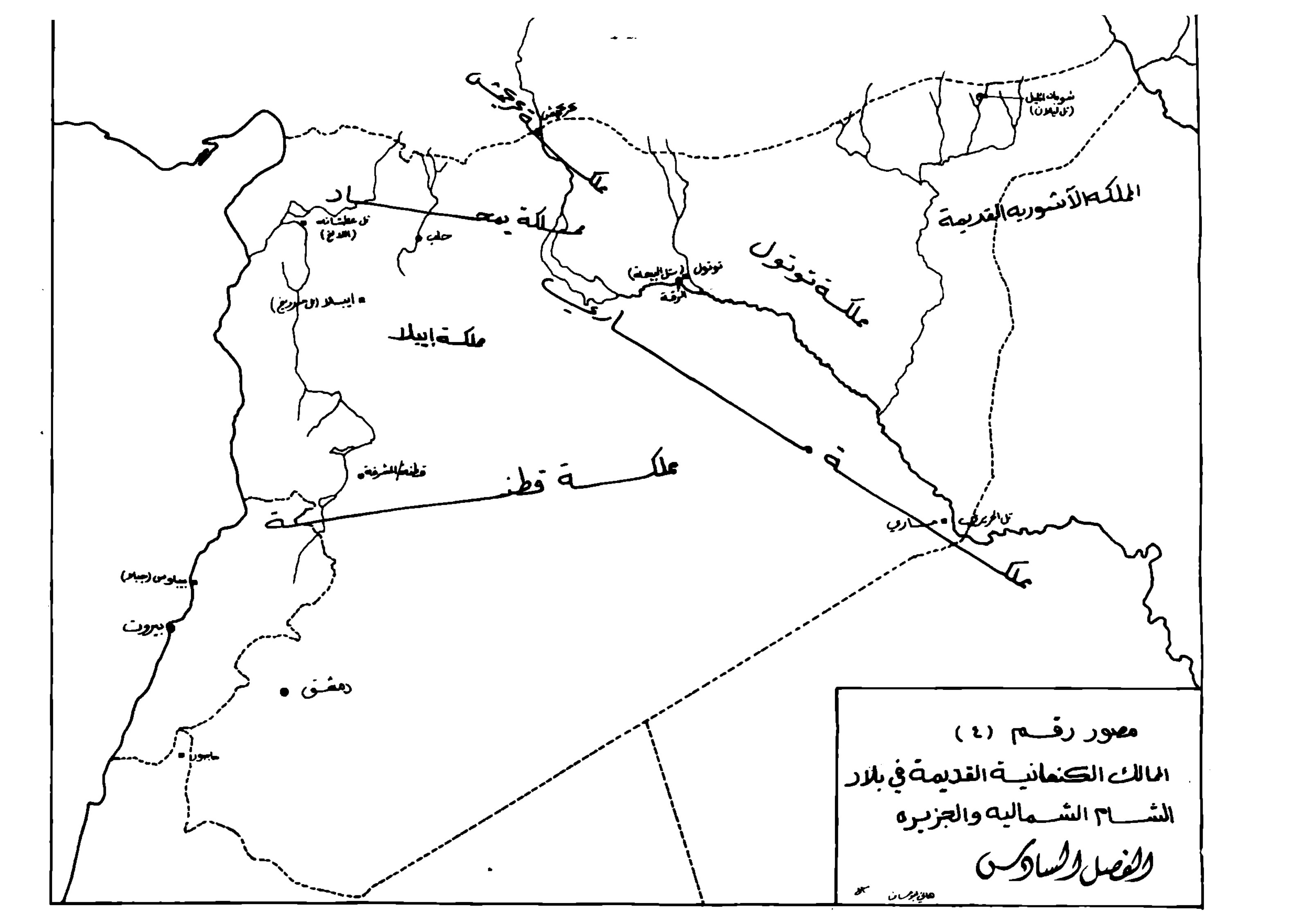
28 — W. Helek ٢٨ ـ المصدر السابق ص ١٧٤ ـ ١٩٨

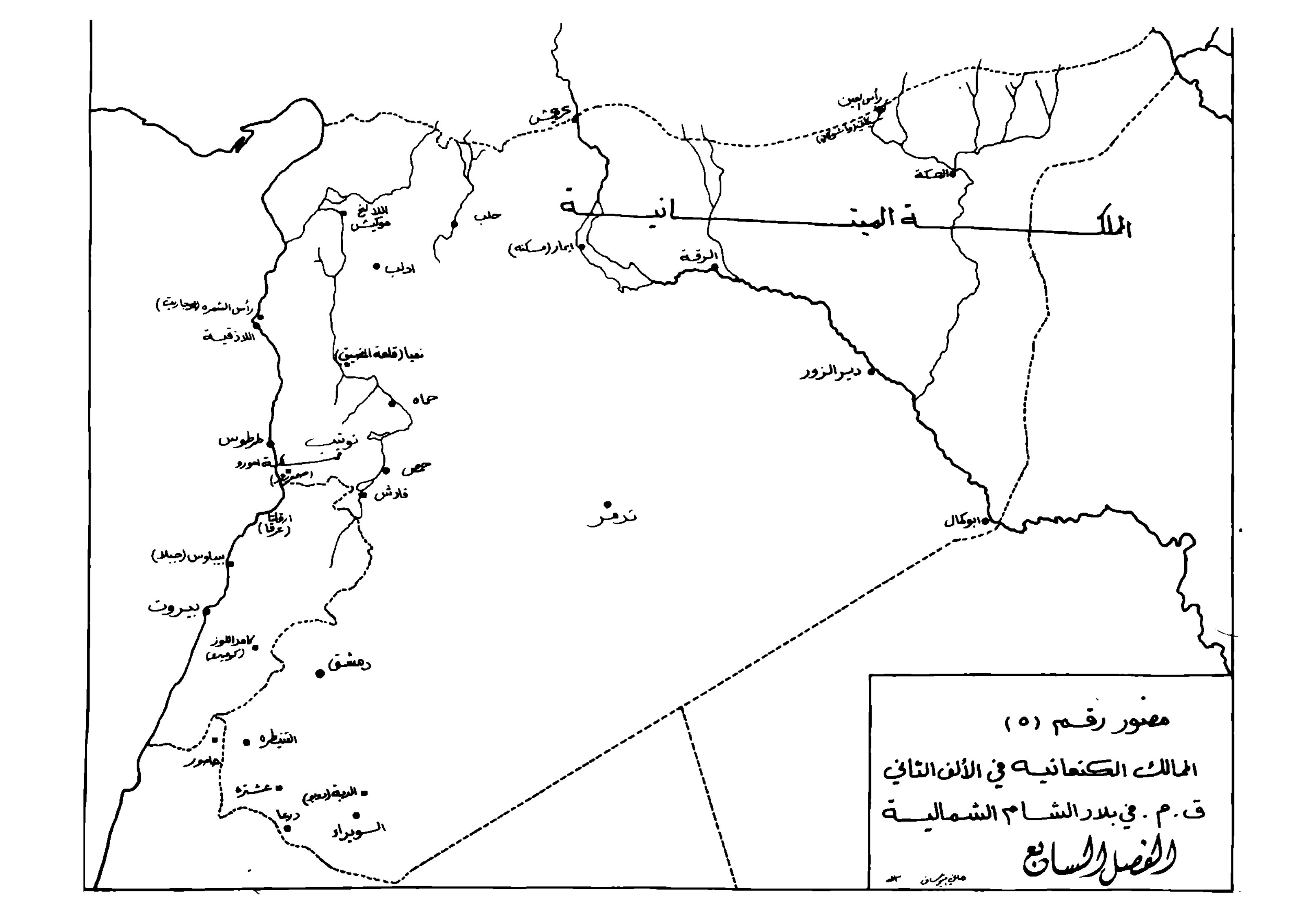
29 — W. Orthmann, Untersuchungen Zur Späthethitischen Kunst.

30 — A. Moortgart ٣٠ ـ المصدر المذكور تحت رقم ٢٤ ص ٩١ ـ ١٢٥

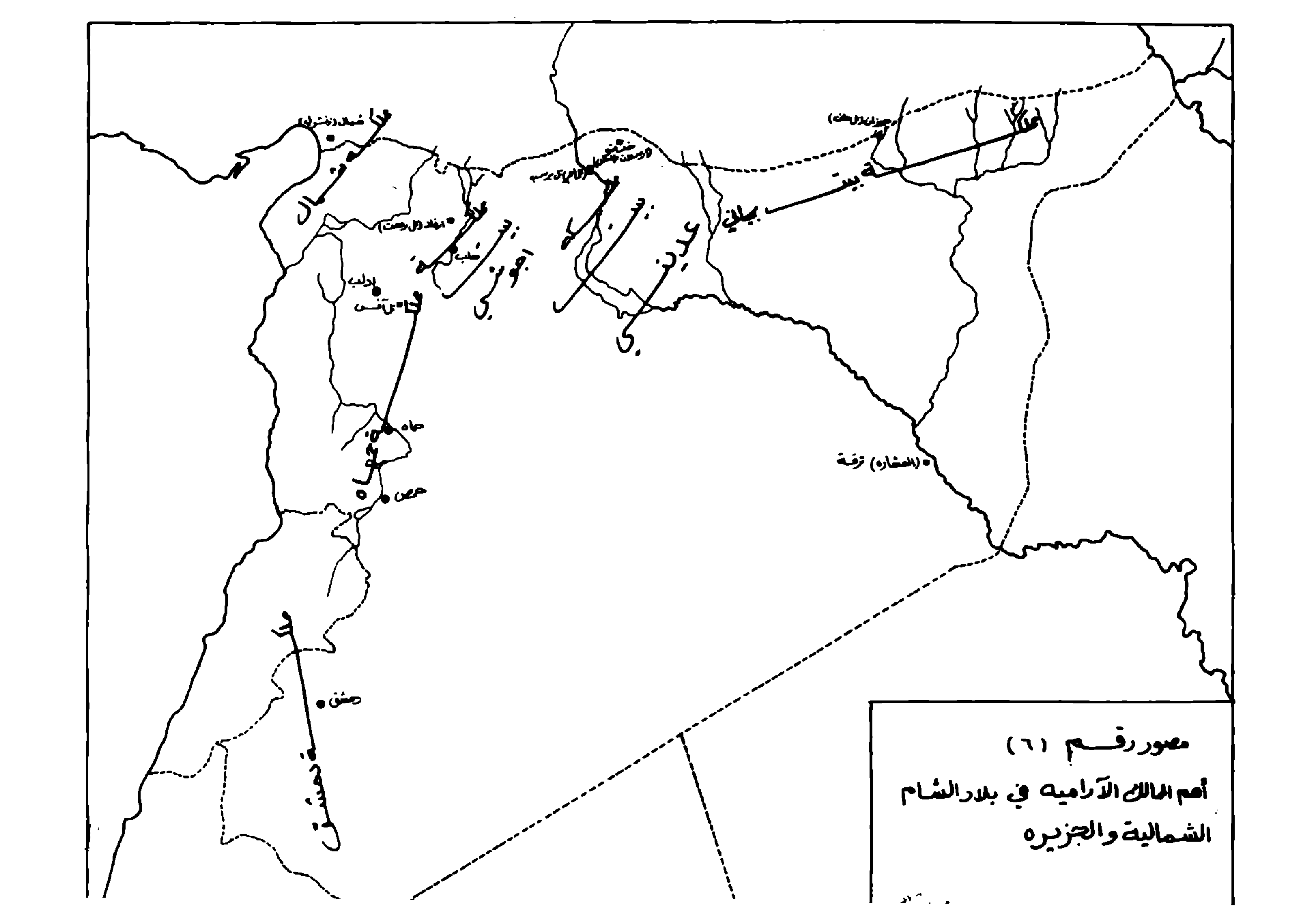
31 — Fischer Weltgeschichte Bd. 4. Die Altorientalischen, Reiche III (1967) 93-111.

ثبت المصورات


مصور رقم (٤)
الممالك الكنعانية القديمة في بلاد الشام الشمالية والجزيرة
الفصل السادس
المملكة الآشورية القديمة
مملكة توتول
مملكة إيبلا
مملكة قطنة
مملكة يمحاض
مملكة كركميش
مملكة ماري
شوبات إنليل (تل ليلان)
كركميش
توتول (تل البيعة)
الرقة
حلب
تل عطشانة (الالاخ)
إيبلا (تل مرديخ)
قطنة المشرفة
تل الحريري
ماري
بيبلوس (جبيل)
بيروت
دمشق



مصور رقم (٥)
الممالك الكنعانية في الألف الثاني
ق.م. في بلاد الشام الشمالية
الفصل السابع
المملكة الميتانية
كركميش
رأس العين
الحسكة
حلب
ايمار (مسكنة)
الرقة
الالاخ
موكيش
ادلب
رأس الشمرة (اوغاريت)
اللاذقية
نميا (قلعة المضيق)
دير الزور
حماه
طرطوس
نوشي
حمص
قادش
تدمر
ابوكمال
ارقاتا
(عرقا)
بيبلوس (جبيل)
بيروت
كامد اللوز
دمشق
القنيطره
عشتره
دبعا
السويداء



مصور رقم (٦)

أهم الممالك الآرامية في بلاد الشام الشمالية والجزيرة

ثبت المخططات

١ ـ بيت من المريبط ، المرحلة الثالثة ٨٠٠٠ ـ ٧٦٠٠ ق.م .

٢ ـ بيوت مدورة من المريبط ، المرحلة الثالثة ٨٠٠٠ ـ ٧٦٠٠ ق.م .

٣ ـ المنازل المكتشفة في بقرص وتوزعها على سطح التل . العصر الحجري الحديث ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

٤ ـ بيت عبادة من تل اسود على البليخ . عصر حلف ، ٥٥٠٠ ـ ٤٥٠٠ ق.م .

٥ ـ منظور مفترض لبيوت عصر حلف المقببة .

٦ ـ معبد من الطبقة ١٦ في اريدو (تل ابو شهرين) ، عصر العبيد (عصر حج محمد اريدو) ، ٤٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م .

٧ ـ معبد من الطبقة ١٣ في تبه كورا ، عصر العبيد ، ٤٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م .

٨ ـ المعابد والبيوت المكتشفة في جبل عارودة من عصر الوركاء ، ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م .

٩ ـ المعابد المكتشفة في تل قناص من عصر فجر التاريخ ، ٣٥٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

١٠ ـ المعبد الشرقي بتل قناص ، عصر فجر التاريخ ، ٣٥٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

١١ ـ المعبد الشمالي بتل قناص ، عصر فجر التاريخ ، ٣٥٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

١٢ ـ المعبد الجنوبي بتل قناص ، عصر فجر التاريخ ، ٣٥٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

١٣ ـ بقايا السور والبوابة والبيوت في حبوبة كبيرة جنوبية ، عصر الوركاء ، ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م .

١٤ ـ نماذج من البيوت في حبوبة كبيرة جنوبية ، عصر الوركاء ، ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م

١٥ ـ المصطبة ومعبد العيون بتل براك ، عصر الوركاء ، ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م .

١٥ ـ المصطبة ومعبد العيون بتل براك ، عصر الوركاء ، ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م .

١٦ ـ معبد الطبقة ١٤ في اللالغ (تل عطشانة) ، عصر جمدة نصر ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م

١٧ ـ معبد الرب سن ، الطبقة الاولى خفاجه ، عصر فجر السلالات ـ ١ ـ ٢٩٠٠ ـ ٢٧٠٠ ق.م .

١٨ ـ المعبد ذو الرواق الامامي بتل خويرة ، عصر فجر السلالات ـ ٢ ـ ٢٧٠٠ ـ ٢٥٥٠ ق.م .

١٩ ـ معبد الطبقة ١٢ اللالخ (تل عطشانه) ومجسم معبد من السلمية ، عصر فجر السلالات ٢٩٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق.م .

٢٠ ـ معبدا عشتار ونيني ـ زازا في ماري (تل حريري) ، عصر فجر السلالات ـ ٣ ـ ٢٥٥٠ ـ ٢٤٠٠ ق.م .

٢١ ـ المعبد القصر ماري (تل حريري) ، عصر فجر السلالات ٢٧٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق.م .

٢٢ ـ التل والمناطق المنقبة حتى عام ١٩٨٠ تل مرديخ (ايبلا) .

٢٣ ـ القصر G ايبلا (تل مرديخ) ، عصر فجر السلالات / العصر الاكدي ٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق.م .

٢٤ ـ قصر نارام سن الاكدي بتل براك ، العصر الاكدي ٢٣٥٠ ـ ٢٢٢٠ ق.م .

٢٥ ـ زقورة نانا في اور ، ا ـ مسقط افقي ب ـ منظور مفترض ، العصر السومري الاكدي ٢١٠٠ ـ ١٩٠٠ ق.م .

٢٦ ـ ا ـ دير عروسة الرب ومعبد نينجال ب ـ معبد انكي ، العصر السومري الاكدي (اور) ٢١٠٠ ـ ١٩٠٠ ق.م .

٢٧ ـ اضرحة ملكي اورشولجي وامرسن ، سلالة اور الثالثة ، العصر السومري الاكدي ٢١٠٠ ـ ١٩٠٠ ق.م .

٢٨ ـ معبد عشتار كتيتوم ، ايشتشالي (نيرتوم) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ١٩٠٠ ـ ١٧٠٠ ق.م .

٢٩ ـ السور والمعابد والبيوت المكتشفة في شادوبم (تل حرمل) عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ١٩٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٣٠ ـ المعبد D ايبلا (تل مرديخ) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٣١ ـ ا ـ المعبد B1 ، ب ـ المعبد N ، ايبلا (تل مرديخ) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٣٢ ـ البيت المقدس B2 ، ايبلا (تل مرديخ) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٢٣ ـ القصر المنسوب الى زمري ليم ، ماري (تل حريري) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ٢١٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٢٤ ـ قصر الطبقة السابعة ، اللالخ (تل عطشانة) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ١٩٠٠ ـ ١٧٠٠ ق.م .

٢٥ ـ القصر الغربي ، ايبلا (تل مرديخ) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٣٦ ـ القصر E ، ايبلا (تل مرديخ) ، عصر المماليك الكنعانية الامورية الاولى ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٢٧ ـ بوابة المدينة في الطبقة السابعة ، اللالخ (تل عطشانة) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ١٩٠٠ ـ ١٧٠٠ ق.م .

٢٨ ـ المناطق المنقبة في تل مرديخ (ايبلا) حتى عام ١٩٨٠ .

٢٩ ـ البوابة الرئيسة في ايبلا (تل مرديخ) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٤٠ ـ الحصن M في ايبلا (تل مرديخ) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٤١ ـ بيوت في القاطع ب ، ايبلا (تل مرديخ) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

٤٢ ـ المدفن المغارة تحت القصر الغربي في ايبلا (تل مرديخ) ، عصر الممالك الكنعانية الاولى ٢٠٠٠ ـ ١٨٠٠ ق.م .

٤٣ ـ معبد اننين في اوروك (وركاء) ، من عصر الملك الكشي كرايندراش ١٤٢٠ ـ ١٣٩٠ق.م

٤٤ ـ أ ـ قصر التل الابيض في دوركوريكلزو (موقع عقرقوف) ب ـ منظور ومقطع في القصر ، العصر الكشي ١٣٣٠ ـ ١٢٠٠ ق.م .

٤٥ ـ قصر الطبقة الرابعة في اللالخ (تل عطشانة) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الثانية ١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م .

٤٦ ـ القصر الملكي في اجاريت (راس الشمرا) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الثانية ١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م .

٤٧ ـ القصر الجنوبي في اجاريت (راس الشمرا) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ١٨٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م .

٤٨ ـ ا ـ معبد بعل ب ـ معبد دجن في اجاريت (راس الشمرا) ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى الثانية ١٨٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م .

٤٩ ـ ا ـ المعبد القصر ـ ب ـ منظور للمعبد القصر جوزن (تل حلف) العصر الارامي ٩٠٠ ـ ٨٠٠ ق.م.

٥٠ ـ قصر من العصر الارامي ، خداتو (ارسلان طاش) ، ٨٥٠ ـ ٧٢٠ ق.م .

٥١ ـ الحصن والقصور في شمال (زنشرلي) ، العصر الارامي ١٠٠٠ ـ ٧٠٠ ق.م .

٥٢ ـ القصـر آ في شمال (زنشرلي) ، العصر الارامي ٨٠٠ ـ ٧٠٠ ق.م .



ثبت الصور

١ ـ بقرص أواني حجرية متنوعة : في الاعلى حقة ارتفاع ٩ر١٠ سم ، قطر ٢ر١١ سم حقة ارتفاع ٥ر٤ سم ، قطر ١ر٧ سم ، في الاسفل : قدح ارتفاع ٦ر٦ سم . قطر ٤ر٣ ـ ٣ر٣ سم . قدح ارتفاع ٣ر٤ ـ ٤ سم . قطر ٣ر٥ سم ، ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

٢ ـ بقرص ، ادوات حجرية متنوعة مثل المخارز ، السهام ، المكاشط ، ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

٣ ـ مريبط ، حقة من الحجر الكلسي الابيض ارتفاع ٤ر٣ سم . قطر ٨ر٨ سم . الالف التاسع/الثامن ق.م .

٤ ـ بقرص ، فاس حجرية مصقولة ، الطول ١٢ سم . العرض ٦ سم . السماكة ٣و ٣ سم . عام ٦٠٠٠ ق.م . تقريبا .

٥ ـ مريبط ، دمية امرأة واقفة ، حجر كلسي أبيض ، ارتفاع ٥ر٩ سم . المرحلة الثالثة ٨٠٠٠ ـ ٧٦٠٠ ق.م .

٦ ـ مريبط ، دمية بشرية ،حجر كلسي ابيض ، ارتفاع ١٢ سم . سماكة ٣ر٣ سم . المرحلة الثالثة ٨٠٠٠ ـ ٧٦٠٠ ق.م .

٧ ـ بقرص ، تلوينات جدارية بلون احمر على طبقة كلسية بيضاء . صفوف من الطيور ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

٨ ـ بقرص ، أواني متنوعة ، ١ ـ ٥ أواني فخارية ، ٦ ـ ١١ أواني حجرية ، أواني من الجص « الآنية البيضاء » ، مقياس ١ : ٤ ، ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

٩ ـ بقرص ، لقى متنوعة ، ١ ـ ٣ دمى بشرية طينية ، ٤ ـ ٧ دمى حيوانية طينية ، ٨ ـ ١٠ تمائم ، ١١ ـ ١٢ اختام من الحجر الجصي ، المقياس ١ : ١ ، ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

١٠ ـ بقرص ، دمية مشوهة من الحجر الكلسي لامراة متربعة ارتفاع ٤ر٤ سم سماكة ٥ر٤ سم ، ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

١١ ـ بقرص ، راس انسان صغير من الطين المشوي ، ارتفاع ٩ر٢ سم ، عرض ٢ سم ، سماكة ٤ر٢ سم ، ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

١٢ ـ بقرص ، وعاءان على شكل ارنب : ارتفاع ٩ سم ، الطول ٥ر١٧ سم ، العرض ٤ر٩ سم وقنفذ ارتفاع ٦ر٦ سم ، الطول ٢ر١٤ سم ، العرض ٦ر٧ سم ، حجر كلسي زجاجي ، ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

١٣ ـ بقرص ، مقبض اداة على شكل راس غزال من العظم ، ارتفاع ٦ر٤ سم القطر الاكبر ٨ر. سم ، العرض ١ر٣ سم .
٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م .

١٤ ـ بقرص ، محك من الحجر الكلسي عليه نقش بارز ، ارتفاع ٣ سم ، الطول الاعظم ٢ر١٤ سم ، العرض ١ر٧ سم ، ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م..

١٥ ـ تل الرماد ، قصعة فخارية ، ارتفاع ٨ر٩ سم ، القطر ٥ر١٥ ـ ١٦ سم . الطبقة ٣ ، ٥٨٠٠ ـ ٥٥٠٠ ق.م .

١٦ ـ تل الرماد ، نماذج من الكسر الفخارية ، ٥٨٠٠ ـ ٥٥٠٠ ق.م .

١٧ ـ تل الرماد ، حقة من الحجر المرمري ، ارتفاع ٩ر٤ سم ، قطر ٨ر٩ سم . الطبقة ـ ١ ـ ٦٢٥٠ ـ ٦٠٠٠ ق.م .

١٨ ـ تل الرماد ، دمية انسان مقرفص ، من الطين المجفف ، ارتفاع ٢٥ سم ، السماكة ٥ر٨ سم ، الطبقة ـ ١ ـ ٦٢٥٠ ـ ٦٠٠٠ ق.م .

١٩ ـ تل اسود (غوطة دمشق) ، نماذج من الدمى البشرية ، ٦٦٩٠ ق.م .

٢٠ ـ كسرانية فخارية من عصر تل حلف الالف الخامس ق.م .

٢١ ـ دمى نسائية من الطين المشوي ، بلاد الشام الشمالية ، الالف الرابع ق.م .

٢٢ ـ تل الاربجية ، مجموعة من التمائم والاختام والحروز ، من احجار مختلفة ، عصر حلف ، نهاية الالف الخامس ق.م .

٢٣ ـ نماذج من فخار السامراء ، الالف الخامس ق.م .

٢٤ ـ نماذج فخار العبيد ، تبه كورا ، الطبقة ١٦ ـ ١٥ ، ٤٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م .

٢٥ ـ تل الشيخ ، نماذج من فخار عصر العبيد ، ٤٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م .

٢٦ ـ نماذج من فخار العبيد ، اجاريت الطبقة ٣ ب ، ٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م .

٢٧ ـ دمية امراة ترضع طفلا ، ودمية رجل ، طين مشوي ، ارتفاع ١٤ سم ، اور ، عصر العبيد ٤٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ ق.م .

٢٨ ـ نماذج طبعات اختام من تبه كورا ، عصر العبيد ٤٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م .

٢٩ ـ تل الشيخ ، نماذج طبعات اختام اسطوانية ، عصر العبيد ٤٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م .

٣٠ ـ تليلات غسول ، تلوينات جدارية ، بالوان عديدة ، قطر النجمة ١٫٨٤ م ، الالف الرابع ق.م .

٣١ ـ رسومات نماذج من فخار تليلات الغسول ، الالف الرابع ق.م .

٣٢ ـ رسومات نماذج انية مختلفة من موقع تليلات غسول الالف الرابع ق.م .

٣٣ ـ مجسم مفترض لمدينة الحبوبة الكبيرة الجنوبية في عصر الوركاء ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م.

٣٤ ـ حبوبة كبيرة جنوبية ، سدادة طينية مختومة الطول ٦٫٥ سم ، عصر الوركاء ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م .

٣٥ ـ حبوبة كبيرة جنوبية ، لوحة طينية مختومة ، المقاييس : ٥٫٥ x ٥٫٢ x ١٫٢ سم ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م .

٣٦ ـ عارودة ، طبعات اختام من عصر الوركاء ، المقياس ١ : ١ ، ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م .

٣٧ ـ حبوبة كبير جنوبية، طبعات أختام اسطوانية، عصر الوركاء ، ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م.

٣٨ ـ نماذج من قدور الزهور ، حبوبة كبيرة جنوبية/قناص ، عصر الوركاء ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م .

٣٩ ـ تل قناص ، جرة فخارية ، ارتفاع ٢٧ سم ، عصر الوركاء ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م .

٤٠ ـ تل قناص ، ابريق بدون عروة ، طين مشوي ، ارتفاع ٤٠ سم ، عصر الوركاء ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م .

٤١ ـ حبوبة كبيرة جنوبية ، وعاء فخاري له ثمانية عرى ، زخارفه مطبوعة ، ارتفاع ٣٤ سم ، عصر الوركاء ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م .

٤٢ ـ قناص ، ابريق فخاري على شكل حلقة ، يستعمل في المناسبات الدينية ، ارتفاع ٤٤ سم ، القطر الاعظم ٣٢ سم ، ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م .

٤٣ ـ جبل عارودة ، وعاء فخاري على شكل قنفذ للمناسبات الدينية ، ارتفاع ٢٤ سم ، الطول ٢٨ سم ، ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م .

٤٤ ـ تل قناص ، قاورورة من الحجر الكلسي الزجاجي ، مرممة ، ارتفاع ١٣٫٤ سم ، القطر الاكبر ٦ سم ، ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م .

٤٥ ـ تل الصوان ، مجموعة مختلفة من الدمى البشرية ، حجر مرمري ، اوائل الالف السادس ق.م .

٤٦ ـ أ ـ دمية رجل عار ، شراء جامعة زيورخ ، حجر كلسي رمادي ، ارتفاع ٢٥ سم ، ب ـ دمية امراة عارية مشوهة ، الوركاء ، حجر رمادي مخضر ، الارتفاع الحالي ١٩ سم ، ج ـ دمية امراة ، خفاجه ، حجر ابيض ، ارتفاع ١١ سم ، عصر الوركاء ، ٣٥٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م .

٤٧ ـ اوروك ، مسلة صيد الاسود ، حجر بازلتي ، ارتفاع ٨٠ سم ، العرض الوسطي ٦٠ سم ، عصر جمدة نصر ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

٤٨ ـ حبوبة كبيرة جنوبية ، تميمة على شكل اسد ، حجر كلسي زجاجي مخضر ، ارتفاع ٣ر٧ سم ، الطول ٨ر٤ سم ، عصر الوركاء ٣٥٠٠ ـ ٣٣٠٠ ق.م .

٤٩ ـ الوركاء ، حوض منقوش ، من الحجر الكلسي الزجاجي ، الطول ١٠٣ سم ، عصر جمدة نصر ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

٥٠ ـ اوروك ، رسم توضيحي لنقوش مزهرية الوركاء الشهيرة المصنوعة من الحجر الكلسي الزجاجي ، ارتفاعها ١٠٥ سم . عصر جمدة نصر ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

٥١ ـ تل براك ، دمية دب من الحجر الكلسي الزجاجي الابيض ، ارتفاع ٨ر٤ سم ، العرض ٢ر٢ سم ، ٣٥٠٠ ـ ٣٣٠٠ ق.م .

٥٢ ـ الوركاء ، راس امراة ، مرمر (حجر كلسي زجاجي) ، ارتفاع ٢٠ سم ، جمدة نصر ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

٥٣ ـ تل براك ، قناع على شكل راس انسان ، حجر كلسي زجاجي ابيض ، ارتفاع ٢ر٩ سم ، العرض ٧ر٣ سم ، السماكة ٤ر٣ سم ، ٣٥٠٠ ـ ٣٣٠٠ ق.م .

٥٤ ـ كسوة منبر معبد العيون في تل براك ، ذهب ، فضة ، نحاس ، حجر كلسي اسفلتي، مرمر أبيض ، حجر اخضر ، ارتفاع ٣ر١٢ سم ، الطول ١٢٥ سم . جمدة نصر ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

٥٥ ـ نماذج من فخار منطقة الديالي بالعراق ، الآنية ذات الالوان المتعددة ، جمدة نصر ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

٥٦ ـ عرقوب الظهر الاردن (جامعة توبنكن) أ ـ كسرة فخارية ، طول ٩ سم ، سماكة ٩ر٠ ـ ١ ـ سم . ب ـ كسرة فخارية ، طول ٥ر٧ سم ، سماكة ١ر٠ ـ ١ سم ، جمد ةنصر ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

٥٧ ـ مجموعة من طبعات الاختام الاسطوانية ، عصر جمدة نصر ، المقياس ١ : ١ ، ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق.م .

٥٨ ـ حماة، الطبقة K نماذج فخارية متنوعة، عصر جمدة نصر ٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠ق.م.

٥٩ ـ نماذج فخارية متنوعة من اجاريت ، الطبقة ٢ أ ـ ١ ـ ، ٣٠٠٠ ـ ٢٦٠٠ ق.م .

٦٠ ـ رسم توضيحي لصفوف اللبن المحدب ، عصر فجر السلالات ، النصف الاول من الالف الثالث ق.م .
ماري وتد ومسمار للاساسات ، رصاص برونز ، من معبد عشتار ، طبقة أ ، الزاوية الجنوبية الشرقية للمصلى ١٧ ، طول الوتد ٤١٫٣ سم ، طول المسمار ٣٣٫٥ سم ، عصر فجر السلالات ـ ٣ ـ ٢٥٥٠ ـ ٢٤٠٠ ق.م .

٦١ ـ خفاجه ، لوحة نذرية ، حجر كلسي ، ابعادها : ٣٢ x ٢٩٫٥ سم ، في الاسفل جزء لوحة من مدينة اور ، حجر كلسي ، العرض ٢٦٫٧ سم ، ٢٦٠٠ ق.م .

٦٢ ـ لجش ، الجزء العلوي من الوجه الخلفي لنصب العقبان او نصب النصر للملك السومري اي ـ ان ـ ناتم ، حجر كلسي ، ارتفاع النصب ١٥٠ سم . حوالي عام ٢٤٤٠ ق.م .

٦٣ ـ ماري (تل حريري) كسرة من لوحة نذرية ، حجر جصي ، ارتفاع ١١٫٦ سم ، العرض ٦٫٣ ، السماكة ١٫٧ سم ، ٢٦٤٥ ـ ٢٤٦٠ ق.م .

٦٤ ـ ماري (تل حريري) ، جزء من لوحة مرصعة ، المواد : صدف ، عاج ، حجر كلسي احمر ، حجر مشقف ، مقاييس : ٢٥٫٧ x ١٧٫١ سم ، معبد الرب شمش ، ٢٦٤٥ ـ ٢٤٦٠ ق.م .

٦٥ ـ ماري (تل حريري) ، معبد دجن العتيق ، الحجرة ١٠ ، جزء من لوحة مرصعة ، المواد : صدف ، حجر مشقف ، عاج ، مقاييس : ٥٢٫٦ x ٢٥٫٩ سم ، ٢٦٤٥ ـ ٢٤٦٠ ق.م .

٦٦ ـ ماري (تل حريري) ، معبد عشتار ، الطبقة آ ، الباحة ٢٠ ، جرة من حجر الستياتية ، ارتفاع ٢٢ سم ، ٢٩٠٠ ـ ٢٦٠٠ ق.م .

٦٧ ـ ماري (تل حريري) ، معبد شمش ، كسرة من جرة مزوقة باشكال بارزة ، حجر ستياتية ، ٢٠ x ٢٠ x ٢٫٠ ـ ٣٫٤ سم ، ٢٩٠٠ ـ ٢٦٠٠ ق.م .
ب ، من نوع الكسرة السابقة .

٦٨ ـ مجموعة متنوعة من طبعات اختام اسطوانية من عصر فجر السلالات ٢٩٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق.م .

٦٩ ـ تل خويرة ، المعبد الصغير ذو الرواق الامامي ، آ ـ دمية رجل واقف ، حجر كلسي زجاجي ، ارتفاع ١٧ سم ، ب ـ الجزء العلوي من دمية رجل ، حجر كلسي زجاجي ، الارتفاع المقدر ٣٥ سم ، جـ ـ الجزء السفلي من دمية رجل واقف ، حجر كلسي زجاجي ، الارتفاع الحالي حوالي ١٦ سم ، ٢٧٠٠ ـ ٢٦٠٠ ق.م .

٧٠ ـ ماري ، تمثال ابيش ـ ايلي الجالس من الحجر الكلسي الزجاجي ، ارتفاع ٥ر٥٢ سم ، ٢٧٠٠ ـ ٢٦٠٠ ق.م .

٧١ ـ ماري ، تمثال ثاني من الحجر الكلسي الزجاجي ، ارتفاع ٤ر٤٦ سم ، ٢٦٠٠ ـ ٢٥٠٠ ق.م .

٧٢ ـ ماري ، معبد عشتار ، تمثال الملك اكو (ن) ـ شماجان ، حجر كلسي زجاجي ، ارتفاع ١١٤ سم، حوالي ٢٥٥٠ ق.م .

٧٣ ـ ماري ، معبد عشتار ، الطبقة ـ آ ـ الباحة ٢٠ ، تمثال الملك لمجي ـ ماري ، حجر كلسي زجاجي ، ارتفاع ٧ر٢٧ سم ، حوالي ٢٣٦٠ ق.م .

٧٤ ـ ماري ، معبد نيني ـ زازا ، حجرة ١٣ ، تمثال المغنية اورنانشي ، حجر كلسي زجاجي ، ارتفاع ٢٦ سم ، ٢٥٥٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م .

٧٥ ـ ماري ، معبد عشتار ، تمثال امراة جالسة ، حجر كلسي زجاجي ، ارتفاع ٤ر٢٤ سم ، ٢٥٥٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م .

٧٦ ـ ماري ، معبد عشتار ، الطبقة ـ آ ـ الحرم ١٧ ، تمثال زوج جالس ، حجر كلسي زجاجي ، ارتفاع ٨ر١٢ سم ، ٢٥٥٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م .

٧٧ ـ تل الجديدة ، دمية رجل واقف ، لعله الاه ، فضة ، ارتفاع حوالي ٢ر١٩ ، مطلع الالف الثالث ق.م .

٧٨ ـ ماري ، صورة امراة جالسة ، قطعة رصعية ، مشبك في ثوبها .

٧٩ ـ آ ـ نماذج فخارية من يركو (اريحا) ، ب اجاريت ، ج و د عي التل (فلسطين) ، هـ + و اجاريت .

٨٠ ـ نماذج من فخار خربة الكرك ، اجاريت ، ٢٦٠٠ ـ ٢٣٠٠ ق.م .

٨١ ـ تل مرديخ (ايبلا) ، رسم توضيحي لدار المحفوظات في ايبلا .

٨٢ ـ ايبلا ، دمية ثور وحشي برأس انسان ، ذهب ، حجر ، خشب ، ارتفاع ٢ر٤ سم ، الطول ٥ سم ، العرض ٨ر١ سم . ٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق.م .

٨٣ ـ ايبلا ، راس صغير ، حجر كلسي زبدي اللون ، ارتفاع ٧ سم ، العرض ٣ر٢ سم ، السماكة ٨ر١ سم ، ٢٤٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م .

٨٤ ـ ايبلا ، صورة ملك محفورة على لوح خشبي ، ارتفاع ٣ر١٤ سم ، العرض ٨ر٤ سم ، سماكة ٣ر١ سم ، ٢٤٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م .

٨٥ ـ ايبلا ، رسوم توضيحية لطبعات اختام اسطوانية ، من الطبقة مرديخ ٢ ب ١ ، ٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق.م .

٨٦ ـ ايبلا ، قطعة خشبية مرممة ، من الحجرة L.2601 في القصر G ، ٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق.م .

٨٧ ـ ايبلا ، رسوم آنية فخارية ، الطبقة مرديخ ٢ ب ١ ، ٢٤٠٠ ـ ٢٢٠٠ ق.م .

٨٨ ـ ايبلا ، رسوم آنية فخارية ، الطبقة مرديخ ٢ ب ١ ، ٢٤٠٠ ـ ٢٢٠٠ ق.م .

٨٩ ـ ايبلا ، رسوم آنية فخارية ، الطبقة مرديخ ٢ ب ١ ، ٢٤٠٠ ـ ٢٢٠٠ ق.م .

٩٠ ـ ايبلا ، رسوم آنية فخارية ، الطبقة مرديخ ٢ ب ١ ، ٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق.م .

٩١ ـ ايبلا ، رسوم آنية فخارية ، الطبقة مرديخ ٢ ب ١ ، ٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق.م .

٩٢ ـ اور ، قرص اين ـ خي ـ دوانا ، حجر كلسي ، القطر ٢٦ سم ، ٢٢٨٤ ـ ٢٢٧٥ ق.م .

٩٣ ـ تللو (لجش) ، كسرة من لوحة ، حجر كلسي ، الوجه الامامي ، ارتفاع ٣٤ سم ، ٢٢٨٤ ـ ٢٢٧٥ ق.م .

٩٤ ـ نينوى ، راس الملك الاكادي نارام ـ سن ، برونز ، ارتفاع ٣٦ سم ، ٢٢٦٠ ـ ٢٢٢٣ ق.م .

٩٥ ـ سوزا ، نصب لنارام سن ، حجر رملي وردي ، ارتفام ٢ م ، ٢٢٦٠ ـ ٢٢٢٣ ق.م.

٩٦ ـ مجموعة لطبعات اختام اسطوانية اكادية من مواقع اثرية متعددة ، ٢٣٤٠ ـ ٢٢١٠ ق.م .

٩٧ ـ تللو (لجش) ، تمثال جوديه وهو جالس ، حجر ديوريت ، ارتفاع ٤٥ سم .

٩٨ ـ متاحف الدولة برلين ، شراء ، الجزء العلوي من تمثال اونينجرسو ملك لجش ، حجر صابوني (ستياتية) ، ارتفاع ١٧ سم ، ٢١٢٤ ـ ٢١١٩ ق.م .

٩٩ ـ تللو (لجش) ، رسم توضيحي للوحة جوديه المشوهة ، حجر كلسي ، ٢١٤٤ ـ ٢١٢٤ ق.م .

١٠٠ ـ بضعة نماذج لطبعات اختام من العصر السومري الاكدي ، ٢١٥٠ ـ ١٩٠٠ ق.م .

١٠١ ـ ماري ، تمثال ايشتوب ـ ايلوم ، حجر اسود ، ارتفاع ١٫٥٢ سم ، عصر الشكاناكو ٢٢٠٠ ـ ١٨٣٠ ق.م . (مملكة ماري الثانية) .

١٠٢ ـ ماري ، القصر الكنعاني الاموري ، تمثال ادى ـ ايلوم ، حجر صابوني ، ٢١٠٠ ـ ٢٠٥٠ ق.م .

١٠٣ ـ ماري ، تمثال بوزور ـ عشتار ، وجد في بابل ، حجر ديوريت ، ارتفاع حوالي ١٧٥ سم ، ٢٠٥٠ ـ ٢٢٢٠ ق.م .

١٠٤ ـ ماري ، القصر الكنعاني الاموري ، القاعة ١٣٢ ، رسم توضيحي لتلوينات جدارية ، ٢٢٢٠ ـ ٢١٠٠ ق.م .

١٠٥ ـ ايبلا ، رسوم آنية فخارية ، عصر مرديخ ٢ ب ٢ ، ٢٢٥٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م .

١٠٦ ـ اللالخ ، قصر الطبقة السابعة ، تلوينات جدارية ، ١٧٨٠ ـ ١٧٥٠ ق.م . عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ، ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

١٠٧ ـ ايبلا ، قبر الاميرة ، ابريق فخاري ، ٢١٠٠ ـ ١٨٠٠ ق.م .

١٠٨ ـ ايبلا ، قبر الاميرة ، قارورة صغيرة ، جزع بقراني ، ارتفاع ٨ر٤ سم ، القطر الاكبر ٥ر٦ سم ، ٢٠٠٠ ـ ١٧٥٠ ق.م . عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى .

١٠٩ ـ ايبلا ، قبر سيد الماعز ، عظم ، ٢٠٠٠ ـ ١٧٥٠ ق.م . عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى .

١١٠ ـ صور طبعات اختام اسطوانية متعددة من مواقع كثيرة ببلاد النهرين عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ، ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

١١١ ـ صور طبعات اختام اسطوانية متعددة من بلاد الشام ، عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى ، ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

١١٢ ـ ماري ، تمثال الرب شمش ، نقش عليه كتابة للملك يسمخ ـ اددو (يسمع هدد) ، حجر كلسي ، ارتفاع ١٠ر١ م حالي ، ١٨١٠ ـ ١٧٨٢ ق.م .

١١٣ ـ ماري ، القصر الاموري الكنعاني حجرة ٦٤ والباحة ١٠٦ ، تمثال ربة ، حجر ابيض ، ارتفاع ٤٢ر١ م ، ٢٠٤٠ ـ ١٨٧٠ ق.م . عصر الممالك الكنعانية الامورية الاولى .

١١٤ ـ ايبلا ، جذع تمثال ابيت ـ ليم ، بازالت ، ارتفاع حالي ٤٩ سم ، حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م .

١١٥ ـ ايبلا ، تمثال ملك جالس مشوه ، عثر عليه قرب البوابة الجنوبية الغربية ، بازالت ، ارتفاع ١٠٢ سم مع القاعدة ، ٢٠٠٠ ـ ١٧٥٠ ق.م .

١١٦ ـ ماري ، القصر الكنعاني الاموري ، راس محارب عثر عليه فوق الدرج بين الغرفة ١٤٨ و٢١٠ ، حجر كلسي زجاجي ، ارتفاع ٢٠ سم ، ٢١٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م .

١١٧ ـ اللالخ ، رأس ياريم ـ ليم ، ديوريت، ارتفاع ٥ر١٦ سم . القرن الثامن عشرق.م.

١١٨ ـ ماري ، معبد دجن ، اسد ، برونز وحجر ، الطول ٧٠ سم ، ١٩٠٠ ـ ١٨٠٠ ق.م.

١١٩ ـ ايبلا ، القاطع ب ، حوض بازلتي معبدي ، ٨٧٫٣ x ٦٦ x ٤٩٫٥ سم ، ٢٠٠٠ ـ ١٩٠٠ ق.م .

١٢٠ ـ ايبلا ، الزاوية الجنوبية الغربية من مصلى المعبد د (D =) ، حوض معبدي من الحجر الكلسي ، المقاييس ١٣٨ x ٥٥ x ٧١ سم ، ٢٠٠٠ ـ ١٨٠٠ ق.م .

١٢١ ـ ايبلا ، مصلى المعبد N ، الواجهة الضيقة من حوض معبدي من الحجر الكلسي ، الواجهة الطويلة من نفس الحوض ، حوالي ٢٠٠٠ ـ ١٨٠٠ ق.م .

١٢٢ ـ سوزا ، الجزء العلوي من مسلة حمورابي الشهيرة ديوريت ، ارتفاع ٦٥ سم ، ١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م .

١٢٣ ـ خفاجه ، لوحة طينية مشوية ، ارتفاع ١٢ سم ، رب يقتل شيطان ، ١٩٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

١٢٤ ـ منطقة الديالي ، لوحة طينية مشوية ، كلبة ترضع صغارها ، ارتفاع ١٠ سم ، ٢٠٠٠ ـ ١٨٠٠ ق.م .

١٢٥ ـ ماري ، القصر الكنعاني الاموري ، الباحة ١٠٦ ، تنصيب الملك زمري ـ ليم ، ١٧٨٢ ـ ١٧٥٩ ق.م .

١٢٦ ـ اجاريت ، نماذج اسلحة متنوعة من العصر البرونزي القديم ، برونز .

١٢٧ ـ نماذج اسلحة برونزية من الطبقة ٢ اجاريت ، ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

١٢٨ ـ نماذج اسلحة برونزية من الطبقة ٢ اجاريت ، ٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

١٢٩ ـ رسومات نماذج فخارية متنوعة من بلاد الشام ، العصر البرونزي الوسيط ٢١٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م .

١٣٠ ـ دور كوري كالزو ، رأس انسان ، طين مشوي ، ارتفاع ٤٣ سم ، ملون ، العصر الكشي ، ١٥٠٠ ـ ١١٥٠ ق.م .

١٣١ ـ دور كوري كالزو ، راس ضبع ، طين مشوي ، ارتفاع حالي ٧ سم ، أواسط العصر الكشي ، ١٥٠٠ ـ ١١٥٠ ق.م .

١٣٢ ـ دور كوري كالزو ، القصر المزوق ، رسم توضيحي لتلوينات جدارية ، القرن الرابع عشر ق.م .

١٣٣ ـ حجر حدود ، للملك مردوك ـ نادين ـ اخي ، ارتفاع حوالي ٥٣ سم ، القرن الثاني عشر ق.م .

١٣٤ ـ صور طبعات اختام اسطوانية كيشية متنوعة ، ١٥٠٠ ـ ١١٥٠ ق.م .

١٣٥ ـ صور طبعات اختام اسطوانية من العصر الميتاني ، ١٥٠٠ ـ ١٣٠٠ ق.م .

١٣٦ ـ اللالخ ، تمثال الملك ادريمي الجالس ، حجر كلسي ، ارتفاع ١٫٠٥ م . حوالي ١٥٠٠ ق.م .

١٣٧ ـ سبخة الجبول ، رأس الاه ، بازلت ، ارتفاع ٣٥ سم ، القرن الخامس عشر ق.م .

١٣٨ ـ اجاريت ، قرب معبد بعـل ، اللوحة القضائية ، شخصان يبرمان اتفاقيـة ، حجر كلسي ، ارتفاع ٢١٫٨ سم ، العرض ١٣٫٦ سم ، السماكة ٦٫٩ سم ، ١٤٠٠ ـ ١٣٠٠ ق.م .

١٣٩ ـ اجاريت ، نصب الرب بعل، حجر كلسي ، ارتفاع ١٤٠ سم ، ١٤٠٠ـ١٣٠٠ ق.م ،

١٤٠ ـ بيت شان ، لوحة نقش عليها حيوانان يتصارعان ، بازالت ، ارتفاع ٩٢ سم ، ١٥٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م .

١٤١ ـ اللالخ ، راس كبش فريد من الحجر عثر عليه في قصر نقم ـ عفا غرفـة ٢٩ ، فيه ثقب شـاقولي ، ارتفاع ٣٠ سم ، ١٥٠٠ ـ ١٣٠٠ ق.م .

١٤٢ ـ قطنه (المشرفة) ، تمثال رب جالس، برونز ، ارتفاع ١٧ سم، ١٥٠٠ـ١٤٠٠ ق.م .

١٤٣ ـ اجاريت / تمثال زوج (رب وربة) ، فضة ، اللباس والحلي من الذهـب ، ارتفاع ٢٨٫١٦ سم ، ١٥٠٠ ـ ١٣٠٠ ق.م .

١٤٤ ـ اجاريت ، تمثال الرب بعل ، برونز ، التاج مذهب ، اساور ذهبية ، طبقة فضية فوق الساقين ، ارتفاع ١٨ سم ، ١٥٠٠ ـ ١٣٠٠ ق.م .

١٤٥ ـ اجاريت ، قصعة من الذهب ، القطر ١٧ سم ، القرن الرابع عشر ق.م .

١٤٦ ـ اجاريت ، صحن من الذهب ، القطر ١٩ سم ، القرن الرابع عشر ق.م .

١٤٧ ـ صور طبعات اختام سورية ، المجموعة الثانية ١٦٠٠ ـ ١٣٥٠ ق.م .

١٤٨ ـ اجاريت / مينة البيضاء ، غطاء علبة مزوق ، عاج ، الصورة لربة تطعم معز ، ارتفاع ١٣ سم ، ١٤٠٠ ـ ١٣٠٠ ق.م .

١٤٩ ـ اجاريت ، حديقة القصر الملكي ، لوحة عاجية ، جزء من نقوش سرير فخم ، ارتفاع ٢٤ سم ، طول اللوح الكامل حوالي المتر ، القرن الرابع عشر ق.م .

١٥٠ ـ رسومات توضيحية للفخار المعروف بفخار نوزي ، ١٥٠٠ ـ ١٣٠٠ ق.م .

١٥١ ـ رسومات توضيحية لانية فخارية من العصر البرونزي الاخير ، ١٦٠٠ـ١٢٠٠ ق.م .

١٥٢ ـ صور آنية فخارية مستوردة من بلاد اليونان ، ١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م .

١٥٣ ـ منظر عام لمدخل القصر المعبد في جوزن (تل حلف) حسب تقديرات المهندسين ، القرن التاسع ق.م .

١٥٤ ـ تل حلف (جوزن) ، طائر فوق تاج عمود ، بازلت ، ارتفاع ١٨٢ سم ، القرن التاسع ق.م .

١٥٥ ـ تل حلف (جوزن) ، منظر عام لبوابة العقارب ، القرن التاسع ق.م .

١٥٦ ـ تل حلف (جوزن) ، مدخل القصر المعبد ، لوحة بازلتية نقش عليها مشهد الشمس المجنحة ترفعها كائنات عجيبة ، ارتفاع ٩١ سم ، القرن التاسع ق.م .

١٥٧ ـ تل حلف (جوزن) ، مجموعة من اللوحات الصغيرة كانت تزين قواعد الجدران الخارجية للمعبد ـ القصر .

١٥٨ ـ تل حلف (جوزن) ، تمثال مدفن ، بازلت ، امرأة جالسة ، ارتفاع ١٨٢ سم . القرن التاسع ق.م .

١٥٩ ـ تل فخيرية (سيكان) ، تمثال الملك هديسعي ، بازلت ، ارتفاع ٢ م مع القاعدة ، ١٦٠ سم بدون القاعدة ، النصف الثاني من القرن التاسع ق.م .

١٦٠ ـ تل عشارة (ترقة) ، نصب النصر للملك الاشوري توكولتي نينورتا الثاني ٨٩١ ـ ٨٨٤ ق.م . رب الطقس يقتل حية ذات قرون ، بازلت ، ارتفاع ٩٠ سم .

١٦١ ـ تل برسيب ، فارس ، لوحة من حجر البازلت ، ارتفاع ١٢ر١ م ، عرض ٨٠ر٠ م .

١٦٢ ـ تل احمر (تل برسيب) ، رسوم توضيحية للمشاهد المصورة على جدار القاعة ٤٧ والقاعة ٢٤ من القصر ، ٧٨٠ ـ ٧٥٢ ق.م .

١٦٣ ـ خداتو (ارسلان طاش) ، معبد عشتار ، تمثال رب والف ، بازالت ، ارتفاع ٧٣ر١ م ، ارتفاع القاعدة ٣٤ سم ، ٧٨٠ ـ ٧٥٢ ق.م .

١٦٤ ـ حلب ، في احد مباني القلعة ، لوحة ، بازلت ، ارتفاع ٩٥ سم ، شخصان مجنحان يعدوان ، ١٠٠٠ ـ ٩٠٠ ق.م .

١٦٥ ـ عين التل ، الى الشمال من حلب ، تمثال امير جالس ، بازالت ، ارتفاع ٥ر٢ م، القرن التاسع ق.م .

١٦٦ ـ تفتناز ، تمثال امير جالس ، بازالت ، ارتفاع ٩٨ سم ، العرض ٥٤ سم ، السماكة ٤٠ سم ، القرن التاسع ق.م .

١٦٧ ـ شمآل (زنشرلى) ، لوحة من زاوية البوابة الجنوبية ، بازلت ، ارتفاع ٣٥ر١ م ، القرن التاسع ق.م .

١٦٨ ـ شمآل (زنشرلي) ، البوابة الجنوبية ، لوحة من البازلت ، ارتفاع ٣٢ر١ م ، اله الطقس ، القرن التاسع ق.م .

١٦٩ ـ شمآل (زنشرلي) ، لوحة الملك برراكب وهو جالس ، بازلت ، ارتفاع ١٢ر١ م ، القرن الثامن ق.م .

١٧٠ ـ شمآل (زنشرلي) ، ملك ، لوحة بازلتية ، ارتفاع ٨٠ سم ، النصف الثاني من القرن الثامن ق.م .

١٧١ ـ شمآل (زنشرلي) ، ملك واقف فوق قاعدة ، بازلت ، ارتفاع ٣ م ، القرن الثامن ق.م .

١٧٢ ـ دمشق ، الجامع الاموي ، لوحة من البازلت ، صورة ابي الهول ، ارتفاع ٦٤ سم، القرن التاسع ق.م .

١٧٣ ـ شمآل (زنشرلي) لوحة من البازلت ، ارتفاع ٥٢ر١ م ، مشهد وليمة ، القرن الثامن ق.م .

١٧٤ ـ خداتو (ارسلان طاش) ، لوحة عاجية للملك حزائيل ، ملك دمشق ، ارتفاع ١٦ سم ، القرن التاسع ق.م .

١٧٥ ـ خداتو (ارسلان طاش) ، بقرة ترضع عجلا ، لوحة عاجية ، ارتفاع ١٢ سم . القرن الثامن ق.م .

١٧٦ ـ كلخو (نمرود) ، لبوة تفترس زنجيا بغابة ، عاج ، ارتفاع ٦ سم ، القرن الثامن ق.م .

١٧٧ ـ صور طبعات اختام اسطوانية اشورية متنوعة ، ٩٠٠ ـ ٧٠٠ ق.م .

١٧٨ ـ كلخو (نمرود) ، اشور ناصر بال الثاني في عربة ، يصطاد اسدا ، حجر كلسي زجاجي ، ارتفاع ١٠٢ سم ، ٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م .

١٧٩ ـ امجور بيل (بلوات) ، جزء من البوابة البرونزية ، للملك شلما نصر الثالث ٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م .

١٨٠ ـ كلخو (نمرود) ، لوحة من الحجر الكلسي الزجاجي ، مشهد حصر غنائم ، تجلات بليصر الثالث ٧٤٧ ـ ٧٢٧ ق.م .

١٤٥٨٩٤

١٨١ ـ نينوى ، احتلال مدينة همانو من قبل اشور بانيبال ، لوحة من الحجر الكلسي الزجاجي ، ٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق.م .

١٨٢ ـ كلخو (نمرود) ، مسلة سلما نصر الثالث ٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م . حجر اسود ، ارتفاع ٢.٥ سم .

١٨٣ ـ عين دارة ، كسر فخارية اتيكية ، الطبقة الخامسة ٥٣٥ ـ ٣٣٥ ق.م .

١٨٤ ـ عين دارة ، دمية طينية للربة عشتار ، ارتفاع ١٠ سم كاملة ، واخرى مشوهه ، ارتفاع ٦ سم،الطبقة الخامسة / السادسة ٧٠٠ ـ ٣٣٥ ق.م .

١٨٥ ـ عين دارة ، دمية طينية لفارس ، الطبقة الخامسة ٥٣٥ ـ ٣٣٥ ق.م . ارتفاع ٩ر٣ سم .

ملاحظة :

نقلت الصور عن المصادر المذكورة في هذا الكتاب ، باستثناء عدد قليل منها حصلت عليه من السيد مروان مسلماني ، الذي صور لي ايضا مجموعة صور قليلة من المصادر المشار اليها ، ومن السيد انور عبد الغفور ، فلهما جزيل الشكر والامتنان .



الفهرس

٢٠٠٠ ط١ ١٩٨٨/١/